

تاريخ الإسلام الحرام

الجزء الثالث

لجنة التأليف
المنظمة العالمية للنخوات والمدارس الإسلامية
- ق م -

تَارِيخُ
الْأَسْلَامِ

بَحْمِيَّةُ الْحَقِّ وَهُوَ مَحْفُوظَةٌ
الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٩٤٦١١١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تليفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨

<http://www.Dar-Alamira.com>
e-mail: zakariachahbour@hotmail.com

تَارِيحُ الْإِسْلَامِ الْأَحْمَرِ

بجته النافخ
المنظمة العالمية للخزات والمدارس الإسلامية
- قم -

الحزب الثالث

الله محمده
للطباعة والنشر والتوزيع



كلمة المنظّمة

لقد أرسى الإسلام العظيم أسس ثورته الثقافيّة العملاقة على قواعد علميّة تضمّنها القرآن الكريم و طبّقها الرسول العظيم و أهل بيته الميامين، و ذلك من خلال تربية علماء صلحاء يفقهون الشريعة و يعملون بها و لا يألون جُهداً في تبليغها و تعليمها من يرونه مستعدّاً لحمل هذا العبء الرسالي العظيم.

و بالرغم من كلّ الضغوط و أنواع الاضطهاد الّذي مارسه الحكّام الطغاة و المستعمرون في حقّ الحوزات العلميّة لقلعها أو تحجيمها أو حرقها عن مسيرتها الرّبانيّة الحقّة، استطاعت أن تصمد أمام كلّ هذه الأعاصير الصفراء متّجهة نحو الرقي و الكمال مستجيبة لحاجات العصور على مدى الأجيال، و مجيبة على الأسئلة و الشبهات المثارة من قبل الأعداء أو الأصدقاء. كلّ ذلك لما كانت تمتلكه من مرونة و انفتاح و قدرة فائقة على النّموّ و الإبداع.

و الخصائص الّتي تمتاز بها الحوزات العلميّة المتطوّرة تتجلّى اليوم في ما يلي:

١. اهتمام الحوزات العلميّة بجميع روافد المعرفة و الثقافة الإسلاميّة، و التحقيق

المستمر و العمل العلمي الدؤوب في مختلف فروع المعرفة الإسلاميّة.

٢. الإبداع و التجديد المستمرّ في أساليب التدريس و تدوين الكتب الدراسيّة الّتي

تتطلّبها حاجات العصر بنحو يحقّق التطوّر العلمي باستمرار و ينمي قوّة الإبداع إلى

جانب تعميق المفاهيم و حفظ الأصالة و الارتباط التام بالتراث الإسلامي العريق.

٣. الانفتاح على معضلات العصر و قضايا و التصدي لكل الشبهات المستحدثة و الإجابة على الأسئلة التي تتولد باستمرار بنحو يوفر للحوزات العلميّة عنصر مساهمة الزمن أو التقدّم عليه على أسس قرآنيّة علميّة و مبان عقلية قيّمة.

و من هنا تبنّت المنظّمة العالميّة للحوزات و المدارس الإسلاميّة المنهج العلمي المتطوّر في نظامها الدراسي و أساليب التدريس و تدوين الكتب الدراسيّة في مختلف فروع المعرفة الإسلاميّة مستفيدة من الجهود العلميّة الجبّارة للعلماء و المحقّقين و المؤلّفين الذين انتدبتهم لتحقيق هذه الأهداف السامية.

و قد روعيت في الكتب التي تبنّت المنظّمة تأليفها أو تدوينها ما يلي:

١. مراعاة الأهداف المتوخّاة في كلّ درسٍ من خلال الالتزام بالمنهج المقرّر لكلّ مادّة دراسيّة.

٢. مراعاة المستوى العلمي للطلبة في كلّ مرحلة من المراحل الدراسيّة.

٣. مراعاة الانسجام فيما بين الكتب الدراسيّة لكلّ مرحلة دراسيّة مع الاجتناب عن ملل الإطناب و خلل التكرار.

٤. مراعاة أصول التدوين الدراسي.

إنّ هذا الكتاب تأريخ الإسلام (٣) يشكّل مفردة من هذه المنظومة الدراسيّة التي قرّرتها المنظّمة للمرحلة العامّة و من هنا نتقدّم بالشكر لسماحة حجة الإسلام والمسلمين السيّد منذر الحكيم الذي تصدّى لتأليف هذا الكتاب و لجميع من ساهم في إخراجه سائلين من البارئ لهم و لجميع المؤمنين التوفيق.

لجنة التأريخ

وحدة تأليف الكتب الدراسيّة

١٤٢١ هـ. ق

الفهرست

الدرس (١)

١٧	ملاحم العقد الأول من عصر الإمام الكاظم عليه السلام
----	--

الدرس (٢)

٢٧	متطلبات عصر الإمام الكاظم عليه السلام في عهد المنصور
----	--

الدرس (٣)

٣٧	ملاحم العقد الثاني من عصر الإمام الكاظم عليه السلام (عهد المهدي العباسي)
٤٠	متطلبات العقد الثاني من عصر الإمام عليه السلام
٤٠	النشاط العام للإمام عليه السلام مع الأمة

الدرسان (٤) و (٥)

٤٧	دور الإمام الكاظم عليه السلام في بناء الجماعة الصالحة
٥٣	الإمام الكاظم عليه السلام في عهد الهادي العباسي
٥٤	واقعة فُخَّ
٥٥	نتائج الثورة
٥٦	موقف الإمام الكاظم عليه السلام من الثورة

الدرس (٦)

٥٩	العقد الثالث من عصر الإمام الكاظم عليه السلام
٥٩	ملاحم عهد هارون الرشيد

أساليب الرشيد مع الإمام الكاظم عليه السلام ٦٢

الدرس (٧)

- مواقف ونشاطات الإمام الكاظم عليه السلام في عهد الرشيد ٧١
- ١ . موقف الإمام الكاظم عليه السلام من سياسة الرشيد ٧١
- ٢ . نشاطات الإمام الكاظم عليه السلام في عهد الرشيد ٧٣
- حركة التأليف في عصر الإمام الكاظم عليه السلام ٧٨

الدرس (٨) و (٩)

- اعتقالات الإمام الكاظم عليه السلام ٨٣
- التخطيط لسجن الإمام عليه السلام ٨٣
- اعتقال الإمام عليه السلام ٨٥
- الإمام عليه السلام في سجن البصرة ٨٦
- الإيعاز لميسر باغتيال الإمام عليه السلام ٨٦
- حمل الإمام عليه السلام إلى بغداد ٨٧
- دعاء الإمام عليه السلام وإطلاق سراحه ٨٧
- الاعتقال الثاني ٨٨
- الإمام عليه السلام في سجن السندي بن شاهك ٨٨
- نشاط الإمام عليه السلام داخل السجن ٨٩

الدرس (١٠)

- شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام ٩٧
- إلى الرفيق الأعلى ٩٨
- التحقيق في قتل الإمام عليه السلام ١٠٠
- وضع الإمام علي الجسر و مبادرة سليمان ١٠٢
- تجهيز الإمام عليه السلام ١٠٣
- تشيع جثمان الإمام عليه السلام ودفنه ١٠٤

الدرس (١١)

- ١٠٧ ملامح عصر الإمام الرضا عليه السلام (١)
- ١٠٧ النصوص على إمامة الرضا عليه السلام
- ١١٠ الملامح العامة عند التصدي للإمامة
- ١١٤ أسلوب الإمام عليه السلام في التحرك

الدرس (١٢)

- ١١٧ ملامح عصر الإمام الرضا عليه السلام (٢)
- ١١٧ مظاهر الانحراف الفكري
- ١٢٠ متطلبات عصر الإمام الرضا عليه السلام
- ١٢٠ الإمام الرضا عليه السلام و الإصلاح الفكري والديني

الدرس (١٣)

- ١٢٥ مواقف الإمام الرضا عليه السلام في العقد الأول من عصره
- ١٢٥ الأوضاع السياسية في عهد هارون
- ١٢٩ الأوضاع السياسية في عهد محمد بن هارون
- ١٣٠ أسلوب قيادة الإمام عليه السلام للحركة الرسالية
- ١٣١ نشر القواعد الأساسية للفكر السياسي

الدرس (١٤)

- ١٣٧ الإمام الرضا عليه السلام والإصلاح الاقتصادي
- ١٣٧ مظاهر التدهور الاقتصادي
- ١٤٠ دور الإمام عليه السلام في الإصلاح الاقتصادي

الدرس (١٥)

- ١٤٧ الإمام الرضا عليه السلام والإصلاح الأخلاقي
- ١٤٧ مظاهر الانحراف الأخلاقي
- ١٥١ أساليب الإمام الإصلاحية

الدرس (١٦)

١٥٩	الدور السياسي للإمام الرضا عليه السلام قبل ولاية العهد
١٥٩	المأمون وإضفاء القدسية على حكمه
١٦٠	الحركات المسلحة
١٦٠	الحركات العلوية المسلحة
١٦١	الوضع العام بعد إخماد الثورات
١٦٢	موقف الإمام عليه السلام من الثورات العلوية
١٦٣	ازدياد عدد المعارضين لحكم المأمون
١٦٤	تفرغ الإمام عليه السلام لأداء دوره
١٦٤	توسيع القاعدة الشعبية

الدرس (١٧)

١٦٩	ولاية العهد
١٦٩	دوافع المأمون من تولية الإمام عليه السلام
١٧٣	أسباب قبول الإمام عليه السلام بولاية العهد

الدرس (١٨)

١٧٩	مكتسبات القبول بولاية العهد
١٨٠	أولاً: اعتراف المأمون بأحقية أهل البيت عليه السلام
١٨١	ثانياً: توظيف وسائل الإعلام لصالح الإمام عليه السلام
١٨٢	ثالثاً: حرية الإمام عليه السلام في المناظرة
١٨٣	رابعاً: نشر مفاهيم وفضائل أهل البيت عليه السلام
١٨٦	خامساً: حقن الدماء

الدرس (١٩)

١٨٩	نشاط الإمام الرضا عليه السلام بعد البيعة
١٨٩	١. إحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في صلاة العيد
١٩٠	٢. إفشال خطط المأمون
١٩٠	٣. إصلاح القضاء

- ٤ . الإصلاح الإداري ١٩١
- ٥ . نشر الآراء الصائبة في داخل البلاط ١٩٢
- ٦ . نصائح الإمام عليه السلام للمؤمن ١٩٣
- ٧ . الحفاظ على الوجود الإسلامي ١٩٤
- ٨ . تشجيع الشعراء الرساليين ١٩٥
- ٩ . نشاطات الإمام العلمية ١٩٦

الدرس (٢٠)

- مستقبل الرسالة والحركة الرسالية ١٩٩
- إمام المستقبل ١٩٩
- النص على إمامة محمد الجواد عليه السلام ٢٠١
- الإعداد لإمامة المهدي المنتظر عليه السلام ٢٠٢
- استشهاد الإمام الرضا عليه السلام ٢٠٦

الدرس (٢١)

- ظاهرة الإمامة المبكرة في مدرسة أهل البيت عليه السلام ٢٠٩
- نصوص الإمام الرضا عليه السلام على إمامة الجواد المبكرة ٢١٠
- الإمام الجواد عليه السلام يدحض مزاعم المشككين بإمامته ٢١٢
- الإمام الجواد عليه السلام وتخطي القوانين الطبيعية ٢١٤

الدرس (٢٢)

- مدلول ظاهرة الإمامة المبكرة ٢١٩
- ظاهرة الإمامة المبكرة في حساب الاحتمالات ٢٢٠
- المحتملات في أفق الواقع ٢٢٠
- الافتراض المقبول ٢٢٤

الدرس (٢٣)

- ملامح عصر الإمام محمد الجواد عليه السلام (١) ٢٢٧

٢٢٧	 الحالة السياسيّة العامّة
٢٢٩	 التحدّيات التي واجهها المؤمنون
٢٣٠	 حقيقة العلاقة بين المؤمن والإمام الرضا عليه السلام
٢٣٣	 طبيعة حكم المؤمنون

الدرس (٢٤)

٢٣٧	 ملامح عصر الإمام الجواد عليه السلام (٢)
٢٣٧	 المؤمنون والإمام الجواد عليه السلام
٢٣٧	 تزويج المؤمنون ابنته من الإمام الجواد عليه السلام

الدرس (٢٥)

٢٤٥	 ملامح عصر الإمام الجواد عليه السلام (٣)
٢٤٥	 العلاقة بين المؤمن والإمام الجواد عليه السلام
٢٤٦	 أهداف سياسة حسن التعامل مع الإمام عليه السلام
٢٤٦	 الموقف الحقيقي للمؤمن من الإمام الجواد عليه السلام
٢٤٨	 الرقابة الصارمة على تحرّكات الإمام الجواد عليه السلام
٢٤٨	 موقف العباسيين من الإمام الجواد عليه السلام
٢٤٨	 موقف الإمام عليه السلام من ابن أكنم
٢٤٨	 حكومة المعتصم
٢٤٩	 المعتصم والإمام الجواد عليه السلام

الدرس (٢٦)

٢٥٥	 متطلّبات عصر الإمام الجواد عليه السلام (١)
٢٥٥	 اهتمام الإمام الجواد عليه السلام بالبناء الفكري والعلمي للجماعة الصالحة
٢٦٥	 مدرسة الإمام الجواد عليه السلام

الدرس (٢٧)

٢٦٩	 متطلّبات عصر الإمام الجواد عليه السلام (٢)
-----	--

٢٦٩	الإمام الجواد عليه السلام ونظام الوكلاء
٢٧١	التربية السياسية من خلال تراث الإمام الجواد عليه السلام
٢٧٣	الإمام الجواد عليه السلام والتربية الاجتماعية
٢٧٤	الإمام الجواد عليه السلام والتربية الروحية
٢٧٥	(للمطالعة)
٢٧٥	المناجاة للاستخارة
٢٧٥	المناجاة بالاستقالة
٢٧٦	المناجاة بالسفر
٢٧٧	المناجاة في طلب الرزق
٢٧٨	المناجاة بالاستعاذة
٢٧٨	المناجاة بطلب التوبة
٢٧٩	المناجاة بطلب الحج
٢٨٠	المناجاة بكشف الظلم
٢٨٠	المناجاة بالشكر لله تعالى
٢٨١	المناجاة بطلب الحوائج

الدرس (٢٨)

٢٨٣	النص على إمامة الهادي عليه السلام وملاح عصره (١)
٢٨٣	النص على إمامة علي بن محمد الهادي عليه السلام
٢٨٨	ملاح عصر الإمام الهادي عليه السلام

الدرس (٢٩)

٢٩٥	ملاح عصر الإمام الهادي عليه السلام (٢)
٢٩٥	١ . المعتصم والإمام الهادي عليه السلام
٣٠١	٢ . الإمام الهادي عليه السلام في عهد الواثق العباسي

الدرس (٣٠)

٣٠٦	ملاح عصر الإمام الهادي عليه السلام (٣)
-----	---

٣. المتوكل العباسي والإمام الهادي عليه السلام ٣٠٦

الدرس (٣١)

- ٣١٧ ملامح عصر الإمام الهادي عليه السلام (٤)
- ٣٢٣ ٤. المنتصر والعلويين
- ٣٢٤ ٥. الإمام عليه السلام في عهد المستعين
- ٣٢٦ ٦. عهد المعتز

الدرس (٣٢)

- ٣٢٩ متطلبات عصر الإمام الهادي عليه السلام (١)
- ٣٢٩ ملامح المنهج التربوي عند الإمام عليه السلام
- ٣٣٠ ١. نشاط الإمام عليه السلام و منهجه في بناء الذات
- ٣٣٢ ٢. وسائل الإمام عليه السلام في البناء الفكري والثقافي

الدرس (٣٣)

- ٣٣٧ متطلبات عصر الإمام الهادي عليه السلام (٢)
- ٣٣٧ ظاهرة الزيارة في تراث الإمام الهادي عليه السلام
- ٣٣٧ تأملات في الزيارة الجامعة

الدرس (٣٤)

- ٣٤٩ متطلبات عصر الإمام الهادي عليه السلام (٣)
- ٣٤٩ الجانب التنظيمي في منهج الإمام الهادي عليه السلام

الدرس (٣٥)

- ٣٥٨ متطلبات عصر الإمام الهادي عليه السلام (٤)
- ٣٥٨ موقف الإمام عليه السلام من الغلاة والمنحرفين
- ٣٦٠ الإمام الهادي عليه السلام وثورات عصره
- ٣٦١ أصحاب الإمام الهادي عليه السلام

٣٦٣	الإمام الهادي عليه السلام والأترار
٣٦٤	البشارة والتمهيد لإمامة المهدي المنتظر عليه السلام
٣٦٥	النص على إمامة أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام
٣٦٥	استشهاد الإمام علي الهادي عليه السلام

الدرس (٣٦)

٣٦٩	النص على إمامة الحسن العسكري عليه السلام
-----	--

(للمطالعة)

٣٨٠	من دلائل إمامته عليه السلام بعد استشهاد أبيه عليه السلام
-----	--

الدرس (٣٧)

٣٨٥	ملاحع عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام (١)
٣٨٥	مظاهر السلوك السياسي للدولة العباسية
٣٨٧	الظروف الاجتماعية
٣٩٠	الحالة الثقافية
٣٩٠	الحالة الاقتصادية
٣٩١	الإمام الحسن العسكري عليه السلام وحكام عصره

الدرس (٣٨)

٣٩٧	ملاحع عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام (٢)
٣٩٧	سياسة المهدي تجاه معارضية

الدرس (٣٩)

٤٠٦	ملاحع عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام (٣)
٤١٠	منهج الإمام العسكري عليه السلام في مواجهة أحداث عصره
٤١٠	إجراءات الإمام عليه السلام إزاء رقابة السلطة
٤١١	الإمام العسكري والجماعة الصالحة

الدرس (٤٠)

٤١٧	متطلّبات عصر الإمام العسكري عليه السلام (١)
٤١٧	موقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام من الفرق والمذاهب
٤٢٣	الإمام العسكري عليه السلام والعمل المنظّم
٤٢٦	تنوّع أساليب الإمام عليه السلام

الدرس (٤١)

٤٢٩	متطلّبات عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام (٢)
٤٢٩	١. النصّ على الإمام المهدي عليه السلام
٤٣١	٢. التمهيد لإمامة محمّد المهدي عليه السلام
٤٣٥	من وصايا الإمام العسكري عليه السلام لشيّعته

الدرس (٤٢)

٤٣٩	متطلّبات عصر الإمام العسكري عليه السلام (٣)
٤٣٩	مدرسة الفقهاء، والتمهيد لعصر الغيبة الصغرى
٤٤١	الغيبة وقيادة العلماء
٤٤٣	استشهاد الإمام العسكري عليه السلام
٤٤٥	الصلاة على الإمام العسكري عليه السلام
٤٤٦	أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام

ملاح العقد الأول من عصر الإمام النكاه

لم يغير المنصور من سياسته ضد العلويين بعد قتله للإمام الصادق عليه السلام. وبالرغم من قضائه على الثورات العلوية في زمانه، ظلّ هاجس الخوف والقلق يلاحقه، فضلاً عن الحقد عليهم، فاستمرّ اضطهادهم بزعج للأبرياء في السجون المظلمة وهدمها عليهم، ودفن البعض في أسطوانات البناء أحياء، مع بثّه للجواسيس، ليحيط علماً بتحركاتهم ونشاطهم، وكان جواسيسه يخلطون الحقائق بالأكاذيب إرضاء لرغبة الخليفة في قمعهم كما سمح للتيارات الإلحادية مثل تيار الغلو والزندقه وغيرهما، في أن تأخذ طريقها بين الناس لإضلالهم، وكان تقريبه لبعض العلماء لتأييد سياسته أولاً وجعلهم في قبال أهل البيت عليهم السلام ثانياً. ولاستجلاء الوضع بعد الإمام الصادق عليه السلام ينبغي أن نشير إلى عدّة نقاط:

١. وقفة مع وصيّة الإمام الصادق عليه السلام

أوصى الإمام الصادق عليه السلام أمام الناس لخمسة أشخاص، هم أبو جعفر المنصور، محمّد بن سليمان، وعبد الله، وموسى، وحميدة، وكتب المنصور لعامله في المدينة بأن يقتل وصي الإمام الصادق عليه السلام إن كان معيّنًا.

ويتضح من هذين الإجراءين:

أولاً: مدى مراقبة المنصور لحركة أهل البيت عليه السلام - التي كانت تشكل خطراً حقيقياً على السلطة ولو على المدى البعيد.

ثانياً: مدى دقة الإمام الصادق عليه السلام ودركه لسياسة المنصور والحزب العباسي الحاكم على المدى القريب والبعيد.

ثالثاً: مدى دقة الوصية والخطاب الذي تركه الإمام عليه السلام لشييعته.

٤. مستوى التربية العلمية والإيمانية من قبل الإمام لصحابته وخاصة شييعته بحيث استطاع أن يرشدهم إلى الحقيقة المستترة وراء هذه الوصية.

فقد روي عن داود بن كثير الرقي أنه قال: وَقَدْ من خراسان وافدٌ يَكْنَى أبا جعفر، واجتمع إليه جماعة من أهل خراسان، فسألوه أن يحمل لهم أموالاً ومتاعاً ومسائلهم في الفتاوى والمشاورة، فورد الكوفة ونزل و زار أمير المؤمنين عليه السلام، ورأى في ناحية المسجد رجلاً حوله جماعة.

فلما فرغ من زيارته قصدهم فوجدهم شيعة فقهاء يسمعون من الشيخ، فقالوا: هو أبو حمزة الثمالي.

قال: فبينما نحن جلوس إذ أقبل أعرابي، فقال: جئت من المدينة، وقد مات جعفر بن محمد عليه السلام فشوق أبو حمزة ثم ضرب بيده الأرض، ثم سأل الأعرابي: هل سمعت له بوصية؟

قال: أوصى إلى ابنه عبدالله وإلى ابنه موسى، وإلى المنصور فقال: الحمد لله الذي لم يضلنا، دلّ على الصغير وبين على الكبير، وسرّ الأمر العظيم. ووثب إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام فصلّى وصلّىنا.

ثم أقبلت عليه وقلت له: فسرّ لي ما قلته؟

قال: بَيَّن أن الكبير ذوعاهة ودلّ على الصغير أن أدخل يده مع الكبير، وسرّ الأمر العظيم بالمنصور حتى إذا سأل المنصور: من وصيّه؟ قيل أنت.

قال الخراساني: فلم أفهم جواب مقاله^١.

فذهب بعد ذلك إلى المدينة ليطلع بنفسه على الوصي من بعد الإمام جعفر بن محمد عليه السلام.

٢. الارتباك العام وإمامة الكاظم عليه السلام

يصور لنا هشام بن سالم - أحد رموز الشيعة - شدة الارتباك، من الشيعة وشدة الرقابة من السلطة بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام في مايلي:

قال: كنّا في المدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام أنا ومؤمن الطاق أبو جعفر، والناس مجتمعون على أنّ عبد الله (الأفطح) صاحب (الإمام) بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق، والناس مجتمعون عند عبد الله وذلك أنّهم رويوا عن أبي عبد الله عليه السلام (أنّ الأمر في الكبير مالم يكن به عاهة) فدخلنا نسأله عمّا كنّا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: (في مائتين خمسة) قلنا (ففي مائة؟) قال: درهمان ونصف درهم!^٢

قلنا له: واللّه ماتقول المرجئة هذا. فرفع (الأفطح) يده إلى السماء، فقال: لا، واللّه ما أدري ماتقول المرجئة!

قال: فخرجنا من عنده ضلّالاً، لاندرى إلى أين نتوجّه أنا وأبو جعفر الأحول^٣ فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين، حيارى، لاندرى إلى من نقصد وإلى أين نتوجّه! نقول: (نذهب) إلى المرجئة؟ إلى القدريّة؟ إلى الزيدية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الخوارج؟ قال: فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئذٍ بيده، فخفتُ أن يكون

١. عوالم العلوم والمعارف والأحوال للشيخ عبد الله البحراني، ص ١٧٥؛ نقلاً عن الخرائج والجرائع عوالم، ص ١٧٥.

٢. من الثابت عند المسلمين أن لازكاة في أقل من مائتي درهم، ولكنّ الأفطح كان يجهل هذا الحكم.

٣. مؤمن الطاق و أبو جعفر و صاحب الطاق و الأحول، كلّها ألقاب لرجل واحد.

عيناً (جاسوساً) من عيون أبي جعفر (منصور الدوانقي)، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق من شيعة جعفر (الصادق) فيضربون عنقه، فخفت أن يكون (الرجل الشيخ) منهم؛ فقلت لأبي جعفر (مؤمن الطاق): تَنَحَّ فَإِنِّي خائف على نفسي وعليك، وإِنما يريدني (الشيخ) ليس يريدك، فتَنَحَّ عَنِّي، لا تهلك وتعين على نفسك.

فتَنَحَّيَ غير بعيد، وتبعْتُ الشيخ، وذلك أَنِّي ظننت أَنِّي لأقدر على التخلص منه، فما زلتُ أَتبعه حتَّى ورد بي على باب أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام، ثمَّ تركني ومضى؛

فإِذا خادم بالباب فقال لي: أَدخل، رحمك الله. قال: فدخلتُ فإذا أبو الحسن الكاظم عليه السلام فقال لي - ابتداءً -: لا إلى المرجئة، ولا إلى القدرية، ولا إلى الزيدية، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الخوارج، إِلَيَّ إِلَيَّ إِلَيَّ!!

قال هشام: فقلت له: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال نعم. قلت: جعلت فداك مضى في موت؟ قال: نعم. قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله يهديك هُداك. قلت: جعلت فداك، إنَّ عبد الله (الأفطح) يزعم أَنَّهُ (إمام) من بعد أبيه. فقال: يريد عبد الله (الأفطح) أن لا يعبد الله، قال: قلت له: جعلت فداك، فمن لنا بعده؟ فقال إن شاء الله أن يهديك هُداك أيضاً، قلت: جعلت فداك، أنت هو (الإمام)؟ قال ما أقول ذلك!! قلت - في نفسي - لم أصب طريق المسألة إِنِّي (أخطأت في كَيْفِيَّة السؤال)، قال هشام: قلت: جعلت فداك، عليك إمام؟ قال: لا.

فدخلني (دخل قلبي) شيء لا يعلمه إِلاَّ الله إعظاماً له وهيبَةً، أَكْثَر ما كان يحلُّ بي من هيبَةِ أبيه (الإمام الصادق) إِذا دخلت عليه.

قلت: جعلت فداك، أَسألك عَمَّا كان يسأل أبوك؟ قال: سَل، تُخبر، ولا تُذِيع (أي لا تنشر الخبر) فَإِن أَذِعتَ فهو الذبيح.

قال (هشام): فسأَلته فإذا هو بحر! قلت جعلت فداك، شيعتك وشيعة أبيك ضلَّال،

فألقِ إليهم (أخبرهم) وادعهم إليك؟ فقد أخذت عَلَيَّ بالكتمان.

فقال الإمام: من آنتست منهم رشداً، فألقِ عليهم (أخبرهم) وخذ عليهم بالكتمان، فإن أذاعوا فهو الذبح - وأشار بيده إلى حلقه -^١
إنّ هذا النصّ يكشف لنا عدّة حقائق:

١. كثرة انتشار الجواسيس، وسط جوّ الرعب، وفقدان الأمن الذي عمّ أبناء الأُمّة وأخيارها.

٢. كما أنّ إعلان الإمامة، لم يكن ظاهراً لعامة الناس بل حتّى مثل هشام لا يعلم أنّ الأمر لمن، إلّا بعد حين.

٣. إنّ الخنق الظالم والحبس الفكري، وبثّ الإشاعات الكاذبة، خلق مناخاً يتنفّس فيه الأُدعياء حتّى تعدّدت الفرق الضالّة في هذه الفترة، لذا نجد هشام بن سالم في حديثه هذا يعدّد لنا الفرق في زمانه حيث يقول: نذهب إلى المرجئة؟ إلى القدريّة؟ إلى الزيدية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الخوارج؟

٤. مارس الإمام موسى الكاظم عليه السلام أسلوباً يميّزه عن غيره.

٣. سياسة المنصور ضدّ العلويّين

يدلّ حديث الخزانة الآتي على كيفيّة تعامل المنصور مع العلويّين بشكل دقيق وإليك نصّه:

«لَمَّا عَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْحِجِّ دَعَا رِيطَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَبَّاسِ امْرَأَةَ الْمَهْدِيِّ وَكَانَ الْمَهْدِيُّ بِالرِّيِّ قَبْلَ شَخْوَصِ أَبِي جَعْفَرٍ فَأَوْصَاهَا بِمَا أَرَادَ، وَعَهْدَ إِلَيْهَا وَدَفَعَ إِلَيْهَا مِفَاتِيحَ الْخَزَائِنِ، وَأَحْلَفَهَا وَوَكَّدَ الْإِيْمَانَ أَنْ لَا تَفْتَحَ بَعْضَ تِلْكَ الْخَزَائِنِ، وَلَا تُطْلِعَ عَلَيْهَا أَحَدًا إِلَّا الْمَهْدِيَّ، وَلَا هِيَ إِلَّا أَنْ يَصِحَّ عِنْدَهَا مَوْتُهُ، فَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ اجْتَمَعَتْ هِيَ وَالْمَهْدِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُمَا

أحد حتّى يفتح الخزانة، فلما قدم المهدي من الريّ إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته أنّه أوصى إليها ألا يفتحه، ولا يطلع عليه أحدًا حتّى يصحّ عندها موته فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور، وولي الخلافة؛ فتح الباب ومعه ربطة، فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلى الطالبين، وفي آذانهم رقايع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال، ورجال شباب، ومشايخ عدّة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، وبنى فوقها دكّاناً^١.

٤. عبد الله الأفطح ودعوى الإمامة

ومن المشاكل التي كانت تهدف لتمزيق الطائفة الشيعيّة وإثارة البلبلة والتخريب في صفوفها: التشكيك في مسألة القيادة بعد الإمام الصادق عليه السلام فقد ادّعى الإمامة (عبد الله الأفطح) وهو أخو الإمام موسى الأكبر بعد إسماعيل، وهذا بطبيعة الحال يُضيف معاناة أخرى للإمام، لأنّ أجهزة المنصور العدوانيّة كانت تعدّ عليه الأنفاس وتشكّ في أيّ حركة تصدر منه في مجال تصديّه للإمامة^٢.

٥. الخطّ البديل لمرجعيّة أهل البيت عليهم السلام

ومن الأساليب التي استخدمتها السلطات العبّاسيّة للتعتيم على مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام وتضعيف دورهم العلمي والفكري في المجتمع الإسلامي هي سياسة خلق البدائل العلميّة وتقويتها من خلال دعم السلطة لها لتغطّي الفراغ الحاصل من عزل أهل البيت وتؤيّد السياسة الحاكمة فتوحي للأمة بأنّه الخليفة على الخطّ الإسلامي وعلى نهج السنة النبوّية، فالمنصور وجد (مالك بن أنس) ممّن تجاوب مع سياسته، وهذا مادفع بالمنصور إلى أن يفرض (الموطّأ) على الناس بالسيف ثمّ جعل لمالك

١. الطبري، ج ٦، ص ٣٢٠، ط ١.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٨٥، ح ٦ والإرشاد، ص ٨٥ وأخبار معرفة الرجال، ج ٢، ص ٥٢٤، ح ٤٧٢.

السلطة في الحجاز على الولاة وجميع موظفي الدولة فازدحم الناس على بابه وهابته الولاة والحكّام.

وحينما وفد الشافعي عليه فشغ بالوالي لكي يسهّل له أمر الدخول عليه فقال له الوالي: إنّي أمشي من المدينة إلى مكّة حافياً راجلاً أهون عليّ من أن أمشي إلى باب مالك. ولست أرى الذلّ حتّى أقف على بابه^١.

٦. الفرق الضالّة

لقد تنوّعت الفرق الضالّة التي أنشئت واستفحلت في عصر الإمام الكاظم عليه السلام فبعضها كان يتحدّى الإسلام كمبدأ الزنادقة وبعضها كان ينتهي إلى مسخ العقيدة الإسلاميّة كالغلوّ والإرجاء والجبر.

وقد وجدت هذه الفرق جواً مساعداً للنموّ والانتشار. وكلّها كانت تخدم الجهاز الحاكم بشكل وآخر، ومن هنا كان الحكّام يسمحون لها بالتحرك والنشاط.

٧. محاولات السلطة لاستغلال الإمام الكاظم عليه السلام

رغم كلّ التعظيم الإعلامي على مرجعيّة أهل البيت عليه السلام المتمثلة في الإمام الكاظم عليه السلام ورغم كلّ الأساليب التي استخدمتها السلطة لإلهاء الأمتة من خلال إشاعة التميّع والذوبان الأخلاقي لئلاّ تقوى على النهوض ضدّ انحراف الحاكمين؛ نجد أنّ المنصور كان يحاول أن يوحى للأمتة بالعلاقة الوديّة بينه وبين الإمام الكاظم عليه السلام لاسيّما بعد أن عرف أنّ الإمام عليه السلام لا ينوي الخروج عليه، فقد طلب ذات يوم عيد من أعياد النيروز من الإمام عليه السلام أن يجلس في مجلس الخليفة ليستقبل الضيوف ويستقبل الهدايا التي يؤتى بها للخليفة.

ولنلاحظ موقف الإمام عليه السلام من هذه الظاهرة كما يصورها لنا النصّ التالي:

إِنَّ المنصور تقدّم إلى موسى بن جعفر عليه السلام بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز وقبض ما يحمل إليه، فقال عليه السلام: إِنِّي فَتَشْتُ الأخبار عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم أجد لهذا العيد خبراً. وأنه سنّة للفرس ومحامها الإسلام، ومعاذ الله أن نحیی مامحاه الإسلام. فقال المنصور: إِنَّمَا نفعل هذا سياسة للجند، فسألتك بالله العظيم إلّا جلست. فجلس، ودخلت عليه الملوك والأمراء، والأجناد يهتّنونه، ويحملون إليه الهدايا والتحف، وعلى رأسه خادم المنصور يحصي ما يحمل.

فدخل آخر الناس رجل شيخ كبير السن، فقال له: يا بن بنت رسول الله! إِنِّي رجل صعلوك لا مال لي أتحنك به، ولكن أتحنك بثلاثة أبيات من الشعر قالها جدّي في جدّك الحسين بن علي عليه السلام.

عجبت لمصقول علاك فرنده^١ يوم الهياج وقد علاك غبار
ولأسهم نفذتك دون حرائر يدعون جدّك والدموع غزار
ألّا تفضضت^٢ السهام وعاقها عن جسمك الإجلال والإكبار

قال عليه السلام: قبلت هديتك، اجلس بارك الله فيك، ورفع رأسه إلى الخادم وقال: امض إلى أمير المؤمنين وعزّف بهذا المال وما يصنع به فمضى الخادم وعاد وهو يقول: كلّها هبة منّي له يفعل به ما أراد، فقال موسى عليه السلام للشيخ: اقبض جميع هذا المال فهو هبة منّي لك^٣.

والذي يدقّق في هذا المشهد يجد الإمام عليه السلام قد حقّق فيه أمرين:
الأول: قد تخلص الإمام عليه السلام بإعطائه المبلغ للشيخ من شبهة قد ترد عليه أو يخطر في النفس حديث من كونه عليه السلام من المنتفعين.
الثاني: حقّق الإمام بموقفه هذا نصراً للنهج الحسيني الذي يتعارض مع السياسة

١. فرند: السيف بكسر الفاء والراء.

٢. التفضض: الانتقاص.

٣. المناقب، ج ٣، ص ٤٣٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٠٨.

القائمة جملة وتفصيلاً كما هو واضح^١.

الخاص

□ ينقسم عصر الإمام الكاظم عليه السلام إلى ثلاثة عهود متميزة: العهد الأول وهو العقد الأول من إمامته في عهد المنصور العباسي. والعهد الثاني وهو عهد المهدي والهادي العباسيين والعهد الثالث وهو عهد هارون الرشيد.

□ وقضى المنصور على ثورات العلويين ودنس يديه بقتلهم وقتل سيدهم الإمام الصادق عليه السلام وحاول قتل وصي الإمام الصادق عليه السلام باعتباره امتداداً لخطئه. لكن تخطيط الإمام الصادق عليه السلام كان أذكى من أن يتصور.

□ وقد كانت دقة الظرف بعد استشهاد الإمام الصادق عليه السلام تقتضي الحيطة والحذر المتزايدين في تحرك الإمام الكاظم عليه السلام لاستقطاب شيعه أبيه عليه السلام.

□ وقد تغلب الإمام الكاظم عليه السلام في العقد الأول من عصر إمامته على أهم العقبات التي كانت تحول دون زعامته للخط الإمامي مثل الحركة الإسماعيلية أو حركة العباسيين باتجاه فرض خط وعاظ السلاطين.

□ ولم يفلح المنصور في توظيف وجود الإمام الكاظم عليه السلام لدعم سلطته حتى مات في آخر سفره من سفرات حجّه وقبل إتمام الفريضة أي في الرابع من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ.

١. وقد أظهر البعض الارتباك في صحة هذه الرواية باعتبار منافاته مع ما عرف عن المنصور من البخل والشح. راجع حياة الإمام موسى بن جعفر، ج ١، ص ٤٣٠.

الأسئلة

- ١ . ما هي أهم ملامح العقد الأول من عصر الامام الكاظم عليه السلام ؟
- ٢ . ما هي أسباب وصية الإمام الصادق عليه السلام لخمسة أشخاص منهم المنصور؟
- ٣ . كيف تصوّر الارتباك العامّ فيما يخص معرفة الإمام بعد الصادق عليه السلام ؟
- ٤ . ما هو موقف الإمام الكاظم من الإسماعيلية ومن عبد الله الأفطح؟
- ٥ . ما هي نوع العلاقة بين المنصور والإمام الكاظم عليه السلام بعد استشهاد أبيه؟

متطلبات عصر

الإمام الكاظم عليه السلام في عهد المنصور

لقد قام الإمام الكاظم عليه السلام بمجموعة من النشاطات كانت تتطلبها المرحلة الأولى من فترة تصديّه للإمامة بعد أبيه الصادق عليه السلام.

وأول ما قام به الإمام عليه السلام أنّه تصدّى لإثبات إمامته من خلال إبرازه للقدرات الغيبية التي زوّده الله بها، لأنّ الجوّ العامّ لم يساعد على تداول النصّ الخاصّ بالوصيّة إليه دون غيره. وبهذا اخترق الإمام عليه السلام الواقع الموجود وتحذاه بقدراته الربّانية...، حتّى أدّى ذلك إلى ضمور سائر الاتجاهات وظهور إمامته بالتدرّج دون وجود مضاعفات تستلزم تصفيته أو قتله، ونستطيع أن نصنّف هذا النشاط في حقلين:

النشاط الأول: إخبار الإمام موسى عليه السلام لعامة الناس ببعض الأخبار الغيبية التي لا يمكن للإنسان العادي أن يتوصّل إليها، وفي هذه الإخبارات شواهد ملموسة على ارتباطه بعالم الغيب والتوجّه الرباني الخاصّ إليه. والروايات من هذا القبيل كثيرة جدّاً ننقل بعضاً منها:

أ. عن إسحاق بن عمار قال: سمعت العبد الصالح عليه السلام ينعى إلى رجل من شيعته نفسه فقلت في نفسي: وإنّه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته! فالتفت إليّ شبه المفضّب فقال: يا إسحاق قد كان رشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا والإمام أولى

بعلم ذلك، ثم قال: يا إسحاق! اصنع ماأنت صانع، فإنَّ عمرك قد فنى وقد بقي منه دون سنتين... فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلا يسيراً حتَّى مات^١.

ب . قال خالد بن نجيع: قلت لموسى عليه السلام: إنَّ أصحابنا قدموا من الكوفة وذكروا أنَّ المفضَّل شديد الوجع، فادع الله له. قال: قد استراح، وكان هذا الكلام بعد موته بثلاثة أيَّام^٢.

ج . قال ابن نافع التفليسي: خلَّفت والدي مع الحرم في الموسم وقصدت موسى بن جعفر عليه السلام فلما أن قربت منه هممت بالسَّلام عليه فأقبل عليَّ بوجهه وقال: برَّ حبَّك ياابن نافع آجرك الله في أبيك فإنَّه قد قبضه إليه في هذه الساعة، فارجع فخذ في جهازه، فبقيت متحيراً عند قوله، وقد كنت خلَّفته وما به علَّة، فقال: ياابن نافع أفلا تؤمن؟ فرجعت فإذا أنا بالجواري يلطنن خدودهنَّ فقلت: ماوراءكنَّ؟ قلن: أبوك فارق الدنيا. قال ابن نافع: فجئت إليه أسأله عمَّا أخفاه وأراني فقال: لي أبداً ما أخفاه وأراك، ثم قال: ياابن نافع إن كان في أمنيَّتكَ كذا وكذا أن تسأل عنه فأنا جنب الله وكلمته الباقية وحجَّته البالغة^٣.

٢ . ومن قدرات الإمام الخارقة للعادة والتي كانت تميَّزه عن غيره هي تكلمه بلغات عديدة من غير أن يتعلَّمها بالطرق الطبيعيَّة للتعلُّم، وإنَّما بالإلهام الإلهي وفي هذا المجال تطالعنا مجموعة من الشواهد:

أ . عن أبي بصير: قال: دخلت على أبي الحسن الماضي عليه السلام، فمالبت أن أدخل علينا رجل من أهل خراسان فتكلَّم الخراساني بالعربيَّة، فأجابه هو بالفارسيَّة. فقال: له الخراساني: أصلحك الله مامنني أن أكلِّمك بكلامي إلاَّ أنني ظننت أنَّك لا تحسن فقال: سبحان الله إذا كنت لأحسن بما أجيبك فما فضلي عليك؟!

١ . بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٦٨؛ جمعاً بين هذه الرواية ورواية إسحاق بن منصور.

٢ . بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٧٢.

٣ . بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٧٢.

ثم قال: يا أبا محمد إن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس، ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه روح. بهذا يعرف الإمام، فإذا لم تكن فيه هذه الخصال فليس هو بإمام.^١
 ب. روي عن أبي حمزة قال: كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام إذ دخل عليه ثلاثون مملوكاً من الحبشة أشتروا له، فتكلم غلام منهم - وكان جميلاً - بكلام فأجابه موسى عليه السلام بلغته فتعجب الغلام وتعجبوا جميعاً وظنوا أنه لا يفهم كلامهم، فقال له موسى: إني أدفع إليك مالاً، فادفع إلى كل واحدٍ منهم ثلاثين درهماً، فخرجوا وبعضهم يقول لبعض: إنه أفصح منا بلغتنا، وهذه نعمة من الله علينا.

قال علي بن أبي حمزة: فلما خرجوا قلت: يا ابن رسول الله رأيتك تكلم هؤلاء الحبشيين بلغاتهم! قال: نعم. وأمرت ذلك الغلام من بينهم بشيء دونهم؟
 قال: نعم، أمرته أن يستوصي بأصحابه خيراً وأن يعطي كل واحدٍ منهم في كل شهر ثلاثين درهماً، لأنه لما تكلم كان أعلمهم، فإنه من أبناء ملوكهم، فجعلته عليهم، وأوصيته بما يحتاجون إليه، وهو مع هذا غلام صديقي ثم قال: لعلك عجبت من كلامي إياهم بالحبشية؟ قلت: إي والله قال: لا تعجب فما خفي عليك من أمري أعجب وأعجب.^٢

ج. قال بدر مولى الإمام الرضا عليه السلام إن إسحاق بن عمار دخل على موسى بن جعفر عليه السلام فجلس عنده إذ استأذن عليه رجل خراساني يكلمه بكلام لم يسمع مثله قط كأنه كلام الطير.

قال: إسحاق: فأجابه موسى بمثله وبلغته إلى أن قضى وطره في مساء لته، فخرج من عنده، فقلت: ماسمعت بمثل هذا الكلام.

قال: هذا كلام قوم من أهل الصين وليس كل كلام أهل الصين مثله ثم قال: أتعجب

١. قرب الإسناد، ص ١٤٦؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ١٣٣؛ إثبات الهداة، ج ٥، ص ٥٣٥، ج ٧٢ وأورده في كشف الغطاء، ج ٢، ص ٢٢٤ ودلائل الإمامة، ص ١٦٩ وإثبات الوصية.

٢. الغرائب والجرائح، ص ١٦١؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٧٠، ج ٩٣ وإثبات الهداة، ج ٥، ص ٥٤٢، ح ٨١.

من كلامي بلغته؟ قلت: هو موضع التعجب، قال: عليه السلام أخبرك بما هو أعجب منه؟ إن الإمام يعلم منطق الطير، ومنطق كل ذي روح وما يخفى على الإمام شيء^١.

النشاط الثاني: إن الخواء الروحي الناتج عن الانكباب على الحياة المادية وإشباع العزائز بشكل مفرط كان يعني التخلي عن مقاومة الظلم والظالمين وعدم الاكتراث بانتشار المنكرات وضمور المعروف في المجتمع الإسلامي بشكل عام فضلاً عن اضمحلال الجانب المعنوي للإنسان بالتدرج. وكان هذا الجانب بحاجة إلى علاج يتناسب مع ظروف المرحلة التي عاشها الإمام الكاظم عليه السلام. وكانت حياة الإمام المعنوية وعباداته بمستوى من الأهمية بحيث استطاع الإمام من خلالها تغيير بعض الواقع المنحرف وخلق شخصيات تميز بهذا الاتجاه المعنوي والروحي وتكون ذات تأثير إيجابي في المجتمع وإليك مثلاً واحداً في هذا المجال:

عن أبي حاتم قال: قال لي شقيق البلخي: خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة أي في السنة الأولى من تسلّم الإمام موسى مسؤولية الإمامة، فنزلت القادسية، فبينما أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم، إذ نظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف، فوق ثيابه من صوف، مشتمل بشمله، في رجليه نعلان وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخه فدنوت منه، فلما رأيته مقبلاً، قال: يا شقيق «اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم»^٢. ثم تركني ومضى.

فقلت في نفسي: إن هذا الأمر عظيم، قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي، وما هذا إلا عبد صالح لألحقته ولأسأله أن يحللني، فأسرعت في أثره فلم ألحقه وغاب عن

١. الخرائج والجرائح، ص ١٦٦؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٧٠، الحديث ٩٤ وأورده في دلائل الإمامة،

ص ١٧١.

٢. المعجرات / ١٢.

عيني. فلما نزلنا واقصة^١ وإذا به يصلّي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري، فقلت: هذا صاحبني أمضي إليه وأستحلّه، فصبرت حتّى جلس، وأقبلت نحوه، فلما رأيته مقبلاً، قال: يا شقيق! أتلى: «وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى»^٢ ثم تركني ومضى.

فقلت: إنّ هذا الفتى لمن الأبدال^٣، لقد تكلم عن سرّي مرتين^٤.

وقال شقيق: فلما نزلنا زباله إذا الفتى قائم على البئر ويده ركوة يريد أن يستقي ماءً فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه، فرأيت أنه قد رمق السماء وسمعته يقول:

أنت ربّي إذا ظمئت إلى الماء وقوتي إذا أردت الطعاما
اللهم سيدي مالي غيرها فلا تعدمنها.

قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها، فمدّ يده وأخذ الركوة وملاها ماء فتوضأ وصلّى أربع ركعات، ثم مال إلى كتيّب رملي، فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحرّكه ويشرب، فأقبلت إليه وسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك.

قال: يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنّك برّك، ثم ناولني الركوة فشربت منها، فإذا هو سويق وسكّر، فوالله ما شربت قطّ ألذّ منه ولا أطيب ريحاً، فشبع ورويت وأقمت أليماً لا اشتهي طعاماً ولا شرباً.

ثم لم أره حتّى دخلنا مكّة، فرأيت ليلة إلى جنب قبة الشراب في نصف الليل قائماً

١. منزل بطريق مكّة: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٥٤.

٢. طه / ٨٢.

٣. الأبدال - قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم سُموا بذلك لأنهم كلّما مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر. النهاية، ج ١، ص ١٠٨؛ مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣١٩.

٤. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢١٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٨٠ ح ١٠٢؛ إنبات الهداة، ج ٥، ص ٥٥١، ح ٩٥ ورواه ابن الجوزي في تذكرة الخواص، ص ٣٤٨ وفي صفة الصوفة، ج ٢، ص ١٨٥ عنه البدخشي في مفتاح النجاة، ص ١٧٢.

يُصَلِّي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتَّى ذهب الليل، فلَمَّا رأى الفجر جلس في مصلَّاه يستريح، ثمَّ قام فصلَّى الغداة وطاف بالبيت سبْعاً وخرج فتبعته وإذا له غاشية^١ وموَالٍ وهو على خلاف مارأيتَه في الطريق، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه، فقلت لبعض من رأيتَه بقرب منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى ابن جعفر بن محمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

النشاط الثالث: موقف الإمام عليه السلام من عوامل انشقاق الصفِّ الإسلامي والشيعة.

١. موقفه من عبدالله الأفطح.

نجد أنَّ موقف الإمام موسى عليه السلام من أخيه عبدالله (الأفطح) لم يكن موقفاً عدائياً سافراً رغم أنَّه ادَّعى الإمامة بعد أبيه، وكان هذا الادِّعاء الخطير يؤثِّر على الوجود الشيعي ومستقبله، فلم يكرس عليه السلام كامل جهده وطاقاته بحدود هذه المشكلة، ولم يسلك مساراً يضغط به من الخارج كي يفرض على الصفِّ الشيعي أن ينقسم إلى فريقين: أنصار وخصوم.

كما أنَّه عليه السلام لم يدخل الحرب النفسيَّة ولا الكلاميَّة، وإنَّما عالج هذه المشكلة بأسلوب هادي، وكفيل بعلاج هذه الأزمة.

فهو أولاً: ترك لأبناء الشيعة وعلمائها بشكل خُر أن تكتشف بنفسها كفاءة هذا المدَّعي وعلميَّته أو تكتشف غير ذلك من الطاقات فيما إذا كان يمتلكها، عن طريق الفحص المباشر، أو المقارنة بينه وبين الإمام موسى عليه السلام كما حدث مع مؤمن الطاق وهشام بن سالم الَّذي تقدَّم ذكرهما.

ثانياً: أبقى الإمام عليه السلام علاقته مع أخيه ودِّيَّة ولم يجعل من المشكلة سبباً للمقاطعة بدليل أنَّه دعاه للحضور في منزله كما تذكره الرواية التي سوف نذكرها بعد قليل.

١. الغاشية السَّؤال، يأتونك مستجدين.

قال الفيروز آبادي القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٧٠ الغاشية، سؤال يأتونك والزَّوار والأصدقاء.

ثالثاً: استخدم الإمام عليه السلام أسلوب المعجزة التي تميّزه عن عبدالله باعتباره إماماً مفترض الطاعة فقام عليه السلام بإثبات إمامته أمام جمع من خواص الشيعة.

فقد روي عن المفضل بن عمر أنّه قال: لما قضى الصادق عليه السلام كانت وصيته في الإمامة إلى موسى فادّعاها أخوه عبدالله وكان أكبر ولد جعفر في وقته ذلك هو المعروف بالأفطح فأمر موسى بجمع حطب كثير في وسط داره فأرسل إلى أخيه عبدالله يسأله أن يصير إليه، فلما صار عنده ومع موسى جماعة من وجوه الإمامية وجلس إليه أخوه عبدالله، أمر موسى أن يجعل النار في ذلك الحطب كلّه فاحترق كلّه ولا يعلم الناس السبب فيه، حتّى صار الحطب كلّه جمرأ، ثمّ قام موسى بشيابه في وسط النار وأقبل يحدث الناس ساعة، ثمّ قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس فقال لأخيه عبدالله: إن كنت تزعم أنّك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس، فقالوا: فرأينا عبدالله قد تغيّر لونه فقام يجرّ رداءه حتّى خرج من دار موسى عليه السلام ^١.

والجديد بالذكر أنّ الطائفة التي اتبعتة قد رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه (موسى الكاظم) لما تبيّنوا ضعف دعواه وقوّة رأي أبي الحسن موسى الكاظم ودلالة حقّه، وبراهين إمامته ^٢.

٢. موقفه من المناهج وال مرجعيات العلميّة المنحرفة.

أ. عن يونس بن عبدالرحمن قال: قلت: لأبي الحسن الأوّل (الإمام الكاظم) عليه السلام، بما أوحدُ الله؟ فقال عليه السلام:

يايونس لا تكوننّ مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيّه صلّى الله عليه وآله ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه صلّى الله عليه وآله كفر ^٣.

١. بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٢٥١، ح ٢٢ و ٤٨، ص ٦٧، ح ٨٩ و الخرائج الجرائح، ص ١٥٩ ومدينة المعاجز، ص ٤٥٩، ح ٩٣.

٢. الإرشاد، ص ٢٨٩.

٣. أصول الكافي، ج ١، ص ٥٦-٥٨، ط طهران.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام في موضع آخر مالكم والقياس! إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس^١.

ب . عن محمد الرافعي أنه قال: كان لي ابن عم يقال له (الحسن بن عبد الله) وكان زاهداً وكان من أعبد أهل زمانه، وكان يلقاه السلطان، وربما استقبل السلطان بالكلام الصعب يعظه ويأمر بالمعروف، وكان السلطان يحتمل له ذلك لصلاحه.

فلم يزل هذه حاله، حتى كان يوماً دخل أبو الحسن موسى عليه السلام المسجد فرآه فأدناه إليه، ثم قال له: يا أبا علي، ما أحب إليّ ما أنت فيه وأسرني بك، إلا أنه ليست لك معرفة، فاذهب فاطلب المعرفة.

قال: جعلت فداك وما المعرفة؟ قال اذهب وتفقّه واطلب الحديث.

قال: عمن؟ قال عن أنس بن مالك وعن فقهاء أهل المدينة ثم اعرض الحديث عليّ.

قال: فذهب فتكلّم معهم، ثم جاءه فقرأ عليه فأسقطه كلّهُ^٢.

٣ . موقفه من القيادات السياسيّة المنحرفة.

أ . أعطى الإمام عليه السلام مقياساً واضحاً تميّز به الأئمة الحق من الباطل لتستطيع أن تطبّقه وتكتشف مدى صدق من يدّعي القيادة والخلافة كي تعرف المحقّ من المبطل. فعن أبي بصير عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: دخلت عليه فقلت له: جعلت فداك يَمُعرف الإمام؟ فقال: بخصال أما أولهن فشيء تقدّم من أبيه فيه، وعرفه الناس، ونصبه لهم علماً، حتى يكون حجة عليهم، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله نصب عليّاً عليه السلام علماً وعرفه الناس، وكذلك الأئمة يعرفونهم الناس وينصبونهم لهم حتى يعرفوه، ويسأل

١ . وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٢٣ و ٢٤، ح ١٩، ط طهران.

٢ . بصائر الدرجات، ص ٢٥٤ في الخرائج والجرائح، ص ٣٣٩؛ الإرشاد، ص ٣٢٨؛

أعلام الوري، ص ٣٠١؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٥٢ و ٥٣، ح ٣٨ و ٥٠.

فيجيب، ويسكت عنه فيبتديء ويخبر الناس بما في غد، ويكلّم الناس بكلّ لسان..^١
 ب. لقد كان الإمام عليه السلام حريصاً على مقاطعة القيادات السياسيّة المنحرفة لعزلها
 عن القواعد التي تستغلّها لتحقيق مآربها، وكان يحاسب شيعته على التسامح في
 التعامل مع السلطة الفاصبة والتعاون معها بأيّ شكل من الأشكال.

قال زياد بن أبي سلمة: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فقال: لي يا زياد! إنك
 تعمل عمل السلطان؟ قال: قلت: أجل قال: لي ولم؟ قلت أنا رجل لي مروءة وعليّ
 عيال وليس وراء ظهري شيء. فقال لي: يا زياد لأن أسقط من علىّ حالق (مكان
 شاهق) فأقطع قطعة قطعة، أحبّ إليّ من أن أتولّى لأحدٍ منهم عملاً أو أطأ بساط رجل
 منهم، إلّا، لماذا؟ قلت: لأأدري جعلت فداك.

قال: إلّا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فكّ أسر، أو قضاء دينه، يا زياد إنّ أهون
 ما يصنع الله بمن تولّى لهم عملاً أن يضرب عليه سراق من نار إلى أن يفرغ من
 حساب الخلائق.

يا زياد: فإن وليت شيئاً من أعمالهم، فأحسن إلى إخوانك، فواحدة بواحدة، والله من
 وراء ذلك، يا زياد أيّما رجل منكم تولّى لأحد منهم عملاً، ثمّ ساوى بينكم وبينهم،
 فقولوا له: أنت منتحل كذاب.^٢

١. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٤٧، ح ٣٣.

٢. الكافي، ج ٥، ص ١٠٩ و ١١٠، ط طهران و بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٧٢، ح ١٣
 و أخرجه في التهذيب، ج ٦، ص ٣٣٣، ح ٤٥ عن محمّد بن يعقوب، عنهما وسائل
 الشيعة، ج ١٢، ص ١٤٠، ح ٩.

الخاص

□ لقد مارس الإمام الكاظم عليه السلام أنواعاً من النشاط الخاص لتثبيت إمامته في العقد الأول من عصر إمامته - وهو العهد الذي تلا استشهاد الإمام الصادق عليه السلام حيث كان تداول النص على إمامته ذا محاذير وأخطار على حياة الإمام عليه السلام و شيعته.

□ و كان النشاط العام للإمام عليه السلام متجهاً إلى التربية الروحية والأخلاقية من خلال معايشرة أبناء الأمة ومعايشتهم وتقديم النموذج الحي للإنسان النموذجي الكامل علماً وعملاً.

□ كما وقف عليه السلام موقف المعالج من عوامل انشقاق الصف الإسلامي والشيعة من جهة و سار على نهج أبيه في محاربة اتجاه الرأي والقياس الذي يؤدي إلى مسخ الشريعة و بدأ بالتمهيد لإدانة السلطة الحاكمة التي تقمّصت الخلافة دون استحقاق.

الأسئلة

- ١ . ما هي النشاطات التي مارسها الإمام الكاظم عليه السلام لتثبيت أركان زعامته وإمامته بعد استشهاد أبيه عليه السلام ؟
- ٢ . ما هو نوع النشاط التربوي الذي كان يمارسه الإمام عليه السلام مع الأمة ؟
- ٣ . ما هو موقف الإمام من عوامل انشقاق الصف الإسلامي والشيعة ؟
- ٤ . لماذا وقف الإمام عليه السلام أمام مدرسة الرأي والقياس ؟
- ٥ . هل مارس الإمام في هذا العقد من إمامته نشاطاً ضد السلطة ؟ وكيف ذلك ؟

ملاحم العقد الثاني

من عصر الإمام الكاظم عليه السلام

عهد المهدي العباسي

مات المنصور في ذي الحجة سنة ١٥٨ قبل أن يتم الحج، واستولى على منصب الخلافة والحكم ابنه محمد المهدي وبويع له في اليوم الذي مات فيه المنصور أي في الرابع من ذي الحجة سنة (١٥٨ هـ).

وقد تميّز المهدي العباسي، عن أبيه المنصور بما يلي:

١ . حاول المهدي أن يسلك أسلوباً مرناً مع العلويين في بداية حكمه خلافاً لسياسة أبيه حيث أصدر عفواً عاماً عن جميع المسجونين، كما ردّ الأموال المنقولة وغير المنقولة التي صادرها أبوه ظلماً وعدواناً إلى أهلها، فردّ على الإمام موسى الكاظم عليه السلام ما كان قد صدره أبوه من أموال الإمام الصادق عليه السلام.

٢ . بعد أن نشط الإمام الكاظم عليه السلام وذاع صيته، استخدم المهدي سياسة التشدد والتضييق على الإمام موسى عليه السلام فاستدعاه إلى بغداد وحبسه في أحد شجونها ثم ردّه

إلى المدينة^١ كما خطط لقتل الإمام، فدعا حميد بن قحطبة نصف الليل وقال: إن إخلاص أهلك وأخيك فينا أظهر من الشمس، وحالك عندي موقوف.

فقال: أفديك بالمال والنفس، فقال هذا لسائر الناس.

قال: أفديك بالروح والمال والأهل والولد، فلم يجبه المهدي.

فقال: أفديك بالمال والنفس والأهل والولد. فقال لله درك.

فعاهده على ذلك وأمره بقتل موسى الكاظم عليه السلام في السحرة^٢ بغتة، فنام فرأى في منامه علياً عليه السلام يشير إليه ويقول: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم؟!^٣.

فانتبه مذعوراً، ونهى حميداً عما أمره وأكرم الكاظم عليه السلام ووصله^٤.

٣. شجع المهدي الوضّاعين في زمنه حتى قاموا بدور إعلامي تضليلي منحرف فأحاطوا السلاطين بهالة من التقديس زاعمين أنهم يمثلون إرادة الله في الأرض وأنّ الخطأ لا يمسّهم، مثل غياث بن إبراهيم الذي عرف هوئ المهدي في الحَمَام فحدّثه عن أبي هريرة أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا سبق إلا في حافر أُنصل، (وزاد فيه) أو جناح... فأمر له المهدي - عوض افتعاله للحديث - بعشرة آلاف درهم، ولما ولى عنه قال لجلسائه: أشهد أنّه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، ما قال رسول الله ذلك، ولكنّه أراد أن

١. قرب الإبناد، ص ١٤٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٢٨، ح ٣٢؛ كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٣٨ وأخرجه المالكي في الفصول المهمة، ص ٢١٦ و الشبلنجي في نور الأبصار، ص ١٧٥.

٢. السحر.

٣. محمّد ٢٢/.

٤. مناقب الشيعة، ج ٣، ص ٤١٧ عن البحار، ج ٤٨، ص ١٣٩، ح ١٥؛ مدينة المعاجز، ص ٤٦٥، ح ١١٠ وتاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٠ عنه تذكرة الخواص، ص ٣٤٩ و وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٠٨ وفي مرآة الجنان لليانعي، ج ١، ص ٣٩٤ وفي الصواعق المحرقة، ص ١٢٢ و في الفصول المهمة، ص ٢١٤ وفي فصل الخطاب على مافي ينابيع المودة، ص ٣٨٢.

يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ^١.

٤. وأسرف المهدي في صرف الأموال الضخمة على انتقاص العلويين والخط من شأنهم فتحرك الشعراء والمتنفعون وأخذوا يلققون الأكاذيب في هجاء العلويين، وكان من جملة هؤلاء الزنديق بشار بن برد الذي دخل على المهدي ذات يوم وأنشده:

يا ابن الذي ورث النبي محمداً	دون الأقارب من ذوي الأرحام
الوحي بين بني البنات وبينكم	قطع الخصام فلات حين خصام
مال النساء مع الرجال فريضة	نزلت بذلك صورة الأنفال
أنى يكون وليس ذاك بكائن	لبنى البنات وراثه الأعمال

فأجازه المهدي على ذلك بسبعين ألف درهم تشجيعاً له ولغيره على انتقاص أهل البيت عليه السلام، ولما سمع الإمام موسى الكاظم عليه السلام بقصيدة بشار تأثر أشد التأثر، وفي الليل سمع هاتفاً يتلو عليه أبياتاً تجيب على أبيات بشار وهي:

أنى يكون ولا يكون ولم يكن	للمشركين دعائم الإسلام
لبنى البنات نصيبهم من جدّهم	والعمّ متروك بغير سهام
مال الطليق وللترات وإنما	سجد الطليق مخافة الصمصام
وبقي ابن شلة واقفاً متلدداً	فيه ويمنعه ذوو الأرحام
إن ابن فاطمة المنوّه باسمه	حاز التراث سوى بني الأعمام ^٢

٥. شاع في عهد المهدي اللهو وانتشر المجون وسادت الميوعة والتحلل. وبلغ المهدي حُسن صوت إبراهيم الموصلي وجودة غنائه فقرّبه إليه وأعلى من شأنه^٣. ولقد استغرق المهدي في المجون واللهو، وظنّ الناس به الظنون واتهموه بشتى التهم^٤.

١. تاريخ بغداد، ج ٢، ص ١٩٣.

٢. الاحتجاج للطبرسي، ص ٢١٤.

٣. الأغاني، ج ٥، ص ٥.

٤. شذرات الذهب، ج ١، ص ٣٦٥ راجع حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ج ١، ص ٤٣٨.

متطلبات العقد الثاني من عصر الإمام عليّ

لقد استغلّ الإمام عليّ هذا الانفتاح النسبي ليقوم بنشاط عام على مستوى الأمة وبنشاط خاصّ بالجماعة الصالحة التي أخذت تتعمّق جذورها وتتّسع في وجودها ممّا جعلها تصبح بؤرة خطر في المستقبل القريب فهي بحاجة إلى تحصينات كافية ضدّ التحديّات التي سوف تواجهها في المستقبل القريب.

وكان العقد الثاني من عصر الإمام الكاظم عليّ - المنطبق على السنوات العشر التي حكم فيها المهدي - هو قمة النشاط المكثّف للإمام عليّ بعد أن عُرِفَ الإمام في الأوساط الإسلاميّة بأنّه الممثل الحقيقي لخطّ أهل البيت عليّ وتحدّى كلّ الفرق والقيادات الضالّة واستطاع أن يبرز إماماً وقائداً روحياً وعلمياً وسياسياً للأمة.

النشاط العامّ للإمام عليّ مع الأمة

١. في المجال السياسي

أخذ الإمام عليّ يوضّح موقفه للأمة من الخلافة والخلفاء. فقام بتعميق خطّه عبر عدّة مواقف:

١. ذكرنا أنّ المهدي عند استيلائه على كرسيّ الخلافة بعد أبيه المنصور أبدى سياسة مرنة مع العلويّين أراد بها التضييل على الأفكار وحاول أن ينسب المظالم العباسيّة للعهد البائد، ويوحى من جانب بقوة الحكم القائم وشرعيّته وعدالته عندما أعلن عن إعادته للحقوق الضائعة والمفصولة.

وهنا وجد الإمام عليّ الفرصة لاستغلال هذه البادرة فطالب المهدي بإرجاع فدكٍ إليه وجعل هذه المطالبة منطلقاً للكشف عن الحقيقة الضائعة تحت جبروت الحاكمين فإنّ فدكاً كانت تحمل قيمة سياسيّة باعتبارها رمزاً للصراع التاريخي بين خطّ السقيفة وخطّ أهل البيت عليّ.

قال علي بن اسباط: لما ورد أبو الحسن موسى عليّ على المهدي وجده يردّ المظالم

فقال له الإمام عليه السلام: ما بال مظلمتنا يا أمير المؤمنين لأترد؟!

فقال له المهدي: وما هي يا أبا الحسن؟ فذكر له الإمام عليه السلام قصة فذكك وكيف دفعها النبي ﷺ إلى فاطمة عليها السلام ثم كيفية انتزاعها منها.

فقال له المهدي: حدّها لي، فقال له الإمام عليه السلام: حدّ منها جبل أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل.

فقال المهدي: كلّ هذه حدود فذك؟ فقال له الإمام عليه السلام نعم.

فتغيّر المهدي وبدا الغضب على وجهه بعد أن أعلن له الإمام أن جميع أقاليم العالم الإسلامي قد أخذت منهم وأنّ فذكاً هي رمز لاستحقاق أهل البيت لمنصب الخلافة. وهنا قال له المهدي: (هذا كثير فانظر فيه)¹.

٢. وفي هذه المرحلة نجد الإمام عليه السلام حريصاً على تماسك الوجود الشيعي ووحدة صفّه، لأنّ الظروف الصعبة، كانت تشكّل فرصة لنفوذ النفوس الضعيفة والحاقدة بقصد التخريب.

وظاهرة القرابة والمحسوبيّة باعتبارها أهمّ الركائز التي بُني الحكم العبّاسي عليها، كانت هي الحاكمة فوق كلّ المقاييس.

لذا نجد موقف الإمام عليه السلام من هذه الظاهرة كان حاسماً، فنراه يعلن عن مقاطعة عمّه محمّد بن عبد الله الأرقط أمام الناس تطهيراً للوجود الشيعي من أيّ عنصر مضرّ مهما كان نسبه وقربه من الإمام عليه السلام، ولا يسمح بالتسلّق للوصول إلى المواقع أو استغلالها وعندها تتعدّد التصاريح وتعكس صورة شوهاء للوجود الشيعي.

فعن عمر بن يزيد قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام فذكر محمّداً فقال: إنّي جعلت أن لا يظنّني وإيّاه سقف بيت، فقلت: في نفسي: هذا يأمر بالبرّ والصلة ويقول هذا لعمّه قال: فنظر إليّ فقال: هذا من البرّ والصلة إنّه متى يأتيه ويدخل عليّ، فيقول ويصدّقه

١. الكافي، ج ١، ص ٥٤٣، ح ٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٥٦، ح ٢٩ و قرب

الإسناد، ص ١٢٤ وكشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٤٥.

الناس، وإذا لم يدخل عليّ لم يقبل قوله إذا قال^١.

٣. موقف الإمام عليه السلام من ثورة صاحب فتح.

رغم أنّ الإمام عليه السلام لم يعمل في هذه المرحلة بصيغة المواجهة المسلّحة طيلة أيام حياته، وقد أعلن عن موقفه من حكومة المهدي عندما طلب منه الأمان بعدم الثورة عليه قائلاً له: أفتؤمنني أن لا تخرج عليّ أو على أحد من ولدي؟ فقال عليه السلام: واللّه لأفعلت ذلك ولا هو من شأني^٢.

وهذا الموقف للإمام عليه السلام بقي - كما هو - مع حكومة موسى الهادي لأسباب موضوعيّة سبقت الإشارة إليها، إلّا أنّ الإمام مارس دور الإسناد والتأييد لثورة الحسين بن علي - صاحب فتح - من أجل تحريك ضمير الأُمّة والإرادة الإسلاميّة ضدّ التنازل المطلق عن شخصيّتها وكرامتها للحكّام المنحرفين.

ولمّا عزم الحسين على الثورة قال له الإمام: إنك مقتول فأحدّ الضراب فإنّ القوم فساق يظهرون إيماناً ويضرون نفاقاً وشركاً فإنّا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله أحسبكم من عصبه^٣.

ولمّا سمع الإمام الكاظم بمقتل الحسين عليه السلام بكاه وأبّنه بهذه الكلمات: إنّنا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً، صوّماً قوّاماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله^٤.

٢. المجال الأخلاقي والتربوي

لقد فرض العبّاسيّون أخلاقاً وممارسات جاهليّة أصابت القيم والأخلاق الإسلاميّة

١. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٦٠، ح ٥.

٢. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢١٣ و بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٤٨، ح ٢٢.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٦١، ح ٦.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٦٥، ح ٦.

بلاهتزاز وتعرضت المثل للضياع، ووجدت القيم الجاهلية أجواءً منفتحة تحرّكت خلالها.

وهذا النشاط الذي كان يستهدف المسخ الحضاري للأمة لم يكن حالة عفوية أفرزتها نزوة الخليفة المهدي، أو غيره وإنما هي خطة هادفة لتغيير معالم الرسالة. لذا واجه الإمام عليه السلام هذا المخطط بأسلوب أخلاقي رفيع فكان عليه السلام يذكر الأمة بأصالتها ويعيد لها أخلاقيّة الرسول الأعظم ﷺ. ونختار لهذا، المجال بعض الأمثلة.

المثال الأول: عن حماد بن عثمان قال: بينا موسى بن عيسى في داره آتت في المسعى إذ رأى أبا الحسن موسى عليه السلام مقبلاً من المروة على بغلة فأمر ابن هياج - رجل من همدان كان منقطعاً إليه - أن يتعلّق بلجامه ويدّعي البغلة، فأثاه فتعلّق باللجام وادّعى البغلة، فثنى أبو الحسن عليه السلام رجله فنزل عنها وقال لعلمانه: خذوا سرجها وادفعوها إليه، فقال: والسرج أيضاً لي، فقال له أبو الحسن عليه السلام: كذبت، عندنا البيّنة بأنّه سرج محمّد بن عليّ، وأمّا البغلة فأنا اشتريتها منذ قريب وأنت أعلم وما قلت^١.

المثال الثاني: خرج عبد الصمد بن عليّ ومعه جماعة فبصر أبا الحسن عليه السلام مقبلاً راكباً بغلاً، فقال لمن معه: مكانكم حتّى أضحككم من موسى بن جعفر، فلمّا دنا منه قال له: ماهذه، الدابة التي لا تدرك عليها النار، ولا تصلح عند النزول؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام: تطأطأت عن سمّ الخيل وتجاوزت قموء العير، وخير الأمور أوسطها، فأفحم عبد الصمد فما أحرار جواباً^٢.

المثال الثالث: فعن الحسن بن محمّد أنّ رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى عليه السلام ويسبّه إذا رآه ويشتم عليّاً، فقال له بعض حاشيته يوماً: دعنا نقتل هذا الفاجر فنهاهم عن ذلك أشدّ النهي وزجرهم أشدّ الزجر.

وسأل عن العمري، فذكر له أنّه يزرع بناحية من نواحي المدينة فركب إليه، فوجده

١. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٤٨، ح ٢٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٥٤، ح ٢٦.

في مزرعة له، فدخل المزرعة بحماره فصاح به العمري:
لاتوطئ زرعتنا، فوطأه عليه السلام بالحمار حتى وصل إليه، ونزل وجلس عنده، وبأسطه
وضاحكه.

وقال له: كم غرمت على زرعتك هذا؟ قال: مائة دينار.
قال: فكم ترجو أن تصيب منه؟ قال: لست أعلم الغيب.
قال له: إنما قلت: كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيء مائتا دينار.
قال: فأخرج له أبو الحسن عليه السلام صرة فيها ثلاثمائة دينار، وقال هذا زرعتك على
حاله، والله يرزقك فيه ماترجو.

فقام العمري فقبل رأسه وسأله أن يصفح عما فارطه، فتبسم إليه أبو الحسن
وانصرف، وراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً، فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث
يجعل رسالته.

فوثب أصحابه فقالوا ما قضيتك؟ قد كنت تقول غير هذا! فقال لهم: قد سمعتم
ما قلت الآن. وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام فخاصموه وخاصهم.
فلما رجع أبو الحسن إلى داره قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمري: أيما كان
خيراً؟ ما أردتم، أم ما أردت؟ إنني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم، وكفيت به
شره^١.

٣. المجال العلمي

١. قال أبو يوسف للمهدي - وعنده موسى بن جعفر عليه السلام - تأذن لي أن أسأله عن
مسائل ليس عنده فيها شيء؟ فقال له: نعم.
فقال لموسى بن جعفر عليه السلام أسألك؟ قال: نعم. قال: ماتقول في التظليل للمحرم؟

١. الإرشاد للمفيد، ص ٣٣٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٠٢، ح ٧؛ أعلام الوري،
ص ٣٠٦؛ تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٨؛ سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢٧١.

قال: لا يصلح. قال: فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت؟ قال: نعم. قال: فما الفرق بين هذين؟

قال أبو الحسن عليه السلام ما تقول في الطامث أتقضي الصلاة؟ قال: لا.

قال: فتقضي الصوم؟ قال: نعم. قال: ولم؟ قال: هكذا جاء، قال أبو الحسن عليه السلام وهكذا جاء هذا.

فقال المهدي لأبي يوسف: ما أراك صنعت شيئاً؟! قال: رمانى بحجر دامغ^١.

٢. عن علي بن يقطين: سأل المهدي أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله عز وجل فإن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها. فقال أبو الحسن عليه السلام: بل هي محرمة في كتاب الله عز وجل يأمر المؤمنين، فقال له: في أي موضع هي محرمة في كتاب الله جل اسمه يا أبا الحسن؟ فقال: قول الله عز وجل: قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق... وأما الإثم فإنها الخمرة بعينها وقد قال الله عز وجل في موضع آخر: يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير.

فقال المهدي: يا علي بن يقطين هذه والله فتوى هاشمية. قال: قلت له، صدقت يا أمير المؤمنين. الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت. قال: فوالله ما صبر المهدي أن قال لي: صدقت يا رافضي^٢.

٣. حينما أمر المهدي بتوسعة المسجد الحرام امتنع بعض أرباب الدور عن تخليتها لإدخالها في المسجد وقال الفقهاء بأنه لا ينبغي أن يدخل في المسجد شيء غصباً فأشار ابن يقطين على المهدي بأن يسأل الإمام الكاظم عليه السلام فكتب له بجواز ذلك بقوله: إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالتاس أولى بفنائها وإن كان الناس هم النازلون

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٧٨.

٢. الكافي، ج ٦، ص ٤٠٦ و مسند الإمام الكاظم عليه السلام، ج ١، ص ٥٣ - ٥٤.

بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها.^١

الخاص

□ استوعب العهد الثاني من عصر الإمام الكاظم عليه السلام عهد المهدي والهادي معاً. وتميّز بالانفراج النسبي بالنسبة للإمام الكاظم عليه السلام ولكنه تميّز بنشاط الوضّاعين في انتقاص أهل البيت عليهم السلام وبدأ الإمام عليه السلام يقتحم الميدان السياسي فيطالب بفدك ويشير إلى أنّها رمز لحقانيّة أهل البيت عليهم السلام وموقعهم القيادي المغتصب، كما دخل معترك الصراع العلمي وبدا للسلطة تميّز الإمام علمياً على من سواه، وكان يحرم الإمام لأتباعه إعانة السلطة والدخول معهم في أعمالهم الإداريّة مستثنياً بعض خواص أصحابه الذين كان قد ادّخرهم للأعمال الكبرى ليضمن الحفاظ على الكيان الشيعي من التصدّع والانحيار.

الأسئلة

١. حدّد العهد الثاني من عصر الإمام الكاظم عليه السلام.
٢. ما هي ملامح هذا العهد؟
٣. هل اقتحم الإمام في هذا العهد ميدان السياسة؟ وكيف؟
٤. ما هو نوع النشاط التربوي الذي قام به الإمام عليه السلام في هذا العهد؟
٥. ما هو النشاط العلمي الذي زاوله الإمام في هذا العهد؟
٦. لماذا حرّم الإمام التعاون مع السلطة؟
٧. ولماذا استثنى بعض أصحابه من هذا التحريم؟

دور الإمام الكاظم عليه السلام في بناء الجماعة الصالحة

إنّ الانفراج النسبي في العهد الثاني من عصر الإمام الكاظم عليه السلام لا يعني حرّية في الحركة العامّة. ومن هنا كان التوجّه لتركيز بناء الجماعة الصالحة ضرورة من ضرورات المرحلة، التي عاشها الإمام عليه السلام بكلّ أبعادها الفكرية والاجتماعية، ومارس من خلالها دوره القيادي في ظلّ إمامته للأمة.

فكرّس الإمام الكاظم عليه السلام جهده لتركيز البناء، وكان يهدف من خلاله إلى الحفاظ على الشريعة من الضياع، ويطرح النموذج الصالح الذي يتولّى عملية التغيير والبناء للأمة بإشراف الإمام عليه السلام.

وقد مارس الإمام عليه السلام تحرّكاً مشهوداً حتّى استطاع أن يرّبي أكثر من جيل يحمل لواء التغيير ويعطي للأمة النموذج الصالح الذي ينتمي لمدرسة أهل البيت عليه السلام ويمثّل منهجهم ويهتدي بهديهم ويجسّد القيم الإسلامية التي حرصوا على تحقيقها في المجتمع الإسلامي.

ويتلخّص دور الإمام الكاظم عليه السلام ونشاطه وأساليبه التي تميّز بها عصر إمامته فيما

يلي:

١. الحضور الفاعل في الساحة السياسية

لقد سمح الإمام عليه السلام لمجموعة من أصحابه أن يلتزموا بالحضور في الجهاز الإداري للدولة بالرغم من تحريره التعامل والتعاون مع الجهاز الحاكم لعامة شيعته ومواليه.

وكان الإمام عليه السلام يهدف في ذلك إلى عدة أمور ويحقق من خلال هذا الحضور عدة نتائج:

الهدف الأول: الاقتراب من أعلى موقع سياسي، من أجل الإحاطة بالمعلومات السياسية وغيرها التي تصدر من البلاط الحاكم ليتخذ بصدها التدابير اللازمة والحيطة المطلوبة لتلا يتعرض الوجود الشيعي بعد إشادة كيانه للإبادة أو الانهيار.

ويشهد لذلك ماورد من أنه: لما عزم موسى الهادي على قتل الإمام موسى الكاظم عليه السلام بعد ثورة الحسين - صاحب فخ - وتدخل أبو يوسف القاضي في تغيير رأي الهادي عندما قال له: بأن موسى الكاظم عليه السلام لم يكن مذهبه الخروج على النظام ولا مذهب أحد من ولده فاستطاع أبو يوسف أن يقنع الخليفة بذلك.

هنا كتب غلي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بصورة الأمر^١ من أجل أن يحتاط ويخطط على ضوء المعلومة التي تصله أولاً بأول، وسترى أيضاً الدور الفاعل الذي قام به علي بن يقطين في عهد الرشيد لصالح الإمام عليه السلام والشيعية الموالين له.

الهدف الثاني: كان الإمام عليه السلام يهدف من ظاهرة الاندساس في الجهاز الحاكم تحقيق مهمة كبرى هي قضاء حوائج المؤمنين الشخصية رغم بساطتها باعتبارها هدفاً بحد ذاته، لأن الإمام عليه السلام كان عليه أن يحافظ على عوامل بقاء واستمرار الوجود الشيعي الذي يشكل أساساً من أسس التغيير الاجتماعي في أرجاء العالم الإسلامي.

١. مهج الدعوات، ص ٢٢٩، ح ١ راجع عوالم العلوم والمعارف، الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ص ٣٦٦.

١ . فمن علي بن طاهر الصوري، قال: ولي علينا بعض كتاب يحيى بن خالد وكان علي بقايا ديون يطالبني بها وخفت من الزامي إياها خروجا عن نعمتي، وقيل لي: إنه ينتحل هذا المذهب، فخفت أن أمضي إليه فلا يكون كذلك، فأقع فيما لأحب. فاجتمع رأيي على أنني هربت إلى الله تعالى، وحجبت ولقيت مولاي الصابر - يعني موسى بن جعفر عليه السلام - فشكوت حالي إليه فأصبحني مكتوبا نسخة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلم أن لله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه إلا من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفّس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سروراً، وهذا أخوك، والسلام.

قال: فعدت من الحج إلى بلدي ومضيت إلى الرجل ليلاً واستأذنت عليه وقلت: رسول الصابر عليه السلام فخرج حافياً ماشياً، ففتح لي بابه، وقبطني وضمّني إليه، وجعل يقبل بين عيني ويكرّر ذلك كلما سألني عن رؤيته عليه السلام وكلما أخبرته بسلامته وصلاح أحواله استبشر وشكر الله.

ثم أدخلني داره، وصدرني في مجلسي وجلس بين يدي، فأخرجت إليه كتابه عليه السلام فقبله قائماً وقرأه. ثم استدعى بماله وثيابه، ففاسمني ديناراً ديناراً، ودرهماً درهماً، وثوباً ثوباً وأعطاني قيمة ما لم يمكن قسمته. وفي كلّ شيء من ذلك يقول: يا أخي هل سررتك؟ فأقول: إي والله، وزدت على السرور.

ثم استدعى العمل فأسقط ما كان باسمي، وأعطاني براءة مما يتوجّه علي منه، وودّعته. وانصرفت عنه، فقلت: لا أقدر على مكافأة هذا الرجل إلا بأن أحجّ في قابل، وأدعو له وألقى الصابر عليه السلام وأعرفه فعله، ففعلت ولقيت مولاي الصابر عليه السلام وجعلت أحذّنه ووجهه يتهلّل فرحاً فقلت: يا مولاي هل سرّك ذلك؟

فقال: إي والله لقد سرّني وسرّ أمير المؤمنين عليه السلام. والله لقد سرّ جدّي رسول الله ﷺ ولقد سرّ الله تعالى^١.

٢. عن علي بن يقطين قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام ما تقول في أعمال هؤلاء؟ قال: إن كنت لابد فاعلاً فاتق الله في أموال الشيعة.

قال: فأخبرني علي أنه كان يجبيها من الشيعة علانية ويردّها عليهم في السرّ^١.

الهدف الثالث:

١. التوجيه السياسي غير المباشر للجهاز الحاكم: قد يهدف الإمام عليه السلام من اختراق السلطة ومسك مواقع متقدمة في الجهاز الحاكم التأثير في السياسة العامّة للسلطة وإنجاز أعمال سياسيّة ودينيّة لصالح الأمّة من خلال هذه المواقع.

يحدثنا إسماعيل بن سلام عن آليات هذا الارتباط وما يتضمنه من نشاط وأهداف: روى إسماعيل بن سلام وآخر معه فقالا: بعث إلينا علي بن يقطين فقال: اشتريا راحلتين، وتجنّبا الطريق - ودفع إلينا أموالاً وكتباً - حتّى توصلا معكما من المال والكتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام ولا يعلم بكما أحد، قالوا: فأتينا الكوفة واشترينا راحلتين وتزوّدنا زاداً، وخرجنا نتجنب الطريق حتّى إذا صرنا ببطن الرّمة شدّنا راحلتينا ووضعنا لهما العلف، وقعدنا نأكل فبينما نحن كذلك، إذ راكب قد أقبل ومعه شاكري (خادم)، فلمّا قرب ممّا فإذا هو أبو الحسن موسى عليه السلام فقمنا إليه وسلّمنا عليه ودفعنا إليه الكتب وما كان معنا فأخرج من كمّة كتباً فناولنا إياها فقال: هذه جوابات كتبكم.

قال: فقلنا: إنّ زادنا قد فني فلو أذنت لنا فدخلنا المدينة، فزرنّا رسول الله وتزوّدنا زاداً فقال: هاتيا مامعكما من الزاد. فأخرجنا الزاد إليه فقلّبه بيده فقال: هذا يبلغكما إلى الكوفة، وأما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد رأيتمّا، إنّي صلّيت معهم الفجر، وإنّي أريد أن أصلي معهم الظهر إنصرفا في حفظ الله^٢.

١. الكافي، ج ٥، ص ١١٠، ح ٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٥٨، ح ٣١.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٣٤، ح ٥.

٢. التثقيف السياسي: لقد أكد الإمام لشيئته بشكل خاصّ وللمسلمين بشكل عام حرمة التعاون مع الظالمين وكان يروي عن الرسول ﷺ ما يفيد هذا التأكيد مثل قوله ﷺ: ما قرب عبد من سلطان إلا تباعد من الله تعالى^١ وقوله ﷺ: من نكث بيعة أو رفع لواء ضلالة أو كتم علماً أو اعتقل مالاً ظلماً أو أعان ظالماً على ظلمه وهو يعلم أنه ظالم فقد برىء من الإسلام.

وقوله ﷺ: إيتاكم وأبواب السلطان وحواشيها، وأبعدكم من الله تعالى من آثر سلطاناً على الله تعالى، ومن آثر سلطاناً على الله تعالى جعل الله في قلبه (الإثم) ظاهره وباطنه وأذهب عنه الورع وجعله حيران.

وقوله ﷺ: من أرضى سلطاناً بما أسخط الله خرج من دين الإسلام.

وقوله ﷺ: الفقهاء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا. قيل: يارسول الله فما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتّباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على أديانكم.

كما روى عنه ﷺ أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة؟ والأعوان للظلمة؟ من لاق لهم دواة أو ربط لهم كيساً أو مدّ لهم مدّة أحشروه معهم^٢.

من هنا نلاحظ تبرّم علي بن يقطين وإصراره على ترك العمل مع السلطان الظالم.

قال علي بن طاهر: استأذن علي بن يقطين مولاي الكاظم عليه السلام في ترك عمل السلطان، فلم يأذن له، وقال: لاتفعل فإن لنا بك أنساً، وإخوانك بك عزّاً، وعسى أن يجبر بك كسراً، ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه.

يا علي: كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم. إضمن لي واحدة وأضمن لك ثلاثة: إضمن لي أن لاتلقى أحداً من أولياتنا إلا قضيت حاجته وأكرمته. وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً، ولا ينالك حد سيف أبداً، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً.

١. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٧٩ - ٣٨٠.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٧٩ - ٣٨٠.

ياعلي من سرٍّ مؤمناً فبالله بدأ، وبالنبي ﷺ ثنى وبنا ثلث^١.
 وكان الإمام عليه السلام يقوِّي النفوس التي آمنت بالحقّ موضحاً بأنّ الأمر لا يتعلق بكثرة
 الانتصار أو قلتها.

فمن سماعة بن مهران قال: قال لي العبد الصالح عليه السلام: يا سماعة أمنا على فرشهم،
 وأخافوني، أما والله لقد كانت الدنيا وما فيها إلّا واحداً يعبد الله، ولو كان معه غيره
 لأضافه الله عزّ وجلّ إليه حيث يقول: (إنّ إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من
 المشركين)^٢ فصر بذلك ماشاء الله. ثمّ إنّ الله أنسه بإسماعيل وإسحاق، فصاروا ثلاثة.
 أما والله إنّ المؤمن لقليل، وإنّ أهل الباطل لكثير. أتدري لمّ ذلك؟ فقلت: لأدري
 جعلت فداك. فقال: صيِّروا أنساً للمؤمنين يبتون إليهم مافي صدورهم، فيستريحون إلى
 ذلك ويسكنون إليه^٣.

وفي هذا النصّ دلالة واضحة على ضرورة حُسن تعايش المؤمنين مع عامّة
 المسلمين وضرورة الدقّة في التعامل مع الناس وضرورة دركهم ومعرفتهم بعقائدهم
 واتّجاهاتهم من دون أن ينزلق المؤمن في الخطّ العامّ المنحرف عن الحقّ.
 ٣. النشاط العلمي الخاصّ: إنّ التربية العلميّة لأبناء الجماعة الصالحة تشكّل خطأً
 عامّاً في نشاط أهل البيت عليه السلام فيما يخص الجماعة الصالحة، ولكن مرحلة الأئمة
 الأربعة - بدءاً بالإمام زين العابدين فالباقر والصادق والكاظم عليه السلام - تتميز بأشاع هذا
 النشاط العلمي بشكل واضح.

١. كتاب قضاء حقوق المؤمنين، المطبوع في ترائنا، العدد الثالث، ص ١٨٧، ح ٢٥؛

بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٣٦، ح ١٠ و ج ٧٥، ص ٣٧٩، ح ٤٠.

٢. النحل / ١٢٠.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٢٤٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٣٧٣، ح ٩٤ و ج ٦٧، ص ١٦٢.
 قال المجلسي معلقاً ومفسّراً على هذا الخبر: أي إنّما جعل الله تعالى هؤلاء
 المناققين في صورة المؤمنين مختلطين بهم لتلا يتوحّش المؤمنون لقلّتهم.

وقام الإمام موسى الكاظم عليه السلام بإعداد نخبة من الفقهاء ورواة الحديث اجتازت الثلاثمائة راوٍ وفقهه وقد اشتهر من بين أصحابه ستة وعرفوا بالصدق والأمانة، وأجمع الرواة على تصديقهم فيما يروونه عن الأئمة عليهم السلام. والمشهور بين الفقهاء والمحدثين أن ثمانية عشر رجلاً من أصحاب الأئمة الثلاثة (الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام) هم أصحاب الإجماع، ستة من أصحاب أبي جعفر وستة من أصحاب أبي عبدالله وستة من أصحاب أبي الحسن موسى عليه السلام: وهم يونس بن عبدالرحمن، وصفوان بن يحيى، بيان السابري، ومحمد بن أبي عمير، وعبدالله بن المغيرة، والحسن بن محبوب السرداد، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، هذا في المجال الفقهي.

أما الميادين الفكرية الأخرى مثل الفلسفة والكلام والقرآن، والسياسة والمناظرة، فلها أيضاً نخبة متخصصة مثل هشام بن الحكم ومؤمن الطاق وهشام بن سالم والمفضل بن عمر وغيرهم..

الإمام الكاظم عليه السلام في عهد الهادي العباسي

لقد استولى على كرسي الخلافة موسى الهادي بعد وفاة أبيه المهدي لثمان بقين من المحرم سنة (١٦٩) وتوفي بعد ثلاثة عشر شهراً في ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ وكان عمره (٢٥) سنة^١.

وبالرغم من قصر المدة التي حكم فيها الهادي إلا أنها قد تركت أثراً سيئاً على الشيعة وتميّزت بحدث مهم في التأريخ الشيعي وهو واقعة فخّ التي قال عنها الإمام الجواد عليه السلام: لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ، فكانت سياسة هذا الخليفة قد امتازت بنزعات شريرة ظهرت في سلوكه حتى نقم عليه القريب والبعيد وبغضه الناس جميعاً، وقد حقدت عليه أمه الخيزران حتى بلغ بها الغيظ له أن أقدمت على قتله

بواسطة بعض جواربها^١.

وقد نكّل بالعلويين وأشاع الخوف والرعب في صفوفهم وقطع مأجراه لهم المهدي من الأرزاق والعطاءات وكتب إلى جميع الآفاق في طلبهم وحملهم إلى بغداد^٢.

واقعة فحّ

إنّ الذي فجر الثورة على الحاكم العباسي هو الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وأهم الأسباب التي أدت إلى الثورة هي: الاضطهاد والإذلال الذي مارسه الخلفاء العباسيون ضدّ العلويين واستبداد الهادي على وجه الخصوص.

وقد عيّن الهادي ولاية قساة على المدينة مثل إسحاق بن عيسى بن عليّ الذي استخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يُعرف بعبد العزيز.

وقد بالغ هذا الأثيم في إذلال العلويين وظلمهم فألزمهم بالمثول عنده كلّ يوم، وفرض عليهم الرقابة الشخصية فجعل كلّ واحد منهم يكفل صاحبه بالحضور، وقبضت شرطته على كلّ: من الحسن بن محمّد بن عبد الله بن الحسن، ومسلم بن جندب وعمر بن سلام، زعمت الشرطة أنّها وجدتّهم على شراب فأمر بضربهم، وجعل في أعناقهم حبلاً، وأمر أن يطاف بهم في الشوارع ليفضحهم^٣.

وفي سنة ١٦٩ هـ عزم الحسين بن عليّ - على الخروج وأخبر الإمام موسى عليه السلام بالأمر وطلب منه المبايعة فقال له الإمام عليه السلام: يا ابن عمّ لا تكلفني ما كلف ابن عمّك عمّك أبا عبد الله فيخرج مني مالا أريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يُريد، فقال له الحسين: إنّما عرضت عليك أمراً فإن أردته دخلت فيه. وإن كرهته لم أحملك عليه

١. الإمام موسى الكاظم، ج ٢، ص ٤٥٧ - ٤٨٣، باقر شريف القرشي.

٢. تاريخ اليعقوبي، ج ٣، ص ١٣٦.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٦١.

والله المستعان، ثم ودّعه.

فجمع الحسين أصحابه مثل يحيى، وسليمان وإدريس بنى عبد الله بن الحسن، وعبد الله بن الحسن الأقطس إبراهيم بن إسماعيل طباطبا وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن المثلث، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن المثنى، وعبد الله بن جعفر الصادق، وجّهوا إلى فتيان من فتيانهم ومواليهم، فاجتمعوا ستة وعشرين رجلاً من ولد علي عليه السلام وعشرة من الحاج وجماعة من الموالى.

فلما أذن المؤذن الصبح دخلوا المسجد ونادوا أجد أجد، وصعد الأقطس المنارة، وأجبر المؤذن على قول حي على خير العمل، وصلى الحسين بالناس الصبح. فخطب بعد الصلاة وبأيعه الناس، وبعد أن استولى على المدينة توجه نحو مكه وبعد أن وصل إلى (فخ) عسكر فيه وكان معه ٣٠٠ مقاتل ولحقته الجيوش العباسية وبعد صراع رهيب استشهد الحسين وأصحابه وأرسلت رؤوس الأبرار إلى الطاغية، ومعهم الأسرى وقد قيدوا بالحبال والسلاسل ووضع في أيديهم وأرجلهم الحديد، وأمر الطاغية بقتلهم فقتلوا صبراً وصلبوا على باب الحبس^١.

نتائج الثورة

وبعد أن انتهت الثورة باستشهاد الحسين عليه السلام وصحبه أخذ الهادي يتوعد الأحياء منهم، وقد ذكر سيدهم الإمام موسى قاتلاً: والله ماخرج حسين إلا عن أمره، ولا أتبع إلا محبته، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله إن أبقيت عليه^٢.

وكتب علي بن يقطين إلى الإمام موسى بصورة الأمر وورد الكتاب. فلما أصبح عليه السلام أحضر أهل بيته وشيعته فأطلعهم على ماورد عليه من الخبر، وقال: ماتشرون في هذا؟ فقالوا: نشير عليك - أصلحك الله - ونحن معك أن تباعد شخصك

١ . تأريخ الطبري، ج ١٠، ص ٢٩ و بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٦١ و ١٦٢.

٢ . بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٥٠ - ١٥٣.

عن هذا الجبار وتغيّب شخصك دونه.

فتبسم موسى عليه السلام ثم تمثل ببيت كعب بن مالك أخي بني سلمة وهو:
 زعمت سخينة أن ستغلب ربها فليغلبن مُغالِب الغلاب
 وأقبل الإمام نحو القبلة ودعا بدعاء الجوشن الصغير المعروف الوارد عنه عليه السلام ثم
 قال: قد مات في يومه هذا والله «وأنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون»^١.
 قال الراوي: ثم قمنا إلى الصلاة وتفرّق القوم فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتاب الوارد
 بموت الهادي والبيعة للرشد^٢.

موقف الإمام الكاظم عليه السلام من الثورة

لقد استعرضنا فيما سبق المحاث من حياة الإمام الكاظم عليه السلام ودوره في التربية
 للجماعة الصالحة وإيصالها إلى مستوى علمي وإيماني وسياسي رفيع بحيث تهيم
 الأراضية الكافية لإنجاز المشروع التغييري الإسلامي الكبير.
 أمّا العامل الثاني الذي يتكامل به الإنجاز لهذا المشروع؛ فهو تحريك ضمير الأمة
 وإرادتها التي تمنحها القوة والصلابة وتحصنها ضدّ التنازل عن كرامتها، أو الذوبان في
 سياسة الظالمين والاستجابة لها، وذلك من خلال استمرار العمل الثوري المسلح ضدّ
 الحكومة الظالمة، وانطلاقاً من هذه الضرورة نلخص موقف الإمام موسى من واقعة
 (فتح) بما يلي.

١. لم يكن موقف الإمام عليه السلام في هذه المرحلة موقفاً ثورياً إذ لم يمارس المواجهة
 المباشرة لنظام الحكم القائم، بل جمّد صيغة المواجهة المسلّحة لأسباب موضوعيّة
 سبقت الإشارة إليها.

١. الذاريات / ٢٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٥٠ - ١٥٣، وص ٢١٧، ح ١٧ و عيون أخبار الرضا،
 ج ١، ص ٧٩.

- ٢ . صرّح الإمام عليه السلام بموقفه من الثورة لزعيمها (الحسين) عندما طلب منه المبايعة وذكره بموقف الإمام الصادق عليه السلام من ثورة محمد ذي النفس الزكية، وسوف يكون موقفه كأبيه فيما إذا أصرّ الحسين على ضرورة المبايعة^١.
- ٣ . عندما استولى الحسين على المدينة وصلّى بالناس صلاة الصبح لم يتخلّف عنه أحد من الطالبين إلا الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن وموسى بن جعفر عليه السلام^٢.
- ٤ . صدر من الإمام تأييد ومساندة صريحة لحركة الحسين وثورته عندما عزم عليها في قوله عليه السلام: إِنَّكَ مَقْتُولٌ فَأَحْذِ الضَّرَابَ، فَإِنَّ الْقَوْمَ فَسَّاقٌ يُظْهِرُونَ إِيمَانًا وَيُضْمِرُونَ نِفَاقًا وَشُرْكَاءَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وعند الله أحتسبكم من عصابة^٣.
- ٥ . ولما سمع الإمام موسى عليه السلام بمقتل الحسين (رض) بكاه وأبته بهذه الكلمات: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مَضَى وَاللَّهِ مُسْلِمًا صَالِحًا، صَوَّامًا قَوَّامًا، أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ، مَا كَانَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ مِثْلُهُ^٤.

١ . بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٦١.

٢ . بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٦٣.

٣ . بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٦١.

٤ . بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٦٥.

الخاص

- بالرغم من الانفراج النسبي في عهد المهدي العباسي كان تركيز بناء الجماعة الصالحة ضرورة من ضرورات المرحلة.
- وقد ركّز الإمام إلى جانب التثبيت السياسي على التعريف بحَقَائِيقِ أهل البيت عليهم السلام و ضرورة مقاطعة الجهاز الحاكم الظالم إلى جانب الحضور في الساحة السياسيّة من خلال المخلصين من أصحابه حيث أمرهم بمزاولة العمل مع السلطان والنفوذ إلى عمق جهازه الإداري والسياسي.
- و اعتنى عليه السلام من جهة أخرى بتربية العلماء المتخصّصين بشؤون الشريعة فتخرجت من مدرسته مجموعة فريدة من العلماء ورواة الحديث وانتشروا في شتّى بقاع العالم الإسلامي ومارسوا نشاطهم باتجاه توسيع رقعة الموالين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام و سوف نلاحظ حجم الخطر الذي واجهه بنو العباس بعد عهد الرشيد ممّا اضطرّ المأمون لفرض ولاية العهد على الإمام الرضا عليه السلام.

الأسئلة

١. لماذا ركّز الإمام الكاظم عليه السلام على إشادة بناء الجماعة الصالحة؟
٢. ما هو مدى الانفراج الذي حصل للإمام الكاظم عليه السلام في عهد المهدي العباسي؟
٣. لماذا ركّز الإمام عليه السلام على ضرورة مقاطعة الجهاز الحاكم؟
٤. لماذا أباح أو فرض الإمام على بعض أصحابه مزاولة العمل مع السلطان؟
٥. ما هو حجم النشاط العلمي الذي مارسه الإمام الكاظم عليه السلام في هذه المرحلة؟

العهد الثالث من عصر الإمام الكاظم عليه السلام

تُعتبر السنوات الأخيرة من عمر الإمام الكاظم عليه السلام من أعقد المراحل وأشدّها صعوبة وأذى عليه بالقياس إلى المراحل الأخرى التي سبقتها. وقد عاصر فيها هارون الرشيد لمدة (١٤) سنة وأشهرًا^١. وقد حفلت بالآلام حيث صبّ فيها هارون كلّ الحقد الجاهلي وما تنطوي عليه نفسه من حقد ولؤم ضدّ أهل البيت عليه السلام، وأتبع بدهائه سياسة تميّز بها عمّن سبقه، والتي كان من شأنها شلّ حركة الإمام عليه السلام وعزله عن الأمة تمهيداً لقتله فيما بعد. من هنا كان الإمام عليه السلام قد انتهج أساليب أخرى من العمل للمرحلة الجديدة.

ملامح عهد هارون الرشيد

١ . تَمَّص الرشيد الخلافة وهو في غفوان الشباب لم يذق محن الأيّام ولم تصقله التجارب، وجاء إليه الملك بعد نجاح مؤامرة اغتيال الهادي والتي اشتركت في تدبيرها الخيزران (أمّه) ورئيس وزرائه يحيى البرمكي^٢.

١ . إعلام الوري، ص ٢٩٤ و بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١، ح ١.

٢ . تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٤٠٦.

- ٢ . واستوسقت له الأمور ونال من دنياه كل ماشتهى، وعم نفوذه ساحة كبيرة من المعمورة حتى أثر عنه خطابه للسحاب: اذهبي إلى حيث شئت يأتيني خراجك^١.
- ٣ . وجبى له الخراج من جميع الأقاليم الإسلامية وأصبح بيت المال أضخم مستودع للمال في العالم.
- ٤ . وأصبحت بغداد مستودع الثراء الفاحش ومهوى النواذب والفنانين والتجار والمطربين..
- ٥ . وأوكل تدبير أمور الرعيّة إلى يحيى البرمكي وأسند إليه جميع السلطات واعتمد عليه اعتماداً مطلقاً أغناه عن السهر والمتاعب الفكرية فانصرف إلى التلذذ بجميع متع الحياة من الغناء والتندر بمجالسة الظرفاء حتى أنفق قسماً كبيراً من الخزينة العامة على الماجنين والمطربين^٢، فضلاً عن الشعراء والموائد واقتناء الجواري والجواهر حتى تجلّى بذخه في بذخ بلاطه وحاشيته وكل من يرتبط به بحسب أو نسب أو عمل^٣.
- ٦ . وكان مولعاً بالغناء منذ حداثة سنّه فقد نشأ بين أحضان المطربات واجتمع في قصره عدد كبير منهن حتى جعل المغنّين طبقات^٤.
- ٧ . واندفع إلى شرب الخمر والإدمان عليها وكان يدعو خواصّ جواريه إذا أراد الشراب^٥، كما كان يلعب بالنرد - وهو من أنواع القمار - الذي حرّمه الإسلام. كما كان يلعب بالصولجان^٦.

١ . صبح الأعشى، ج ٣، ص ٢٠٧.

٢ . راجع حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ج ٢، ص ٣١ - ٣٥.

٣ . راجع المصدر، ج ٢، ص ٣٦ - ٥٤.

٤ . المصدر، ج ٢، ص ٦١ - ٦٢.

٥ . التاج، ص ٣٧.

٦ . الأغاني، ج ٥، ص ٦٩ - ٧٠.

٨ . لقد سار اللهو وعمّت الدعارة وانتشر المجون وتدهورت الأخلاق وأقبرت الفضائل في عهد هارون^١.

٩ . و ساس العلويين سياسة جدّه المنصور وهي سياسة العنف والجور والاضطهاد فقابلهم منذ بداية حكمه بكلّ قوّة وجفاء حتّى أقسم على استئصالهم قائلاً: واللّه لأقتلنهم ولأقتلنّ شيعتهم^٢.

وقد نفّذ قسّمه فقتل طائفة كبيرة منهم، وأقدم على هدم الدور المجاورة لقبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأمر بحرث أرض كربلاء ليمحو كلّ أثر للقبر الشريف^٣.

١٠ . وقد أصبح الاتّهام بالزندقة وسيلة للقضاء على خصوم العبّاسيين من هاشميين وغيرهم ممن لا يرضى بحكمهم أولاً يرى جواز الصلاة خلفهم.

بل تعدّى الاتّهام لكل من كان يناقش أحاديث الصحابة أو يردّها، وبذلك استحلّوا إراقه دماء الشيعة الذين رفضوا الاعتراف بشرعية حكومة الخلفاء والملوك الأمويين والعبّاسيين^٤.

بل كان المتّهم بالإلحاد تقبل توبته بينما المتهم بالولاء لأهل البيت عليه السلام كان يحكم عليه بالمروق من الدين، وبهذا حُكِم بالاعدام على الشيعة وزجّوا في غياهب السجون.

١١ . لقد ظهرت مشكلة خلق القرآن في عصر هارون عند ظهور أمر المعتزلة وانتشار أفكارها حيث أعلنوا القول بخلق القرآن بعد أن كان الجعد بن درهم قد ابتدعها في أواخر عهد الدولة الأموية. وكان بشر المربي من أهمّ دعاة هذه الفكرة وآلف كتباً فيها، وأقسم الرشيد على قتله إن ظفر به وظلّ بشر متوارياً طوال أيام الرشيد. وقد قتل الرشيد من كان يقول بخلق القرآن.

١ . سيدات البلاط العبّاسي، ص ٤٨.

٢ . الأغاني، ج ٥، ص ٢٢٥.

٣ . تاريخ كربلاء، ص ١٩٨.

٤ . حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ج ٢، ص ١٣٦ - ١٣٩.

وأخذت تتسع هذه الظاهرة حتّى ساندھا المأمون في عهده وحمل الناس بالقهر عليها^١.

١٢ . وجرت أعظم نكبة في التاريخ للبرامكة بعد أن كانت الدنيا بأيديهم فقد زهرت لهم وتمتعوا بلذائدها وظفروا بنعيمها، فزاهم الدهر بنكباته فصاروا من الذل والهوان بأقصى مكان فصودرت أموالهم وقتل جعفر وقذف أبوه يحيى وباقي أسرته في ظلمات السجون حتّى بلغ سوء حالهم أنّ من كان يذكر أيّامهم كان ينال العقوبة والعذاب^٢.

أساليب الرشيد مع الإمام الكاظم عليه السلام

كان الرشيد شديد الحقد على الإمام موسى الكاظم عليه السلام بالقياس إلى من سبقه من الخلفاء العبّاسيّين وقد حاول أن يشل حركة الإمام عليه السلام ونشاطه فاتبع في ذلك أساليب متعددة، مثل الاستدعاءات المتكرّرة لبلاطه ثمّ الاعتقالات المتكرّرة، ثمّ محاولات الاغتيال، وقتل أتباع الإمام عليه السلام وشيعته، وزجّ البعض في السجون وبثّ الجواسيس بشكل مكثّف لرصد كلّ حركة تصدر من الإمام عليه السلام.

وتراوحت سياسة الرشيد العدوانيّة مع الإمام منذ أن بويع للخلافة بين السجّين والاتّهام السياسي مرّة وبين الإكرام والتعظيم نفاقاً وكذباً مرّة أخرى، واليك بعض ما يصرّو سياسته على وجه الإجمال:

١ . جاء عن الفضل أنّه قال: كنت أحجب للرشيد، فأقبل عليّ يوماً غضباناً، وبيده سيف يقلّبه. فقال لي: يا فضل بقرابتي من رسول الله ﷺ لئن لم تأتني باين عمّي لأخذنّ الذي فيه عيناك. فقلت: بمن أجيئك؟ فقال: بهذا الحجازي.

قلت: وأيّ الحجازيّين؟ قال: موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين ابن

١ . راجع حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام . ج ٢، ص ٢١٢ - ٢١٤.

٢ . راجع حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام . ج ٢، ص ٢١٢ - ٢١٤.

علي بن أبي طالب. قال الفضل: فخفت من الله عز وجل إن جئت به إليه.
ثم فكرت في النعمة، فقلت له: أفعَل. فقال: اثنتي بسوطَيْن وهصارين^١ وجلادين.
قال فأتيته بذلك ومضيت إلى منزل أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام فأُتيت إلى خربة
فيها كُوخ^٢ من جراند النخل فإذا أنا بغلام أسود فقلت له: استأذن لي على مولاك
يرحمك الله. فقال لي لج^٣ ليس له حاجب ولا بواب. فولجت إليه، فإذا أنا بغلام أسود
بيده مقص يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده. فقلت له: السلام عليك
يا بن رسول الله، أجب الرشيد.

فقال: مال الرشيد ومالي؟ أما تشغله نعمته عني؟ ثم قام مسرعاً، وهو يقول: لولا أنني
سمعت في خبر عن جدِّي رسول الله ﷺ إِنَّ طاعة السلطان للتقية واجبة^٤ لما جئت.
فقلت له: استعد للعقوبة يا أبا إبراهيم ربحك الله. فقال عليه السلام أليس معي مَنْ يملك
الدنيا والآخرة؟ ولن يقدر اليوم على سوء بي إن شاء الله.
قال الفضل بن الربيع: فرأيتَه وقد أدار يده يلوِّح بها على رأسه ثلاث مرَّات.
فدخلت إلى الرشيد، فإذا هو كأنه امرأة تكلِّي قائم حيران.

فلما رأيته قال لي: يا فضل. فقلت: لبيك. فقال جئتني بآبن عَمِّي؟ قلت: نعم. قال:
لا تكون أزعجتَه؟ فقلت: لا. قال: لا تكون أعلمته أنني عليه غضبان؟ فإني قد هيَّجت
على نفسي مالم أرده. إذن له بالدخول. فأذنت له. فلما رآه وثب إليه قائماً وعانقه
وقال له مرحباً يا بن عَمِّي وأخي ووارث نِسْمَتِي ثم أجلسه على فخذه وقال له: ما الذي

١ . آلة العصر و الكبس.

٢ . بيت من قصب.

٣ . ولج البيت دخل فيه.

٤ . روي الصدوق في أماليه، ص ٢٧٧، ح ٢٠. بإسناده عن أنس قال قال رسول الله:
طاعة السلطان واجبة، ومن ترك طاعة السلطان فقد ترك طاعة الله، ودخل فيه نهيه،
إن الله عز وجل يقول: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة).

قطعك عن زيارتنا؟ فقال: سعة ملكك وحبك للدنيا.

فقال اتنوني بحقة الغالية^١ فأتي بها فغلفه بيده، ثم أمر أن يحمل بين يديه خلع ويدرتان دنانير.

قال الربيع فتبعته عليه السلام فقلت له: ما الذي قلت حتى كُفيت أمر الرشيد؟ فقال: دعاء جدِّي علي بن أبي طالب عليه السلام كان إذا دعا به مابرز إلى عسكر إلا هزمه ولا إلى فارس إلا قهره، وهو دعاء كفاية البلاء. قلت: وما هو؟ قال: قلت: (اللهم بك أساور، وبك أحاول [وبك أحاور]، وبك أصول، وبك أنتصر، وبك أموت، وبك أحيأ، أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

اللهم إنك خلقتني ورزقتني وسترتني عن العباد بلطف ماخولتني أغنيتني، وإذا هربت رددتني، وإذا عثرت أقلتني، وإذا مرضت شفيتني، وإذا دعوتك أجبني سيدي إرض عني فقد أرضيتني^٢.

٢. يصوِّر لنا عبد الله المأمون بن الرشيد مدى معرفة الرشيد بالإمام عليه السلام والتي تجلّت له من خلال الإكرام والإجلال الذي قام به الرشيد له عليه السلام مدى الحقد والبغض الذي كان يبطنه الرشيد إزاء الإمام عليه السلام، ويوضح هذا المشهد ثقل الإمام الشعبي الذي دفع بالرشيد لإضلال الجماهير.

قال المأمون: لقد حججت مع الرشيد سنة فلما صار إلى المدينة تقدّم إلى حجّابه وقال: لا يدخلن عليّ رجل من أهل المدينة ومكّه من أبناء المهاجرين والأنصار وبني هاشم وسائر بطون قريش إلا نسب نفسه، فكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه يقول: أنا فلان ابن فلان حتّى ينتهي إلى جدّه من هاشم أو قريش وغيرهما فيدخل ويصله

١. الغالية: جمعها: غوال؛ أخلط من الطيب وتغلّى: تطيّب بالغالية.

٢. —يون أخبار الرضا، ج ١، ص ٧٦، ح ٥ —وسائل، ج ٤، ص ٩٧٧ و ج ١١، ص ٤٧٢، ح ٣ و ج ١٢، ص ١٥٩، ح ١١ و —بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢١٥، ح ١٦ و ج ٨٥، ص ١٦٦، ح ١٦ و ج ٩٥، ص ٢١٢، ح ٥.

الرشيد بخمسة آلاف وما دونها إلى مائتي دينار على قدر شرفه وهجرة آبائه، فبينما أنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع فقال يا أمير المؤمنين: على الباب رجل زعم أنه موسى بن جعفر، بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه والأمين والمؤمن وسائر القواد وقال: احفظوا علي أنفسكم، ثم قال لآذنه: ائذن له ولا ينزل إلا على بساطي، فأنا كذلك إذ دخل شيخ قد أنهكته العبادة كأنه شقّ بال قد كلّم السجود وجهه وأنفه، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان يركبه فصاح الرشيد: لا والله إلا على بساطي فمنعه الحجاب من الترجل، ونظرنا إليه بأجمعنا بالإجلال والإعظام، فما زال يسير على حمارة حتى سار إلى البساط والحجاب والقواد محذوقون به فنزل عليه وقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط وقبّل وجهه ورأسه وأخذ بيده حتى جرّه إلى صدر المجلس وأجلسه معه وجعل يحدثه ويقبل عليه ويسأله عن أحواله، ولما قام الرشيد لقيامه وودّعه، أقبل عليّ وعليّ الأمين والمؤمن، وقال: يا عبد الله ويا محمد ويا إبراهيم! سيروا بين يدي عمكم وسيّدكم وخذوا بركابه وسوّوا عليه ثيابه^١.

٣ . قال النّامون: فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي عظّمته وأجلّلته، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته، وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ ركاب دابّته؟ قال: هذا إمام الناس، وحجّة الله على خلقه، وخليفته على عباده. فقلت: يا أمير المؤمنين! أوليست هذه الصفات كلّها لك وفيك؟!

فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حقّ. والله يابنيّ إنّه لأحقّ بمقام رسول الله ﷺ منّي ومن الخلق جميعاً، والله لو

١ . عميون أخبار الرضا، ج ١، ص ٨٨، ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٢٩، ح ٤؛ حلية الأبرار، ج ٢، ص ١٦٩ و مدينة المعاجز، ص ٤٤٩، ح ٧٤ و إثبات الهداة، ج ٥، ص ٥١١، ح ٢٩ و مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ٥٢.

نازعني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك فإنَّ الملك عقيم^١.

٤. فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بصرّة فيها مائتا دينار، ثمّ أقبل على الفضل بن الربيع فقال له، إذهب بهذه إلى موسى بن جعفر عليه السلام وقل له: يقول لك أمير المؤمنين: نحن في ضيق وسيأتيك برّنا بعد هذا الوقت.

فقلت في صدره فقلت: يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش، وبنّي هاشم، ومن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى مادونها وتعطي موسى بن جعفر وقد أعطيته مائتي دينار؟ أخسّ عطية أعطيتها أحداً من الناس. فقال: اسكت لأنّ لك، فإنّي لو أعطيت هذا ماضنته له، ماكنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم^٢.

٥. اتهامات سياسيّة: ومن أساليب الرشيد التي كان يهدف منها تخويف الإمام عليه السلام هو اتّهامه بأعمال سياسيّة محظورة بنظر الخلافة، مثل جباية الخراج، وعن هذا الاتّهام يحدثنا الإمام موسى عليه السلام نفسه:

عن أبي أحمد هاني، قال الإمام موسى: لما أدخلتُ على الرشيد سلّمت عليه فردّ عليّ السلام ثمّ قال: يا موسى بن جعفر! خليفتان يُجبى إليهما الخراج؟!

فقلت: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت أنّه قد كُذّب علينا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله بما علِمُ ذلك عندك، فإن

١. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٨٨ ح ١١ وبحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٢٩، ح ٤ ومدينة المعاجز، ص ٤٩٩، ح ٧٤ وحلية الأبرار، ج ٢، ص ٢٦٩ وإثبات الهداة، ج ٥، ص ٥١١، ح ٢٩ ومستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٥٢، ح ٥.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٨٨ ح ١١؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٢٩، ح ٤؛ الأبرار، ج ٢، ص ٢٦٩ ومدينة المعاجز، ص ٤٩٩، ح ٧٤ وإثبات الهداة، ج ٥، ص ٥١١، ح ٢٩ ومستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٥٢، ح ٥.

رَأَيْتُ بِقَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَأْذِنَ لِي أَحَدُثُكَ بِحَدِيثٍ أَخْبَرَنِي بِهِ أَبِي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: قَدْ أَذْنَتُ لَكَ فَقُلْتُ: أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ آبَائِهِ عَنْ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الرِّجِمَ إِذَا مَسَّتِ الرِّجِمَ تَحَرَّكَتْ وَاضْطَرَبَتْ^١.

ثُمَّ سَأَلَهُ هَارُونُ الرَّشِيدَ عَنْ أَفْضَلِيَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَتَقَدُّمِهِمْ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ فَأَجَابَهُ الْإِمَامُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ ثُمَّ أَطْلَقَ سَرَاخَهُ.

٦ . إِتِّهَامُ الْإِمَامِ بِانْحِرَافَاتٍ فِكْرِيَّةٍ: وَمِنْ الْإِتِّهَامَاتِ الَّتِي خَطَّطَ لَهَا الرَّشِيدُ إِتِّهَامُ الْإِمَامِ بِأَفْكَارٍ مَنْحَرِفَةٍ عَنِ السَّنَةِ، لِتَبَرُّرِ لِلرَّشِيدِ اضْطِهَادِ الْإِمَامِ وَإِدَانَتِهِ، وَهَذَا مَا تَصَوَّرَهُ لَنَا الرِّوَايَةُ التَّالِيَةُ:

قَالَ: هَارُونُ لِلْإِمَامِ: بَقِيَتْ مَسْأَلَةٌ تَخْبِرُنِي بِهَا وَلَا تَضْجُرُ. فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ عليه السلام: سَلْ فَقَالَ: أَخْبِرْ وَنِي أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عِبِيدُنَا، وَجَوَارِينَا، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: مَنْ يَكُونُ لَنَا عَلَيْهِ حَقٌّ وَلَا يُوَصِّلُهُ إِلَيْنَا فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ.

فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ مُوسَى عليه السلام كَذَبَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّنا نَقُولُ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَصِحُّ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ عَلَيْهِمْ وَنَحْنُ نَشْتَرِي الْمَمْلُوكَ وَنَقُولُ لَهُ يَا بَنِيَّ، يَا ابْنَتِي وَنَقْعُدُهُمْ يَا أَكْلُونَ مَعَنَا تَقَرُّباً إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَلَوْ أَنَّهُمْ عِبِيدُنَا وَجَوَارِينَا مَا صَحَّ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ^٢.

٧ . السَّخَرِيَّةُ بِالْإِمَامِ عليه السلام: عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَقُطِينٍ قَالَ: اسْتَدْعَى الرَّشِيدُ رَجُلًا يُبْطِلُ بِهِ أَمْرَ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام وَيَقْطَعُهُ وَيَخْجِلُهُ فِي الْمَجْلِسِ، فَاتَّعَدَّ لَهُ رَجُلٌ مَعْزُومٌ (رَجُلٌ عِنْدَهُ الْعَزِيمَةُ وَالرَّقِيَّةُ).

فَلَمَّا أَحْضَرْتَ الْمَائِدَةَ عَمِلَ نَامُوساً عَلَى الْخَبْزِ، فَكَانَ كَلِّمَا رَامَ خَادِمٍ

١ . عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٨١ ح ٩؛ وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٢٧٥، ح ٣ و

بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٢٥، ح ٢ و ج ٧٣، ص ٢٧٣.

٢ . فرج المهوم، ص ١٠٧، ح ٢٥ و بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٤٥، ح ٢١ و ج ٥٨،

ص ٢٥٢، ح ٣٦ و مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ٤٣٣، ح ١٠.

أبي الحسن عليه السلام أن يناوله رغيفاً من الخبز طار من بين يديه واستفّر [استخفّ] هارون الفرح والضحك لذلك. فلم يلبث أبو الحسن أن رفع رأسه إلى أسد مصوّر على بعض الستور فقال له: يا أسد الله خذ عدوّ الله.

فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع، فافتست ذلك المعزّم، فخرّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم وطارت عقولهم خوفاً من هول مارأوه. فلما أفاقوا من ذلك بعد حين، قال هارون لأبي الحسن عليه السلام: أسألك بحقيّ عليك لما سألت الصورة أن تردّ الرجل.

فقال: إن كانت عصى موسى ردت ما ابتلعت من هذا الرجل. فكان ذلك أعمل الأشياء في إفاقة نفسه.

٨. محاولة اغتيال الإمام عليه السلام: لما همّ هارون الرشيد بقتل موسى بن جعفر عليه السلام دعا الفضل بن الربيع وقال له: قد وقعت لي إليك حاجة أسألك أن تقضيها ولك مائة ألف درهم.

فخرّ الفضل عند ذلك ساجداً وقال: أمر أم مسألة؟ قال: بل مسألة. ثمّ قال: أمرت بأن تحمّل إلى دارك في هذه الساعة مائة ألف درهم، وأسألك أن تصير إلى دار موسى بن جعفر وتأتيه برأسه.

قال الفضل: فذهبت إلى ذلك البيت فرأيت فيه موسى بن جعفر وهو قائم يصلي، فجلست حتّى قضى صلاته، وأقبل اليّ وتبسّم وقال: عرفت لماذا حضرت، أمهلني حتّى أصلي ركعتين.

قال: فأمهلته فقام فأسبغ الوضوء، وصلى ركعتين وأتمّ الصلاة بحسن ركوعها وسجودها، وقرأ خلف صلاته [حرزاً] فاندرس وساخ في مكانه، فلا أدري أأرض

ج. عيون أخبار الرضا، ح ١، ص ٩٥؛ أمالي الصدوق، ص ١٢٧، ح ١٩؛ المناقب، ح

ابتلعت؟ أم السماء اختطفت؟ فذهبت إلى هارون وقصصت عليه القصة.
قال: فبكى هارون، ثم قال: قد أجاره الله مني^١.

الناص

- يبدأ العهد الثالث من عصر الإمام الكاظم عليه السلام بعهد حكم الرشيد سنة ١٧٠هـ وينتهي باستشهاده عليه السلام سنة ١٨٣هـ
- و تميز عهد الرشيد بخصائص منها: سعة نفوذه، والثراء الفاحش في عاصمته وانهماكه بلذائذ الحياة ومحرماتها والذي انعكس على الأمة وأفرز عدّة ظواهر سلبية منها التميع الأخلاقي والفقر والبؤس والحرمان لعامة المسلمين والطبقات المستضعفة.
- واضطهد العلويين وأقسم على إبادتهم وحارب خط أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم ونشط في محاربة الزندقة وتعدّى ذلك إلى اتهام خصوم الحكم العباسي بالزندقة كما نشط المعتزلة وأعلنوا عقيدتهم بخلق القرآن وحاول الرشيد تنفيذ حكم القتل بكلّ من يتظاهر بهذه العقيدة.
- واستخدم الرشيد شتى الأساليب الدنيئة ضدّ الإمام الكاظم عليه السلام محاولاً إرغامه على الاعتراف بشرعية حكمه و كان منها عدّة محاولات لاغتياله وتصفية وجوده الشريف.

١ . مهج الدعوات، ص ٢٣ و بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ٣٣٢، ح ٥ وإثبات الهداة، ج

الأسئلة

- ١ . كيف تحدّد العهد الثالث من عصر الإمام الكاظم عليه السلام؟
- ٢ . ما هي مميزات عهد هارون؟
- ٣ . ما هي الآثار السلبية لانهماك هارون بملاذ الحياة الدنيا؟
- ٤ . لماذا كان تعامل هارون الرشيد مع العلويين قاسياً؟ وكيف ذلك؟
- ٥ . لماذا نشطت الزندقة في عهد هارون الرشيد؟
- ٦ . هل استخدم الاتهام بالزندقة لإبادة الشيعة؟ ولماذا؟
- ٧ . ما هي محاولات هارون الرشيد ضد الإمام الكاظم عليه السلام؟

مواقف و نشاطات الإمام الكاظم عليه السلام في عهد الرشيد

١. موقف الإمام الكاظم عليه السلام من سياسة الرشيد
إن موقف الإمام الكاظم عليه السلام من الرشيد لم يكن موقفاً استسلامياً لمخطّطه
الذي كان يهدف منه إخضاع الإمام عليه السلام وتنازله لإرادة الرشيد. بل كان موقفاً يتحدّى
به خطط الرشيد، بالرغم من أنّ بعض المواقف للإمام عليه السلام قد أخذت طابعاً مرناً من
الرشيد وذلك لمعرفة الإمام به وبنواياه حيث راعى عليه السلام في مواقفه مصلحة أهم.
وهنا نختار بعض المشاهد التي تعبّر عن حقيقة موقف الإمام عليه السلام من حكومة
الرشيد.

الموقف الأول: قال محمّد بن طلحه الأنصاري: كان ممّا قال هارون لأبي
الحسن عليه السلام حين أدخل عليه: ماهذه الدار؟ فقال: هذه دار الفاسقين، قال الله تعالى:
«سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحقّ وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا
بها وإن يروا سبيل الرشيد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل النقي يتخذوه سبيلاً»^١.

فقال له هارون: فدار من هي؟ قال: هي لشيعتنا فترة ولنغيرهم فتنة.

فقال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

فقال: أخذت منه عامرة ولا يأخذها إلا معمورة.

قال: فأين شيعتك؟ فقرأ أبو الحسن عليه السلام: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة^١.

قال: فقال له: فنحن كفار؟ قال: لا، ولكن كما قال الله: (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ)^٢.

فغضب عند ذلك عليه، فقد لقيه أبو الحسن عليه السلام بمثل هذه المقالة، وما ربه، وهذا خلاف قول من زعم أنه هرب منه من الخوف^٣.

الموقف الثاني: قال الإمام الكاظم عليه السلام: قال لي هارون: أتقولون إنَّ الخمس لكم؟ قلتُ: نعم.

قال: إنه لكثير. قال: قلت: إن الذي أعطانا علم أنه لنا غير كثير^٤.

الموقف الثالث: كان هارون الرشيد يقول لموسى بن جعفر عليه السلام: خذ فداً حتى أردّها إليك، فيأبى حتى ألح عليه.

فقال عليه السلام: لا آخذها إلا بحدودها قال: وما حدودها؟

قال: إن حددتها لم تردّها. قال: بحق جدك إلا فعلت.

قال: أمّا الحدّ الأوّل فعدن. فتغيّر وجه الرشيد وقال: ايها.

قال: والحدّ الثاني سمرقند. فأريد وجهه.

١. البينة / ١.

٢. إبراهيم / ٢٨.

٣. الاغتصاص، ص ٢٥٦؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٥٦، ح ٢٨ و ج ٧٢، ص

١٣٦، ح ٢٢.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٥٨، ح ٢٣ و ج ٩٦، ص ١٨٨، ح ٢.

قال: والحدّ الثالث إفريقيّة. فاسودّ وجهه وقال: هيه
قال: والرابع سيف البحر ممّا يلي الجزر وأرمينية.
قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحول إلى مجلسي!
قال موسى: قد أعلمتك أنّي إن حدّدتها لم تردّها. فعند ذلك عزم على قتله^١.
وقد سبق مثل هذا الموقف للإمام عليه السلام مع المهدي (والد الرشيد).
ويبدو ومن سياق النصّ أنّ الرشيد كان يصدد الاستفزاز للإمام عليه السلام حينما كان يصرّ
عليه بأخذها وهو قد سبق بموقف الإمام من فدك في عهد والده.
الموقف الرابع: لما دخل هارون الرشيد المدينة توجه لزيارة النبي صلى الله عليه وآله ومعه
الناس، فتقدّم الرشيد إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: السلام عليك يا رسول الله يا بن عمّ،
مفتخراً بذلك على غيره.
فتقدّم أبو الحسن عليه السلام فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا، فتغيّر
وجه الرشيد وتبيّن الغيظ فيه^٢.

٢. نشاطات الإمام الكاظم عليه السلام في عهد الرشيد

كان الإمام عليه السلام قد قطع أشواطاً في منهجه التربوي كما عرفنا ذلك فلا بدّ أنّه كان
يواصل بناءه التربوي والعلمي في هذه المرحلة ولاسيما في العقد الأوّل من حكم
هارون.

وتتمثّل نشاء في تعميق ما أسّس له سابقاً، مع توجيه الطاقات وتحريكها باتجاه

١. مناقب الشيعة، ج ٣، ص ٤٣٥؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٤٤، ح ٢٠ وأورده
الزمخشري في ربيع الأبرار مرسلًا وتذكرة الخواص، ص ٣٥٠.

٢. الإرشاد للمفيد، ص ٣٣٤ وإعلام الوريث، ص ٣٠٧ و بحار الأنوار، ج ٤٨،
ص ١٠٣، ح ٧ وتأريخ بغداد للخطيب، ج ١٣، ص ٣١ و سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢٧٣ ووفيات
الأعيان، ج ٥، ص ٣٠٩ وتذكرة الخواص، ص ٣٥٠ والبداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٨٣.

الأهداف الكبرى التي كان يسعى لها الأئمة عليهم السلام مع تأصيل وتوسيع دائرة الامتداد الشيعي في أوساط الأمة الإسلامية كي يمتلك القدرة اللازمة على مواجهة التحديات التي يترقبها الإمام عليه السلام للوجود الشيعي. ويتم الحديث ضمن عدة مجالات:

١. المجال السياسي

قام الإمام موسى الكاظم عليه السلام في هذا المجال بخطوات تربوية تحصينية لشيعته، منها:

أ. تأكيد الانتماء السياسي لخط أهل البيت عليهم السلام، فلقد تشدد عليه السلام على محبيه وشيعته وحرّم عليهم التعاون مع السلطات العباسية الظالمة، وأخذ يعمّق في نفوسهم الدقة في تطبيق مبدأ رفض الظلم، وأعطاهم وعياً سياسياً يحصّنهم من الانحراف أو الاستجابة لمخطّط الخلفاء الظالمين، وموقفه مع صفوان يكشف لنا دقة المنهج التربوي عند الإمام عليه السلام مع شيعته. وخلاصة الحديث كما يلي:

دخل صفوان بن مهران الأسدي. على الإمام موسى الكاظم عليه السلام فقال له: يا صفوان، كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً. قال: جعلت فداك، أي شيء هو؟ قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل - يعني هارون الرشيد - قال: واللّه ما أكريته أشراً ولا بطراً، ولا للصيد، ولا للهو، ولكن لهذا الطريق - يعني طريق مكّه - ولا أتولاه بنفسي ولكن أبعت معه غلماني. قال: يا صفوان أيقع كراك عليهم؟ قال: نعم جعلت فداك قال: أحبّ بقاءهم حتّى يخرج كراك؟ قال نعم قال: من أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان وارداً النار.

وقام صفوان من وقته فباع جماله وأعرض عن مهنته فبلغ ذلك هارون فأرسل خلفه، فلما مثّل عنده قال له وهو يتميّز من الغيظ: قال يا صفوان: بلغني أنّك بيعت جمالك - قال: نعم قال: ولمّ قال: أنا شيخ كبير، وإنّ الغلمان لا يقوون على الأعمال.

قال: هيهات هيهات!! إني لأعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك موسى بن جعفر قال: مالي ولموسى بن جعفر؟! قال: دع عنك هذا، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك^١.

ب . التأكيد على الالتزام بمبدأ التقية.

ومن الأساليب التي أكدها الإمام الكاظم عليه السلام لشيعة وشدد على أهمية الالتزام بها كمبدأ تحصيني، يُحافظ على الوجود الشيعي وبقية من الضربات الخارجية هو مبدأ التقية. فقد روى معمر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن القيام للولاء، فقال عليه السلام: قال أبو جعفر عليه السلام: «التقية ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له»^٢.

وحدث درست بن أبي منصور، قال: كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام وعنده الكميث بن زيد، فقال له الإمام عليه السلام: أنت الذي تقول.

فالآن صرت إلى أمية والأمور إلى مصائر

فقال الكميث: قد قلت ذلك، والله ما رجعت عن إيماني، وأني لكم لَمَوالٍ ولعدوكم لقال، ولكن قد قلته على التقية. فقال عليه السلام: إن التقية لتجوز على شرب الخمر^٣.

ج - نشط الإمام موسى عليه السلام عن طريق أصحابه، بالنفوذ والاندساس في الجهاز الحاكم فقد تصدر أصحاب الإمام عليه السلام مواقع سياسية مهمّة في الحكومة العباسية، وكان الإمام عليه السلام يثني عليهم ويثمن عملهم لكنّه كان يشترط عليهم قضاء حوائج المؤمنين.

وإليك قائمة بأسماء أصحاب الإمام عليه السلام الذين شغلوا مواقع مهمّة في السلطة العباسية، وكانوا من أعظم العلماء وأجلّاهم، منهم:

١ . علي بن يقطين: نشأ يقطين بالكوفة وكان يبيع الأبرار وكان يقول بالإمامة، وقد

١ . النجاشي، ص ١٤٦ والكشي، ص ٢٧٦.

٢ . وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ . كتاب الأمر بالمعروف.

اتصل بأبي العباس السفاح والمنصور والمهدي، ولما انتقل يقطين إلى دار الحق قام ولده عليّ مقامه فاتصل اتصالاً وثيقاً بالعباسيين، وتولّى المناصب المهمّة في الدولة وكان عوناً للمؤمنين، وقام بتزويج عدد منهم وكان يعيل عوائل قسم كبير منهم، فقد حدّث سليمان كاتبه فقال: أحصيت لعلّي من يحجّ عنه في عام واحد مائة وخمسين رجلاً، أقلّ من أعطاه منهم سبعمائة درهم وأكثر من أعطاه عشرة آلاف درهم وزوّج ثلاثة أو أربعة من أولاد الإمام عليه السلام وأنفق أموالاً ضخمة في وجوه البر والإحسان.

تقلّد عليّ أزمة الأزمّة في أيام المهدي ومن بعده عيّنه هارون وزيراً له^١ وكان عليّ اتصال سريّ ودائم مع الإمام عليه السلام.

٢. حفص بن غياث الكوفي، ولي القضاء ببغداد الشرقية من قبل هارون ثمّ تولّى قضاء الكوفة وتوفي سنة ١٩٤ هـ^٢.

٣. عبدالله بن سنان بن طريف، كان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيدي^٣.

٤. الفضل بن سليمان الكاتب البغدادي، كان يكتب للمنصور والمهدي^٤.

٥. محمّد بن إسماعيل بن بزيع من صلحاء الطائفة ومن عيونها وأحد رواة حديث

الإمام موسى الكاظم عليه السلام. كان مولىً للمنصور وأحد وزراء الدولة العباسيّة^٥.

٦. الحسن بن راشد مولى بني العباس: كان وزيراً للمهدي وموسى الهادي وهارون

الرشيدي^٦.

وكان هؤلاء من أصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام ورواة حديثه.

١. الكشي، ص ٢٧٠ والفهرست لابن النديم، ص ٣٢٨.

٢. تنقيح المقال، ج ١، ص ٣٥٥.

٣. جامع الرواة، ج ١، ص ٤٨٧.

٤. النجاشي، ص ٢٣٥.

٥. النجاشي، ص ٢٥٥.

٦. منهج المقال، ص ٩٨.

٢. المجال التربوي

كان الإمام الكاظم عليه السلام يعتني بشيئته تربوياً حيث كان يصدر توجيهاته باستمرار إليهم ويرصد أوضاعهم ويتابع أحوالهم الأخلاقية والسلوكية ويعمل على تنميتهم وإيصالهم إلى المستوي المطلوب.

وحين نطالع موقف الإمام الكاظم عليه السلام من علي بن يقطين بالنسبة لتعامله مع أحد شيئته (وهو إبراهيم الجمال) نستطيع أن نكتشف مدى اهتمام الإمام عليه السلام بالجانب التربوي لأصحابه وشيئته.

فمن محمد بن علي الصوفي قال: استأذن إبراهيم الجمال. علي أبي الحسن علي بن يقطين الوزير فحجبه، فحج علي بن يقطين في تلك السنة فاستأذن بالمدينة علي مولانا موسى بن جعفر فحجبه، فرآه ثاني يومه فقال علي بن يقطين: ياسيدي ما ذنبي؟ فقال: حجبتك لأنك حجبت أخاك إبراهيم الجمال وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك إبراهيم الجمال، فقلت: سيدي ومولاي من لي بإبراهيم الجمال في هذا الوقت وأنا بالمدينة وهو بالكوفة؟ فقال: إذا كان الليل فامض إلى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من أصحابك وغلماذك واركب نجياً هناك مسرجاً قال: فوافي البقيع وركب النجيب ولم يلبث أن أناخه علي باب إبراهيم الجمال بالكوفة فقرع الباب وقال: أنا علي بن يقطين.

فقال: إبراهيم الجمال من داخل الدار: وما يعمل علي بن يقطين الوزير ببابي؟! فقال: علي بن يقطين: يا هذا إن أمري عظيم ثم أقسم عليه بأن يسمح له بالدخول، فلما دخل قال: يا إبراهيم إن المولى عليه السلام أبى أن يقبلني أو تغفر لي، فقال: يغفر الله لك فآلى علي بن يقطين علي إبراهيم الجمال أن يطأ خده فامتنع إبراهيم من ذلك فأبى عليه ثانياً ففعل، فلم يزل إبراهيم يطأ خده وعلي بن يقطين يقول: اللهم اشهد، ثم انصرف وركب النجيب وأناخه في ليلته بباب المولى موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة فأذن له ودخل عليه فقبله^١.

٣. المجال الفكري

لم يترك الإمام موسى الكاظم عليه السلام ذلك الزخم العظيم من علماء مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ولم يترك تلك الثورة الفكرية هملًا بلا ترشيد، وإنما واصل عليه السلام دوره في التوجيه والتطوير وأبقى صلته بهم وثيقة حيث نجد التفاف هؤلاء حول الإمام الكاظم عليه السلام بعد أبيه.

فقام عليه السلام بإكمال المسيرة العلمية التي بدأها أهل البيت عليهم السلام وتوجّها بتوجيهاته العلمية. وتشهد آثاره التي تركها لنا هذا الإمام العظيم على عظمة الانجاز العلمي والفكري الذي قام به صلوات الله عليه واستطاع بفضل ذلك أن يواصل عملية التغيير الاجتماعي كفاءً وكثا كما استطاع أن يحافظ على الوجود الشيعي بالرغم من كلّ الظروف العصبة التي كانت تحيط بهذا الوجود، بل أصبح هذا الوجود المتنامي أقرب إلى أهدافه التي رسمها له أهل البيت عليهم السلام في مجال الاستقلال والشموخ العلمي والعمل والتنظيمي والتفخيري في آفاق العالم الإسلامي، وبرزت مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الفقه والحديث والتفسير والسياسة والأخلاق وغيرها من فروع المعرفة الإسلامية.

واستلهم طلاب الإمام عليه السلام وتلامذته من توجيهاته وخطه الفكري والعملية فلمعبوا أدواراً في مختلف الميادين السياسية والجهادية والفكرية، وكلّ قد أبدع وأضاف فيما انطلق به كهيئة قد وجد نفسه مكلفاً بها.

حركة التأليف في عصر الإمام الكاظم عليه السلام

إنّ حركة التأليف تعتبر ظاهرة متميزة في عصر الإمام الكاظم عليه السلام إذا قورنت بمثلها في عصور من سبقه من الأئمة عليهم السلام. وساهمت هذه، الظاهرة في تطوير حركة الوعي والتثقيف انطلاقاً من الشعور بالمسؤولية، في ردّ الشبهات والدفاع عن المعتقدات الإسلامية.

ولم ينحصر التأليف في حقل خاص من حقول المعرفة وإنما شمل السياسة، والأدب، والتاريخ والحديث والتفسير وغيرها.

ولم تخضع حركة التأليف إلى إشراف مباشر من الإمام عليه السلام وإنما أخذت طابعاً مركزياً ينطلق فيه الكاتب مما استوحاه من الخطّ الفكري العام للإمامين الصادق والكاظم عليه السلام.

وإليك بعض الأسماء اللاحقة من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ممن آلف، ومارس هذه المهمة بجد.

اسم المؤلف	عدد الكتب
١. أبان بن تغلب	٧
٢. بكر بن محمد	١
٣. جميل بن درّاج	١
٤. حمّاد بن عيسى البصري	٣
٥. سعيد بن ضباح الكوفي	٢
٦. صفوان بن يحيى السابري	٣٠
٧. الحسين بن عليّ	٧
٨. الحسن بن محبوب السّراد	٦
٩. حذيفة بن منصور	١
١٠. الحسن بن عليّ بن يقطين	١
١١. الحسن بن محمد بن سماعة الكندي	٣٠
١٢. عبد الله بن جبلة	٧
١٣. عليّ بن الحسن الطاطري	١٤
١٤. هشام بن الحكم	٣٠
١٥. عليّ بن يقطين ^١	٣

١. راجع أسماء هذه الكتب في (تأريخ التشريع الإسلامي) للشيخ عبد الهادي الفضلي.

ظاهرة المناظرات

من الأنشطة الفكرية التي عُرفت في عصر الإمام الكاظم عليه السلام والتي كانت ذات تأثير فكري كبير هي المناظرات العلمية. وبدأت هذه الظاهرة بوضوح في عصر الإمام الصادق عليه السلام واستمرت في عصر الإمام الكاظم عليه السلام.

وقد استثمر عليه السلام هذه الظاهرة وأعد لها نخبة من العلماء المتخصصين في هذا الميدان الذين تعهدوا بالدفاع عن مذهب أهل البيت عليهم السلام وتعريفه للناس. واستطاعوا رغم الحصار المضروب عليهم أن يروّجوا للمذهب، وقد حققوا انتصارات مشهودة وكبيرة كما وقد نشطوا من جانب في دحض الشبهات والانتقادات التي كانت تثار ضد الفكر الإسلامي العام. واستطاعوا أن يقفوا بوجه الموجات الانحرافية والحركات الإلحادية.

وإليك نموذج هشام بن الحكم الذي نشط في هذا الميدان في عصر الإمامين الصادق والكاظم عليهم السلام واشتهر بقدرته الفائقة في ميدان المناظرة والانتصار لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

ويعتبر هشام بن الحكم من أفذاذ الأمة الإسلامية ومن كبار علمائها، وفي طليعة المدافعين عن خط أهل البيت عليهم السلام. جاهد طويلاً في نصرة الحق خصوصاً في عصر الرشيد، الذي انعدمت فيه الحريات، وإذا كان الذاكر لفنائل أهل البيت عرضة للانتقام والتنكيل من قبل السلطة.

كان من أصحاب الإمام الصادق وبعد وفاته اتصل بالإمام الكاظم عليه السلام واختص في علم الكلام فكان من كبار المتكلمين في عصره، وشهد له بذلك ابن النديم ونظراً لاختصاصه في هذا الفن فقد حكى يحيى بن خالد البرمكي مجلسه به وجعله قِيماً لمجالس كلامه^١.

وخاض هشام مع علماء الأديان والمذاهب مناظرات مستدلاً على صحة مبدئه وبطلان أفكارهم، ونظراً لخطورة استدلاله وقوة حجته كان الرشيد يجبر من وراء

الستار فيصفي إليها ويعجب بها، ولقد خاض مناظرات مع زعيم المعتزلة الروحي عمر بن عبيد^١.

ووجه يحيى بن خالد البرمكي سؤالاً لهشام بحضرة الرشيد من أجل إخراج قائله له: أخبرني عن عليّ والعبّاس لما اختصما إلى أبي بكر في الميراث أنهما كان المحقّ من المبطل؟ فاستولت الحيرة على هشام لأنّه قال في نفسه: إن قلت عليّاً كان مبطلاً كفرت، وإن قلت العبّاس كان مبطلاً ضرب رشيد عنقي.

فقال هشام: لم يكن من أحدهما خطأً وكانا كلاهما محقّين، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصّة داود عليه السلام حيث يقول الله تعالى: وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب، إلى قوله تعالى: خصمان بغى بعضنا على بعض. فأَيّ الملكين كان مخطئاً؟ وأنهما كان مصيباً؟ أم تقول: إنهما كانا مخطئين فجوابك في ذلك جوابي بعينه.

فقال يحيى: لست أقول: الملكين أخطئا، بل أقول: إنهما أصابا وذلك أنّهما لم يختصما في الحقيقة ولا اختلفا في الحكم وإنّما أظهرّا ذلك لينبّها داود على الخطيئة ويعرّفاه الحكم ويوقّاه عليه.

فقال هشام! كذلك عليّ والعبّاس لم يختلفا في الحكم ولا اختصما في الحقيقة وإنّما أظهرّا الاختلاف والخصومة لينبّها أبا بكر على غلظه ويوقّاه على خطيئته ويدلّاه على ظلمه في الميراث ولم يكونا في ريب من أمرهما.

فتحرّر يحيى ولم يحر جواباً، واستحسن الرشيد هذا البيان الرائع الذي تخلّص به هشام^٢.

وله مناظرات من هذا القبيل مع النّظام^٣ ومع ضرار الضبي.

١. الكشي، ص ١٧٦ و ١٧٧ و أمالي الشّيعية، ج ١، ص ٥٥ و مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٨٢.

٢. الفصول المختارة، ج ١، ص ٢٤ - ٢٥ و وردت المناظرة باختصار في عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٥.

٣. الكشي، ص ١٦٥ - ١٨٤.

الخاص

□ كان موقف الإمام الكاظم عليه السلام من الرشيد صلباً تحدى فيه كبرياء هارون وجبروته ولم يفلح هارون لإخضاع الإمام بأي نحو من الأنحاء.

□ وكان الإمام - رغم حراجة الظرف - نشطاً في تربيته السياسية والأخلاقية والعلمية لأصحابه وأتباعه الذين يشكلون أعمدة كيان الطائفة الموالية لأهل البيت ويعتبرون رموزها.

□ وقد نشطت حركة التأليف في عصر الإمام الكاظم عليه السلام إلى جانب حركة المناظرة التي كان ثمنها باهضاً، ولكنها كانت ضرورة من ضرورات المرحلة التي كان يقطعها الكيان الشيعي باتجاه إثبات حقايقه وتميز رموزه عن سائر الخطوط الفكرية والسياسية في الأمة الإسلامية.

الأسئلة

١. اذكر نموذجين من مواقف الإمام الكاظم عليه السلام تجاه الرشيد.
٢. ماهي دلالات المواقف التي وقفها الإمام الكاظم عليه السلام بالنسبة للرشيد؟
٣. ماهي المواقف السياسية لأتباع أهل البيت عليهم السلام تجاه الحكم العباسي في عصر الإمام الكاظم عليه السلام؟
٤. هل استطاعت الظروف الحرجة في عهد هارون أن تمنع الإمام عليه السلام من نشاطه التربوي والتعليمي؟ وكيف؟
٥. هل نشطت حركة التأليف في عصر الإمام الكاظم عليه السلام ولماذا؟
٦. ما هو دور الإمام الكاظم عليه السلام في تنشيط حركة التأليف في عصره؟
٧. لماذا نشطت حركة المناظرة عند أصحاب الأئمة؟ ومتى ظهر هذا النشاط؟

اعتقالات الإمام الكاظم عليه السلام

التخطيط لسجن الإمام عليه السلام

إنّ سلوك الإمام عليه السلام وتأثيره في الأمة كان كافياً لدفع الرشيد لأن يخطّط لسجن الإمام عليه السلام وبالتالي اغتياله وقتله، هذا فضلاً عن كون الرشيد قد قطع على نفسه في بداية تسلّمه الحكم بأن يستأصل العلويين.

فإذا كان هذا شعاره وتعامله مع العلويين فكيف لا يحقد على زعيم العلويين وقائدهم؟

نعم هناك بعض الأسباب التي قد افتعلها الرشيد ليمسك بها كذريعة ليبرّر جريمته ضدّ الإمام الكاظم عليه السلام وهي توظيف الوشاة للإخبار عن نشاط الإمام والايحاء لهم بأنّه يزاحم ملك هارون.

ولم يستطيع الرشيد السكوت على نشاط الإمام عليه السلام ووجوده فضاّق صدره وأزعجه انتشار اسم الإمام لأنّ الناس غدت تتناقل مآثر الإمام وعلمه وأخلاقه، حتّى كانت حادثة زيارة هارون لقبر الرسول ﷺ ولقاء الإمام به وموقف الإمام منه حيث غضب الرشيد وخاطب الرسول ﷺ قائلاً:

بأبي أنت وأمي إني أعتذر إليك من أمر عزمت عليه أني أريد أن آخذ موسى بن

جعفر فأحبسه لأنّي قد خشيت أن يلقي بين أمتك حرباً يسفك بها دماءهم. لقد كان للوشهة دورٌ سلبيّ ضدّ الإمام عليه السلام، فقد تحرّك يحيى بن خالد قبل ذلك ليهيء مقدمات اعتقال الإمام عليه السلام فأغرى ابن أخ الإمام محمد بن إسماعيل أو عليّ كما في بعض الروايات لغرض الوشاية بالإمام، ونلاحظ الموقف السامي للإمام عليه السلام إزاء تصرف ابن أخيه الشنيع حيث استجاب محمد لإغراء يحيى والتقى بالطاغية في بغداد وطعن بالإمام عليه السلام بما يرغب به الرشيد.

عن عليّ بن جعفر بن محمد عليه السلام قال: جاءني محمد بن إسماعيل بن جعفر^١ يسألني أن أسأل أبا الحسن موسى عليه السلام أن يأذن له في الخروج إلى العراق وأن يرضى عنه، ويوصيه بوصيّة.

قال: فتنحيت حتّى دخل المتوضأ وخرج وهو وقت يتهيأ لي أن أخلو به وأكلّمه. قال: فلما خرج قلت له: إنّ ابن أخيك محمد بن إسماعيل يسألك أن تأذن له في الخروج إلى العراق، وأن توصيه فأذن له عليه السلام.

فلما رجع إلى مجلسه قام محمد بن إسماعيل وقال: يا عمّ أحب أن توصيني. فقال: اوصيك أن تتقي الله في دمي. فقال: لعن الله من يسعى في دمك، ثم قال: يا عمّ أوصني فقال: اوصيك أن تتقي الله في دمي.

قال: ثمّ ناوله أبو الحسن صرة فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها محمد، ثمّ ناوله أخرى فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها، ثمّ أعطاه صرة أخرى فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها، ثمّ أمر له بألف وخمسمائة درهم كانت عنده. فقلت له في ذلك، واستكثرته! فقال: هذا ليكون أوكد لحبّتي إذا قطعني ووصلته.

قال: فخرج إلى العراق، ولما وصل بغداد قصد باب هارون بتياب سفره قبل أن ينزل، واستأذن عليه، وقال للحاجب: قل لأمر المؤمنين: أنّ محمد بن إسماعيل بن

١. في بعض الروايات (محمد بن إسماعيل) وفي بعضها «علي بن إسماعيل».

جعفر بن محمد الباب.

فقال الحاجب: إنزل أولاً وغير ثياب طريقك وعُد لأدخلك عليه بغير إذن، فقد نام أمير المؤمنين في هذا الوقت. فقال: أعلم أمير المؤمنين أنني حضرت ولم تأذن لي.

فدخل الحاجب وأعلم هارون قول محمد بن إسماعيل، فأمر بإدخاله عليه، فدخل وقال: يا أمير المؤمنين خليفتان في الأرض؟! موسى بن جعفر بالمدينة يُجبني له الخراج، وأنت بالعراق يُجبني لك الخراج؟! فقال: واللّه؟! فقال: واللّه.

قال: فأمر له بمائة ألف درهم فلما قبضها وحمل إلى منزله، أخذته الذبحة في جوف ليلته فمات، وحُوِّل من الغد المال الذي حُمِل إليه^١.

هذه هي بعض الأساليب التي خطّط لها يحيى بإيعاز من الرشيد.

اعتقال الإمام عليه السلام

بعد زيارة الرشيد لقبر الرسول ﷺ أمر الطاغية هارون باعتقال الإمام عليه السلام فألقى القبض على الإمام وهو قائم يصلي عند رأس جدّه النبي ﷺ ولم يمهلهو لإتمامها، فحمل ويّقد فشكّى الإمام ذلك لجدّه الرسول ﷺ قائلاً: إليك أشكو يا رسول الله^٢.

وبعد اعتقال الإمام غدت الناس تتحدّث فيما بينها باستنكارٍ عن هذا الحدث المهمّ وتألّمت الأمة كثيراً فلم يبق قلب إلا وتصدّع من الأسى والحزن فخافت السلطة من أن يكون اعتقال الإمام محفزاً للثورة. فحُمِل الإمام على أحد جملين وأرسل واحد منهما إلى البصرة والثاني إلى الكوفة للإيهام على الناس لئلا يعرف محل انتقال الإمام عليه السلام.

١. رجال الكشي، ص ٢٦٣، ح ٤٧٨ عنه بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٣٩، ح ٤٨

ورواه الكافي، ج ١، ص ٤٨٥، ح ٨ عنه وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٣٥٨، ح ٣ وفي

غيبته الشيخ الطوسي، ص ٤٢٩، ح ١.

٢. مناقب الشيعة، ج ٢، ص ٣٨٥.

الإمام عليه السلام في سجن البصرة

كان الأمور لحراسة الإمام عليه السلام أثناء الطريق من المدينة إلى البصرة حسان السروي^١، وقبل أن يصل إلى البصرة تشرف بالمشول بين يديه عبدالله بن مرحوم الأزدي فدفع له الإمام عليه السلام كتاباً وأمره بإيصالها إلى ولي عهده الإمام الرضا عليه السلام وعرفه بأنه الإمام من بعده^٢.

وسارت القافلة تطوي البيداء حتى وصلت البصرة وأخذ حسان الإمام عليه السلام ودفعه إلى عيسى بن أبي جعفر فحبسه في بيت من بيوت الحبس وأقفل عليه أبواب السجن فكان لا يفتحها إلا في حالة خروجه للظهور، أو لإدخال الطعام إليه^٣.

لقد انقطع الإمام إلى عبادة الله تعالى فكان يصوم النهار ويقوم الليل، ويقضي وقته في الصلاة والسجود والدعاء، ولم يضجر ولم يسأم من السجن بل اعتبر عليه السلام التفرغ للعبادة من أعظم النعم عليه، وكان يقول في دعائه: اللهم إني أعلم أنك تعلم أنني كنت أسألك أن تُفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد^٤.

ولما شاع خبر اعتقال الإمام في البصرة وعلم الناس مكانه؛ هبت إليه العلماء وغيرهم لغرض الاتصال به من طريق خفي وكان ممن اتصل به وهو في السجن ياسين الزياتي حيث روى عنه^٥ بعض ما أملاه عليه وأخبره به.

الإيعاز لعيسى باغتيال الإمام عليه السلام

وأوعز الرشيد إلى عيسى يطلب منه فوراً القيام باغتيال الإمام عليه السلام، لكن لما

١ . بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٢١.

٢ . تنقيح المقال.

٣ . منتخب التواريخ، ص ٥١٨.

٤ . مناقب الشيعة، ج ٢، ص ٢٧٩.

٥ . النجاشي، ص ٣٥٢.

وصلت أوامر الرشيد إلى عيسى باغتياله عليه السلام ثقل عليه الأمر وجمع خواصه وثقاته فعرض عليهم الأمر فحذروه من ارتكاب الجريمة فاستصوب رأيهم، وكتب إلى الرشيد رسالة يطلب فيها إعفائه عن ذلك.

حمل الإمام عليه السلام إلى بغداد

استجاب الرشيد لطلب عيسى وخاف منه أن يطلق سراحه ويخلى سبيله فأمره بحمله إلى بغداد، وفرح عيسى بذلك، ولما وصل الإمام عليه السلام إلى بغداد أمر الرشيد باعتقاله عند الفضل فأخذه وحبسه في بيته.

وكان هارون يتوجس في نفسه الخوف منه ولم يثق بالعيون التي كان قد وضعها عليه في سجنه، فكان يراقبه ويتطلع على شؤونه خوفاً من أن يتصل به أحد أو يكون الفضل قد وسع عليه، فكان يطل كل يوم من أعلى القصر على السجن فيرى ثوباً مطروحاً في مكان منه لم يتغير عن موضعه حتى قال يوماً للفضل: ماذا الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟ فأجابه الفضل: يا أمير المؤمنين، ماذا بثوب، وإنما هو موسى بن جعفر، له في كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال، فانبهر هارون وقال: أما أن هذا من رهبان بني هاشم.

والتفت إليه الربيع بعد ما سمع منه اعترافه بزهد الإمام قائلاً له: يا أمير المؤمنين! مالك قد ضيقت عليه في الحبس؟! فأجابه هارون قائلاً: هيهات لا بد من ذلك^١.

دعاء الإمام عليه السلام وإطلاق سراحه

ولما طالت مدة الحبس على الإمام عليه السلام - وهو رهين السجون -، قام في غلس الليل البهيم فجدد طهوره وصلى لربه أربع ركعات وأخذ يدعو بهذا الدعاء:

١ . عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٩٥، ح ١٤ والوسائل، ج ٤، ص ١٠٧٣، ح ١ و بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٢٠، ح ٢٤.

ياسيدي! نجني من حبس هارون، وخلّصني من يده، يامخلص الشجر من بين رمل وطين، ويا مخلص النار من بين الحديد والحجر ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم، ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مخلص الروح من بين الأحشاء والأمعاء، خلّصني من يد هارون.

واستجاب الله دعاء العبد الصالح فأنقذه من سجن الطاغية هارون وأطلقه في غلس الليل، وكانت مدة مكث الإمام عليه السلام في سجن الفضل طويلة لم يعيها لنا التاريخ. وبقي عليه السلام بعد إطلاق سراحه في بغداد لم يخرج منها إلى يثرب وكان يدخل على الرشيد في كل أسبوع مرة يوم الخميس^١.

الاعتقال الثاني

ولما شاع ذكر الإمام عليه السلام وانتشرت فضائله ومآثره في بغداد؛ ضاق الرشيد من ذلك، وخاف منه فاعتقله ثانية فأودعه في بيت الفضل بن يحيى. ولما رأى الفضل عبادة الإمام عليه السلام وإقباله على الله وانشغاله بذكره أكبر الإمام عليه السلام ولم يضيّق عليه وكان في كل يوم يبعث إليه بمائدة فاخرة من الطعام وقد رأى عليه السلام من السعة في سجن الفضل ما لم يرها في بقية السجون. ولما أوعز الرشيد للفضل باغتيال الإمام عليه السلام امتنع ولم يجبه، وخاف من الله؛ لأنه كان ممن يذهب إلى الإمامة ويدين بها.

الإمام عليه السلام في سجن السندي بن شاهك

أمر هارون بنقل الإمام عليه السلام إلى سجن السندي بن شاهك وأمره بالتضييق عليه فاستجاب هذا الأتيم لذلك فقابل الإمام عليه السلام بكل قسوة وجفاء والإمام صابر محتسب

١. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٩٣، ح ١٣ وأمالى الصدوق، ص ٣٠٨، ح ٣ و أمالي الطوسي، ص ٣٦ وبحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢١٩، ح ٢٠.

إلى الله، فأمره الطاغية أن يقيّد الإمام عليه السلام بثلاثين رطلاً من الحديد ويقفل الباب في وجهه ولا يدعه يخرج إلا للوضوء.

وامتثل السندي ذلك فقام بإرهاق الإمام عليه السلام وبذل جميع جهوده للتضييق عليه ووكل به بشاراً مولاه، وكان من أشد الناس بغضاً لآل أبي طالب ولكنه لم يلبث أن تغيّر حاله وناب إلى طريق الحق وذلك لما رأى من كرامات الإمام عليه السلام ومعاجزه^١.

نشاط الإمام عليه السلام داخل السجن

١. عبادته

أقبل الإمام عليه السلام على عبادة الله فكان يصوم النهار ويقوم الليل ولا يفتر عن ذكر الله سبحانه، وهذه أخت الجلاد السندي بن شاهك تحدثنا عما رآته من إقبال الإمام وطاعته لله والتي أثرت في نفسها وأصبحت فيما بعد من الصالحات، فكانت تعطف على الإمام عليه السلام وتقوم بخدمته، وإذا نظرت إليه انحدرت دموعها، وهي تقول: خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل^٢.

٢. اتصال العلماء به

اتصل جماعة من العلماء والرواة بالإمام عليه السلام من طريق خفيّ فانتهلوا من نعيم علومه، فمنهم موسى بن إبراهيم المروزي، وقد سمح له السندي بذلك لأنّه كان معلماً لولده، وقد ألف إبراهيم كتاباً ممّا سمعه من الإمام عليه السلام^٣.

٣. الإجابة على الفتاوى المرسلة إليه

كانت بعض الأقاليم الإسلامية التي تدين بالإمامة ترسل عنها في كلّ مرّة مبعوثاً

١. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٤١.

٢. تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٦.

٣. النجاشي، ص ٣١٩.

خاصاً للإمام عليّ عليه السلام حينما كان في سجن السندي فتزوّد بالفتاوى والرسائل فكان عليّ عليه السلام يجيبهم عليها، وممن جاءه عليّ بن سويد، فقد اتّصل بالإمام عليّ عليه السلام وسلّم إليه الكتب والفتاوى فأجابهم عليّ عليه السلام عنها^١.

٤. نصب الوكلاء

عين الإمام عليّ عليه السلام جماعة من تلاميذه وأصحابه وكلاء له في بعض المناطق وأرجع إليهم شيعته لأخذ الأحكام الإسلامية منهم، كما وكلهم في قبض الحقوق الشرعية، لصرفها على الفقراء والبائسين من الشيعة، وإنفاقها في وجوه البر والخير، فنصب المفضّل بن عمر وكيلاً له في قبض الحقوق وأذن له في صرفها على مستحقيها^٢.

٥. النصّ على الإمام من بعده

نص الإمام الكاظم عليه السلام على الإمام من بعده وهو عليّ الرضا عليه السلام فجعله علماً لشيعة ومرجعاً لأمة جده.

قال الحسين بن المختار: لما كان الإمام موسى عليه السلام في السجن خرجت لنا ألواح من عنده وقد كتب فيها: عهدي إلى أكبر ولدي^٣.

٦. وصيته عليه السلام

وأوصى الإمام عليّ عليه السلام إلى ولده عليّ الرضا عليه السلام وعهد إليه بالأمر من بعده وعيّنه على صدقاته وشؤونه الخاصة والعامة، أشهد على ذلك جماعة من المؤمنين.

١. حياة الإمام موسى الكاظم، ج ٢، ص ٤٩٢، باقر شريف القرشي.

٢. حياة الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ج ٢، ص ٤٩٣، باقر شريف القرشي.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٣٠ ومسند الإمام الكاظم عليه السلام، ج ١، ص

٧. صلابة الإمام عليه السلام وشموخه أمام الرشيد

وحيث مكث الإمام عليه السلام زمناً طويلاً في سجن هارون تكلم معه جماعة من خواص شيعته فطلبوا منه أن يتكلم مع بعض الشخصيات المقربة عند الرشيد ليتوسط في إطلاق سراحه، فامتنع عليه السلام وترفع عن ذلك وقال لهم: حدّثني أبي عن آياته: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَا دَاوُدُ! إِنَّهُ مَا عَتَصَمَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِي دُونِي، وَعَرَفْتُ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَّا قَطَعْتَ عَنْهُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ، وَأَسَخَتْ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ.

٨. محاولات هارون لإخضاع الإمام عليه السلام

أ. إرسال جارية له

وأنفذ هارون إلى الإمام عليه السلام جارية وضّاء بارعة الجمال أرسلها بيد أحد خواصه لتتولّى خدمة الإمام ظانّاً أنّه عليه السلام سيفتنن بها، فلمّا وصلت إليه قال عليه السلام لمبعوث هارون: قل لهارون: بل أنتم بهديتكم تفرحون، لاحتاجة لي في هذه ولا في أمثالها. فرجع الرسول ومعه الجارية وأبلغ هارون قول الإمام عليه السلام فالتاع غضباً وقال له: ارجع إليه، وقل له: ليس برضاك حبسناك ولا برضاك أخذناك واترك الجارية عنده، وانصرف.

فرجع الرسول وترك الجارية عند الإمام عليه السلام وأبلغه مقالته، وأنفذ هارون خادماً له إلى السجن ليتفحص حال الجارية، فلمّا انتهى إليها رآها ساجدة لرّبّها لا ترفع رأسها وهي تقول في سجودها: قدوس، قدوس.

فمضى الخادم مسرعاً فأخبره بحالها، فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر، عليّ بها!! فجيء بها إليه، وهي ترتعد قد شخصت ببصرها نحو السماء وهي تذكر الله وتمجّده، فقال لها هارون: ماشأنك؟!.

قالت: شأنى الشأن البديع، إنّي كنت عنده واقفة وهو قائم يصليّ ليله ونهاره، فلمّا انصرف من صلاته قلت له: هل لك حاجة أعطيكمها؟ فقال الإمام عليه السلام وما حاجتي

إليك؟ قلت: إني أدخلت عليك لحوائجك.

قال الإمام عليه السلام: فما بال هؤلاء - وأشار بيده إلى جهة - فالتفت فإذا روضة مزهرة لأبلغ آخرها من أولها بنظري، ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة بالوشى والديباج، وعليها وصائف ووصائف لم أر مثل وجوههن حسناً، ولا مثل لباسهن لباساً، عليهن الحرير الأخضر، وعلى رؤوسهن الأكاليل المرصعة بالدرّ والياقوت، وفي أيديهن الأباريق والمناديل، ومن كلّ الطعام مالذ وطاب، فخررت ساجدة حتّى أقامني هذا الخادم فرأيت نفسي حيث كنت.

فقال لها هارون وقد أترعت نفسه بالحق: يا خبيثة لعلك سجدت، فنمت فرأيت هذا في منامك.

قالت: لا والله ياسيدي، رأيت هذا قبل سجودي، فسجدت من أجل ذلك.

فالتفت الرشيد إلى خادمه، وأمره باعتقالها وإخفاء خبر الحادث لئلا يسمعه أحد من الناس فأخذها الخادم، واعتقلها عنده، فأقبلت على العبادة والصلاة، فإذا سئلت عن ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح^١.

ب. محاولة سقه عليه السلام

ولم يتحمل الرشيد سماعه لمناقب الإمام عليه السلام ومآثره وانتشارها بين الناس فعزم على قتله ودعا برطب، وأخذ رطبة من ذلك الرطب فوضع فيها سماً وقال لخادمه: إحمله إلى موسى بن جعفر وقل له: إن أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب ويقسم عليك بحقه إلا ما أكلته عن آخره فإنّي اخترته لك بيدي. ولا تتركه يبقي منه شيئاً ولا تطعم منه أحداً.

فحمل الخادم الرطب وجاء به إلى الإمام وأبلغه رسالة هارون فأخذ الإمام عليه السلام يأكل من الرطب. وكانت للرشيد كلبة مفضلة عنده، فجذبت نفسها وخرجت تجرّ

بسلاسلها الذهبية حتى حاذت الإمام عليه السلام فبادر الإمام بالخلال إلى الرطبة المسمومة ورمى بها إلى الكلبة فأكلتها فلم تلبث أن ضربت بنفسها الأرض وماتت، واستوفى الإمام عليه السلام باقي الرطب وباء مخطئ الرشيد بالفشل ولم تنجح محاولته في اغتيال الإمام حيث أنقذه الله منه وصرف عنه سوء.

ج . توسط يحيى في إطلاقه

واستدعى الرشيد وزيره يحيى بن خالد فقال له: يا أبا عليّ أما ترى مانحن فيه من هذه العجائب؟ ألا تدبّر في أمر هذا الرجل تدبيراً تريحنا من غمّه؟ فأشار عليه بالصواب وأرشده إلى الخير فقال له: ألّذي أراه لك يا أمير المؤمنين أن تمنّ عليه وتصل رحمه فقد واللّه أفسد علينا قلوب شيعتنا، فاستجاب الرشيد لنصحه وقال له:

انطلق إليه وفكّ عنه الحديد وأبلغه عني السلام وقل له: يقول لك ابن عمك: إنّهُ قد سبق منّي فيك يمين أنّي لا أخليك حتّى تُقرّ لي بالإساءة وتسألني العفو عمّا سلف منك وليس عليك في إقرارك عار ولا في مسألتك إياي منقصة، وهذا يحيى بن خالد ثقتي ووزيري وصاحب أمرٍي فاسأله بقدر ما أخرج من يميني.

لم يخف على الإمام عليه السلام ذلك لأنّه كان يريد أن يأخذ من الإمام عليه السلام اعترافاً بالإساءة ليتخذها وسيلة إلى التشهير به، ومسرّعاً لسجنه له.

فلما مثل يحيى عنده وأخبره بمقالة الرشيد، قال له الإمام عليه السلام: سيجري عليك أنت وعلى أسرتك من زوال النعمة على يد هارون، وحذّره من بطشه، ثم ردّ ثانياً على مقالة الرشيد بقوله:

يا أبا عليّ أبلغه عني: يقول لك موسى بن جعفر: يأتيك رسولي يوم الجمعة فيخبرك بما ترى - أي بموته - وستعلم غداً إذا جئيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه.

د. وكتب الإمام موسى عليه السلام رسالة من داخل السجن لهارون جاء فيها: (إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون^١).

١. تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٢؛ تذكرة الخواص، ص ٣٦٠ وكشف الغمّة، ج ٢، ص ٢١٨ و ٢٥٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٤٨ والفصول المهمّة، ص ٢٢٢ والبداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٨٣ والكامل، ج ٦، ص ١٦٤ وسير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢٨٣.

الناص

□ بعد أن أشار هارون إلى بعض من يرتبط به بأنه يريد اعتقال الإمام عليه السلام ولكن بعد وشاية الوشاة. فتصدى بعض أعماله لترتيب هذا الأمر كي يوجه هارون فعلته بدليل مشروع لدى عامة الناس وحاصله أن الإمام عليه السلام لأنه يتحرك ضد حكم هارون فهو مستحق للاعتقال.

□ و سجن الإمام في البصرة ثم أرسل إلى بغداد، وبعد أن طال سجنه أخرج من السجن الخاص وبقي في بغداد تحت الرقابة ثم أودع السجن مرة أخرى فاودع عند الفضل بن يحيى ثم أودع في سجن السندي بن شاهك وكان من أشد السجون عليه.

□ وكانت للإمام في السجن عدة نشاطات سوى العبادة والانقطاع إلى الله تعالى. منها تربية النفوس والأفراد الذين كانوا يوكّلون بحراسة الإمام عليه السلام ومنها الإجابة على الأسئلة التي كانت ترد عليه ومنها تعليم شيعته ما كانوا يحتاجونه من تعاليم ونص في السجن على ولده علي الرضا ولم تستطع محاولات هارون إخضاع الإمام عليه السلام لإرادته.

□ و وقف الإمام عليه السلام أمام جبروت هارون شامخاً لا يلين ولا تأخذه في الله لومة لائم.

الأسئلة

١. كيف خطط هارون لاعتقال الإمام الكاظم عليه السلام؟
٢. لماذا أقدم هارون على اعتقال الإمام وخطط لقتله؟
٣. من هم الذين تصدوا للوشاية ضد الإمام الكاظم عليه السلام؟
٤. كم سجن الإمام الكاظم عليه السلام؟ وما هي السجون التي سجن فيها؟
٥. ما هي النشاطات التي مارسها الإمام عليه السلام في فترة السجن؟
٦. ما هي محاولات هارون لإخضاع الإمام عليه السلام للنزول عند إرادته؟
٧. هل أفلح هارون في إخضاع الإمام عليه السلام؟ ولماذا؟

شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام

لقد عانى الإمام الكاظم عليه السلام أقسى ألوان التنكيل، من تكبيل بالقيود، وتضييق وشدة في التعامل معه، ومنع الاتصال مع الناس، وأذى مرهق، وبعد كل هذه النكبات أقدم على قتله غير مكترث بما ستركه قتل الإمام عليه السلام من آثار سلبية عليه وعلى ملكه.

وذهب أكثر المؤرخين والمترجمين للإمام إلى أنّ الرشيد أوعز إلى السندي بن شاهك الأثيم بقتل الإمام عليه السلام فاستجابت نفسه الخبيثة لذلك فأقدم على تنفيذ أفضع جريمة.

وعمد السندي إلى رطب فوضع فيه سمّاً قاتلاً وقّده للإمام عليه السلام فأكل منه عشر رطبات فقال له السندي: زد على ذلك.

فرمقه الإمام عليه السلام بطرفه وقال له: حسبك قد بلغت ماتحتاج إليه.

وتسمّم الإمام وأخذ يعاني آلام السمّ الشديدة وأوجاعه القاسية، وقد حقّت به الشرطة القساة ولازمه السندي بن شاهك الخبيث، فكان يُسمعه في كلّ مرّة أخشن الكلام وأغلظه ومنع عنه جميع الإسعافات ليعجل له النهاية المحتومة.

وفي الأثناء استدعى السندي بعض الشخصيات والوجوه المعروفة إلى قاعة

السجن، وكانوا ثمانين شخصاً - كما حدّث بذلك بعض شيوخ العامة - حيث يقولون: أحضرنا السندي فأنبرى إلينا وقال: انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث؟ فإنّ الناس يزعمون أنّه قد فعل به مكروه، ويكثرون من ذلك، وهذا منزله وفراشه وموسّع عليه غير مضيق، ولم يرد به أمير المؤمنين - يعني هارون - سوءاً، وإنّما ينتظره أن يقدم فيناظره وما هوذا موسّع عليه في جميع أموره فاسألوه.

يقول الشيخ الذي كان حاضراً في السجن: ولم يكن لنا همّ سوى مشاهدة الإمام ومقابلته فلمّا دنونا منه لم نر مثله قطّ في فضله ونسكه فالتفت إلينا وقال لنا: أمّا ما ذكر من التوسعة، وما أشبه ذلك، فهو على ما ذكر، غير أنّي أخبركم أيها النفر أنّي قد سُقيت السمّ في تسع تمرات، وأنّي أصفرّ غداً وبعد غد أموت. ولمّا سمع السندي ذلك انهارت قواه واضطرب مثل السعفة التي تلعب بها الرياح العاصفة^١. فقد أفسد عليه الإمام عليه السلام مرامه من الحصول على البراءة من المسؤولية في قتله.

إلى الرفيق الأعلى

بعد أن سرى السمّ إلى جميع أجزاء بدن الإمام عليه السلام علم: أنّ لقاءه برّيه قدحان، فاستدعى السندي، فلمّا مثل عنده أمره أن يحضر مولى له ينزل عند دار العباس بن محمّد في مشرعة القصب ليتولّى غسله.

وسأله السندي أن يأذن له في تكفينه فأبى عليه السلام وقال: إنّ أهل بيت مهوور نسائنا وحجّ ضرورتنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندي كفي^٢. وأحضر له السندي مولا، وثقل حال الإمام عليه السلام، وأشرف على النهاية المحتومة، فأخذ يعاني آلام الموت فاستدعى المسيّب بن زهرة فقال له:

١. روضة الواعظين، ص ١٨٥ - ١٨٦.

٢. مقاتل الطالبين، ص ٥٠٤ و بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٤٧.

إني على ما عرفتكَ من الرحيل إلى الله عزَّ وجل فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها ورأيتني قد انتفخت، واصفرَّ لونِي واحمرَّ واخضرَّ وتلوَّن ألواناً فأخبر الطاغية بوفاتي. قال المسيَّب: فلم أزل أراقب حاله حتَّى دعا عليَّ بشربة فشربها ثمَّ استدعاني، فقال لي: (يا مسيَّب) إنَّ هذا الرجس السندي بن مشاهك سيزعم أنَّه يتولَّى غسلِي ودفني «وهيَّات هيَّات أن يكون ذلك أبداً» فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فألحدوني بها، ولا ترفعوا قبري فوق أربعة أصابع مفرَّجات، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبركوا به فإنَّ كلَّ تربة لنا محرَّمة إلَّا تربة جدِّي الحسين بن عليٍّ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلها شفاءً لشيعتنا وأوليائنا.

قال: المسيَّب: ثمَّ رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به جالساً إلى جانبه، وكان عهدي بسيدي الرضا عليه السلام - وهو غلام -، فأردت أن أسأله، فصاح بي سيدي موسى، وقال: ألسنت قد نهيتك؟، ثمَّ إنَّ ذلك الشخص قد غاب عني، فجنَّت إلى الإمام عليه السلام وإذا به جثَّة هامة قد فارق الحياء فأنهيت بالخبر إلى الرشيد بوفاته.

لقد لحق الإمام بالرفيق الأعلى، وفاضت نفسه الزكية إلى بارئها فاضلمت الدنيا لفقدته وأشرقت الآخرة بقدمه، وقد خسر المسلمون ألمع شخصيَّة كانت تذب عن كيان الإسلام، وتنافح عن كلمة التوحيد وتطالب بحقوق المسلمين وتشجب كلَّ اعتداء غادر عليهم. فسلام عليك يا بن رسول الله، يوم ولدت، ويوم استشهدت، ويوم تبعث حيًّا.

والمشهور أنَّ شهادة الإمام عليه السلام كانت سنة «١٨٣ هـ» لخمس بقين من شهر رجب^١ وقيل سنة (١٨٦ هـ)^٢، وكانت وفاته في يوم الجمعة وعمره الشريف يوم وفاته

١. ابن خلِّكان، ج ٢، ص ١٧٣ و تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٢ والطبري، ج ١٠، ص ٧٠ وابن الأنباري، ج ٦، ص ٥٤ و تاريخ أبي الفداء، ج ٢، ص ١٧ وتهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٣٤٠ وميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٢٠٩ وعمدة الطالب، ص ٨٥.
٢. مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٧٣.

خمس وخمسون^١ أو أربع وخمسون سنة^٢.

التحقيق في قتل الإمام علي عليه السلام

بعد قتل الإمام علي عليه السلام حاول هارون أن يتخلّى عن مسؤوليّة قتله عليه السلام ويشيع بين الناس بأنّ الإمام قد مات حتف أنفه، وأنّ هارون وأجهزته لاعلاقة لهما بالحادث وذلك ضمن خطوتين:

الخطوة الأولى

قام السندي بن شاهك بالخطوة الأولى من مسلسل التخلّي عن مسؤوليّة قتل الإمام علي عليه السلام ليمهد الأجواء لسيده هارون في أن يتخلّى فيما بعد عن مسؤوليّة هذه الجريمة.

يحدّثنا عمر بن واقد عن تحرّك السندي وكيفيّة تنصّله عن مسؤوليّة هذا الحادث الخطير حيث قال: أرسل إليّ السندي بن شاهك في بعض الليل وأنا ببغداد يستحضرني، فخشيت أن يكون ذلك لسوء يريده بي، فأوصيت عيالي بما احتجت إليه، وقلت: إنّ الله وإنّا إليه راجعون، ثمّ ركبت إليه، فلمّا رأني مقبلاً، قال: يا أباحفص: لعلنا أرفعناك وأفزعناك؟

قلت: نعم، قال: فليس هناك إلّا خير، قلت: فرسول تبعته إليّ منزلي يخبرهم خبري. فقال نعم.

ثمّ قال: يا أباحفص أتدري لم أرسلت إليك؟ فقلت: لا، فقال: أعرف موسى بن جعفر؟ فقلت: إي والله، إنّني لأعرفه، وبينني وبينه صداقة منذ دهر.

فقال: من هاهنا ببغداد يعرفه فمن يقبل قوله؟ فسَمّيت، وجاء بهم كما جاء بي فقال.

١. الفصول المهمّة، ص ٢٥٥.

٢. مناقب الشيعة، ج ٢، ص ٢٨٣.

لهم: هل تعرفون قوماً يعرفون موسى بن جعفر؟ فسَمُّوا له قوماً، فجاء بهم، فأصبحنا فصرنا - ونحن في الدار - نَيْفًا وخمسين رجلاً مَعَنَ يعرف موسى بن جعفر عليه السلام وقد صحبه.

قال: ثم قام فدخل وصلينا، فأخرج كاتبه طوماراً، فكتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وحلالنا، ثم دخل إلى السندي.

قال: فخرج السندي فضرب يده إليّ فقال: قم يا أباحفص، فنهضت ونهض أصحابنا ودخلنا، فقال لي: يا أباحفص اكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر فكشفته فرأيتَه مَيِّتاً، فبكيت واسترجعت.

ثم قال للقوم: أنظروا إليه فدنوا واحداً بعد واحدٍ فنظروا إليه، ثم قال: تشهدون كلِّكم أنَّ هذا موسى بن جعفر بن محمد؟

فقلنا: نعم، نشهد أنَّه موسى بن جعفر بن محمد، ثم قال: يا غلام اطرَحْ على عورته منديلاً واكشفه.

قال: ففعل فقال: أترون به أثراً تتكرونها؟ فقلنا: لا، مانرى شيئاً ولا نراه إلا مَيِّتاً. ثم سجَّلَ شهادتهم وانصرفوا^١.

الخطوة الثانية

ثم قام هارون بنفسه ليعلن أمام حشد من وجوه الشيعة بأنَّه بريء من جريمة قتل الإمام عليه السلام.

عن محمد بن صدقة العنبري قال: لَمَّا توفي أبوإبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام؛ جمع هارون الرشيد شيوخ الطالبيَّة وبني العبَّاس وسائر أهل المملكة والحكَّام وأحضر أباإبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام فقال: هذا موسى بن جعفر قدمات حتف أنفه، وما كان

١. كمال الدين، ص ٣٧ و عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٩٧، ح ٣ و بحار الأنوار، ج

يبني وبينه ما أستغفر الله منه في أمره - يعني في قتله - فانظروا إليه.
فدخل عليه سبعون رجلاً من شيعته، فنظروا إلى موسى بن جعفر وليس به أثر
جراحة ولا خنق، وكان في رجله أثر الحنّاء^١.

وضع الإمام على الجسر

وضع الإمام عليه السلام على جسر الرصافة وهو ميّت ينظر إليه القريب والبعيد وتتفرّج
عليه المارة وقد أحاطت بجثمانه المقدّس شرطة الطاغية القاتل وكشفت وجهه للناس
قاصدين بذلك انتهاك حرمة عليه السلام والحقّ من كرامته والتشهير به، وقد أمر السندي
جلاوزته أن ينادوا على جثمان الإمام عليه السلام بذلك النداء المؤلم الذي تذهب النفوس
لهوله أسيّ وحسرة: هذا إمام الرافضة فاعرفوه.

مبادرة سليمان

كان سليمان بن أبي جعفر المنصور رجلاً محنكاً وذا عقل متّزن، وقد رأى أنّ
الأعمال التي قام بها هارون ماهي إلّا لطخة سوداء في جبين العباسيّين، فلو أنّ هارون
اكتفى باغتيال الإمام ودسّ السمّ إليه بدل هذه، الأعمال الوحشية التي تدل على أنّ
هارون لاعهد له بالشرف والتبّل ويفتقد المعروف والإنسانية.

حينما سمع خبر وفاة الإمام عليه السلام والنداء الفضيع على جثمانه الطاهر؛ بادر بالتمهيد
لتشييع جثمان الإمام ليغطّي على العار الذي ارتكبه ابن أخيه هارون.
لقد كان قصر سليمان مطلقاً على نهر دجلة فسمع الضوضاء ورأى بغداد قد
اضطربت، فقال: لولده وغلّمانه ماهذا؟ قالوا السندي بن شاهك ينادي على موسى بن
جعفر، وأخبروه بذلك النداء الفضيع.

١. كمال الدين، ص ٣٩؛ وسائل الشيعة، ج ١، ص ٤٠٨، ح ٧ و عيون الأخبار، ج

١، ص ١٠٥، ح ٨ و بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٢٨، ح ٣١.

فصاح بأولاده قائلاً: انزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم فإن مانعكم فاضربوهم وفرّقوا ماعليهم من سواد - وهو لباس الشرطة والجيش - وانطلق أبناء سليمان وغلمانه إلى الشرطة فأخذوا جثمان الإمام منهم، ولم تبد الشرطة معهم أية معارضة، فسليمان عمّ الخليفة وأهم شخصيّة لامعة في الأسرة العبّاسيّة وأمره مطاع عند الجميع. وحمل الغلمان نعش الإمام فجاءوا به إلى سليمان فأمر أن ينادى في شوارع بغداد: ألا من أراد أن يحضر جنازة الطيّب ابن الطيّب موسى بن جعفر فليحضر^١.

وخرج الناس على اختلاف طبقاتها لتشيع جثمان الإمام عليه السلام وخرجت الشيعة تعبّرت عن حزنها وأسأها: ففرّج سليمان عن كربها وكشف عنها الآلام. وأكبر الظن أن سليمان خاف من انتفاضة شيعيّة أو تمرّد عسكري لأنّ الشيعة لم تكن قلّة في ذلك العصر، فقد اعتنق التشييع خلق كثير من رجال الدولة، وقادة الجيش، وكبار الموظفين والكتاب، لذا تدارك سليمان الموقف وقام بهذه المهمّة الجريئة، وأنقذ بذلك حكومة هارون من الاضطراب والثورة.

تجهيز الإمام عليه السلام

وقام سليمان بتجهيز الإمام فغسله، وكفّنه، ولّفه بحبرة قد كتب عليها القرآن الكريم بأسره كلّفته ألفين وخمسمائة دينار^٢.

وقال المسيب بن زهرة: واللّه لقد رأيت القوم بعيني وهم يظنّون أنّهم يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه ويظنّون أنّهم يحنّطونه ويكفّنونه وأراهم أنّهم لا يصنعون شيئاً، ورأيت ذلك الشخص الذي حضر وفاته - وهو الإمام الرضا عليه السلام - هو الذي يتولّى غسله

١. كمال الدين، ص ٣٨؛ عيون الأخبار، ج ١، ص ٩٩، ح ٥ و بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٢٧، ح ٢٩.

٢. كمال الدين، ص ٣٨؛ عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٩٩، ح ٥؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٢٧، ح ٢٩.

وتحنيطه وتكفينه، وهو يظهر المعاونة لهم، وهم لا يعرفونه فلما فرغ من تجهيزه التفت إليّ فقال: يا مسيب مهما شككت في شيء فلا تشكّن فيّ، فإنّي إمامك ومولاك وحجة الله عليك بعد أبي يا مسيب مثلي مثل يوسف الصديق عليه السلام ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه وهم له منكرون^١.

وبعد انتهاء الغسل حُمل الإمام إلى مرقد.

تشيع جثمان الإمام عليه السلام ودفنه

وبعد الغسل هرعت جماهير بغداد إلى تشيع الإمام عليه السلام فكان يوماً مشهوداً لم ير مثله في أيّامها، فقد خرج البرّ والفاجر للمشاركة في مسيرة تشيع الإمام عليه السلام للفوز بحمل جثمانه الطاهر، وسارت المواكب وهي تجوب شوارع بغداد وتردد أهازيج الحزن واللوعة، متجهة نحو باب التين يتقدّمهم سليمان حافياً حاسراً مشقوق الجيب إلى مقابر قريش، وحُفر للإمام عليه السلام قبرٌ فيها وأنزله سليمان بن أبي جعفر فيه، وبعد الفراغ من الدفن أقبلت الناس تعزيه بالمصاب الأليم^٢.

١. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٠٠، ح ٦ وبحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٢٢.

٢. كمال الدين، ص ٣٨؛ عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٩٩، ح ٥ وبحار الأنوار، ج

٤٨، ص ٢٢٧، ح ٢٩.

الناصف

□ لقد استشهد الإمام الكاظم عليه السلام بعد طول سجن وتعذيب بأمر من هارون وعلى يدي السندي بن شاهك بسمّ قاتل، وحاول أن يتخلص من تبعة هذا الاغتيال وذلك بإشهاد مجموعة من الشهود بعد ستمه وقبل وفاته كما أشهد على وفاته مجموعة بعدها.

□ و حاول هارون أن يتخلص من تبعة ذلك، ولكن أصابع الاتهام كلها كانت تمتد إليه لأنه كان قد سجن الإمام عليه السلام قبل استشهاده. لقد وضعوا جثمان الإمام على الجسر وحاولوا إهانته بعد الاستشهاد أيضاً، وبادر سليمان بن أبي جعفر المنصور بمبادرة حاول التخلص بها من انتفاضة الشيعة أو بعض قادة الجيش فانقذ بتشييعه لجثمان الإمام بكل احترام حكومة ابن أخيه هارون من انتفاضة عارمة ودفن الإمام عليه السلام في مقابر قریش وذلك في رجب سنة ١٨٣ هـ.

الأسئلة

- ١ . كيف استشهد الإمام الكاظم عليه السلام ؟ ومتى ؟
- ٢ . من الذي أمر بسم الإمام عليه السلام ؟ ومن الذي نفَّذ ذلك ؟ ولماذا ؟
- ٣ . لماذا أشهد السندي جماعة ممن يعرف الإمام عليه السلام على أنه لم يمِت غيلة ؟
- ٤ . كيف أحبط الإمام عليه السلام محاولة السندي ؟
- ٥ . كيف أهيّن الإمام الكاظم عليه السلام بعد استشاده ؟
- ٦ . ما هي مبادرة سليمان - عمّ هارون - تجاه جثمان الإمام عليه السلام ؟
- ٧ . لماذا بادر سليمان لانتزاع جثمان الإمام عليه السلام من جلاوزة السندي بن شاهك ؟

ملاحع عصر الإمام الرضا عليه السلام (١)

النصوص على إمامة الرضا عليه السلام

تعتقد الإمامية أنّ الإمامة كالرسالة منصب الهي لايتسنى لأي أحد أن يتسّم هذا المنصب إلّا باختيارٍ ونَصٍ من قبل الله تعالى. ومن هنا كان التنصيب على الإمامة لكل إمام أمراً ضرورياً حيث يكون كاشفاً عن النصب الإلهي.

وقد جرت السنة الإلهية على أن يكون النصّ من المعصوم السابق على الرسول أو الإمام المعصوم اللاحق باعتباره الطريق المأمون لنصّ المعصوم على المعصوم كما أنّه يشكّل حلقة الوصل الطبيعية بين سلسلة المعصومين على مدى الأجيال والقرون.

وتعدّدت النصوص العامة والخاصة عن الرسول الأعظم ﷺ فيما يرتبط بخلفائه الشرعيين. فالنصوص العامة هي التي ذكرت عددهم أو أوصافهم والنصوص الخاصة هي التي ذكرتهم بأسمائهم وأنسابهم قبل أن يولد أكثرهم طبعاً وقد رواها أصحاب الرسول ﷺ^١ بالإضافة إلى أهل البيت عليه السلام أنفسهم. حيث كان ينصّ كلّ منهم على من يليه من الأئمة الباقين ويؤكد النصّ على من يليه مباشرة.

١. راجع عوالم العلوم، الجزء الخاصّ بالنصوص على الأئمة (١٥ / ٣)، ١٢٠، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٤، ١٧٣.

وقد يبدأ تاريخ النصّ على الإمام اللاحق قبل ولادته وتتبعه النصوص المتتالية بعد ولادته وفي صباه وفي عنوان شبابه ويتم التأكيد عليه قبل وفاة الإمام السابق عليه. والنصوص قد تكون لأشخاص بأعيانهم وقد تكون في مجلس عام وقد يتضمن النصّ استشهاداً عاماً أو خاصاً.

كما أنّ النصوص قد تتضمن الإسم أو الإشارة الحسيّة المعيّنة له كما قد تشتمل على الأوصاف والملاكات التي استحق بها منصب الإمامة. بل قد تشتمل بعض النصوص على علائم ذات دلالة واضحة حيث يعطي المعصوم السابق علامة تتحقق بعد وفاته فيطمئن المخاطب إلى أنّ صاحب العلامة هو الإمام الشرعي بلا ريب. هذا فضلاً عن الكرامات والشواهد الخاصّة التي يقيّمها الإمام المعصوم نفسه لمن لم يعثر على النصّ من الإمام السابق أو عثر عليه ولكنه يحتاج إلى مزيد تأكيد وتوضيح فيتصدّى الإمام اللاحق لإثبات إمامته بما يناسب ثقافته وعلمه ومعرفته.

ومن هنا اشتملت المصادر التاريخيّة على جملة من الإثباتات العمليّة والعلميّة التي تحققت بعد وفاة المعصوم السابق عُرفت باسم الدلالات أو الكرامات والمعاجز باعتبارها ذات دلالة معرفيّة تكشف عن أنّه هو الإمام المعصوم المتصدّي لمنصب الإمامة في تلك الحقبة الزمنيّة.

والنصوص التي وردت حول إمامة علي بن موسى الرضا عليه السلام قبل ولادته كثيرة. وهي قدر ورد بعضها عن الرسول صلى الله عليه وآله بواسطة معظم الصحابة. وبعضها ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله عبر آبائه الكرام. وبعضها قد ورد عن جدّه الصادق عليه السلام.

ويمكن أن نصنّف ماورد عن أبيه الكاظم عليه السلام إلى النصوص الواردة عن إمامته في صباه. والنصوص التي صدرت عن أبيه حين كان في المدينة وقبل اعتقاله، والنصوص الصادرة حين اعتقال الإمام الكاظم عليه السلام والنصوص الصادرة عنه حين كان في السجن ويبلغ مجموعها ثلاثة وأربعين نصّاً جمعها الشيخ العطاردي في مسنده للإمام

الرضا عليه السلام، ونختار بعضها بحسب ما يقتضيه المقام.

١. عن المفضل بن عمر، قال: دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وعليه عليه السلام ابنه في حجره وهو يقبله ويمصّ لسانه ويضعه على عاتقه ويضمّه إليه ويقول: بأبي أنت وأمي ما أطيب ريحك وأطهر خلقك وأبين فضلك!

قلت: جعلت فداك لقد وقع في قلبي لهذا الغلام من المودة ما لم يقع لأحدٍ إلّا لك!

فقال لي: يا مفضل هو منّي بمنزلة من أبي. ذريةٌ بعضها من بعض والله سميع عليم.

قال: قلت: هو صاحب هذا الأمر من بعدك؟ قال: نعم من أطاعه رشد ومن عصاه كفر^١.

٢. وعن نعيم بن قابوس قال: قال أبو الحسن عليه السلام: عليّ ابني أكبر ولدي وأسمعهم بقولي وأطوعهم لأمرٍ ينظر معي في كتابي الجفر والجامعة وليس ينظر فيه إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ^٢.

٣. عن داود بن زربي قال: جئت إلى أبي إبراهيم عليه السلام بمالٍ فأخذ بعضه وترك بعضه فقلت: أصلحك الله لأي شيء تركته عندي؟ قال: إنّ صاحب هذا الأمر يطلبه منك، فلما جاءنا نعيه بعث إليّ أبو الحسن عليه السلام ابنه فسألني ذلك فدفعته إليه^٣.

٤. عن عبد الله بن الحرث وأمه من ولد جعفر بن أبي طالب عليه السلام قال: بعث إلينا أبو إبراهيم عليه السلام فجمعنا ثم قال: أتدرون لم جمعتمكم؟ قلنا: لا. قال: اشهدوا أنّ علياً ابني هذا وصيي والقيّم بأمرٍ وخليفتي من بعدي...^٤ وفي نص آخر قد أشهد ستين رجلاً من الهاشميين ومواليهم^٥، وفي نصٍ ثالث قد جمعهم في قُبَا (في المدينة) وهم سبعة

١. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٣٢.

٢. المصدر، ج ١، ص ٣١.

٣. الكافي، ج ١، ص ٣١٣.

٤. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٧.

٥. المصدر، ج ١، ص ٢٦.

عشر رجلاً فأشهدهم على إمامته^١.

٥ . وعن الحسن بن محبوب عن عبدالله بن مرحوم قال: خرجت من البصرة أريد المدينة فلما صرت في بعض الطريق لقيت أبا إبراهيم عليه السلام وهو يذهب به الى البصرة فأرسل إليّ فدخلت عليه، فدفع إليّ كتاباً وأمرني أن أوصلها بالمدينة، فقلت: إلى من أدفعها جعلت فداك؟ قال: إلى ابني عليّ فإنه وصيّ والقيّم بأمرى وخير بني^٢.

الملاح العامة عند التصدي للإمامة

١. الانفراج النسبي للإمام الرضا عليه السلام في عهد هارون

استشهد الإمام موسى الكاظم عليه السلام مسموماً في سنة ١٨٣ هـ وكان هارون يتخوف من تسرب خبر اغتياله للإمام الكاظم عليه السلام، وذلك لمكانة الإمام عليه السلام في المجتمع الإسلامي، ووجود قاعدة شعبية واسعة موالية له ولأهل عقائدياً وعاطفياً؛ لسمو شخصيته، ولانحداره من السلالة النبوية الطاهرة.

من هنا قام الرشيد بالتمويه على عملية اغتياله، حين جمع القواد والقضاة والكتاب وبني هاشم، ثم كشف عن وجه الإمام عليه السلام وسألهم قائلاً لهم: أترون أن به أثراً ومايدلّ على اغتيال؟ فأجابوه بالنفي^٣.

وأدخل السنديّ بن شاهك أيضاً الفقهاء ووجوه أهل بغداد ليتفحصوا في جثمانه، فشهدوا على أنه مات حتف أنفه، وأخرج جثمانه الطاهر ووضع على الجسر ونودي: هذا موسى بن جعفر قدمات فانظروا إليه^٤.

١ . المصدر، ج ١، ص ٢٨.

٢ . المصدر، ج ١، ص ٢٧.

٣ . تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٤١٤.

٤ . كشف القمّة، ج ٢، ص ٢٣٤.

وبقيت الهواجس تنتاب هارون، وكان يتوقع انفجار الأوضاع بحركة شعبية واسعة تهدد سلطانه؛ لذا لم يتخذ أسلوباً متشدداً مع الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بل خفف من محاصرته ومضايقته؛ يمتصّ النقمة الشعبية ويخفف ردود الأفعال السلبية الناشئة من اضطهاد أهل البيت عليهم السلام.

٢. المراقبة الدقيقة لتحرك الإمام عليه السلام

في الفترة الواقعة بين سنة ١٨٣ هـ وسنة ١٨٧ هـ لم يعلن الإمام عن تصديده للإمامة، ولم يظهر له أي تحرك علني في المدينة، من خطب أو لقاءات عامة، ولم يسجل عليه أي حضور في المحافل العامة.

وقد أدرك هارون من خلال أخبار عيونه وجواسيسه: أنه كان بعيداً عن الأحداث، حتى أنه كتب إليه صاحب الخبر أنه عليه السلام دخل السوق فاشترى كلباً وكبشاً وديكاً، فلما وصل إليه الخبر قال: قد أمنا جانبه^١.

ولهذا لم يصدق هارون الأخبار الواردة عن غير طريق عيونه السريّة، كالخبر الذي أورده أحد أحفاد الزبير بن العوام من أن الرضا عليه السلام قد فتح بابه ودعا إلى نفسه^٢، فلم يلتفت إلى خبره ولم يرتب عليه أي أثر عملي.

٣. عدم الاستجابة للوشاة

كثر الواشون في البلاط الحاكم وحرّضوا هارون على قتل الإمام وكان منهم: عيسى بن جعفر حيث قال لهارون: اذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب، فإنك خلفت: إن ادّعى أحد بعد موسى الإمامة ضربت عنقه ضرباً، وهذا عليّ ابنه يدّعي هذا الأمر، ويقال فيه ما يقال في أبيه، فنظر هارون إليه مغضباً، وقال: وما ترى؟ تريد أن أقتلكم

١. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٠٥.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٠٥.

كلّهم^١.

وحينما حرّضه خالد بن يحيى البرمكي على قتله قال هارون: يكفيننا ماصنعنا بأبيه، تريد أن نقتلهم جميعاً؟! إنّ عدم الاستجابة للوشاة كان ناجماً عن رغبة هارون في امتصاص النقمة الشعبية، وعدم وجود دليل على تحرّك الإمام عليه السلام وتهديده لحكمه.

٤. تصدّع الجبهة الداخلية

من مظاهر تصدّع الجبهة الداخلية قيام المعارضين بحركات مسلحة للإطاحة بالحكومة القائمة أو الاستقلال عنها، ففي سنة ١٨٤ هـ خرج حمزة الشاري على حكم هارون، واستمر خروجه المسلّح حتى سنة ١٨٥ هـ ولم ينته إلّا بمقتل عشرة آلاف من أنصاره والخارجين معه، ومقتل عدد كبير من جنود وقوّد جيش هارون. وفي السنة نفسها قتل أهل طبرستان والي هارون عليها، وخرج أبو الخصيب للمرّة الثانية، وسيطر على عدّة مدن: مثل: أبيورد، وطوس ونيشابور، وزحف إلى مرو وسرخس وقوي أمره، ولم تنته حركته إلّا بمقتل الآلاف من الطرفين بعد قتال استمر أكثر من سنة واحدة.

وكانت هنالك تمرّدات وحركات عسكريّة أخرى قد أخدمت في مهدها. وأهم الأحداث التي كان لها دور ملحوظ في خلخلة الجبهة الداخلية هي قيام هارون بقتل البرامكة في أواخر سنة ١٨٧ هـ الذين كانوا من أركان الحكومة ومشيّدي صرحها، وكانت لهم تجربة واسعة في ملاحقة الخصوم والمعارضين والقضاء على تحرّكاتهم، كما كانت لهم علاقات واسعة مع قادة الجيش والولاة. وبقتل البرامكة واعتقال بعضهم خفّت حدّة الوشايات والتحريض على قتل الإمام الرضا عليه السلام، بعد أن كانوا قد حرّضوا هارون على قتل الإمام الكاظم عليه السلام من قبل.

وهذه الظروف مهّدت الطريق للإمام عليه السلام كي تقوم بدوره العلني في إمامة المسلمين.

٥. إعلان التصدي للإمامة

أدرك الإمام موسى الكاظم عليه السلام نوع الظروف الموضوعيّة الحادثة بعد استشهاداه من حيث طبيعة الحكم والحاكم وأجهزته الحكوميّة، وأساليبها في مواجهة الخصوم والمعارضين وخصوصاً أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم لذا ركّز في وصيّته للمقربين له أن يكون إعلان تصدي الرضا عليه السلام للإمامة بعد أربع سنين^١ من استشهاده أي في سنة ١٨٧ هـ

والتزم الإمام الرضا عليه السلام بهذه الوصيّة وكان يتابع الظروف والأحداث بدقّة إلى أن جاء الظرف المناسب بعد مضي أربع سنين من استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام وخصوصاً بعد القضاء على البرامكة، فأعلن عن تصديّه للقيادة باتخاذ مواقف لا يتخذها إلا من يتصدّى للإمامة.

وكان الإمام عليه السلام يدرك طبيعة السياسة القائمة، ويضع جميع الاحتمالات التي سيقوم بها هارون تجاه إعلان تصديّه للإمامة، والتي منها عدم مقدّره على تصفية الإمام عليه السلام جسدياً، وقد نصحه المقرّبون له بعدم التصدي للقيادة خوفاً من الاعتقال أو الاغتيال فأجابهم قائلاً: ليجهدنّ جهده فلا سبيل له عليّ^٢.

وأجابهم في موقف آخر: إن خدشت خدشاً من قبل هارون فأنا كذاب^٣.

وكان هارون يكتفي بالتخطيط لقتله دون تنفيذ، أو يقتصر على التهديد فقط، ففي أحد المواقف قال: لأخرجنّ العامّ إلى مكة ولآخذنّ علي بن موسى ولأردنّه حياض

١. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٦.

٢. الفصول المهمّة، ص ٢٤٥.

٣. إنبات الوصيّة، ص ١٧٤.

أبيه، وكان الإمام عليه السلام يدرك أنّ ذلك لا يتم، فحينما وصل إليه هذا التهديد أجاب المخبر قائلاً: ليس عليّ منه بأس.

وحينما طلبه هارون للمثول بين يديه قال عليه السلام لمن معه: إنّّه لا يدعوني في هذا الوقت إلّا لداهية، فوالله لا يمكنه أن يعمل بي شيئاً أكرهه، وحينما دخل على هارون تنفّر الموقف وطلب منه أن يكتب له ما يحتاجه، وحينما خرج قال هارون: أردت وأراد الله وما أراد الله خير^١.

أسلوب الإمام عليه السلام في التحرك

إنّ موقف الإمام عليه السلام تحدّده عوامل عديدة هي: الشرعيّة، والظروف القائمة، والمصلحة الإسلاميّة الكبرى، ومصلحة منهج أهل البيت عليهم السلام.

إنّ هذه العوامل هي التي تحدّد الموقف العملي كمّاً ونوعاً من حيث السريّة والعلنيّة، ومن حيث التدخل المباشر وغير المباشر في السياسة، كما تحدّد طبيعة المواجهة مع الحكم القائم لإصلاحه أو تغييره بالأساليب السلميّة أو العسكريّة، وهي التي تحدّد أيضاً درجة العلاقة مع الأتباع والأنصار ونوع العلاقة مع الخصوم والأعداء.

ولذا كان الموقف الشرعي للإمام عليه السلام منسجماً مع الظروف القائمة مراعيّاً للمصلحة الإسلاميّة الكبرى، وللمصلحة الخاصّة المتمثّلة في الحفاظ على كيان أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم الربّانيّة، فلم يُبدِ الإمام عليه السلام أيّة معارضة علنيّة، ولم يفصح عن تخطّيه أو تنسيقه مع قادة الثورات المسلّحة، لعلمه بالرقابة الشديدة المحيطة به، وكثرة العيون والجواسيس التي كان قد وضعها هارون لمتابعة تحرّكاته ونشاطاته المختلفة، وإحصاء علاقاته ولقاءاته وزياراته، وكان عليه السلام أيضاً شديد الحذر والحيطة من أجل أن يأمن هارون جانبه.

وكان دور الإمام عليه السلام في أوائل إعلان التصدي هو الإصلاح الهادي للأوضاع المختلفة وفي جميع جوانب الحياة الإسلامية، ومن أعماله عليه السلام: القيام بتوضيح المفاهيم والعقائد الإسلامية السليمة، والتي لا تمس سياسة الحكم القائم؛ لأنَّ هارون كان يخشى من المفاهيم والمواقف التي تؤدّي إلى القضاء على حكمه، وأمّا المفاهيم والمواقف العامة فإنّه لا يعارضها، ويتجنب الدخول في أي صراع عقائدي أو تشريعي لا يخدم بقاءه في الحكم.

ولهذا استثمر الإمام عليه السلام هذه الفرصة لنشر علوم أهل البيت عليه السلام في العقيدة وفي التشريع، فكان يفسّر القرآن وينشر الأحاديث النبوية الشريفة وأحاديث آبائه وأجداده في جميع المجالات.

واهتم عليه السلام ببناء الجماعة الصالحة فكرياً وعاطفياً وسلوكياً لرفد المجتمع بعناصر واعية متقيّة لإيقاف الانحراف وتحجيمه، وإعداد العدة لاتخاذ الموقف المناسب في الظرف والوقت المناسب.

واستطاع الإمام عليه السلام أن يوسع قاعدة أهل البيت عليه السلام في طول المجتمع وعرضه، فكثّر أنصارهم وأتباعهم وانتشروا في الأمصار الإسلامية، فكان منهم الوزراء والقضاة والأمراء، وقد توسعت القاعدة الشعبية أكثر فأكثر، وأبّنت ثمارها في المستقبل القريب وفي عهد عبد الله بن هارون كما سيأتي بيانه في الدروس القادمة إن شاء الله تعالى.

الخاص

□ لقد احتاط الإمام الرضا عليه السلام في إعلان تصديهِ للإمامة والزعامة بعد استشهاد أبيه عليه السلام و لكنه باشر مهامه بالتدريج.

□ و كان لتورط هارون بدم الإمام الكاظم عليه السلام دور في عدم استجابته للوشاة الذين كانوا يخبرونه عن تحرك الإمام الرضا عليه السلام بعد أبيه خوفاً من اشتداد النقرة الشعبية ضده. كما كان لتصفية البرامكة دور في إعلان الإمام عن تصديهِ للإمامة ومباشرته لوظائفه في التوجيه والإصلاح العام والخاص.

□ و من جملة النشاطات الملفتة للنظر في هذه المرحلة هي إثبات إمامته من خلال إخباراته عن مستقبل الأوضاع ولا سيما فيما يخص تصفيته واغتياله بيد هارون بالرغم من الرقابة والتهديد.

الأسئلة

- ١ . ما هي العوامل التي تحدّد موقف الإمام عليه السلام بشكل عام؟
- ٢ . لماذا لم يتخذ هارون موقفاً متشدّداً من الإمام الرضا عليه السلام؟
- ٣ . ما هو الحدث المهم الذي أدّى إلى تصدّع الجبهة الداخلية للحكم العباسي في عصر الإمام الرضا عليه السلام؟
- ٤ . ما هي توقعات الإمام عليه السلام وإخباراته عن موقف هارون منه؟
- ٥ . في أي سنة أعلن الإمام تصديهِ للإمامة والقيادة؟
- ٦ . لماذا لم يتخذ الإمام عليه السلام أسلوب المواجهة العلنية أو المواجهة المسلّحة مع الحكم القائم؟
- ٧ . كيف تثبت أن هارون كان يراقب جميع تحركات الإمام عليه السلام حتى التحركات الشخصية التي لا علاقة لها بالسياسة؟

ملاحع عصر الإمام الرضا عليه السلام (٢)

مظاهر الانحراف الفكري

١. انتشرت الأفكار والتيارات المنحرفة في عهد العباسيين، وكثر أتباعها وأنصارها، وانشغل الناس بالجدل والمراء لذلك.

فعلى مستوى الديانات المحرفة كان لليهود والنصارى والمجوس والصابئين مطلق الحرية في الترويج لعقائدهم وأفكارهم، وكذا الحال بالنسبة للبراهمة والدهرية وجميع أصناف الزنادقة، كما تعددت المذاهب الإسلامية بتعدد أربابها.

وانتشرت الأفكار الفلسفية المحضة، ولا سيما الفلسفات المثالية، وكثر الجدل في الجبر والتفويض والإرجاء، والتجسيم والتشبيه.

وانتشرت الدعوات المنحرفة كادعاء النبوة، ولولا تشجيع الحكومة ومنح الحرية التامة لأرباب الديانات والأفكار الهدامة لما انتشرت في أوساط المسلمين.

ومن أجل خلق الإضطراب في صفوف أتباع أهل البيت عليه السلام أطلق الحكام العنان لتيارات الغلو والوقف، ولم يبادورا إلى تطويقها في بداية نشوئها، رغبة منهم في إطفاء نور أهل البيت عليه السلام وتفتيت كيان أتباعهم إلى كيانات متعددة.

٢. القول بخلق القرآن وقدمه

انصرف البعض عن الأحداث السياسيّة وانشغلوا بالتنظير بدل العمل، واستثمر الحكّام هذه الفرصة فاشغلوا المسلمين بالجدال والنقاش المقيم، وكانوا يعاقبون المخالفين لآرائهم المتبناة على الرغم من عدم وجود تأثير لتلك الآراء في الساحة السياسيّة، حتى شجّع هارون على القول بقدّم القرآن، وقام بقتل من يقول خلاف ذلك، وحينما سئل عن رجلٍ مقتول بين يديه أجاب: قتلته لأنّه قال: القرآن مخلوق^١.
وتغير الرأي في عهد ابنه عبد الله، فناقض والده في رأيه، وأشاع القول بخلق القرآن، وكان يمتحن العلماء في ذلك^٢.
ومن الذين سجنوا وعذبوا في عهده أحمد بن حنبل لقوله بقدم القرآن.

٣. التشجيع على ترويع الروايات الكاذبة

كان هارون يشجع على ترويع الروايات والأحاديث الكاذبة، المنسوبة إلى رسول الله ﷺ وخصوصاً روايات وأحاديث الخرافة، ويعاقب كلّ من يعارض الترويع لها، فقد اعترض أحد القرشيين عند هارون على الرواية المنسوبة إلى رسول الله ﷺ: القائلة بأنّ موسى لقي آدم، فقال: أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنّة؟ فغضب هارون وقال: النطع والسيّف. زنديق والله! يطعن في حديث رسول الله!، ولولا توسط أحد أعوانه لقتله.

وكان يكرم من يروّج للروايات الكاذبة التي تبعد المسلمين عن الأحداث، ففي ذات مرّة صبّ الماء على يد أبي معاوية الضير، فاستفسر أبو معاوية عن شخصيّة

١. البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢١٥.

٢. تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣٣٤.

٣. تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٨.

المكرم له، وحينما عرفه أجاب هارون: نعم إجلالاً للعلم^١.

٤ . إضفاء القدسيّة على نظام الحكم

كان هارون يشجع الآراء التي تلبس حكمه لباساً مقدساً، فقد أنشده أحد الشعراء أربعة أبيات لقبّه فيها بأمين الله، فأمر له بكلّ بيت ألف دينار، وقال: لو زدتنا لزدناك^٢، فانساق الشعراء وراء الأموال حتّى قال أحدهم مادحاً هارون:

حب الخليفة حب لا يدين له عاصي الإله وشارٍ يلقح الفتنة^٣.

وحينما عهد هارون لابنه محمّد بولاية الحكم مدحه سلم الخاسر فأعطته زبيدة - أم محمّد - جوهرأ باعه بعشرين ألف درهم^٤.

وفي مقابل ذلك قام هارون بمحاصرة الفقهاء التابعين لأهل البيت عليهم السلام للحيلولة دون كشف القناع المزيف الذي أضفى القدسيّة على الحكم الظالم.

٥ . ترجمة الكتب الأجنبية إلى العربيّة

قام العبّاسيّون وخصوصاً المأمون بترجمة كتب الفلسفة من اليونانيّة إلى العربيّة^٥ فأدّى ذلك إلى انتشار التفلسف والتشكيك والبلبلّة في عقائد المسلمين، وانشغل المسلمون بها وبالتنازع فيها.

وانتشرت في تلك الفترة مفاهيم خاطئة عن الزهد لإبعاد المسلمين عن الواقع وما يجري فيه من مواقف الحكّام وممارساتهم التي تستدعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١ . تأريخ بغداد، ج ١٤، ص ٨.

٢ . مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٦٥.

٣ . تأريخ الخلفاء، للسيوطي، ص ٢٣٣.

٤ . تأريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٢٣٣.

٥ . مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج ١، ص ٢٠٩.

٦. الإفتاء بالرأي وتبرير الانحراف

انتشر الإفتاء بالرأي، وتفسير القرآن بالرأي، وراج القياس المذموم القائم على الظنون والأهواء وأصبحت الفتاوى تابعة لأهواء الحكّام ورغباتهم، حتى قام أحد الفقهاء المعروفين بتحليل وطء هارون لجارية كان قد وطأها أبوه من قبل، وقال له: يا أمير المؤمنين أوكلما ادّعت أمة شيئاً ينبغي أن تصدّق؟، لاتصدقها فإنّها ليست بمأونة، وحلّل له وطء جارية قبل الإستبراء، وقال له: تهبها لبعض ولدك ثمّ تتزوجها^١.

متطلّبات عصر الإمام الرضا عليه السلام

الإمام الرضا عليه السلام والإصلاح الفكري والديني

١. الإمام الرضا عليه السلام والمرجعية العلمية: كان الإمام عليه السلام محطّ أنظار الفقهاء، ومهوى أفئدة طلاب العلم، فهو القمّة في العلم في جميع مجالاته وهو المنحدر من سلسلة طاهرة أخذت العلم من رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد تخرج من مدرسة أهل البيت عليه السلام كثير من الفقهاء وأئمّة المذاهب: ومنهم مالك بن أنس وأبو حنيفة وغيرهم.

وكان الإمام الرضا عليه السلام يقول: كنت أجلس في الروضة، والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعينى الواحد منهم عن مسألة أشاروا عليّ بأجمعهم، وبعثوا إليّ بالمسائل فأجبت عنها^٢.

وكان عليه السلام يدعو المقربين عنده إلى مداراة عقول الناس وعدم تحميلها مالا تطيق من أفكار وعقائد، حتى قال لمحمّد بن عبيد: قل للعبّاسي: يكفّ عن الكلام في

١. تأريخ الخلفاء، ص ٢٣٣.

٢. إعلام الوري بأعلام الهدى، ص ٣١٥.

التوحيد وغيره، ويكلّم الناس بما يعرفون، ويكفّ عتاً ينكرون.^١

٢. كشف وسائل التآمر الفكري: كشف الإمام عليه السلام وسائل التآمر الفكري التي تؤدي إلى بلبلة عقول المسلمين، وأعطى قاعدة كلىة في الأساليب والممارسات التي يستخدمها أعداء أهل البيت عليه السلام لتشويه المفاهيم الإسلامية، فقال عليه السلام: إن مخالفتنا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام:

أحدها: الغلو، وثانيها: التقصير في أمرنا، وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا.

فإذا سمع الناس الغلو فينا كفرّوا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم؛ ثلبونا بأسمائنا.^٢

فقد وضّح الإمام عليه السلام أن جميع الأفكار المنحرفة هي من وضع المخالفين لأهل البيت عليه السلام لتشويه سمعتهم وتحجيم دورهم في إصلاح الأوضاع على النهج الإسلامي الصحيح.

٣. تزييف المفاهيم والأفكار المنحرفة: قام الإمام عليه السلام بخطوات عملية للرد على جميع ألوان الانحراف الفكري والتشريعي، من أجل كسر الألفة والأنس بين أتباعها وبينها، وكان يستهدف الأفكار تارة، والأقوال أخرى، كما يستهدف الأشخاص الواضعين لها والمتأثرين بها.

فرد على أفكار المشيئة، والمجسمة، والمجبّرة والمفوضة، وفند أفكار الغلاة، والزنادقة، وعقائد اليهود والنصارى، ورد على أصحاب القياس وعلى الافتاء والتفسير بالرأي.

وناقش عليه السلام جميع الروايات التي كان يعتمد عليها المنحرفون، ووضع بطلان صدورها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأرشد المسلمين إلى الروايات الصحيحة، وكان يسند الروايات بإسناده عن آبائه وأجداده بالشكل الذي لا يقبل التشكيك في السند والدلالة.

١. التوحيد، ص ٩٥.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٣٠٤.

٤ . نشر المفاهيم الصحيحة عند أهل البيت عليه السلام : قام الإمام عليه السلام بنشر الأحاديث الشريفة عن آبائه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله لتهيمن على أفكار وتصورات المسلمين، وفسر القرآن تفسيراً ينسجم مع الأسس العقائدية والتشريعية؛ وكان يصنف الأفكار والآراء الرائجة، إلى الخاطئة والصائبة، كما كان يجب على الأسئلة الموجهة إليه.

ونشر المفاهيم السليمة يشكّل الركن الأساسي في الإصلاح الفكري بشكل عام والإصلاح الديني بشكل خاص.

٥ . التمهيد لمرجعية فقهاء مدرسة أهل البيت عليه السلام : بعد توسع القاعدة الشعبية لأهل البيت عليه السلام وصعوبة الالتقاء بالإمام المعصوم باستمرار، قام الإمام عليه السلام بإرجاع الأمة إلى عدد من الفقهاء لأخذ معالم الدين منهم، فقد أوصى عبد العزيز بن المهدي بالرجوع إلى يونس بن عبد الرحمن لأخذ معالم دينه منه.

وكان له أتباع من الفقهاء منتشرون في الأمصار، يدينون منهج أهل البيت عليه السلام ويجيبون على المسائل المختلفة طبقاً لذلك المنهج.

وكان الإمام عليه السلام يتابع حركة الرواة مباشرة أو عن طريق أتباعه والمقرّ بين إليه لكي يطمئن من سلامة سلوكهم ومسيرتهم^١.

٦ . مقاطعة المنحرفين: دعا الإمام عليه السلام إلى مقاطعة المنحرفين فكرياً مقاطعة كلية ليمنع تأثيرهم في الأمة، ونسب دعوة المقاطعة إلى أجداده تارة وإليه تارة أخرى، فعن المجترة قال عليه السلام : حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام ، أنه قال: من زعم أن الله تعالى يجبر عباده على المعاصي أو يكلّفهم مالا يطيقون، فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلّوا وراءه، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً^٢.

وأمر بمقاطعة الغلاة والمفوضة وحرّم مجالستهم ومخالطتهم ومواصلتهم، والزواج منهم أو تزويجهم، وحرّم التصديق بحديثهم أو إعانتهم بشرط كلمة.

١ . رجال الكشي، ص ٤٨٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٢٦١.

٢ . عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٢٤.

وأمر بالبراءة من جميع أصناف الغلاة، وأعلن المواجهة مع الواقعة، ولعنهم أمام الملأ، وحرّم مجالستهم وإعطاء الزكاة إليهم، وبهذا استطاع تحجيم الكثير من الأفكار الهدامة بمحاصرة القائلين بها ومنع تأثيرهم على الآخرين وخصوصاً على أتباعه وأنصاره، فلم تنتشر الأفكار الهدامة إلا عند أصحاب المطامع والأهواء.

الخاص

□ اشتهر القول بخلق القرآن في زمن هارون الرشيد وكان يقتصر من أعدائه ويتخلص باتهامهم بالقول بخلق القرآن، وراجت الأحاديث والمرويات الكاذبة وفسح المجال لأهل الكتاب للتحرك ولنشر تعاليمهم وبدأت ترجمة الكتب إلى العربية ممّا أدّى إلى شيوع الجدل حول كثير من المسائل الشرعية والعقائدية.

□ فكان الإمام عليه السلام يوجّه الجماعة الصالحة كي لا تخوض في قضية خلق القرآن وأن يكفوا عن الكلام في التوحيد وغيره، ويكلموا الناس بما يعرفون لا بما ينكرون، وكان لتعاليمه وتوجيهاته القيمة الدور البارز في حفظ كيان الجماعة الصالحة وتجنبها الاصطدام مع السلطة أو أن تقع تحت اضطهادها كما كان الإمام عليه السلام محط أنظار العلماء والفقهاء في المدينة فهو المفرع لهم عندما كان يشكل عليهم أمر أو مسألة فيلتجئون إليه لحلها ونتيجة للظروف الصعبة التي كان يمر بها الإمام عليه السلام والجماعة الصالحة، عمد الإمام عليه السلام إلى إرجاعهم إلى الرواة والعلماء المرتبطين به وحذّره من المنحرفين بشكل عام.

السئلة

- ١ . ما هي العوامل التي أدت إلى انتشار الأفكار والتيارات المنحرفة؟
- ٢ . لماذا شجّع هارون على ترويح الروايات الكاذبة والخرافية؟
- ٣ . ما هي العوامل المشجّعة على الإفتاء بالرأي؟
- ٤ . لماذا أصبح الإمام الرضا عليه السلام محط أنظار الفقهاء؟
- ٥ . من هو الإمام الذي تتلمذ على يديه مالك بن أنس وأبو حنيفة؟
- ٦ . ما هي أهم العوامل المساهمة في انتشار الغلو؟
- ٧ . ما هو موقف الإمام عليه السلام من الغلاة؟

مواقف الإمام الرضا عليه السلام في العقد الأول من عصره

الأوضاع السياسيّة في عهد هارون

عاصر الإمام عليه السلام حكومة هارون عشر سنين (١٨٣ هـ إلى ١٩٣ هـ)، وكانت سياسة هارون لا تختلف عن سياسة من سبقه من الحكّام، ولا عن سياسته السابقة في عهد الإمام الكاظم عليه السلام، فهي سياسة واحدة اتّجاه الأئمة عليهم السلام واتّجاه الأئمة، لأنّ هارون ومن سبقه لم يصلوا إلى منصب الخلافة ورئاسة الدولة الإسلاميّة عن طريق شرعيّ فكانوا يشعرون بأنّ الأئمة لا تؤمن بمشروعيّة خلافتهم ورئاستهم، وعلى هذا فمن الطبيعي أن يتسم عهد هارون بما يلي:

١. الإرهاب

أشرنا إلى أنّ هارون لم يصل إلى رئاسة الدولة عن طريق نصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه، ولم يختره أهل الحلّ والعقد طبقاً للنظريات السائدة آنذاك، وإنّما وصل عن طريق العهد والاستخلاف من قبل من هو مثله، دون أن يمتلك المؤهلات اللازمة التي تؤهله لهذا المنصب وهي العلم والتقوى والكفاءة كما هو المتسالم عليه عند أغلبية فقهاء المسلمين، فهو غير مؤهل لهذا المقام في نظر قطاعات عديدة من أبناء الأئمة

الإسلامية، وهذا الشعور دفعه للتشبث بالحكم بأي أسلوب أمكن، ولهذا استخدم الإرهاب والاغراء لإثبات حكمه، فلم يسمح لأي معارضة وإن كانت سلمية، ولم يستمع لأي نصيح، أو أمرٍ بمعروف، أو نهْيٍ عن منكر، فكان الإرهاب أحد السمات المميزة لسياسته.

ففي إحدى خطبه قام إليه رجل فقال: «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ»^١، فأمر بضربه مئة سوط^٢.

وفي سنة ١٨٨ هـ ضرب هارون أحد المقرّبين إلى أحمد بن عيسى العلوي ولم يتوقف عن ضربه إلى أن مات على الرغم من تجاوزه التسعين من عمره، ولم يكن له أيّ ذنب سوى أنّه لم يخبره بمكان العلوي^٣.

وطارد هارون يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، ثمّ آمنه، ولم يف له بالأمان فقد سجنه بعد وصوله إليه وبقي مسجوناً إلى أن مات، وقيل: إنّ الموكل به منعه من الطعام أليماً فمات جوعاً^٤.

وبأمرٍ منه قُتل حميد بن قحطبة الطائي ستين علويّاً، ورامهم في بئر فكان البئر مقبرة جماعية لهم^٥.

وعلى الرغم من ممارسته للإرهاب وقتله للعلويين إلّا أنّه لم يقدم على سجن الإمام الرضا عليه السلام أو قتله، وإنّما كان يكتفي بالتهديد أو التخطيط دون تنفيذ، وبقي الإمام عليه السلام محاطاً برقابة شديدة من قبل عيون وجواسيس هارون، إذ كانوا ينقلون له كلّ مايقوله، وكلّ مايفعله، ويحصون عليه لقاءاته وزياراته، وكان الإمام عليه السلام شديد

١. الصفّ / ٣.

٢. المقد الفريد، ج ١، ص ٥١.

٣. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٢٣.

٤. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٠٨.

٥. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٠٩.

الحذر والحيلة من أجل أن لا يعطي لهارون مبرراً لقتله أو سجنه.

٢. الاستبداد

أصبح الحكم في عهد هارون ومن سبقه ملكاً، يرثه الأبناء عن الآباء دون أن يكون للأمة أي اختيار، ولم يشذ هارون عن هذه القاعدة السياسية، فقد استبدَّ بالحكم وجعله لأبنائه الثلاثة من بعده، فاختار محمداً بن زبيدة وقدمه على إخوانه في ولاية العهد، إرضاء لها، على الرغم من إيمانه بعدم أهليته لهذا المنصب، حيث اعترف بذلك قائلاً: وقد قدمت محمداً... وإني لأعلم أنه منقاد إلى هواه، مبذر لما حوته يداه، يشارك في رأيه الإماء والنساء، ولولا أم جعفر - يعني زبيدة - وميل بني هاشم إليه لقدمت عبدالله عليه^١.

فاختار ابن زبيدة لهواها فيه، ولم يكثر ممّا سيحلّ بالمسلمين من كوارث جرّاء التنافس بين ولديه الذي ذهب ضحيته - فيما بعد - آلاف المسلمين في قتال دموي أنفقت فيه الأموال الطائلة، وأزهقت فيه آلاف الأنفس، إضافة إلى آثاره السلبية في خلق أجواء الفساد الأخلاقي والاجتماعي والتخريب الاقتصادي.

ومن مظاهر الاستبداد هي: إسناد المناصب الحكومية والإدارية والعسكرية إلى أقربائه وخواصه والمتملقين إليه دون النظر إلى مؤهلاتهم الدينية والخلقية وكفاءاتهم في الإدارة والإشراف.

٣. الأخطار الخارجية

كانت الدولة والأمة الإسلامية محاطة بمخاطر قوى خارجية تترصد الدوائر بالإسلام والمسلمين، ففي بداية عهد الإمام الرضا عليه السلام أوقع الخزر بالمسلمين وقعة شديدة الوطأة، قُتل فيها آلاف المسلمين، وأسر فيها أكثر من مئة ألف من الرجال

والنساء، وكما قال المؤرخون: جرى على الإسلام أمر عظيم لم يُسمع قبله بمثله أبداً.^١ وكان الروم يتحينون الفرص للوثوب على المسلمين، وكانوا ينتقضون الصلح بين فترة وأخرى، ولا يرجعون إليه إلا بمعارك طاحنة.

وكانت الفتوحات غير قائمة على أسس موضوعية، كنشر الإسلام، وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، وإنما كان الدافع هو هوى الحاكم، ورغبته في السيطرة على أكثر مساحة ممكنة وأكثر عدد من الناس، إضافة إلى إشغال المسلمين، وإبعادهم عن السياسة أو المعارضة، فالحريص على الإسلام لا ينشغل بالجواري والامسيات الفكاهية، ولا ينشغل بالترف والملذات، في وقت يقدّم فيه المسلمون آلاف الشهداء والجرحى والمعوقين في كل معركة يخوضونها مع الأعداء.

٤. خلل الجبهة الداخلية

أدت السياسة الخاطئة لهارون إلى ظهور خلل واضطراب في الجبهة الداخلية، ففي سنة ١٨٤ هـ خرج أبو عمرو حمزة الشاري واستمر إلى سنة ١٨٥ هـ وخرج أبو الخصيب في نفس السنة وسيطر على عدة أمصار، ولم تنته هاتان الحركتان إلا بمقتل عشرات الألوف من الطرفين.

وتوسع الخلل في الجبهة الداخلية سنة ١٨٧ هـ حينما أقدم هارون على مقتل البرامكة الذين يمثلون أعمدة الحكم وأركانه.

وفي السنة نفسها قُتل إبراهيم بن عثمان بن نهيك لطلبه بئار البرامكة. وسجن هارون عبد الملك بن صالح بن علي العبّاسي، لسعي ابنه به وادعائه بأنه يطلب الخلافة.

وفي سنة ١٨٩ هـ توجه هارون إلى الري بعدما وصلته الأخبار بتمرد والي خراسان عليه، وعاد بعد أربعة أشهر إلى بغداد دون أن يعزله.

وكان كثير العزل والإقصاء لقادة الأجهزة الحساسة في الحكومة، فمُنصب قائد الشرطة قد تناوب عليه ثمانية أشخاص يُعزل أحدهم ويستبدله بآخر. وهذه السياسة الخاطئة أدت إلى ضعف العلاقة بين هارون والأمة، والتي وصلت إلى حد الكراهية والبغضاء، وقد أفصح فضيل بن عياض عن ذلك - مشيراً إلى هارون - بقوله: الناس يكرهون هذا^١.

وكان الوضع خالياً من الثورات العلوية المسلحة في عهد الإمام عليه السلام في الفترة التي عاصره هارون بها.

الأوضاع السياسية في عهد محمد بن هارون

عاصر الإمام عليه السلام حكومة محمد بن هارون من سنة ١٩٣ إلى ١٩٨ هـ وفي هذه الحقبة الزمنية لم تظهر منه أية مبادرة إرهابية بالنسبة إلى الإمام عليه السلام وأهل بيته فضلاً عن الإقدام على قتلهم أو التخطيط له، ولم يظهر منه أي تصريح بذلك. ولعل الظروف لم تكن مؤاتية له، ففي بداية حكومته بدأ الخلاف بينه وبين أخيه عبدالله، وانقسمت الحكومة إلى قسمين، ولكل منهما أنصار وأتباع وأموال وسلاح.

وفي سنة ١٩٤ هـ تمرد أهل حمص، فقام قائد جيش محمد بن هارون بقتل الوجوه البارزة وسجن الأهالي، وإضرام النار في نواحي تلك البلاد ولم ينته التمرد إلا بمزيد من القتل والخراب الاقتصادي.

وفي السنة نفسها أمر بالدعاء على المنابر لابنه موسى بولاية العهد من بعده، وأمر أخاه عبدالله المأمون بالدعاء له ولكنّه رفض ذلك.

وفي سنة ١٩٥ هـ أرسل جيشاً إلى خراسان لقتال أخيه فرجع الجيش مهزوماً، واستمر بإرسال الجيوش قرابة عامين، فلم تسيطر على خراسان، بل لاحقتها جيوش المأمون إلى أن حاصرت بغداد حصاراً شديداً دام سنة كاملة.

وفي سنة ١٩٨ هـ سيطرت جيوش المأمون على بغداد بعد قتالٍ دام ذهب ضحيته عشرات الآلاف من الطرفين، قُتل فيه محمد الأمين ومن بقي من أصحابه. وهذه الظروف أدت إلى تفرغ الإمام الرضا عليه السلام ومجموعة العلويين للقيام بواجبهم في مجال إرساء قواعد وأركان المنهج السياسي الإسلامي.

أسلوب قيادة الإمام عليه السلام للحركة الرسالية

إن الإمام عليه السلام مسؤول عن بناء الانسان والمجتمع بناءً عقائدياً، وخلقياً، واجتماعياً، وسياسياً، وهديته إلى المنهج السليم، ويتم ذلك ببناء قاعدة شعبية تقتدي بأهل البيت عليهم السلام، ولذلك لم يكن عمل الإمام عليه السلام محدوداً بالتحرك السياسي والعسكري للوصول إلى قمة السلطة والحكم، وإنما كان العمل السياسي جزءاً من كل، والسلطة وسيلة من وسائل تحقيق الأهداف وليست هدفاً نهائياً، ومن هذا المنطلق فإن الإمام عليه السلام كان يشرف على جميع محاور العمل الرسالي التي تتوزع على خطين أو جناحين - إن صحَّ التعبير -

أولاً: الخط المدني: ومهمته طلب العلم ونشره، وأداء مسؤوليته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب هاديء سلمي لا يثير حفيظة السلطة القائمة.

ثانياً: الخط العسكري: ومهمته إعداد القوة لإعلان المعارضة المسلحة في وقتها وظرفها المناسب لإيقاف الانحراف أو الوصول إلى قمة السلطة السياسية.

وكان الإمام عليه السلام يقود هذين الخطين في آن واحد دون أن تعلم السلطة بخفايا التحرك العسكري حيث كان محاطاً بسرية وكتمان، ولم يعلن العاملون في الخط العسكري هوية الإمام عليه السلام واسمه بل يكتفون بالدعوة إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ماداموا في مرحلة المواجهة ولم يتم الانتصار بعد.

وكان عليه السلام في فترة الانفراج النسبي مشغولاً بتعبئة الطاقات وتوسيع القاعدة الشعبية وتوزيعها على الخطين كل حسب طاقاته وإمكاناته.

نشر القواعد الأساسية للفكر السياسي

١. قدّم الإمام عليه السلام للامة المفاهيم السياسية السليمة بأسلوب حذر؛ لكي لا يعطي للحكام مبرراً لمحاصلته أو منعه من التحرك، أو سجنه أو قتله، فقد أكد عليه ضرورة الإمامة في كل زمن، ونقل عن آبائه وأجداده الروايات المتعلقة بهذا المفهوم السياسي، فنقل عبر السلسلة الذهبية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: يدعى كل أناس بإمام زمانهم، وكتاب ربهم، وسنة نبيهم^١.

وحّد عليه السلام علامات وخصائص الإمام لكي تتمكن الأمة من تشخيص الإمام ومعرفته، في ظرف كثر فيه التحريف، والتدليس، وقلب الحقائق، فقال عليه السلام: للإمام علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلّم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس...^٢

ويؤكد الإمام عليه السلام على وحدة الإمامة، فلا بد من تنصيب إمام واحد غير متعدد^٣، ويذكر علة ذلك وهي توحيد الأعمال والمواقف للحيلولة دون حدوث اضطراب في الدولة والأمة، وبهذا ميّز عليه السلام بين الإمام الحق الذي يقوم بدور القدوة والحجة، وبين إمام الضلالة الذي كان متسلطاً على الأمة بقوة الإرهاب.

٢. إظهار فضائل أهل البيت عليهم السلام ودورهم في الحياة:

أكد الإمام عليه السلام على نشر الأحاديث الشريفة المتعلقة بفضائل أهل البيت عليهم السلام ودورهم في الحياة الإسلامية، فقد روى عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنا زجّ في النار^٤.

١. مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٨٠.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢١٣.

٣. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٠١.

٤. م. ن، ج ٢، ص ٢٧.

وروى أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي^١.
وروى عنه ﷺ أَنَّهُ قال: يا عليّ إِنَّكَ قسيم الجنة والنار...^٢.
ووجه الأنظار إلى فضائل أنصار أهل البيت ﷺ الواردة عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ليتم
تشخيص أهل الحق وأهل الباطل على طول التاريخ.
وأكد مفاهيم التولي والتبري المنسجمة مع المنهج السياسي السليم الذي تتشخص
فيه الوجودات والكيانات القائمة.

وحتَّ الأُمَّة على تكريم ذرِّيَّة رسولِ اللَّهِ ﷺ حيث روى عنه ﷺ أَنَّهُ قال: أربعة
أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي من بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي
لهم في أمورهم عند اضطرارهم إليه، والمحِبُّ لهم بقلبه ولسانه^٣.

٣. اظهار المعنى الحقيقي للتشيع: في خضم الأحداث الصاخبة، وما طرأ من تشويه
وتدليس في المعتقدات والحقائق؛ بيَّن الإمام ﷺ للأُمَّة المفاهيم الحقيقيَّة، ومن أهمِّها
مفهوم التشيع فقال: شيعتنا الَّذِينَ يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويحجُّون البيت
الحرام، ويصومون شهر رمضان، ويوالون أهل البيت ويتبرأون من أعدائهم، أولئك أهل
الإيمان والتقوى وأهل الورع والتقوى^٤.

وشخصَّ ﷺ النماذج المجسَّدة له في الواقع من خلال مواقفها وممارساتها فقال:
إنما شيعته الحسن والحسين وأبوذر وسلمان والمقداد ومحمَّد بن أبي بكر، الَّذِينَ لم
يخالفوا شيئاً من أوامره، ولم يركبوا شيئاً من فنون زواجه^٥.
واستطاع ﷺ من خلال هذه الأحاديث أن يُخرج الغلاة وغيرهم من التشيع الَّذي

١. م. ن. ج ٢، ص ٢٧.

٢. م. ن. ج ٢، ص ٢٧.

٣. م. ن. ج ١، ص ٢٥٣.

٤. بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ١٦٨.

٥. بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ١٥٨.

هو عمل وممارسة وليس مجرد ادعاء.

٤ . إقامة الشعائر الحسينية: حث الإمام عليه السلام على إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إحياءً ينسجم مع عمق الأهداف التي ضحى من أجلها الحسين عليه السلام، ليعتَمَق الولاء العاطفي والسياسي للنهج الثوري الذي انتهجه عليه السلام، فإحياء الذكرى عامل من عوامل إثارة الحس الثوري المعارض للانحراف بجميع ألوانه. قال عليه السلام: إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلَّ عزيزنا... فعلى مثل الحسين فليكن البكاء، فإن البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام^١.

وحثّ على تمنّي الكون مع أصحاب الحسين عليه السلام وهو حثّ على تصعيد روح التمرد على الواقع الفاسد، فقال: إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: ياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً^٢.

وحثّ على زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام؛ للتزوّد من مواقفه الشجاعة؛ ولتجديد العهد معه على رفض الانحراف والطغيان.

وحثّ عليه السلام على إقامة مراسيم العزاء، وكان يقيمها بنفسه، دون أن تمنعه السلطة، وقد أثمرت هذه التوجيهات فيما بعد، فقد انطلقت الثورات من قبر الحسين عليه السلام.

واستطاع الإمام عليه السلام بأسلوبه الهادي وممارساته السلمية أن يوسّع القاعدة الشعبية دون أن تلاحقه السلطة أو تمنع نشاطه، واستطاع أن يضم إلى صفوف قاعدته عناصر جديدة مقربة من الحكّام، ك بعض الوزراء، وقادة الجيش، وكانت تصله الأخبار من قبل هؤلاء المقربين للحكّام ليكون تحرّكه ناجحاً في ظروفه المناسبة.

وكان أنصاره وأهل بيته مشغولين ببناء كياناتهم المسلّحة بعد إخفاق الحركات المسلّحة السابقة؛ لذا لم تقم أيّة حركة مسلحة في عهد هارون وابنه الأمين.

١ . مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٩٣.

٢ . بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٩٩.

الخاصة

□ عاصر الإمام الرضا عليه السلام عشر سنوات من حكم هارون الرشيد (١٨٣-١٩٣هـ) وكانت سياسة هارون تتصف بالتعسف والاضطهاد للمناوئين له باستخدام كافة السبل للقضاء عليهم كما هو حال البرامكة.

□ والمعلوم أنّ هارون كبقية حكام الدولة العباسية لم تنتخبهم الأمة أو أهل الحل والعقد منها فضلاً من عدم وجود نص عليهم، ممّا ساعد الشائرين في الخروج على السلطة غير الشرعية فكان الحكم وراثياً استبدادياً. ونتيجة لعوامل داخلية وأخرى خارجية أسهمت في إنهاء الخليفة وإشغاله بها، تمكن الإمام عليه السلام من التحرك في بناء الجماعة الصالحة، عقائدياً وفكرياً وروحياً فضلاً عن تركيز بعض المفاهيم المهمة كالشعائر الحسينية ومفهوم الإمامة وغيرها من قواعد الإسلام الأساسية كما عمل على نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام وأوصى الجماعة الصالحة بنشرها.

□ كما نجد أنّ الإمام عليه السلام كان يؤكد المعنى الحقيقي لشيعته أمير المؤمنين عليه السلام ويضرب المثل بسلمان وأبي ذر والمقداد وعطار، موضحاً ما كان يتصف به هؤلاء من الأخلاق الحميدة والسلوك السويّ الموافق لمبادئ أهل البيت عليهم السلام وذلك لتتحلى الجماعة انصاحاً بأخلاقهم وتقتدي بآثارهم.

الأسئلة

- ١ . ما هي علامات الإمام التي ذكرها الإمام الرضا عليه السلام؟
- ٢ . لماذا قابل هارون النصائح الموجهة إليه بالارهاب والعنف؟
- ٣ . ما هو الدافع لهارون في تقديم ابنه محمد علي ولديه الآخرين؟
- ٤ . ما هي الأهداف الخفية وراء الفتوحات والغزوات في عهد هارون؟
- ٥ . لماذا لم تعلم السلطة بتبعية الخط العسكري للإمام الرضا عليه السلام؟
- ٦ . لماذا يؤكد الإمام عليه السلام على وحدة الإمامة؟
- ٧ . لماذا وجه الإمام عليه السلام الأنظار إلى فضائل أنصار أهل البيت عليه السلام؟
- ٨ . ما هو المعنى الحقيقي للتشيع، وما هو الأثر العملي المترتب على معرفة هذا المعنى؟
- ٩ . ما هي الآثار العملية لتركيز الإمام عليه السلام على إقامة الشعائر الحسينية؟
- ١٠ . كيف كانت تصل الأخبار عن مخططات السلطة إلى الإمام الرضا عليه السلام؟

الإمام الرضا عليه السلام والإصلاح الاقتصادي

مظاهر التدهور الاقتصادي

١. تلاعب الحكّام بأموال المسلمين

خالف الحكّام العبّاسيّون أسس وقواعد النظام الاقتصادي الإسلامي، التي تنص على أن الأموال هي وديعة عند الحاكم وليست ملكاً خاصاً له، ومن واجباته الإنفاق على ضوء القيود الشرعيّة، فكان الحكّام يتصرفون بالأموال حسب أهوائهم وإشباعاً لرغباتهم وشهواتهم، وكانوا ينفقونها لشراء الذمم من أجل تثبيت سلطانهم، وكان البذخ والترف هو السمة المرافقة لهم ولأنصارهم والمتلقين لهم، وتمتع المغنّون والجواري بقسط وافر من بيت المال لدورهم الكبير في إدخال السرور على قلب الخليفة والحاكم المتسلط على رقاب المسلمين.

ومن الأمثلة على ذلك: جيء إلى هارون بخراج عظيم وأموال طائلة من الموصل، فأمر بصرفها إلى بعض جواريه، فاستعظم الناس ذلك وتحدّثوا به، فقال أبو العتاهية: أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة، ولا تتعلق كفي بشيء منه؟! ثم دخل على هارون فأنشده ثلاثة أبيات، فأعطاه عشرين ألف درهم، وزاده الفضل بن الربيع خمسة آلاف^١.

وأسمعه إبراهيم بن المهدي أغنيةً فأمر له بألف ألف درهم^١.
 واشترى جارية بسبعين ألف درهم، واشترى لها جوهراً باثني عشر ألف دينار، ثم
 حلف ألاّ تسأله يومه ذلك شيئاً إلاّ أعطاها^٢.
 وسار أولاده على نهجه في البذخ والترف والتلاعب بأموال المسلمين، فقد بنى
 محمّد الأمين قبةً اتخذ لها فراشاً مبطناً بأنواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب
 الأحمر وبالأبريسم^٣.
 وصيدت له سمكة صغيرة فقرّطها حلقتين من ذهب فيهما حبّتا درّ، وقيل ياقوت^٤.
 وكان ينفق الأموال على لهوه وعلى جلسائه وعلى الخصيان المحيطين به^٥.
 وأنفق عبدالله المأمون أموالاً طائلة في زواجه، وأمر بإعطاء خراج فارس والأهواز
 إلى والد زوجته، يجبي إليه لمدة سنة^٦.

٢. فقدان الحماية لممتلكات المواطنين

على الدولة أن تحافظ على ممتلكات وأموال المواطنين، وتحميها من الإعتداء
 بالغصب والسرقة والغش والإحتيال، ولو باستخدام القوة لمنع المعتدين وتخويفهم من
 الإقدام على مثل هذه الممارسات.
 إلاّ أنّ الحكّام العبّاسيّين لم يعيروا أيّده أهمية لهذه المسألة الضروريّة في حياة
 المواطنين، وخصوصاً إذا كان المعتدون من أنصارهم وأتباعهم وممن يتقوى بهم

١. الأغاني، ج ١٠، ص ٩٩.

٢. الأغاني، ج ١٦، ص ٣٤٢ و ٣٤٣.

٣. مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٩٢.

٤. مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٩٤.

٥. الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٩٤.

٦. مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٤٣.

حكمهم، فكان بطانة والي بغداد - على سبيل المثال - ينهبون أموال الناس وممتلكاتهم، فلا يمنعهم الوالي ولا المأمون من ذلك^١.

وكانت أموال وممتلكات المواطنين تسرق وتغتصب علناً عن طريق عصابات منظمة تجوب القرى والأرياف لتغتصب ماتشاهده من أموال وممتلكات.

٣. ممتلكات الحاكم وولاته

من القواعد الثابتة في النظام الاقتصادي الإسلامي أن للحاكم حقّه في بيت المال في حدود معيّنة حددها له الشريعة، وأنّ الأموال التي في حوزته ليست ملكاً شخصياً له، بل هي وديعة أودعها الله تعالى لديه، لينفقها على أساس أمانته عليها طبقاً للضوابط والقواعد والقيود الثابتة، إلا أن الحكّام العبّاسيّين لم يلتزموا بتلك الضوابط، وكانوا يتصرفون بالأموال العامّة وكأنّها ملكهم الشخصي.

فقد وصلت ملكيّة هارون مائة ألف ألف دينار، ومن الأثاث والجواهر والورق والدواب ما قيمته أكثر من مائة ألف ألف دينار^٢

وبلغت أموال والي هارون على خراسان ثمانين ألف ألف^٣.

وكذا الحال في أموال أبنائه وبقية الولاة المقربين لهم.

٤. تدهور المستوى المعيشي للمواطنين

نتيجة للتلاعب بأموال المسلمين من قبل الحكّام، وفقدان العدالة الاجتماعية في الإنفاق والتوزيع، وفقدان التواصي بالتكافل والتراحم من قبل الحكّام وولاتهم وأجهزة الدولة، وإتقال كاهل المواطنين بالضرائب الإضافيّة، عاشت قطاعات واسعة من

١. تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٥٥١.

٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٢٣٧.

٣. تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٣٢٤.

المسلمين حياة الفقر والحرمان، وخصوصاً من ليس لهم علاقة بالحاكم ولا بأجهزة دولته، والحوار الذي دار بين رجلين من قريش وبين هارون يوضح لنا مظهراً من مظاهر الفقر والحرمان فقد خاطباه بالقول: نهكتنا النوائب، وأجحفت بأموالنا المصائب^١.

٥. الظلم الاقتصادي وكبائر الذنوب

لم يكن الإمام الرضا عليه السلام على رأس السلطة حتى يستطيع إصلاح الأوضاع الاقتصادية؛ بتطبيق قواعد العدالة في النظام الاقتصادي الإسلامي، أو متابعة سير العمليات الاقتصادية، أو إنفاق الأموال في وجوهها المشروعة، بل اكتفى الإمام عليه السلام - كخطوة أولى - بنشر المفاهيم الإسلامية المرتبطة بالنظام الاقتصادي الإسلامي، ففي تحديده لجوامع الشريعة في رسالة مطولة له، اعتبر الانحراف عن نهج الإسلام الاقتصادي من الكبائر المعاقب عليها، وما جاء في هذه الرسالة قوله: واجتناب الكبائر وهي...أكل مال اليتامى ظلماً...وأكل الربا، والسحت بعد البيئنة، والميسر، والنجش في الميزان والمكيال...وحبس الحقوق من غير عسر...والإسراف والتبذير^٢. ففي هذه الرسالة رسم الإمام عليه السلام ظواهر الحالة الاقتصادية المتردية، وكشف مساويء الإسراف والتبذير، وحذّر الناس من ممارسة الأعمال الواقعة في طريق الظلم الاقتصادي، وفيها حث على الإنفاق، والعدالة في التعامل الاقتصادي.

دور الإمام عليه السلام في الإصلاح الاقتصادي

١. الدعوة إلى إعطاء الخمس للإمام الحق

يعتبر الخمس من استحقاق الإمام الحق لأعنته على أداء مسؤوليته في الأمة،

١. الأغاني، ج ١٦، ص ٢٦١.

٢. تحف العقول، ص ٣١٦.

ولكنه أصبح في عهد العباسيين ومن سبقهم بيد من تصدّى للحكم وليس أهلاً له، فكان الإمام عليه السلام يدعو إلى وضعه في موره الذي حدده الشريعة، وليس للحاكم المغتصب للحكومة أي حق فيه، ففي كتابه عليه السلام إلى أحد تجار فارس رداً على سؤال له، قال: ... لا يحلّ مال إلّا من وجّه أحله الله، إنّ الخمس عوننا على ديننا، وعلى عيالاتنا، وعلى والينا، ومانذله ونشتري من أراضنا ممّن نخاف سطوته، فلا تزووه عنا... فإنّ إخراجهم مفتاح رزقكم، وتمحيص ذنوبكم...^١.

٢. الدعوة إلى دفع الزكاة

من أجل إقرار التوازن في الحياة الاقتصادية، ورفع المستوى المعاشي للفقراء كان الإمام عليه السلام يدعو إلى دفع الزكاة: إنّ الله أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة أخرى: أمر بالصلاة والزكاة، فَمَنْ صَلَّى ولم يَزكْ لم تُقبل منه صلاته^٢. وكان يحذّر من النتائج السلبية المترتبة على حبس الزكاة طبقاً للسنن الإلهية القائمة في الحياة: إذا كذبت الولاية حبس المطر، وإذا جار السلطان هانت الدولة، وإذا حبست الزكاة ماتت المواشي^٣. وكان يدعو إلى إيصال الزكاة إلى مستحقيها، وحرمة الإعطاء إلى غير المستحقين^٤.

٣. الدعوة إلى التكافل الإقتصادي

يتحقق التكافل الإقتصادي بعدة طرق:
الأول: قيام الحاكم بدوره في إشباع حاجات الفقراء والمعوزين.

١ . وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٥٣٨ عن الكافي.

٢ . عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٥٨.

٣ . وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٣١ عن أمالي الطوسي، ج ١، ص ٧٧.

٤ . وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٢٢١ عن الكافي.

الثاني: دفع الحقوق الشرعية إلى مستحقيها.

الثالث: الإنفاق التطوعي بممارسة أعمال الخير والبر والإحسان.

وَكَانَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَشْجَعُ عَلَى الْإِنْفَاقِ التَّطَوُّعِيِّ لِيَتَحَقَّقَ التَّكَافُلُ الْاِقْتِصَادِي دُونَ إِكْرَاهٍ أَوْ إِجْبَارٍ، وَمِنْ أَقْوَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: السَّخِيُّ يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ النَّاسِ لِيَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِهِ^١.
وَكَانَ يَشْجَعُ أَتْبَاعَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ لِأَحَدِ الْمُقْرَبِينَ لَهُ: إِضْمِنْ لِي الْكَاهِلِيَّ وَعِيَالَهُ، وَأُضْمِنْ لَكَ الْجَنَّةَ^٢.

وَكَانَ يَحَارِبُ الْإِسْرَافَ وَالتَّبْذِيرَ لِأَنَّهُ يُوَدِّي إِلَى خَلْقِ الْارْتِبَاكِ وَعَدَمِ التَّوَازُنِ فِي الْمَسْتَوَى الْمَعَاشِيِّ، فَعَنْ يَاسِرِ الْخَادِمِ قَالَ: أَكَلَ الْغُلَامَانِ يَوْمًا فَاكِهَةً، فَلَمْ يَسْتَقْصُوا أَكْلَهَا وَرَمَوْا بِهَا، فَقَالَ لَهُمْ: أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سُبْحَانَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ اسْتَغْنَيْتُمْ، فَإِنَّ أَنْسَاءَ لَمْ يَسْتَغْنُوا، أَطْعَمُوهُ مِنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ^٣.

٤ . محاربة المفاهيم الخاطئة في الزهد

شَجَّعَ الْحُكَّامُ عَلَى إِشَاعَةِ مَفَاهِيمِ خَاطِئَةٍ عَنِ التَّصَوُّفِ وَالزَّهْدِ، وَالانْقِطَاعِ عَنِ مِلْذَاتِ الدُّنْيَا، فِي وَقْتٍ كَانُوا يَنْفَقُونَ الْأَمْوَالَ بِلا قِيودٍ وَلَا حُدُودٍ، وَيَنْغَمِسُونَ هُمْ فِي مِلْذَاتِ الدُّنْيَا فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، وَكَانَ الْهَدَفُ مِنْ ذَلِكَ إِبْعَادُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْمَطَالِبَةِ بِحَقُوقِهِمْ، أَوْ الدَّعْوَةُ إِلَى تَطْبِيقِ مَبْدَأِ التَّوَازُنِ الْاِقْتِصَادِيِّ، وَبَدَأَتْ مَفَاهِيمُ التَّصَوُّفِ وَالزَّهْدِ الْخَاطِئَةِ تَسْتَشْرِى فِي الْأَوْسَاطِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَلِهَذَا قَامَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمُحَارَبَةِ هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَةِ وَتَبْيَانِ حَقِيقَةِ الزَّهْدِ الْمُنْسَجِمِ مَعَ التَّصَوُّرَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ السَّلِيمَةِ، فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجْلِسُ فِي الصَّيْفِ عَلَى حَصِيرٍ، وَفِي الشِّتَاءِ عَلَى بَسَاطٍ مِنْ شَعْرِ،

١ . فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣٢٣.

٢ . رجال الكشي، ص ٤٣٥.

٣ . الكافي، ج ٦، ص ٢٩٧.

ويلبس الغليظ من الثياب، حتّى إذا برز للناس تزئّن لهم^١.

واعترض قوم من الصوفيّة على لباسه لأنهم كانوا يرون أنّ الإمام يجب عليه أن يلبس الخشن من الثياب، ويأكل الجشب من الطعام، فأجابهم عليه: كان يوسف نبياً يلبس أقبية الديباج المزودة بالذهب، ويجلس على متكئات آل فرعون، ويحكم، إنما يراد من الإمام قسطه وعدله، إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز^٢.

وهذه الدعوة إلى رفض المفاهيم الخاطئة للتصوّف والزهد، هي معارضة صامتة للحكّام الذين سمحوا بانتشارها وإشاعتها في المجتمع الإسلامي.

٥. ممارسة دور القدوة في الإنفاق

لم يكنف الإمام عليه السلام بالإرشاد والتوجيه والحث على الإنفاق، بل حوّله إلى ممارسة عمليّة في الواقع؛ ليكون قدوة لغيره، ويكون عمله ميزاناً تزن به الأمة ممارسات الحكّام الاقتصاديّة وتلاعبهم بأموال المسلمين، لتمييز بين منهجين اقتصاديّين: منهج أهل البيت عليهم السلام ومنهج الحكّام، ومقارنة كلا المنهجين مع الأسس الثابتة التي حددها الشريعة الإسلاميّة.

فقد ورّع جميع ما يملكه في أحد الأيام - وهو يوم عرفة -، فقال له الفضل بن سهل: إنّ هذا المغرم، فقال عليه السلام: بل هو المغنم، لاتعدنّ مغرمًا ما ابتغيت به أجراً وكرماً^٣.

ووصفه إبراهيم بن العباس قائلاً: ... كثير المعروف والصدقة في السر، وأكثر ذلك في الليالي المظلمة^٤.

واستطاع بكثرة إنفاقه أن يشبع حاجات من يستطيع الوصول إليه لرفع مستواه المعاشي.

١. عيون أنبياء الرضا، ج ٢، ص ١٧٨.

٢. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣١٠؛ الفصول المهمّة، ص ٢٥٤.

٣. مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٩٠.

٤. مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٨٩.

٦. قضاء حوائج المحتاجين

من واجبات الإمام أو الحاكم الاسلامي قضاء حوائج المحتاجين، وإذا كان الحكام العباسيون يقضون حاجات المتملكين والمقربين لهم، فإن الإمام عليه السلام كان يقضي حوائج المحتاجين دون أن يقدموا له أدنى خدمة، فعن يعقوب بن إسحاق النوبختي قال: مرَّ رجل بأبي الحسن الرضا عليه السلام، فقال له: أعطني على قدر مروءتك، قال عليه السلام: لا يسعني ذلك، فقال: على قدر مروءتي، قال: إذن فنعم، ثم قال: يا غلام أعطه مائتي دينار^١. وجاءه رجل قد نفذت نفقته وطلب منه أن يعينه للرجوع إلى بلده وقال: فإذا بلغت بلدي تصدقت بالذي توليني عنك، فليست موضع صدقة، فاستجاب له الإمام وقال: خذ هذه المائتي دينار، فاستعن بها في أمورك ونفقتك وتبرك بها ولا تتصدق بها عني، أخرج ولا أراك ولا تراني.

فلما خرج سُئِلَ عن ذلك فقال: مخافة أن أرى ذل السؤال في وجهه لقضاء حاجته^٢.

وكان يتفقد أحوال الفقراء والمستضعفين ويقضي حاجاتهم ويلبّي طلباتهم. وكان يُشرك غلمانَه وخدمه في مائدة الطعام فيأكل معهم كواحد منهم^٣.

١. مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٩٠.

٢. مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٩٠.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٠١.

الناص

□ إنَّ الأساس في المبادئ الإسلامية هو حفظ كرامة الإنسان بصورة عامة، والإنسان المؤمن بصورة أخص كما ورد من الأحاديث والآيات التي تؤكد الحفاظ على كرامته، وليس له أن يذل نفسه.

□ و من دون شكَّ كان للعامل الاقتصادي دور مهمَّ في تعزيز ذلك على مستوى عموم الأمة، ولكن ماذا ينتظر من حكم قام على أساس الجور والتسلط وقتل الأبرياء وكتم الأنفاس كالحكم الأموي ومن بعده العباسي؟ حيث اشتهر الحكام بالاسراف والبذخ والترف، فعثمان يقطع خمس أفريقيا لمروان بن الحكم، (طريد رسول الله ﷺ) والمأمون يعطي خراج فارس والأهواز إلى والد زوجته، وهكذا كانت تصرف الحقوق (زكاة - خمس) في غير مواردها على الملاذ والخلاعة والشهوات والليالي الحمراء في قصور الخلفاء، ممَّا أدَّى إلى خلق طبقة - بل طبقات معدمة وفقيرة تعاني من آلام الجوع والحرمان، إلى جانب هذه الطبقات المرفَّه عليها في ظلِّ حاكمية الحاكم المستبد والسلطان الجائر.

□ ولم يكن الإمام الرضا عليه السلام على رأس الدولة حتى يتمكن من إجراء الإصلاحات الاقتصادية غير أنَّه لم يتوان عن بثِّ مفاهيم الإسلام والدعوة إلى العدل الاجتماعي ومحاربة خرافات الزهد والتصوف التي كانت تشجع عليها الدولة.

الأسئلة

- ١ . ما هي حدود التصرف الشرعي بالأموال العامة من قبل الحاكم الإسلامي؟
- ٢ . هل كانت تصرفات الحكّام العبّاسيّين بالأموال العامة منسجمة مع الأسس المشروعة للإتفاق في النظام الاقتصادي الإسلامي؟
- ٣ . ما هي أهم واجبات الحاكم الإسلامي في المجال الاقتصادي؟
- ٤ . ما هي الأسباب التي أدّت إلى ضعف المستوى المعاشي للمسلمين في عهد هارون؟
- ٥ . من هو مستحق الخمس في رأي أهل البيت عليهم السلام؟
- ٦ . ما هي السبل إلى تحقيق التوازن في الحياة الاقتصاديّة؟
- ٧ . ما هو المفهوم الحقيقي للزهد عند الإمام الرضا عليه السلام؟
- ٨ . وزع الإمام عليه السلام جميع أمواله في يوم عرفة، فهل يُعتبر هذا العمل إسرافاً؟ ولماذا؟
- ٩ . ما هي مصاديق الكبائر من الذنوب في المجال الاقتصادي كما وردت في رسالة جوامع الشريعة التي كتبها الإمام الرضا عليه السلام؟
- ١٠ . إنّ إعطاء الزكاة إلى غير المستحقين هل هو مبريء لذمة المكلف؟

الإمام الرضا عليه السلام والإصلاح الأخلاقي

إن الانحراف الأخلاقي في عهد الحكّام العبّاسيّين هو نتيجة طبيعّية من نتائج الابتعاد عن المنهج الإسلامي، وعدم تحكيمه في العقول والنفوس، وقد ساهمت أجواء الترف والرفاهيّة مساهمة فعّالة في انتشار الانحراف الأخلاقي عند الحاكم ومؤسساته وعند الأمّة تبعاً لذلك. ومن مظاهر هذا الانحراف:

مظاهر الانحراف الأخلاقي

١. اللهو واللعب

إنّ التصدّي للحكم مسؤوليّة عظيمة، وعلى الحاكم أن يقضي وقته للقيام بأداء دوره على أحسن وجه، بحيث لا يبقى له فراغ ينشغل فيه باللهو واللعب، ولكن الحكّام العبّاسيّين لم يكثرثوا بهذا المفهوم الإسلامي، فكان هارون أوّل حاكم لعب بالصوالجة والكرة ورمي الشباب، وبالشطرنج^١.

وكان يُجري سباق الخيل، فجاء في أحد الأيام فرسه سابقاً، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه شعراً وأجزّل لهم في العطاء حينما أنشدوا شعراً في هذه المناسبة^٢.

١ . تأريخ الخلفاء، ص ٢٣٧.

٢ . الأغاني، ج ٤، ص ٤٣.

وكان من حبه للضحك والفكاهة أن اختصَّ بابن أبي مريم المدني، وكان لا يصبر عن فراقه، ولا يملّ من محادثته، وبلغ من اختصاصه به أن جعل له منزلاً في قصره، وخلطه بحريمه وبطانته ومواليه وغلماؤه^١.

ولما وصل ابنه محمّد الأمين إلى قمة السلطة طلب الخصيان وأتباعهم، وغالَى في أثمانهم، فصَيّرهم لخلوته في ليله ونهاره، وفرض لهم فرضاً من بيت المال، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته، ومواقع خلواته ولهوه ولعبه، وأنفق في بنائها أموالاً عظيمة. وتابع المأمون أباء وأخاء في اللهو واللعب، ومن الطبيعي أن تستشري هذه الظاهرة المنحرفة في الأوساط المقربة للبلاط الحاكم، لأنّ فساد المؤسسات بفساد الحاكم.

٢. الولع بالغناء والجواري

على الرغم من تعرض الدولة والأمة إلى مخاطر ومؤامرات من قبل أعداء الإسلام إلا أنّ الحكّام العبّاسيّين لم يكثرثوا بذلك، ولم يكن من همّهم تحصين الإسلام من المخاطر المحدقة به، مادام المسلمون مشغولين بالفتوحات والغزوات، لا يتابعون ممارساتهم الانحرافية في الولع بالغناء والجواري والغلماّن.

فكان هارون من المولعين بالغناء حتّى جعل للمغنّين مراتب وطبقات^٢. وكان مولعاً بحبّ ثلاث من جواريه المغنيات حتّى أفصح عن هذا الولع بأبيات شعريّة:

ملك الثلاثُ الآنساتُ عِنايَني	وحللن من قلبي أعزَّ مكانِ
مالي تطاوِعي البريّة كُلّها	وأطيعهنَّ وهنَّ في عصياني
ماذاكَ إلا أن سلطان الهوى	وبه غلبن أعزَّ من سلطاني ^٣ .

١. تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٣٤٩ والكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٩٣ و ٢٩٤.

٢. تاريخ الخلفاء، ص ٢٣٧.

٣. فوات الوفيات، ج ٤، ص ٢٢٦؛ الأغاني، ج ١٦، ص ٣٤٥.

وفي الوقت الذي يذهب آلاف الجنود ضحايا في الغزوات، نجده لا يكثر من ذلك، ولا يؤلمه كثرة القتلى والمعوقين، بل يؤلمه موت جارية من جواريه، فيرثها بأبيات شعرية:

فلها تبكي البواكي ولها تشجي المرائي
خلقت سقماً طويلاً جعلت ذاك ترائي^١.

وكان الأمين يأمر بفرش ساحة مفتوحة بأفخر الفراش، وتهيئة آنية من الذهب والفضة والجواهر، ثم يأمر قيمة جواريه بأن تهيب له مائة جارية، يصعدن إليه عشرين عشرين بأيديهن العيدان، يغنين بصوت واحد^٢.

وقال إسحاق بن إبراهيم بن ميمون: وكان المأمون كثير الشغف بالنساء، وأشد الناس ميلاً إليهن واستهتاراً بهن^٣، وكانت الجواري يغنين عنده إلى السحر^٤.

٣. شرب الخمر

شرب الخمر من المحرمات الثابتة في الشريعة الإسلامية، فإذا استطاع الحكام العبّاسيون الحصول على فقهاء يبررون لهم سماع الغناء والولع بالجواري، فإنهم لا يستطيعون تبرير شرب الخمر من قبلهم، ولكنهم خالفوا هذه الحرمة الثابتة في ممارساتهم العملية، فكان هارون مدمناً على شرب الخمر وكان يتولّى بنفسه سقاية ندمائه^٥.

ومن الدلائل الواضحة على ممارسة الأمين لشرب الخمر، قول الفضل بن سهل:

١. فوات الوفیات، ج ٤، ص ٢٢٦.

٢. الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٩٥.

٣. المقد الفريد، ج ٨، ص ١٥٦.

٤. تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٠.

٥. حياة الإمام علي بن موسى الرضا، ج ٢، ص ٢٢٤؛ باقر شريف القرشي.

كيف لا يستحل قتلَ محمّد وشاعره من يقول في مجلسه:
 ألا فاسقني خمرأً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرأً إذا أمكن الجهر^١.
 وكان المأمون يشرب مع ندمائه فيأخذ الشراب منهم مأخذاً^٢، وأخرج من عدّة
 طرق أنّ المأمون كان يشرب النبيذ^٣.

٤. الممارسات المنحرفة في مجالس الحكّام

الإنحراف الأخلاقي ليس غريباً عند من يتولّى الحكم دون سابقة علمٍ وتقوى،
 ودون مؤهلات فكريّة وخلقيّة، ومن يتحدّى حدود الله تعالى الثابتة، فإنّه سيرتكب
 مادونها، وليس غريباً أن تكثّر الممارسات المنحرفة في مجالس الحكّام، فقد كان
 هارون يستمع إلى ألفاظ الفحش، بل يضحك تشجيعاً لقائلها، وفي مجلسه كانت
 تمارس أمور مصحوبة بالألفاظ البذيئة، وهو يضحك، ولم يكتفِ بذلك وإنّما كان يهب
 لمرتكبيها مالاً، كما وهب لابن أبي مريم مائة ألف درهم^٤.

أمّا ابنه الأمين فهو - كما يصفه ابن الأثير -: لم نجد في سيرته ما يستحسن ذكره،
 من حلم أو معدلة أو تجربة، حتى نذكرها^٥.

وفي مجالس المأمون كان يكثر الغزل المباشر، ففي ليلة من الليالي كان محمّد بن
 حامد واقفاً على رأس المأمون وهو يشرب، فاندفعت جاريته عريب فقنت، فأنكر أن
 لاتكون ابتدأت بشيء، فأجابه ابن حامد: أنا ياسيدي أومأت إليها بقُبلة^٦.

١. الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٩٥.

٢. الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٤٣٧.

٣. تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٠.

٤. تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٣٤٩ و ٣٥٠.

٥. الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٩٥.

٦. تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٠.

٥. الممارسات المنحرفة لأتباع الحكام

كان أحد قضاة الأمين ثم المأمون مشهوراً بممارسة الشذوذ الجنسي، فاشتكى الناس عند المأمون فأجابهم: لو طعنوا عليه في أحكامه قبل ذلك منهم. وبعد ازدياد الشكاوى عليه عزله ثم جعله نديماً له، ورخص له في أمور كثيرة^١.

وكان المقربون للحكام والولاة في بغداد والكرخ يظهرون الفسق، ويختطفون الغلمان والنساء علانية من الطرق، وكان الطبري بعد ذكره لمثل هذه الممارسات يقول: لاسلطان يمنعهم، ولا يقدر على ذلك منهم، لأن السلطان كان يعتز بهم وكانوا بطانته^٢. وقد سجل المؤرخون بعض ما اشتهر من ممارسات انحرافية ولم يسجلوا الخفايا والانحرافات التي كانت تُمارس سراً، وهذا الانحراف لم ينحصر في البلاط الحاكم، وإنما امتد إلى جميع من يرتبط بالبلاط، وانعكس أثره على الأمة لوجود المقتضي وهو تشجيع الحكام للانحراف.

وكان لاستمرار الغزوات وما ينتج عنها من قتل وأسر وابتعاد عن الأهل دور كبير في تفكك الأسر والعوائل، ومن ثم إشاعة واستشراء الانحراف لفقدان أو غيبة المعيل أو الرقيب.

أساليب الإمام الإصلاحية

الإمام عليه السلام مسؤول عن إصلاح أخلاق المجتمع وأبنائه إصلاحاً يتطابق مع القواعد والموازين والقيم الثابتة في الشريعة الإسلامية، ولهذا بذل الإمام عليه السلام عناية كبيرة في إصلاح الواقع الأخلاقي الفاسد، وكانت مسؤوليته منصبته على إصلاح جميع الوجودات القائمة، ابتداءً بالمقرّبين له، ومروراً بالأمة، ثم الأجهزة الحكومية، ثم وزراء الحاكم

١. مروج الذهب ج ٣، ص ٤٣٥.

٢. تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٥٥١ و ٥٥٢.

وشخصه.

وكان الإمام عليه السلام يستثمر جميع الفرص المتاحة للقيام بدوره الاصلاحى، وبناء واقع جديد مغاير للسابق ومتجاوز له، ولهذا تعددت أساليبه التربوية الإصلاحية ومنها:

أولاً: إحياء الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله

إنَّ للقدوة الصالحة تأثيراً كبيراً في إصلاح وتغيير الأخلاق والقيم، والاقتداء بها له آثاره على جميع جوانب الشخصية الإنسانية: العقلية والعاطفية والسلوكية، فتندفع الشخصية للوصول إلى المقامات العالية التي وصل إليها الصالحون المقتهدى بهم. وإذا قُعد الاقتداء جمدت جذوة الحياة وضعف الطموح وانحرف عن مساره وتعلق بالناماذج المنحرفة.

ومن هنا قام الإمام عليه السلام بتوجيه الأنظار والقلوب للاقتداء بأرقى النماذج البشرية، المتمثلة برسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه قدوة للحاكم، وللحقهاء والقضاة، ولسائر المسلمين من أفراد وجماعات.

وإذا كان الحاكم لا يروق له تدخل الإمام بالسياسة، فإنه لا يستطيع أن يمنعه من الحديث المتعلقة بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله، ولذا وجد الإمام عليه السلام الظروف مناسبة للدعوة إلى الاقتداء به صلى الله عليه وآله.

فكان يكثر من الأحاديث عن آبائه وأجداده حول أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله ومنها الحديث المروي عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام عن أبيه عليه السلام في صفات رسول الله صلى الله عليه وآله الأخلاقية:

إشار أهل الفضل بأذنه من العطاء وتقسيمه عليهم على قدر فضلهم في الدين. كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخزن لسانه إلا عما يعنيه، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم. قد وسع الناس منه خلقه، وصار لهم أباً رحيماً، وصاروا عنده في الحق سواء، دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب.

وجمع له الحذر في أربع: أخذه الحسن ليقندى به، وتركه الباطل ليُنْتَهَى عنه، واجتهاده الرأي في إصلاح أُمَّتِه، والقيام فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة^١.
الدعوة إلى الاقتداء برسول الله ﷺ هي دعوة صامته لتقوم الأمة بتشخيص منهجين في الأخلاق:

أ. منهج الحكّام.

ب. منهج رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

وهذه الدعوة دعوة سلميَّة لكشف حقيقة المنهج الأخلاقي للحكّام، دون إعطاء مبرّر لمنعه من التحدث عن رسول الله ﷺ وخصوصاً فيما يتعلق بأخلاقه وسيرته عليه السلام.

ثانياً: القيام بدور القدوة

إن دور الإمام عليه السلام هو دور القدوة، وقد أدّى عليه السلام هذا الدور أداءً مطابقاً لقيم الإسلام الثابتة، وأبرز للمسلمين نموذجاً من أرقى نماذج الخلق الإسلامي الرفيع، وكان قمة في الصدق وأداء الأمانة والوفاء بالعهد، واحترام الآخرين، والاهتمام بأمور المسلمين، ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم.

ووصفه إبراهيم بن العباس قائلاً: ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا، ماجفاً أحداً، ولا قطع على أحد كلامه، ولا ردّ أحداً عن حاجة، وما مدّ رجله بين يدي جليس، ولا اتكأ قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا فقهه في ضحكته، وكان يجلس على مائدة مماليكه... كثير المعروف والصدقة في السر...^٢.

وكان متواضعاً للناس، وكان من تواضعه أن يكلفه البعض ببعض الأعمال غير

١. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٣١٧ إلى ٣١٩.

٢. مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٨٩.

المناسبة لمقامه فيؤديها، ولا يتوقف وإن عرفوه بشخصه^١.

وكان يعالج فساد العلاقات معالجة عملية، ففي أحد مواقفه أنه دعا بمائدته فجمع عليها مواليه، فقيل له: لوعزلت لهؤلاء مائدة، فقال: إن الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزء بالأعمال^٢.

وكان يقول لمن يقوم بخدمته: إن قمت على رؤوسكم وأنتم تأكلون، فلا تقوموا حتى تفرغوا، وكان لا يستخدم أحد خدامه حتى يفرغ من طعامه^٣.

وكان كثير العفو والصفح والمسامحة، لا يقابل الإساءة بالاساءة، رحيماً لا يحمل حقداً ولا عداً لمن يؤذيه من عامة الناس أو من خواصهم^٤.

ووصف أخلاقه الكريمة بأبيات شعري لتقتدي به الأمة:

إذا كان من دوني بليت بجعله

أُبيئتُ لنفسي أن أقابل بالجهل

وإن كان مثلي في محلي من الثهي

أخذت بحلمي كي أجلّ عن المثل

وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجى

عرفت له حق التقدم والفضل^٥.

ثالثاً: الدعوة إلى مكارم الأخلاق

كان الإمام عليه السلام يدعو للتمسك بمكارم الأخلاق ومحاسنها، ويعتق هذه الدعوة من خلال نشر أحاديث رسول الله ﷺ التي ترسم للمسلمين المنهج السلوكي السليم، ومن

١ . مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٩١.

٢ . بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٠٢.

٣ . الكافي، ج ٦، ص ٢٨٩.

٤ . أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٢٥.

٥ . مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٠٢.

هذه الأحاديث المروية عنه:

قال رسول الله ﷺ: المستر بالحسنة يعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستر بها مغفور له^١.

وقال ﷺ: إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوب^٢.

وكان عليه السلام يدعو للاندماج بقيم الإسلام، والسنن الصادرة من مصادرها الحقيقية، فيقول: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه، وسنة من نبيه، وسنة من وليه، فأما السنة من ربه فكتمان أمره...وأما السنة من نبيه فمدارة الناس...وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء^٣.

وحدد عليه السلام المفهوم الحقيقي للتواضع والذي هو حركة سلوكية شاملة تبدأ بالنفس وتنتهي بالمجتمع قائلاً: التواضع درجات: منها أن يعرف المرء قدر نفسه، فينزلها منزلتها بقلب سليم، ولا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الفيض، عافٍ عن الناس، والله يحب المحسنين^٤.

وكان عليه السلام يحث على إقامة العلاقات الاجتماعية الصالحة، ويدعو إلى الإخاء والتآلف والتآزر، ويدعو إلى نبذ الأخلاق الطالحة التي تؤدي إلى التقاطع والتدابير، أو تؤدي إلى إرباك العلاقات الاجتماعية، كالكذب والغيبة والبهتان والنميمة، والاعتداء على أرواح الناس وأعراضهم وأموالهم، وينهى عن جميع الممارسات المنحرفة؛ لتكون تلك الأخلاق مطابقة للمنهج الإسلامي السليم الذي أرسى دعائمه رسول الله ﷺ وأهل بيته عليه السلام.

١. الكافي، ج ٢، ص ٤٢٨.

٢. الكافي، ج ٢، ص ١٥٩.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٢٤٢.

٤. الكافي، ج ٢، ص ١٢٤.

رابعاً: الإصلاح والتربية من خلال القصة

لم يكتف الإمام عليه السلام بنشر الأحاديث أو التحدث عن مكارم الأخلاق بل استخدم وسائل أخرى للدعوة إلى مكارم الأخلاق، فكان يضرب الأمثال، ويستخدم القصة لتبقى شاخصة في العقول والنفوس، لأنها تجد لها أذنًا صاغية ويبقى تأثيرها ممتدًا لفترة ليست بالقصيرة، ومما جاء في ذلك قوله عليه السلام: «إِنَّ رجلاً كان في بني إسرائيل عَبْدَ اللَّهِ تبارك وتعالى أربعين سنة، فلم يقبل الله منه، فقال لنفسه: مَا أتيت إِلَّا منك، ولا الذنب إِلَّا لك، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ذَمَّكَ نَفْسَكَ أَفْضَلُ من عِبَادَةِ أربعين سنة»^١.

خامساً: الإصلاح والتربية من خلال الشعر

كان الإمام عليه السلام ينشد الشعر لتأثيره السريع على الأسماع ومن ثمّ العواطف والممارسات، وكان يستخدمه كوسيلة لإصلاح الأخلاق وتربية الأمة على المآثر والمكارم.

ومن شعره عليه السلام المتعلّق بالعلاقات الاجتماعية:

اعذر أخاك على ذنوبه	واستر وغطّ على عيوبه
واصبر على بهت السفیه	وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلاً	وكل الظلوم إلى حسيبه ^٢ .

وأُنشد شعراً لربط المسلمين باليوم الآخر وعدم الانخداع بالأمانى، وللاستحضار اليوم الآخر في الأذهان تأثير واقعي في إصلاح الأخلاق وتغييرها طبقاً للمنهج الإسلامي السليم.

كلّنا يأمل مدّاً في الأجل	والمنايا هنّ آفات الأمل
لاتفرّك أباطيل المنى	والزم القصد ودع عنك العلل
إنّما الدنيا كظلّ زائل	حلّ فيه راكب ثمّ ارتحل ^٣ .

١. قرب الإسناد، ص ٣٩٢.

٢. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٦٩.

٣. البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٥٠.

سادساً: إصلاح الأمة من خلال تشييد بناء الجماعة الصالحة

لقد كان الإمام عليه السلام مسؤولاً عن بناء جماعة صالحة تقوم بأداء دورها في إصلاح المجتمع وتغييره، لذا نجده يعمل ليل نهار ويلتقي بالأفراد والجماعات لانتقاء القادرين على أداء المهمة الإصلاحية في المجتمع، وكان لا يتوقف عن أداء توجيهاته ونصائحه للذين يلتقي بهم، وكان يرسل أتباعه ووكلاءه في الأمصار ليقوم سلوكهم ويهذب أخلاقهم.

ومن أساليبه في بناء الجماعة الصالحة هي شراء العبيد وإعدادهم إعداداً تربوياً ثم عتقهم، فقد أعتق ألف مملوك في حياته^١.

وهذا العدد الكبير له تأثيره في دفع حركة الإصلاح والتغيير الأخلاقي أشواطاً إلى الأمام، حيث يصبح هؤلاء بعد التربية والإعداد الخلقي تياراً من الدعاة والكوادر يعمل في وسط الأمة، ويقوم بأداء دوره الإصلاحي ابتداءً بنفسه وأسرته ثم المجتمع الكبير.

الفاصل

□ كان لانحراف الملوك العباسيين دور كبير في شيوع الانحراف الأخلاقي في المجتمع الإسلامي آنذاك، ولم يكن الانحراف منحصراً بالحكام فقط بل تجاوزه إلى المقرّبين من الخليفة والولاء والقضاة إلى غيرهم من الطبقات المترفة المحيطة بالخليفة فكيف لا يتعدّى ذلك الانحراف إلى الدوائر الخاصة ولا يشيع في أوساط العامة التي كانت تعاني من الفقر المدقع وهي ترى الانحرافات السلوكية في كلّ مفردة حياتية للحكام ومقرّبيهم.

□ وقد واجه الإمام الرضا عليه السلام ذلك الانحراف بنهج قوي من أجل

تعجيم الانحراف وإعادة الأمة إلى الجادة السويّة وكانت أساليب الإمام عليه السلام تتلخص في:

- ١. استثمار الفرص لمحاربة الانحراف مباشرة.
- ٢. إحياء سنّة الاقتداء بالرسول صلّى الله عليه وآله والإكثار من الحديث عن خلقه وسلوكه وعدله في حكمه.
- ٣. تجسيد الإمام الرضا عليه السلام نفسه لمكارم الأخلاق عند آبائه عليهم السلام.
- ٤. الدعوة إلى اكتساب مكارم الأخلاق.
- ٥. توجيه الجماعة الصالحة في بث ونشر المفاهيم الإسلاميّة في أوساط الأمة.

الفئة

١. ما هي الأسباب الأساسيّة والثانويّة للانحراف الأخلاقي في عهد العباسيّين؟
٢. ما هو حكم الغناء في الإسلام؟ وما هو حكمه في خصوص الحكّام؟
٣. ما هو دور القدوة في إصلاح الأخلاق؟
٤. ما هي الحكمة من دعوة الإمام عليه السلام للاقتداء برسول الله؟
٥. ما هي الصفات الخلقيّة البارزة في سيرة الإمام عليه السلام؟
٦. كيف كان الإمام عليه السلام يعالج فساد العلاقات الاجتماعيّة؟
٧. ما هي أساليب الإمام عليه السلام في الدعوة إلى مكارم الأخلاق؟
٨. ما هو حكم اللهو واللعب في خصوص الحكّام؟
٩. ما هو تأثير الانحراف الأخلاقي للحكّام على الأمة؟
١٠. ما هي الوجودات الواجب إصلاحها من قبل الإمام؟

الدور السياسي للإمام الرضا عليه السلام قبل ولاية العهد

استلم المأمون زمام الحكم في سنة ١٩٨ هـ بعد حرب دامية استمرت خمس سنوات، قتل فيها الآف القادة والجنود التابعين له ولأخيه الأمين، وحدثت تفتت في التحالف العباسي، وانقسم البيت العباسي إلى مؤيدين ومعارضين لحكم المأمون، وهذه الأوضاع أدت إلى انفراج سياسي استطاع الإمام الرضا عليه السلام من خلاله أن يتحرك في دائرة أوسع من قبل، ويتحدث بحرية تامة لنشر المفاهيم والقيم الإسلامية والرد على الشبهات، وإبراز النهج السياسي المنسجم مع أسس الإسلام الثابتة.

المأمون وإضفاء القدسيّة على حكمه

إنّ المأمون ورث الحكم عن أبيه، وسارع في الوصول إليه عن طريق حروب دامية، وكان كسابقيه يؤطر حكمه بإطار شرعي، ويضفي عليه حالة قدسيّة ليتعمق له الولاء في قلوب المسلمين، وهذا ما يتجلّى من الكتب والمخطابات التي وجهت له، ومنها ما كتبه إليه طاهر بن الحسين قائد الجيش الذي قتل الأمين، حيث جاء فيه: ...وقد قتل الله المخلوع، وأسلمه بغيره ونكته، وأحصد لأمر المؤمنين أمره، وأنجز له ما كان

ينتظره من سابق وعده، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين حقّه، الكائد له مَن خان عهده، ونقض عقده، حتّى ردّ به الألفة بعد فرقتها، وجمع له الأُمّة بعد شتاتها، فأحيا به أعلام الدين بعد دثور سرائرها^١.

وهذه الأفكار لم تكن من ابتداع طاهر بن الحسين، بل هي توجيهات وتوصيات لكلّ المرتبطين بالمأمون؛ للقيام بتركيزها في أذهان المسلمين.

الحركات المسلّحة

على الرغم من الهالة القدسيّة التي أحاط بها المأمون حكمه ومساندة بعض الفقهاء والقضاة له، نجد كثيراً من المسلمين كانوا يرونه مغتصباً للخلافة، أو غير مؤهلٍ لها، وقد كان للظلم المتراكم على طول عهد العبّاسيّين، وانحرافهم عن النهج الإسلامي دور كبير في تفاعل روح الثورة والتمرد في نفوس المسلمين، إضافة إلى وجود الطامعين في الحكم والمنافسين للمأمون وكثرة الحاقدين على حكمه ومن بينهم المواليون لأخيه الأمين، وجميع هذه العوامل ساهمت في الثورة والتمرد عليه.

ففي أوّل سنة من حكمه وهي سنة ١٩٨ هـ أظهر نصر بن شيث العقيلي الخلاف في حلب، وتغلّب على ماجاورها من البلدان، ولم يقض عليه إلّا في سنة ١٩٩ هـ. وفي السنة نفسها حدثت فتنة الموصل بين اليمانيّة والنزاريّة، وقتل فيها نحو ستة آلاف من النزاريّة.

وفي سنة ١٩٩ هـ انفجرت المعارك بين بني ثعلبة وبني أسامة.

الحركات العلويّة المسلّحة

كانت سنة ١٩٩ هـ فاتحة لثورة عظيمة وحركة تمرد واسعة قادها العلويّون، حيث خرج أبو السرايا السري بن منصور الشيباني بالعراق ومعه محمّد بن إبراهيم ابن

اسماعيل الحسني، ف ضرب الدراهم بالكوفة بغير سكة العباسيين، وسيّر جيوشه إلى البصرة وواسط ونواحيها.

وتوزعت الثورة على عدّة جبهات:

جبهة البصرة بقيادة العباس بن محمّد بن عيسى الجعفري.

وجبهة مكّة بقيادة الحسين بن الحسن الأنطس.

وجبهة اليمن بقيادة إبراهيم بن موسى بن جعفر عليه السلام.

وجبهة فارس بقيادة إسماعيل بن موسى بن جعفر.

وجبهة الأهواز بقيادة زيد بن موسى بن جعفر.

وجبهة المدائن بقيادة محمّد بن سليمان بن داود بن الحسن، واستمرت هذه الثورات أكثر من سنة إلى أن قضى عليها، وفي سنة ٢٠٠ هـ خرج محمّد بن جعفر الصادق عليه السلام ولكنه لم يستمر في خروجه فاستسلم وأرسل إلى المأمون. وكان لهذه الثورات أثر كبير في خلخلة الأوضاع الداخليّة وإرباك المواقف العسكريّة والسياسيّة.

الوضع العامّ بعد إخماد الثورات

في سنة ٢٠١ هـ أصاب بغداد بلاء عظيم، وجلا كثير من ساكنيها بسبب النهب والسلب والفلاء وخراب الدور^١.

وتدارك المأمون موقفه من الثوار فأعلن العفو عن قادة الثورات وخصوصاً العلويين، وهذا العفو لم يمنعه من استخدام الإرهاب لإخماد أصوات المعارضين، بل تمادى في إرهابه حتّى أنّه أقدم على قتل هرثمة بن أعين على الرغم من إخلاصه له، بوشاية من منافسه الحسن بن سهل^٢.

١. العبر في خبر من غير، ج ١، ص ٢٦٣.

٢. تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٥٣١.

ولم يسمح لمن كان يخالفه في الرأي حتى أقدم على نفي أحد الشعراء إلى السند لأنه أنشد قصيدة يذم بها قاضياً منحرفاً له علاقة مع المأمون^١، وبقي كثير من العباسيين على عدائهم للمأمون ورغبتهم في إزاحته من الحكم.

وفي مقابل الإضطراب في الوضع الداخلي، كانت هنالك تحديات خطيرة تواجه الحكومة العباسية، فالدول الكافرة والمشرقة تتحين الفرصة للقضاء على الحكومة وعلى الوجود الإسلامي أجمع، وكانت تعدّ العدة لوقتها المناسب.

ولهذه الأسباب أعلن المأمون العفو العام عن العلويين خشية من تأزّم الأوضاع والقيام بحركة تمرّد مسلّحة وواسعة.

موقف الإمام عليّ من الثورات العلوية

كان الإمام عليّ يشرف على جميع خطوط الحركة الرسالية بما فيها الخطّ العسكري، الذي كان محاطاً بسرّيّة وكتمان شديدين، وقد أسند قيادته المباشرة إلى إخوانه وأبناء عمومته؛ لكي لا يكون في موقع المواجهة العلنية مع الحكم القائم، لأنّ القيادة المباشرة للخط العسكري، أو إعلان ارتباطه بالإمام عليّ قد يؤدي إلى قتله في معركة من المعارك، أو قتله من قبل عيون وأعوان النظام الحاكم، قبل أن يهيء الأجواء لإمامة الإمام الذي يليه.

ومن معطيات القيادة غير المباشرة للخط العسكري أنّ جميع الأخطاء والممارسات التي ترتكب من قبل الثوار لا تحسب على الإمام، وإنما على القائد المباشر المشرف على الخطّ العسكري.

وكان الإمام عليّ يحيط تحرّكه بسرّيّة تامّة ويخفي كثيراً من الأعمال والتنسيقات حتى عن بعض عناصر الخطّ العسكري، ففي سنة ١٩٩ هـ اجتمع أنصار محمّد بن

سليمان العلوي بالمدينة وطلبوا منه أن يبعث إلى الإمام عليه السلام ويدعوه للقيام معه، فأرسل له أحد المقرّبين إليه، فأجابه الإمام عليه السلام: إذا مضى عشرون يوماً أتيتك، فمكثوا أياماً، فلما كان اليوم الثامن عشر، قامت القوات العبّاسيّة بمحاصرتهم والقضاء على الثورة في مهبها^١ ولم تُلقَ أيّة مسؤوليّة على الإمام.

وكان الإمام عليه السلام يوجّه إنطلاقة الثورة ويبدّي نصائحه للقائمين عليها، وقد يعطي لهم صلاحيات مطلقة دون الرجوع إليه باستمرار، بل كان يتابع الأحداث والمواقف عن بعد. فحينما أراد محمّد بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن يثور في يوم معيّن؛ أرسل إليه الإمام عليه السلام: لا تخرج غداً فإنك إن خرجت هُزِمْتَ وقُتِلَ أصحابك^٢. وقد تكون بعض الثورات مستقلة عن الإمام عليه السلام من حيث التخطيط والتنسيق والتنفيذ.

ازدياد عدد المعارضين لحكم المأمون

كان الوضع السياسي في عهد المأمون مضطرباً للغاية، فبعد قتال دامي للإستيلاء على الحكم، فوجيء بعدّة ثورات وحركات مسلحة، منها: ثورات العلويّين التي كانت أشدّ وطأة عليه، فقد نُظِرَ في الدواوين، فوجد من قتل من أصحاب السلطان في وقائع أبي السرايا مائتا ألف رجل^٣.

وازداد عدد المعارضين لحكمه بعد أن وجدوا فيه عدم الحرص على دماء المسلمين وزجّهم في معارك هدفها تثبيت سلطانه ليس إلّا، وكان المعارضون منتشرين في جميع الأمصار الإسلاميّة وعلى جميع المستويات، وقد اعترف المأمون بذلك في قوله: واللّه ما أنزلت قيساً من ظهور خيولها إلّا وأنا أرى أنّه لم يبق في بيت مالي درهم

١. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٠٨.

٢. مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٦٨.

٣. مقال الطالبين، ص ٥٥٠.

واحد...وأما اليمن فوالله ما أحببتها، ولا أحبّني قطّ، وأما قضاة، فساداتها تنتظر السفيناني، حتى تكون من أشياعه، وأما ربيعة فساخطة على ربّها مذ بعث الله نبيّه من مضر^١.

هذا بالإضافة إلى الساخطين على حكمه من البيت العبّاسي نفسه.

تفرّغ الإمام عليه السلام لأداء دوره

استثمر الإمام عليه السلام الفرصة والظرف المناسب فقام بأداء دوره بحرّيّة شبه تامّة، لانشغال المأمون بتشبيث دعائم حكمه دون الاصطدام مع الإمام عليه السلام وأتباعه وأنصاره. وكثّف الإمام عليه السلام جهده لإبراز المفاهيم السياسيّة التي حدّدها رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار، وأهمّها صفات الإمام الحاكم، وواجباته وحقوقه، والتمييز بين الإمام المنصوص من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله، وبين غيره من المتصدّين لإدارة الدولة دون نصّ أو رضی من قبل المسلمين، وطرح مفهوم قيام الإمام بدور الحجّة والقُدوة وإن لم تُبسّط له اليد في الإشراف المباشر على أجهزة الدولة الإسلاميّة، وأكّد على الروايات التي تنصّ على إمامة عليّ والحسن والحسين عليهما السلام والتسعة المعصومين من أولاد الحسين عليهما السلام، وركّز عليه السلام على شرط العصمة في من يتصدّى للإمامة العظمى ويقوم بدور القُدوة والحجّة، وأكّد وجوب معرفة الأمة للإمام ووجوب طاعتها له.

توسيع القاعدة الشعبيّة

إنّ المفاهيم التي طرحها الإمام عليه السلام كانت بحاجة إلى حمليّة يحملونها في عقولهم وعواطفهم، ثمّ يَروجون لها في الواقع، فاستثمر الإمام عليه السلام كلّ الفرص المتاحة لتكثير عدد الدعاة لمنهج أهل البيت عليهما السلام وتوسيع قاعدة أهل البيت الشعبيّة، فكانت حركته بهذا الاتجاه أقوى وأوسع ممّا كانت في العهود السابقة على عهده، بهذا ازداد عدد أتباع

أهل البيت وكانوا منتشرين في مختلف الأمصار، وخصوصاً في خراسان والكوفة، كما كان لكثير من الوزراء ارتباط روحي بالإمام عليه السلام إضافة إلى الولاء السياسي له، كالفضل بن الربيع، وأبي الصلت الهروي [مستشار المأمون]، وكان له أتباع وأنصار في الجهاز العسكري أيضاً مثل: كهرثمة بن أعين، وطاهر بن الحسين الخزاعي.

وكانت شخصية الإمام عليه السلام ذات تأثير كبير على ارتباط المسلمين به، فهو من السلالة النبوية الطاهرة، ولديه مؤهلات ذاتية لجذب القلوب، ومن أهم هذه المؤهلات: العلم والتقوى وعمق العلاقة مع الله تعالى وحسن السيرة.

أما العلم: فقد كان الإمام أعلم أهل زمانه في أمور الدين والدنيا، وهو الذي لم يتعلم عند أحد قط وإنما أخذ العلم عن آبائه الطاهرين عن جدّه رسول الله ﷺ، ووصفه إبراهيم بن العباس بقوله: مارأيت الرضا يُسأل عن شيء قط إلاّ علم، ولا رأيت أعلم منه...^١

وقال محمد بن عيسى اليقطيني: لما اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام جمعت من مسائله ممّا سُئل عنه وأجاب خمس عشرة ألف مسألة^٢.

وكان يتمتع برأي ثاقب في تحليل الأحداث والمواقف، ويتوقع ماسيحدث في المستقبل ويخبر عنه إخبار العالم، فقد بين للمقربين إليه أن هارون لا يستطيع أن ينال منه^٣، وتوقع مقتل البرامكة^٤، كما أخبر عن مقتل الأمين من قبل المأمون^٥.

ثانياً: التقوى: التقوى من أهم خصائص من يتصدى للإمامة، وهي عامل من عوامل ارتباط الناس بشخص المتقي ولذا ازدادت شعبية الإمام عليه السلام لأنه يمثل القمة في

١. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٨٠ ونحوه في نور الأبصار، ص ١٧٠.

٢. الغيبة، ص ٧٣؛ الطوسي.

٣. الكافي، ج ٨، ص ٢٥٧.

٤. نور الأبصار، ص ١٧٥.

٥. نور الأبصار، ص ١٧٦؛ الاتحاف بحبّ الأشراف، ص ١٦٠.

التقوى، فعن أحمد بن علي الأنصاري قال: سمعت رجاء بن أبي الضحّاك يقول: ...مارأيت رجلاً كان أتقى لله تعالى منه، ولا أكثر ذكراً لله في جميع أوقاته منه، ولا أشدّ خوفاً لله عزّ وجلّ منه...^١.

وكان في تمام الإخلاص لله تعالى، وقد رفض قول من ينسب إلى أهل البيت عليهم السلام أنهم يقولون: إنّ الناس لهم عبيد، وكان يقول: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت شاهد بأنّي لم أقل ذلك قط، ولا سمعت أحداً من آبائي عليهم السلام قاله قط...إذا كان الناس كلّهم عبيدنا على ما حكوه عنا، فممن نبيهم؟!^٢.

ثالثاً: عمق العلاقة مع الله تعالى: كانت علاقة الإمام عليه السلام بالله تعالى علاقة راسخة، إذ كان دائم الارتباط بالله تعالى في حركاته وسكناته، أكثر الناس عبادة والمعروف عنه أنّه إذا كان الثلث الأخير من الليل قام من فراشه بالتسبيح والتحميد والتكبير والتلهيل ثمّ قام إلى صلاة الليل^٣.

وكان يختم القرآن في كلّ ثلاثة أيّام، وكان يقول: لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاثة لختمته، ولكنني، مامرت بآية قط إلّا فكرت فيها، وفي أي شيء أنزلت، وفي أي وقت؟ فلذلك صرت أختم في كلّ ثلاثة أيّام^٤.

رابعاً: حسن السيرة: كان الإمام عليه السلام قمة في الأخلاق، وكان معروفاً بحسن السيرة مع الناس متواضعاً حتّى مع الممالك والخدم، وكان يقدّم التقوى على الأنساب، حتّى أنّه حينما قيل له: والله ماعلى وجه الأرض أشرف منك آباء أجاب: التقوى شرفتهم وطاعة الله أحظتهم.

وقيل له: أنت والله خير الناس، فقال للقاتل: لاتحلف يا هذا، خير منّي من كان أتقى

١. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٨٠ و ١٨١.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٨٤.

٣. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٨١.

٤. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٨٠.

لله عز وجل وأطوع له^١.

وكان كثير المعروف للناس، إذ كان يقابل الإساءة بالإحسان^٢.

وكان مدارياً لجميع أصناف الناس، وله علاقات ودية مع الجميع، وكان عليه السلام موضع رضى من قبل الجميع حتى وصفه الإمام محمد الجواد عليه السلام بقوله: رضى به المخالفون من أعدائه، كما رضى به الموافقون من أوليائه...^٣.

الناص

□ أتم عهد المأمون بالاضطراب السياسي وكثرة الثورات والخروج ضد الدولة فضلاً عن خطر الدولة البيزنطية والتي كانت تترصد بالدولة الإسلامية الدوائر.

□ وقد استثمر الإمام عليه السلام هذه الظروف لنشر مبادئ أهل البيت والإشراف غير المباشر على بعض الثورات العلوية، وتمكن عليه السلام من التأثير في المسلمين كافة بما امتاز به من صفات نموذجية من حسن السيرة والتقوى والورع والعلم، وكونه من السلالة النبوية الطاهرة ولم يتمكن المأمون تحديد دور الإمام عليه السلام والتأثير عليه بالوسائل المختلفة التي اتبعها معه، حيث تمكن الإمام عليه السلام من إعداد مجموعة من أصحابه لتبشر عمليات التوعية وبث الوعي الإسلامي فضلاً عن الجناح الذي قاد بعض الحركات المسلحة ضد المأمون دون أن يتمكن من ربطها بالإمام عليه السلام لما تمتعت به تلك القيادة من وعي وحكمة سياسية عالية استطاع بها التحرك السليم.

١. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٣٦.

٢. نور الأبصار، ص ١٦٨؛ الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ٢٥١ و ٢٥٢.

٣. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٣.

الفصل

- ١ . ما هي العوامل التي ساعدت الإمام علي عليه السلام على التحرك في دائرة أوسع؟
- ٢ . ما هي الأسباب والعوامل التي أدت إلى قيام الثورات ونمو روح المعارضة لحكم المأمون؟
- ٣ . ما هي علاقة الإمام علي عليه السلام بالثورات القائمة؟
- ٤ . ما هي الأسباب التي أدت إلى نمو القاعدة الشعبية للإمام علي عليه السلام؟
- ٥ . ما هو دور الإمام السياسي في هذه المرحلة؟
- ٦ . ما هي توقعات الإمام المستقبلية والتي تحققت بالفعل؟
- ٧ . ما هو ميزان الشرف والتفاضل عند الإمام علي عليه السلام؟
- ٨ . ما هي الأمصار الأكثر ولاءاً للإمام ولأهل البيت عليهم السلام؟

ولاية العهد

في سنة ٢٠٠ هـ وبعد عامين من سيطرة المأمون على زمام السلطة كتب إلى الإمام الرضا عليه السلام يدعوهُ للقدوم إلى خراسان، فاعتلَّ الإمام عليه السلام بعِلل كثيرة، واستمر المأمون بمكاتبتِهِ ومراسلته حتى علم عليه السلام أَنَّهُ لا يَكْفٍ عنه، فاستجاب له، وأمر المأمون الشخص الموكَّل بالإمام الرضا عليه السلام أَن لا يسير به عن طريق الكوفة وقم، وعند وصوله إلى مرو عرض عليه أَن يتقلد الخلافة، فأبى عليه السلام هذا العرض، وجرت بينهما مخاطبات كثيرة دامت نحواً من شهرين، والإمام عليه السلام يأبى الموافقة، وحينما ينس المأمون عرض عليه ولاية العهد، فأجابه الإمام عليه السلام بعد الإلحاح الشديد والتلويح بالقتل، وشرط عليه شروطاً منها: إِنِّي أدخل في ولاية العهد على أَن لا آمر، ولأنه، ولا أقضي، ولا أُغَيِّر شيئاً ممَّا هو قائم، وتعيني من ذلك كلُّه^١.

فقبل منه المأمون ما شرطه عليه الإمام، وتمت ولاية العهد في الخامس من رمضان سنة ٢٠١ هـ.

دوافع المأمون من تولية الإمام عليه السلام

لم تكن دوافع المأمون من جعل الإمام عليه السلام ولياً لعهد نابعة من ولائه لأهل

البيت عليه السلام بل كان ميله لهم مصطنعاً^١، إذ لا يعقل أن يضحي بالحكم الذي قتل من أجله أخاه والآلاف من الجنود والقادة، ثم يسلمه بكل سهولة إلى غيره.

وفعلاً لم يدم الأمر طويلاً، كما أخبر الإمام عليه السلام فقد اغتيل الإمام الرضا عليه السلام ورحل إلى ربّه وهو سالم في بدنه من الأمراض بينما بقي المأمون على رأس السلطة حياً بعد الإمام عليه السلام.

ودوافع المأمون كانت نابعة من مصلحة الحفاظ على حكمه، وإلا فما معنى التلويح والتهديد بالقتل لإجبار الإمام على قبول الخلافة أو ولاية العهد؟! ويمكن تحديد دوافع المأمون في النقاط التالية:

١. تهديّة الأوضاع المضطربة

اضطربت أوضاع الحكم بسبب القتال الدامي بين الأخوين، إضافة إلى قيام الثورات والحركات المسلّحة، وازدياد عدد المعارضين لحكمه.

فأراد المأمون من تقريب الإمام عليه السلام استقطاب أعوانه وأنصاره، وإيقاف حركاتهم المسلّحة ليتفرغ إلى بقية الثائرين والتمرديين الذين لا يُعتد بهم قياساً للشوار العلويين. وأراد كسب ود الأغلبية العظمى من المسلمين لارتباطهم العاطفي والروحي بالإمام عليه السلام وخصوصاً أهل خراسان الذين أعانوه على احتلال بغداد، والشاهد على ذلك استقبال الإمام عليه السلام من قبل عشرين ألف عالم وفضيه وصاحب حديث في نيسابور^٢.

وبتقريب الإمام عليه السلام كان يمكن امتصاص نفعة المعارضة وتفويت الفرصة عليها للمطالبة بالحكم، وشق صفوفها عن طريق تقريب البعض دون الآخر.

١. شذرات الذهب، ج ٢، ص ٣.

٢. الفصول المهمة، ص ٢٥١؛ نور الأبصار، ص ١٧٠.

٢. إضفاء الشرعية على الحكم القائم

لم يصل المأمون إلى الحكم عن طريق النص كما هو رأي أهل البيت عليه السلام ولا عن طريق الشورى أو موافقة أهل الحل والعقد، أو رضی الأمة بمقتضى العهد والاستخلاف كما هو رأي بقية أئمة المذاهب.

وإقرار حكمه من قبل الفقهاء كان نابعاً من الترغيب والترهيب، أو استسلاماً للأمر الواقع، وعدم القدرة على إزالته.

لذا فإنّ ما قام به المأمون من تولية الإمام عليه السلام يمكن أن يحقق له ما يصبو إليه من إضفاء الشرعية على حكمه، مستفيداً من الولاء الفكري والعاطفي للإمام عليه السلام في نفوس المسلمين، ورضاه الظاهري، يعني رضاه عن الحكم الواقع ولعدم معارضته له، وهذا ما تستنتجه الأمة حسب مشاهدتها للظواهر.

٣. منع الإمام من الدعوة لنفسه

الإمام مسؤول عن دعوة الأمة للارتباط بالإمام الحق والمنهج الحق، والمتعارف عليه أنّ ولي العهد يدعو للحاكم الفعلي ثمّ لنفسه، ومن هنا كان تفكير المأمون منصباً على منع الإمام من ذلك، وقد صرح بهذه الحقيقة بقوله: قد كان هذا الرجل مستتراً عنا يدعو إلى نفسه دوننا، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا؛ ليكون دعاؤه إلينا^١.

٤. إبعاد الإمام عن قواعده

إنّ وجود الإمام عليه السلام في العاصمة يعني انفصاله عن قواعده الشعبية، وتحجيم الفرص المتاحة للاجتماع بوكلائه ونوابه المنتشرين في شرق الأرض وغربها، وكثف المأمون من مراقبة الإمام عليه السلام وقام بتقريب هشام بن إبراهيم الراشدي - أحد خواص

الإمام - وولاه حجابة الإمام عليه السلام، فكان ينقل الأخبار إليه، ويمنع من اتصال كثير من مواليه به، وكان لا يتكلم في شيء إلا أوردته على المأمون^١.

٥. إيقاف خطر الإمام على الحكم القائم

إنّ توسع القاعدة الشعبية للإمام عليه السلام كان يشكل خطراً حقيقياً على حكومة المأمون بعد التصدع الذي حدث في البيت العباسي، ولكن بعد قيام الثورات المسلّحة، لو ترك الإمام في المدينة لأدّى ذلك إلى ضعف الحكومة القائمة، وبهذا الصدد قال المأمون:

وقد خشينا إنّ تركناه على تلك الحالة أن يفتق علينا منه مالا نسده، ويأتي علينا مالا نطيقه^٢.

٦. تشويه سمعة الإمام

أجاب الإمام عليه السلام المأمونَ موضحاً دوافعه بقوله: تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ علي بن موسى الرضا لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً بالخلافة؟!^٣.

وصرّح المأمون بذلك للعباسيين بقوله: ...ولكنّا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتّى نصوّره عند الرعايا بصورة من لا يستحق هذا الأمر^٤.

٧. تفتيت جبهة المعارضة

إن المعارضين لحكم المأمون سينظرون إلى الإمام عليه السلام على أنّه جزء من الحكومة

١. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٣٩.

٢. فرائد السمطين، ج ٢، ص ٢١٤.

٣. علل الشرايع، ص ٢٣٨.

٤. فرائد السمطين، ج ٢، ص ٢١٥.

القائمة، وتتمتع هذه النظرة حينما يجدون أن بعض ولاية المأمون من أهل بيت الإمام عليه السلام أو من أتباعه، وإضافة إلى ذلك فإن الوالي مكلف بقمع أي حركة مسلحة، وفي هذه الحالة ستكون المعارضة وجهاً لوجه أمام الولاية المحسوبين على الإمام عليه السلام مما يؤدي إلى تفتيت جبهة المعارضة، والأهم من ذلك أن الفساد الإداري والحكومي ستلقى مسؤوليته على هؤلاء الولاية باعتبارهم أحد أركان الحكومة القائمة.

أسباب قبول الإمام عليه السلام بولاية العهد

١. التهديد بالقتل

قال المأمون للإمام عليه السلام: يا ابن رسول الله قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحق بالخلافة مني.

فقال الإمام: بالعبودية لله عز وجل أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالفنائم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله تعالى.

فقال المأمون: إني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك! قال الإمام: إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز لك أن تجعل لي مائيس لك.

فقال المأمون: يا ابن رسول الله لا بد من قبول هذا الأمر. قال الإمام: لست أفعل ذلك طائعاً أبداً.

فما زال يجهد به أليماً فلما يش من قبوله؛ عرض عليه ولاية العهد، ثم جرى بينهما كلام أوضح فيه الإمام عليه السلام دوافع المأمون من ذلك، فغضب المأمون ثم قال: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولايد العهد وإلا أجبرتكم على ذلك، فإن فعلت وإلا ضربت عنقك.

فقال الإمام عليه السلام: قد نهاني الله عز وجل أن أُلقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا، فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أن لأوليّ أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقضّ رسماً ولا سنة، وأكون في الأمر بعيداً مشيراً، فرضي منه بذلك، وجعله ولي عهده والإمام عليه السلام كاره لذلك^١.

وفي رواية أخرى أن المأمون قال له: إن عمر بن الخطاب جعل الشورى في ستة، أحدهم جدك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وشرط فيمن خالف منهم أن يضرب عنقه، ولا بدّ من قبولك ما أريده منك، فإني لأجد محيصاً منه^٢.

وقد صرح الإمام باضطراره للقبول وكان يقول: قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيّر بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل^٣.

وقيل له: يا ابن رسول الله ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟ فقال عليه السلام: ما حمل جدّي أمير المؤمنين على الدخول في الشورى^٤.

والإمام عليه السلام لم يستسلم للقبول خائفاً من قتله، وإنما سيكون قتله سبباً في خسارة الحركة الرسالية لحاجتها إلى قيادته في هذه المرحلة، وسيكون قتله مقدمة لقتل أهل بيته، أو يؤدي إلى ردود أفعال مسلّحة غير مدروسة بدافع الانتقام، وبالتالي تنهار القوة العسكرية دون أن تغيّر من الأحداث شيئاً.

٢. استثمار الظروف لإقامة الدين وإحياء السنة

إن الحرية النسبية الممنوحة للإمام عليه السلام ولأهل بيته وأنصاره هي فرصة مناسبة لتبيان معالم الدين وإحياء السنة النبوية ونشر منهج أهل البيت عليهم السلام في مختلف

١. علل الشرايع، ص ٢٣٧ و ٢٣٨.

٢. الإرشاد، ص ٢١٠.

٣. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٣٩.

٤. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٤١.

الأوساط الاجتماعية والسياسية، وخصوصاً في البلاط الحاكم عن طريق الالتقاء بالوزراء والخواص والخدم والحراس وغيرهم، وقد صرح الإمام بذلك قائلاً:

اللهم إنك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التهلكة، وقد أكرهت واضطرت كما أشرفت من قبل عبدالله... على القتل متى لم أقبل ولاية عهده... اللهم لا عهد إلاّ عهدهك، ولا ولاية إلاّ من قبلك، فوفقني لإقامة دينك، وإحياء سنة نبيك محمد ﷺ، فإنك أنت المولى وأنت النصير، ونعم المولى أنت، ونعم النصير^١.

وقد سمحت الظروف للإمام عليه السلام لتبيان المنهج السليم أمام الوزراء والقضاة والفقهاء وأهل الديانات الذين جمعهم المأمون لمناظرة الإمام عليه السلام، إضافة إلى قيامه بتوجيه المأمون إلى اتخاذ الرأي الأصوب مهما أمكن.

٣. تصحيح الأفكار السياسية الخاطئة

من الأفكار السائدة عند كثير من المسلمين هي عدم ارتباط الدين بالسياسة، وأنه لا يليق بالأئمة والفقهاء أن يتولوا المناصب السياسية، وأن المتقي هو الزاهد في الحكومة والخلافة، وقد حاول العباسيون تركيز هذا المفهوم عند المسلمين، فأراد الإمام عليه السلام بقبوله ولاية العهد أن يصحح هذه الأفكار السياسية الخاطئة، ويوضح للمسلمين وجوب التصدي للحكم في الظروف المناسبة.

والأفكار الخاطئة حقيقة قائمة، فقد دخل أحد أنصار الإمام عليه السلام وقال له: يا ابن رسول الله إن الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد، مع إظهارك الزهد في الدنيا^٢.

ولا يمكن إزالة هذه الأفكار إلاّ بتربية مكثفة تحتاج إلى وقت طويل، اختصرها الإمام عليه السلام في موقفه العملي بقبول ولاية العهد.

١ . عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٩.

٢ . علل الشرايع، ص ٢٣٩.

٤. إفشال مخططات المأمون

من المتوقع أن المأمون سيقوم بتولية العهد لأحد العلويين، ويستثني عن إكراه الإمام عليه السلام أو قتله، والعلوي المنصب لولاية العهد، إما أن يكون: مساوماً، أو انتهازياً، أو مخلصاً قليل الوعي، أو واعياً معرضاً للانزلاق في مغريات السلطة، وفي جميع الحالات، فإن هذا الموقف سيؤدي إلى شق صفوف أنصار أهل البيت عليهم السلام أو توريط العلوي بممارسات خاطئة تؤدي إلى تشويه سمعة أهل البيت عليهم السلام أو القاء مسؤولية الفساد الاقتصادي والأخلاقي والإداري والسياسي عليه.

وقد يؤدي انزلاق من يتولى العهد من العلويين إلى قيامه بمعارضة الإمام عليه السلام أو ملاحقة أتباعه وأنصاره.

وبقبول الإمام عليه السلام لولاية العهد سوف تفوت الفرصة على المأمون لإمرار مخططاته في شق صفوف الحركة الرسالية، أو القاء تبعة المفاصد على من ينسب إلى أهل البيت عليهم السلام.

٥. تعبئة الطاقات

بعد فشل الثورات العلوية وانكسارها عسكرياً، فإن الظروف التي خلقتها ولايد العهد كانت مساعدة لإعادة بناء القوة العسكرية لأهل البيت عليهم السلام وتعبئة الطاقات بعد إيقاف الملاحقة والمطاردة لها، وهي بحاجة إلى قسط من الراحة لإدامة التحرك فيما بعد، حينما تكون الظروف مناسبة له.

الناحية

□ كانت دعوة المأمون للإمام الرضا عليه السلام بعد سنتين من توليه السلطة، وكان يكتب الإمام عليه السلام ويراسله ويضغط عليه من أجل قبول الخلافة أو ولاية العهد وكان الإمام يمانع ولم يبد قبولاً، حتى استجاب للمأمون تحت ضغط التهديد بالقتل وكانت بينهما مخاطبات استمرت حوالي شهرين.

□ و قد قبل الإمام عليه السلام ولاية العهد، بشروط بعد أن هدّده المأمون بالقتل، ومن هذه الشروط: ان لا يأمر ولا ينهى ولا يقضي ولا يغير شيئاً مما هو قائم، وفعلًا فإن الإمام عليه السلام حتى وقت استشهاده بالسّم لم يتدخل في امور الدولة إلا بمقدار ما كان فيه خدمد للعامة وكان المأمون يهدف من تولية الإمام عليه السلام ولاية العهد أهدافاً متعددة أهمّها.

□ ١ . تهدئة الأوضاع المضطربة.

□ ٢ . محاولة إضفاء الشرعية على حكمه وسلطته.

□ ٣ . محاولة التضييق على الإمام عليه السلام وحجبه عن قواعده في المدينة والعراق.

□ ٤ . إضعاف المعارضة وخصوصاً الشيعية، منها.

□ و مع كلّ ذلك فالإمام عليه السلام عمل على إفشال ماخطّط له المأمون حيث تمكن من تعبئة الجماهير المؤمنة بقيادته فضلاً عن فضح السلوك المنحرف للسلطة العباسية في مناسبات عديدة، كما تمكن الإمام عليه السلام من إحياء سنة جده عليه السلام وآبائه الكرام عليهم السلام.

الأسئلة

١. ما هي الأسباب وراء رفض الإمام الرضا عليه السلام لقبول الخلافة؟
٢. لماذا لم يوافق الإمام عليه السلام على قبول ولاية العهد باختياره؟
٣. هل كان المأمون صادقاً في ولاته لأهل البيت عليهم السلام؟ وما هو الدليل على ذلك؟
٤. أراد المأمون من عرض ولاية العهد على الإمام عليه السلام أن يُلقي مسؤولية الفساد الإداري والحكومي عليه، ولكن الإمام فوت هذه الفرصة عليه عن طريق الشروط التي اشترطها، فما هي هذه الشروط؟
٥. لماذا لم يستسلم الإمام إلى القتل رافضاً القبول بولاية العهد؟
٦. ما هي الأسباب الإيجابية لقبول الإمام عليه السلام بولاية العهد؟
٧. بعد قبول الإمام عليه السلام بولاية العهد توقفت الثورات والحركات المسلحة التي يقودها أهل البيت عليهم السلام، ما هي الآثار الإيجابية لهذا التوقف على النظام الحاكم، وعلى كيان أهل البيت عليهم السلام؟
٨. كيف يستطيع المأمون تشويه سمعة الإمام عليه السلام عند قبوله بولاية العهد؟
٩. ما هي الأسباب وراء إقرار بعض الفقهاء بحكومة المأمون على الرغم من فقدانها للمبررات الشرعية؟
١٠. لماذا اختار المأمون الإمام عليه السلام ولياً لعهد، ولم يختار غيره من العلويين؟

مكتسبات القبول بولاية العهد

جمع المأمون الخطباء والشعراء بعد انعقاد ولاية العهد، فأخذوا يعدّدون فضائل ومآثر وكرامات الإمام الرضا عليه السلام.

وطلب المأمون من الإمام عليه السلام أن يخطب الناس، فخطب موضحاً الحقوق المتبادلة بينه وبين الناس قائلاً: أيها الناس إنّ لنا عليكم حقاً برسول الله ﷺ، ولكم علينا حقاً به، فإذا أدّيتم إلينا ذلك، وجب لكم علينا الحكم والسلام^١.

ثم خطب المأمون وقال: أيها الناس جاءكم بيعة علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، والله لو قرأت هذه الأسماء على الصمّ البكم لبرئوا بإذن الله عزّ وجلّ^٢.

ووضّح الإمام عليه السلام المنهج السياسي للحاكم الإسلامي، ودوره في تطبيق أحكام الشريعة، والأسباب التي تؤدي إلى شرعية الاستمرار في الحكم، جاء ذلك في وثيقة العهد التي كتبها عليه السلام بخطه: ... جعلت لله على نفسي عهداً إن استرعاني أمر المسلمين، وقلدني خلافة العمل فيهم... أن أعمل فيهم بطاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ، ولا

١. الفصول المهمة، ص ٢٥٥ و ٢٥٦.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٤٧.

أسفك دماً حراماً، ولا أبيع فرجاً، ولا مالاً إلا ماسفكته حدوده، وأباحته فرائضه، وأن أخير الكفاة جهدي وطاقتي... وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للعزل مستحقاً وللنكال متعرضاً...^١

واستطاع الإمام عليه السلام بهذا القبول أن يحقق جملة من المكتسبات، منها:

أولاً: اعتراف المأمون بأحقية أهل البيت عليهم السلام

كتب المأمون كتاباً للعباسيين المعترضين على تولية الإمام عليه السلام جاء فيه: ... فلم يقم مع رسول الله صلى الله عليه وآله أحد من المهاجرين كقيام علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه آزره ووقاه بنفسه... وهو صاحب الولاية في حديث غدیر خم، وصاحب قوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانيي بعدي... وكان أحب الخلق إلى الله تعالى وإلى رسوله، وصاحب الباب، فتح له وسد أبواب المسجد.

وهو صاحب الراية يوم خيبر، وصاحب عمرو بن عبدود في المبارزة. وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين المسلمين.

ثم وضع في الكتاب نفسه ظلم العباسيين لأهل البيت عليهم السلام فقال: ... ثم نحن وهم يد واحدة كما زعمتم، حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا، فأخفاهم، وضيّقنا عليهم، وقتلناهم أكثر من قتل بني أمية إياهم^٢.

وفي موضع آخر: احتج المأمون على الفقهاء بفضائل الإمام علي عليه السلام وأحقية بالخلافة، فأيدّه الفقهاء وقالوا: كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزّه الله^٣.

واعترف بأحقية الإمام الرضا عليه السلام بالخلافة، وأخبر خواصّه بأنّه: نظر في ولد العباس، وولد علي رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحقّ بالأمر من

١. الفصول المهمة، ص ٢٥٨ و ٢٥٩.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٢١٠ عن كتاب: نديم الفريد، لابن مسكويه.

٣. المقد الفريد، ج ٥، ص ٣٥٨ و ٣٥٩.

عليّ بن موسى الرضا^١.

واعتراف المأمون يستلزم تشجيع أتباعه وأتباع الإمام عليه السلام على ذكر مناقب وفضائل أهل البيت عليهم السلام وهذا مايزيد في توسع القاعدة الشعبية الموالية لأهل البيت فكراً وعاطفةً وسلوكاً.

ثانياً: توظيف وسائل الإعلام لصالح الإمام عليه السلام

وظّف المأمون وسائل الإعلام الرسميّة لصالح الإمام عليه السلام، فالولاة والأمراء وأئمة الجمعة يدعون له من على المنابر في كلّ يوم، وكلّ جمعة وكلّ مناسبة، إضافة إلى طبع اسمه على الدراهم والدنانير المعمول بها في جميع الأمصار.

وكثرت الخطب والأشعار المادحة للإمام، والذاكرة لفضائله وفضائل أهل البيت عليهم السلام وانتشرت في جميع الأمصار، دون حاجة إلى بث الدعاة من قبل الإمام عليه السلام، وقد كان المأمون سباقاً في نظم الشعر وهو القائل:

ألام على حبّ الوصيّ أبي الحسن وذلك عندي من عجائب ذي الزمن
خليفة خير الناس والأوّل الذي أعان رسول الله في السر والعلن.
قال أيضاً:

لأُقبل التوبة من تائب إلّا بحبّ ابن أبي طالب
أخو رسول الله حلف الهدى والأخ فوق الخلّ والصاحب
ثم قال مادحاً أهل البيت عليهم السلام:

حبّهم فرض نؤديّ به كمثّل حجّ لازم واجب^٢.

وقد أتمر هذا الإعلام فيما بعد، ففي سنة ٢١١ هـ أمر المأمون أن ينادى:

برئت الذمّة ممن يذكر معاوية بخير، وأنّ أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ ابن

١ . مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٤١.

٢ . تذكرة الخواص، ص ٣٢٠.

أبي طالب^١.

ثالثاً: حرّية الإمام عليه السلام في المناظرة

أمر المأمون الفضل بن سهل أن يجمع للإمام عليه السلام أصحاب المقالات ومنهم: الجائليق وهو رئيس الأساقفة، ورأس الجالوت عالم اليهود، ورؤساء الصابئين، وعظماء الهنود من أبناء المجوس، وأصحاب زرادشت، وعلماء الروم، والمتكلمون. وفي جلسات المناظرة احتج الإمام عليه السلام بالكتب المعتمدة عندهم، وفند مناهجهم ومتبنياتهم الفكرية والعقائدية، فاعترف الجميع بأعلميته، واعترفوا بصحة أفكاره وآرائه، وأذعنوا إليها.

قال الجائليق: القول قولك، ولا إله إلا الله.

وأسلم عمران الصابي وقال: أشهد أن الله تعالى على ما وصفت ووحدت، وأشهد أن محمداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحق، ثم خرّ ساجداً نحو القبلة. ولما نظر المتكلمون إلى كلام عمران الصابي، - وكان جدلاً - لم يقطعه عن حجته أحد منهم قط، لم يدن من الإمام عليه السلام أحد منهم، ولم يسأله عن شيء^٢.

وفي مجلس آخر بعث المأمون على الإمام عليه السلام لينظر متكلم خراسان سليمان المروزي، فتناظرا في البداء، وصفات الله تعالى، والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل، وكان الإمام عليه السلام يجيب على جميع أسئلته، ويقطعه في الحجج إلى أن سكت لا يستطيع الجواب، فقال المأمون: يا سليمان هذا أعلم هاشمي^٣.

وفي مجلس آخر جمع المأمون عدداً من علماء الأديان وأهل المقالات، فلم يتكلم أحد إلا وقد ألزمه الإمام عليه السلام حجته.

١. تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٧.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٦١ و ١٧٧.

٣. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٧٩ إلى ١٩١.

وقام إليه علي بن محمّد بن الجهم، وأثار الشبهات حول عصمة الأنبياء استناداً إلى الآيات المتشابهة الواردة في القرآن الكريم، وكذا أثار الشبهات حول عصمة رسول الله ﷺ، فأثبت له عليه السلام العصمة بالعقل والنقل، فبكى ابن الجهم وقال: يا ابن رسول الله أنا تائب إلى الله عزّ وجلّ من أن أنطق في أنبياء الله ﷺ بعد يومي هذا إلا بما ذكرته^١.

وكان هدف المأمون - كما يرى الشيخ الصدوق - هو الحرص على انقطاع الإمام عليه السلام عن الحجّة مع واحد من هؤلاء، حسداً منه له، ولمنزلته من العلم. واستطاع الإمام عليه السلام من خلال حرّيّة المناظرة أن يردّ على جميع الشبهات المثارة من قبل أصحاب الأديان وأصحاب المذاهب، واستثمر الحرّيّة المتاحة في تنفيذ آراء الغلاة والواقفة، وتثبيت الآراء السليمة المنسجمة مع نهج أهل البيت عليه السلام.

رابعاً: نشر مفاهيم وفضائل أهل البيت عليه السلام

استثمر الإمام عليه السلام الفرصة المتاحة له لنشر مفاهيم وفضائل أهل البيت عليه السلام ودورهم الريادي في الأمة، وخصوصاً بين الوزراء وقادة الجيش والفقهاء والقضاة، ومن يرتبط بالبلاط الحاكم بصلة واليك صوراً من هذا النشاط:

١. فضائل ومقامات الإمام علي عليه السلام

نشر الإمام عليه السلام أحاديث رسول الله ﷺ التي تتعلق بإمامة علي عليه السلام وفضائله ومقاماته السامية، بعد أن طمست في عهد الأمويين والعباسيين الذين سبقوا المأمون في الحكم، ومنها:

قول رسول الله ﷺ: عليّ إمام كلّ مؤمن بعدي^٢.

١. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٩١ إلى ١٩٥.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٨١.

وقوله ﷺ: يا علي أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله.
وأنت النبا العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثل الأعلى.
يا علي أنت إمام المسلمين وأمير المؤمنين، وخير الوصيين وسيد الصديقين.
يا علي أنت الفاروق الأعظم، وأنت الصديق الأكبر... إن حزبك حزبي، وحزبي
حزب الله، وإن حزب أعدائك حزب الشيطان^١.

٢. فضائل ومقامات العترة الطاهرة

وفي مجلس عقده المأمون لجماعة من علماء العراق وخراسان سأل عن معنى
الآية الكريمة: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»^٢.
فأجابه العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها.
فقال المأمون: ما تقول: يا أبا الحسن؟
فقال الإمام عليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة
الطاهرة.

ثم ذكر اثنتي عشرة آية قرآنية تدل على أفضلية العترة الطاهرة ودورها الريادي في
إمامة المسلمين.
فقال المأمون ومن معه: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الأمة خيراً، فما نجد
الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلا عندكم^٣.

٣. كتاب الإمام في محض الإسلام

سأل المأمون الإمام عليه السلام أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز

١. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٦.

٢. فاطر / ٣٢.

٣. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٢٨ إلى ٢٤٠.

والاختصار، فكتب إليه أصول العقائد ومنها الإمامة وجمعها في كتاب جاء فيه:
 وإنّ الدليل بعده - أي بعد رسول الله ﷺ - والحجة على المؤمنين والقائم بأمور
 المسلمين، والناطق عن القرآن، والعالم بأحكامه، أخوه وخليفته، ووصيته ووليّه، والذي
 كان منه بمنزلة هارون من موسى، علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين وإمام المتقين
 وقائد الفر المحجلين، وأفضل الوصيّين، ووارث علم النبيّين والمرسلين.

وبعده الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

ثم بين عليه السلام في كتابه أسماء الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام وقال: ومن مات ولم يعرفهم
 مات ميتة جاهليّة، وأنّ من دينهم الورع والعفة والصدق والصلاح والاستقامة والاجتهاد
 وأداء الأمانة إلى البر والفاجر...^١

٤ . خصائص وواجبات إمام المسلمين

وضّح الإمام عليه السلام في لقاءاته وفي أجوبته ومناظراته ما يتعلق بإمام المسلمين من
 خصائص وشروط وواجبات وحقوق، لكي تطلع الأُمّة على المفاهيم السليمة حول
 الإمام، وتقارن بينها وبين المتصدي لمنصب الإمامة في خصوص الجانب التطبيقي
 وهو الحكم.

ومن أقواله عليه السلام: إنّ الإمامة أسس الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام
 الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود
 والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحلّل حلال الله ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله ويذبّ عن دين الله،
 ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.^٢

١ . عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٢٢.

٢ . عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢١٨ و بنحوه في: تحف العقول.

وبين عليّ عليه السلام خصائص الإمام الذي يقوم بدور القدوة والحجّة، والإشراف على تطبيق أحكام الإسلام، ومنها أن يكون الأفضل في العلم والتقوى والكفاءة في الإدارة والسياسة.

خامساً: حقن الدماء

من مكتسبات قبول ولاية العهد من قبل الإمام عليّ عليه السلام هو حقن دماء المسلمين من أتباع أهل البيت عليهم السلام ومن أتباع النظام الحاكم، فأعلن المأمون العفو العام عن قادة الثورات، ومنهم: زيد وإبراهيم أخوة الإمام عليّ عليه السلام، ومحمّد بن جعفر، وتوقفت الثورات المسلّحة، وتوجّه قادتها وكوادرها إلى إصلاح الأوضاع بصورة سلميّة هادئة، وبناء قواعدهم الشعبيّة، والاستفادة من الظروف المتاحة لتطوير الحركة الرساليّة، وتبيان الحقائق للمسلمين لكي لا يزعجهم الحاكم فيما بعد لقمع المعارضين لحكمه من أهل البيت عليهم السلام أو من غيرهم، وكان لتعيين أخوة الإمام عليّ عليه السلام في بعض المناصب الحكوميّة دور كبير في إرشاد وتوجيه المسلمين لاتخاذ الموقف السليم في التعامل فيما بينهم، والتعامل مع الحكومة القائمة، وقد جاء قبول الإمام عليّ عليه السلام لولاية العهد في وقت كان أتباعه في أمس الحاجة لقسط من التفرّغ للعمل الرسالي بعيداً عن حمل السلاح الذي يكلفهم كثيراً من الطاقات والإمكانات الماديّة والبشريّة.

الخاص

□ بالرغم من أنّ الإمام الرضا عليه السلام كان قد اضطرّ إلى قبول ولاية العهد تحت التهديد والضغط لكنّه أحرز عدّة مكتسبات بقبوله ولاية العهد، ومن هذه المكتسبات مايلي:

١ . الجوّ العامّ الَّذي حصلت به البيعة الَّذي ساعد على نشر وإيضاح مكانة الإمام الرضا عليه السلام وعظيم فضله وعلمه.

٢ . انتشرت فضائل أهل البيت عليهم السلام حيث كتب المأمون كتاباً للعباسيّين المعارضين على ولاية العهد يوضّح فيه فضائل الإمام علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام ودورهم في إرساء دعائم الرسالة ونصر الرسول صلّى الله عليه وآله.

٣ . الحرّيّة النسبيّة الّتي تمتع بها الإمام عليه السلام وجماعته الصالحة.

٤ . تمكن الإمام عليه السلام من نشر مبادئ أهل البيت عليهم السلام بشكل بعيد عن التقية.

٥ . تأكيد الإمام الرضا عليه السلام على صفات الإمام ودوره في حفظ الشريعة وإقامة العدل موضّحاً بذلك انحراف الخليفة العبّاسي.

الأسئلة

- ١ . ما هي خصائص الإمام عند الإمام الرضا عليه السلام؟
- ٢ . ما هي الأمور التي تتوقف على وجود الإمام، وما هو دوره في الحياة الإسلامية؟
- ٣ . أذكر خمسة مصادر لحديث الغدير في كتب الفريقين؟
- ٤ . ما هي دلالات قوله عليه السلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانيبي بعدي؟
- ٥ . ماذا حقق الإمام عليه السلام في مناظراته مع أهل الأديان والمذاهب؟
- ٦ . ذكر الإمام الرضا عليه السلام حديث رسول الله عليه السلام الذي جاء فيه: يا علي أنت الفاروق الأعظم، وأنت الصديق الأكبر... إن حزبك حزبي، وحزبي حزب الله. فما هو حكم من عادى علياً طبقاً لهذا الحديث؟
- ٧ . متى يُعزل الحاكم عن منصبه في رأي الإمام الرضا عليه السلام؟
- ٨ . ما ذا كان دور المأمون في الترويج لأهل البيت: بعد قبول ولاية المهدي؟

نشاط الإمام الرضا عليه السلام بعد البيعة

١. إحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في صلاة العيد

بعد ثلاثة وعشرين يوماً من كتابة كتاب العهد بعث المأمون إلى الإمام عليه السلام يسأله أن يصلي بالناس صلاة العيد، وبعد إلحاح شديد وتكرار للطلب وافق الإمام عليه السلام على أن يخرج كما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأجابه المأمون إلى ذلك، فخرج كما خرج رسول الله في هيئته ولباسه، ثم رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا... ورفع صوته، فأجهش الناس بالبكاء، ونزل القواد عن دوابهم وترجلوا، وضجت مرو ضجة واحدة، وكان عليه السلام يمشي ويقف في كل عشر خطوات وقفة، ولما سمع المأمون بذلك، قال له الفضل بن سهل: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلّي على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأي أن تسأله أن يرجع، فبعث إليه وسأله الرجوع، فدعا عليه السلام بخفه فلبسه ورجع^١.

واستطاع الإمام عليه السلام بفعله هذا أن يحيي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد اندثار معالمها، واستطاع التأثير على قلوب الناس بما فيهم القادة والفقهاء.

٢. إفشال خطط المأمون

طلب المأمون من الإمام عليه السلام أن يولي أحد أتباعه على البلدان المتمردة على حكمه، لإيقاف تمردھا، وجعل أتباع الإمام عليه السلام وجهاً لوجه أمام المعارضين، ولكن الإمام عليه السلام رفض ذلك استناداً إلى الشروط التي شرطها قبل القبول بولاية العهد، وقال له: تقي لي وأفي لك، فإنّي إنّما دخلت فيما دخلت على أن لا آمر فيه، ولا أنهي ولا أعزل، ولا أولي ولا أسير، حتى يقدمني الله قبلك، فوالله إن الخلافة لشيء ما حدثت به نفسي، ولقد كنت بالمدينة أتردد في طرقتها على دابتي، وأن أهلها وغيرهم يسألونني الحوائج فأقضيها لهم، فيصيرون كالأعمام لي، وأنّ كتبي لنافذة في الأمصار، ومازدتني في نعمة هي عليّ من ربي، فأجابه المأمون وقال: أفي لك^١، ولم يراجع في نفس القضية، ولم يبق أمامه إلا إصلاح الأوضاع لتجنّب الثورات والحركات المسلّحة.

ولم يتدخل الإمام عليه السلام في تعيين مسؤولي سائر المناصب كالقضاة وأمراء الجيش وغيرهم، ولم يتدخل إلا في إصلاح المفاهيم والقيم الإسلامية وكلّ ما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين.

واستطاع الإمام عليه السلام إفشال خطط المأمون التي كان يهدف من ورائها إضعاف الشرعية على حكمه، أو القاء تبعيّة الفساد الإداري والحكومي على الإمام عليه السلام.

٣. إصلاح القضاء

رُفع إلى المأمون أن صوفيّاً من أهل الكوفة قد سرق، فلما حضر رأي المأمون سيماء الخير عليه، فقال: سوءاً لهذه الآثار الجميلة بهذا الفعل القبيح، فقال الصوفي: فعلت ذلك اضطراراً لا اختياراً وقد منعت من الخمس والغنائم، فمعتني حقّي وأنا مسكين وابن سبيل وأنا من حملة القرآن، وبعد تهديد المأمون له أجابه الصوفي: أتقطعني وأنت عبدلي؟ أليست أمك اشتريت من مال الفبيء... والأخرى أن النجس لا يظهر

نجساً إنما يطهره طاهر، ومن في جنبه حد لا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه.

فالتفت المأمون إلى الإمام عليه السلام وقال: ماتقول؟

فقال عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لَنَبِيِّهِ: «قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ»^١.

وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله، كما يعلمها العالم بعلمه، والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة، وقد احتج الرجل، فأمر المأمون بإطلاقه^٢.

وفي أحد الأيام أراد المأمون أن يضرب عنق رجل، فقال للإمام عليه السلام: ماتقول يا أبا الحسن؟

فقال عليه السلام: أقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يَزِيدُكَ بِحَسَنِ الْعَفْوِ إِلَّا عَزًّا، فاتبع قول الإمام عليه السلام وعفا عنه^٣.

وأتى المأمون بنصراني قد فجر بهاشمية، فلما رآه أسلم، فغاضه ذلك، وسأل الفقهاء، فقالوا: أهدر الإسلام ما قبل ذلك، فسأل المأمون الرضا عليه السلام فقال:

اقتله؛ لأنّه أسلم حين رأى البأس؛ قال الله عز وجل: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ»^٤.

٤. الإصلاح الإداري

لم يتدخل الإمام عليه السلام في الشؤون الإدارية إلا في الحالات التي كان يجد فيها مصلحة إسلامية عامة، وتمنع الأعداء من اختراق الجهاز الإداري والحكومي، ففي ذات مرة قال الفضل بن سهل للمأمون: قد وليت النفر الفلاني فلاناً التركي، فسكت المأمون.

١. الأنعام / ١٤٩.

٢. مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٩٨ و ٣٩٩.

٣. نثر الدر، ج ١، ص ٣٦٢.

٤. غافر / ٨٤.

٥. نثر الدر ١: ٣٦١.

فقال الإمام عليه السلام: ما جعل الله تعالى لإمام المسلمين وخليفة رب العالمين القائم بأمر الدين: أن يولي شيئاً من ثغور المسلمين أحداً من سبي ذلك الثغر؛ لأنَّ الأنفس تحنُّ إلى أوطانها، وتشفق على أجناسها، وتحبُّ مصالحها، وإن كانت مخالفة لأديانها. فقال المأمون: اكتبوا هذا الكلام بماء الذهب^١.
فقد أعطى الإمام عليه السلام قاعدة كلّية في شؤون تعيين الولاة والأمراء على الثغور.

٥. نشر الآراء الصائبة في داخل البلاط

استثمر الإمام عليه السلام فرصة وجوده في البلاط الحاكم لنشر الآراء الصائبة في مختلف جوانب الفكر والعقيدة ليطلّع الحاكم والوزراء والقادة والأمراء والفقهاء، والخدم والبوابون على آراء مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومتبنياتهم الفكرية والعقائدية، إضافة إلى فضائلهم ومكارمهم.

وكان الإمام عليه السلام يتحدّث ابتداءً حسب الظروف، ويجيب في ظروف أخرى على الأسئلة الموجهة إليه.

فحينما سأله الفضل بن سهل على الجبر قال عليه السلام: الله أعدل [من] أن يجبر ثمَّ يعذّب.

وحينما سأله عن التفويض قال عليه السلام: الله أحكم [من] أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه^٢.

وسأله المأمون عن الوجه الذي أصبح فيه عليّ بن أبي طالب قسيم الجنة والنار؟ قال عليه السلام: ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس أنّه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: حبّ عليّ إيمان وبغضه كفر؟ فقال: بلى.

فقال الإمام عليه السلام: فقسمة الجنة والنار إذا كانت على حبّه وبغضه، فهو قسيم الجنة

١. الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، ص ٢١٩ و ٢٢٠.

٢. نثر الدر، ج ١، ص ٣٦١.

والنار.

فقال المأمون: لأبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنك وارث علم رسول الله ﷺ^١.

واستطاع الإمام عليه السلام أن يجعل المأمون وغيره يسألونه، ويعترفون بفضائل أهل البيت عليهم السلام، وكان المأمون يعقد مجالس النظر، ويجمع المخالفين لأهل البيت عليهم السلام، ويكلّمهم في إمامة علي بن أبي طالب تقريباً للإمام الرضا عليه السلام^٢.

٦. نصائح الإمام عليه السلام للمأمون

كان الإمام عليه السلام يكثر وعظ المأمون إذا خلا به، ويخوفه بالله، ويقبح ما يرتكبه وكان المأمون يظهر قبول ذلك منه، ويبطن كراهته واستنقاله^٣.

ودخل عليه ذات مرّة فرآه يتوضأ، والغلام يصب الماء على يده، فقال عليه السلام: لا تشرك بعبادة ربك أحداً، فتولّى إتمام وضوئه بنفسه^٤.

وقال له يوماً: ما التقت فتنان قط إلّا نصر الله أعظمها عفواً^٥.

ودخل عليه المأمون وقرأ عليه كتاب فتح بعض قرى كابل، فقال الإمام: وسرك فتح قرية من قرى الشرك، فقال المأمون: أليس في ذلك سرور؟

فقال عليه السلام: ...إتق الله في أمة محمد ﷺ... فإنك قد ضيّعت أمور المسلمين، وفوّضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله، وقعدت في هذه البلاد، وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحي، وأنّ المهاجرين والأنصار يظلمون دونك ولا يرقبون في

١. نثر الدر، ج ١، ص ٣٦٤.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٨٤ و ١٨٥.

٣. الإرشاد، ص ٣١٥.

٤. بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٢٨٣.

٥. تاريخ اليعقوبي، ص ٤٥٣.

مؤمن إلّا ولا ذمّة، ويأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه، ويعجز عن نفقته ولا يجد من يشكو إليه حاله.

ونصحه بنقل عاصمته من خراسان، فقال المأمون: نعم ماقلت ياسيدي! هذا هو الرأي^١.

وبالفعل عاد المأمون إلى بغداد واتخذها عاصمة له، بعد أن وجد صواب الرأي والنصيحة من قبل الإمام عليه السلام.

٧. الحفاظ على الوجود الإسلامي

من مسؤوليات الأئمة عليهم السلام بعد إقصائهم عن مركز القيادة السياسيّة الحفاظ على الوجود الإسلامي ومنعه من الانهيار والتفكك.

فحينما أراد الفضل بن سهل قتل المأمون وتنصيب الإمام عليه السلام حاكماً رفض عليه السلام ذلك ولعن الفضل لأنّ هدفه استغلال الإمام عليه السلام لإسكات المسلمين وإبقاء الإمام عليه السلام حاكماً مقيداً محجوراً عليه في البلاط، ومثل هذه المؤامرة تؤدّي إلى انقسام خطير في الوجود الإسلامي، تسفك فيه الدماء، فقام الإمام عليه السلام بواجبه وحذّر المأمون من الفضل، وأن يتعامل معه بحيطّة وحذر^٢.

وقال عليه السلام للمأمون في موضع آخر: إنّ العامّة تكره ما فعلت بي، وأن الخاصّة تكره ما فعلت بالفضل بن سهل، فالرأي لك أن تتحنن عنك حتى يصلح أمرك^٣.

وأخبره بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل الأمين، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه الأخبار^٤.

١. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٥٩ و ١٦٠.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٦٧.

٣. نثر الدر، ج ١، ص ٣٦٣.

٤. تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٥٦٤.

وبعد قتل الفضل بن سهل، اجتمع أنصاره لقتل المأمون، فطلب من الإمام عليه السلام تفريقهم، فخرج إليهم عليه السلام فتفرقوا^١، واستطاع إنقاذ المأمون من القتل لأنَّ قتله يؤدي إلى انقسام الكيان والوجود الإسلامي، فأنصار الفضل سيكون لهم كيان في خراسان، وسيستقل الحسن بن سهل بالبلاد التي بإمرته، وسيبايع العباسيون لإبراهيم بن المهدي المغني الشهير، إضافة إلى خلخلة أوضاع الجيش الذي يقطن في الثغور، ولهذا قام الإمام عليه السلام بمنع إحراق بيت المأمون وقتله.

٨. تشجيع الشعراء الرساليين

من أجل نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام وبيان دورهم في الأمة، وتبيان مظلوميّتهم على مرّ التاريخ، شجّع الإمام عليه السلام الشعراء على نظم الشعر في هذا الخصوص لأنّه خير وسيلة إعلاميّة سريعة الانتشار والتأثير، فقد دخل عليه دعبل الخزاعي وأنشده قصيدته التي جاء فيها:

مدارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ	ومنزَلٌ وحيٍّ مقفِرِ العَرَصَاتِ
لآلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى	وبالبيتِ والتعريفِ والجمراتِ
أَنْثَمَةُ عَدْلٍ يُقْتَدَى بِفَعَالِهِمْ	ويؤمّن فيهم زلة العثراتِ

وتضمنت القصيدة فضائل أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم السامية، واستعراض لمظلوميّتهم من قبل حكام عصرهم، ثمّ ختم القصيدة بخروج الإمام المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

فأعطاه الإمام عليه السلام ستمائة دينار، فرفض استلامها، وطلب من الإمام أن يعطيه من ثيابه للتبرك فأعطاه جبّة خز^٢، وردّ عليه المال إضافة إلى الجبّة^٣.

١. سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٩١؛ الفصول المهمة، ص ٢٤٩ و ٢٥٠.

٢. سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٩١؛ الفصول المهمة، ص ٢٤٩ و ٢٥٠.

٩. نشاطات الإمام العلميّة

كان الإمام عليه السلام يمارس دوره العلمي في الأوساط التي عاشها في البلاط وغيره، وكان يلتقي مع المحسوبين على جهاز الحكم، ومع سائر المسلمين، فينشر علوم أهل البيت عليهم السلام على أتم صورة. وكان المأمون وبطانته يطلبون منه التحدث، فيحدثهم ويجيب على أسئلتهم، فقد كتب للمأمون عدة رسائل في محض الإسلام وشرائع الدين، وفي الطب وغيره من العلوم ووضّح في نشاطه العلمي علل الشرائع والأحكام، وعلل تحريم المنكرات، وقام بتفسير القرآن الكريم، ونشر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وعلم المسلمين الأدعية المأثورة عنه عليه السلام وعن آبائه، وبَيّن التاريخ الصحيح للأنباء، وللأمم السابقة، وأرشد الناس إلى الصحيح من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

وكان يعلم الناس الفقه على رأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد بلغ عدد الرواة عنه حوالي ٣١٣ راوياً - كما أحصاهم صاحب مسند الإمام الرضا - وهم يشكلون طلاب مدرسته العلميّة.

ونظرة سريعة إلى مسنده، تُعطينا صورة عن مجموعة الإرشادات والتوجيهات التي أدلى بها عليه السلام لطلاب مدرسته وغيرهم في جميع مجالات الفكر والعقيدة والشرعية، نشر فيها المفاهيم والقيم الإسلاميّة التربويّة والروحيّة، ليقوم الصالحون بنشرها في أوساط الأمة لكي تحلّ محلّ لمفاهيم والقيم المحرّفة غير المنسجمة مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وقد ذكر الشيخ الطوسي رحمته الله ٣١٥ رجلاً من أصحاب الإمام عليه السلام، بينما أنهاهم الشيخ القرشي إلى ٣٦٧ صحابياً وراوياً^١.

الناص

□ لم ينجح المأمون في تحجيم دور الإمام عليه السلام والتضييق عليه بل كان للإمام عليه السلام دور مهمّ خلال فترة وجوده قريباً من المأمون، وأهم تلك النشاطات:

□ ١. إحياء سنة الرسول ﷺ في إقامة صلاة العيد وإن منعه المأمون فيما بعد عن إقامتها.

□ ٢. إفشال خطط المأمون حين أراد أن يجعل تبعة، ماكانت تعانيه الولايات من فساد إداري واقتصادي على الإمام عليه السلام وجماعته بممانعته المأمون حين طلب منه أن يرسل والياً على إحدى الولايات من الجماعة الصالحة.

□ ٣. الحكم بما يرضي الله، حيث أجبر الإمام الرضا عليه السلام المأمون أن يحكم بالعدل في قضايا كثيرة منها قضية الصوفي الذي أتي به سارقاً من الكوفة.

□ ٤. التدخل في إصلاح بعض الأمور الإدارية كما في إشارته على المأمون أن يولي غير والي التركي على أحد النفور التركية.

□ ٥. تصحيح المفاهيم الخاطئة في البلاط.

□ ٦. الوعظ والنصح للمأمون الدائم وزجره عن الانحراف.

□ ٧. الحفاظ على الوجود الإسلامي.

□ ٨. مواصلة النشاط العلمي بجد.

السئلة

- ١ . ما هي عوامل خروج الإمام الرضا عليه السلام إلى صلاة العيد؟
- ٢ . لماذا رفض الإمام عليه السلام أن يولي أحد أتباعه على البلدان المتمردة على حكم المأمون؟
- ٣ . لماذا تدخل الإمام عليه السلام في إبداء وجهة نظره في تعيين والي الثغر التركي؟
- ٤ . كيف استدل الإمام عليه السلام على أن علياً عليه السلام هو قسيم الجنة والنار؟
- ٥ . ما هي مظاهر الواقع الفاسد التي بيّنها الإمام عليه السلام للمأمون حينما وجده مسروراً بفتح قرية من قرى الشرك؟
- ٦ . لماذا رفض الإمام عليه السلام عرض الفضل بن سهل بقتل المأمون، وتنصيب الإمام حاكماً بدله؟
- ٧ . ما هي الأسباب وراء موقف الإمام عليه السلام للحيلولة دون قتل المأمون؟
- ٨ . ما هي أهم نواحي الإمام عليه السلام للمأمون في الحفاظ على الكيان الإسلامي؟

مستقبل الرسالة والحركة الرسالية

إنَّ دور الإمام عليه السلام لا يتحدّد بحدود المرحلة الزمنية التي يعاصرها، وإنّما يمتدّ بامتداد الزمان، فله دور مرحلي ودور شمولي، وهو المسؤول عن ثبات المنهج الإسلامي وخلوده مع الزمن، ومن هنا فإنَّ دور الإمام ينصبّ في المهام التالية:

١ . طرح المفاهيم والعقائد الصحيحة، وبيان الأحكام الشرعية.

٢ . إصلاح الواقع الفاسد.

٣ . رفق الأئمة بالعناصر الواعية المخلصة القادرة على نشر العقائد والأحكام

وإصلاح الواقع.

٤ . تعيين الإمام الذي يليه طبقاً للنصوص الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥ . توجيه العقول والقلوب إلى المستقبل المشرق الذي سيقوده الإمام المهدي عليه السلام

في آخر الزمان، والتركيز على خصوصيات الإمام المهدي عليه السلام من حيث الولادة والنشأة والغيبة، والمظاهر البارزة في دوره الرسالي.

إمام المستقبل

من أصول العقيدة في منهج أهل البيت عليهم السلام أَنَّ الأرض لا تخلو من إمام منصوب

من قبل الله تعالى، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة أو كان الثاني الحجة^١.

واتفق المسلمون على وجوب معرفة الإمام، ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقد وردت روايات عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله تؤكد ذلك^٢.

سئل الإمام الرضا عليه السلام عن كيفية تعيين الإمام اللاحق فقال عليه السلام: إنما يوصي بأمر الله عز وجل... ما هو إلا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فرجل مسمى^٣.

والإمامة خاصة بأهل البيت عليهم السلام، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وأن أمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فانظروا من توفدون^٤.

ووردت روايات عنه صلى الله عليه وآله تصرّح بأن عدد الأئمة اثنا عشر كلهم من قریش^٥، ثم خصّصهم ببني هاشم^٦، ثم بولد علي بن أبي طالب، ثم حصرهم في ولد الحسين، وذكر أسماءهم لعلي بن أبي طالب^٧.

١. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٢٣٠.

٢. كافي الشيعة، ج ١، ص ٣٧٦؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٦١؛ السنن الكبرى، ج ٨، ص ١٥٦؛ شرح المقاصد، ج ٥، ص ٢٣٩.

٣. بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٦٨.

٤. الصواعق المحرقة، ص ٢٣١.

٥. مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٦٥٧؛ سنن أبي داود، ج ٤، ص ١٠٦؛ سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٠١؛ مصابيح السنة، ج ٤، ص ١٣٧.

٦. مودة القريين، ص ٤٤٥؛ إحقاق الحق، ج ١٣، ص ٣٠؛ ينابيع المودة، ج ١، ص ٣٠٨.

٧. كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر، ص ٢٣، ٨٩، ٢١٧؛ أمالي المفيد، ص ٢١٧؛ ينابيع المودة، ج ٢، ص ٥٣٢.

النص على إمامة محمد الجواد عليه السلام

كان الإمام الجواد عليه السلام موضع عناية من قبل أبيه الإمام الرضا عليه السلام منذ نشأته الأولى، وكان يوجه الأنظار إلى ولادته^١.

وكان عليه السلام يقول: هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه^٢. وقال أيضاً: هذا أبو جعفر قد أجلسه مجلسي وصيرته مكاني، إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة^٣.

وقال عليه السلام: أبو جعفر وصيي وخليفتي في أهلي من بعدي^٤.

وكانت النصوص على إمامة ابنه محمد الجواد عليه السلام عديدة ومتظافرة، اختلف في ظاهرها بسبب اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بالإمامين، وبأتباعهم وأنصارهم، وبسبب اختلاف أصحاب الإمام الرضا عليه السلام في الوعي ودرجة التلقي وكتمان السرّ، وقرّبهم وبعدهم عن الإمام عليه السلام من حيث الولاء السياسي والعاطفي.

عن جعفر بن محمد النوفلي، قال: أتيت الرضا عليه السلام فسلمت عليه، وقلت له: جعلت فداك! إن أناساً يزعمون أنّ أباك حيّ، فقال: كذبوا لعنهم الله... فقلت له: ماتاً مرني؟ قال: عليك بابني محمد من بعدي، وأمّا أنا فإنّي ذاهب في وجه الأرض لأرجع منه...^٥.

وعن البزنطي قال: قال لي ابن النجاشي: من الإمام بعد صاحبك؟ فأحبّ أن تسأله حتّى أعلم، فدخلت على الرضا عليه السلام فأخبرته، فقال لي: الإمام ابني^٦.

١. الكافي، ج ١، ص ٣٢١؛ الفصول المهمة، ص ٢٦٥.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٢١.

٣. الكافي، ج ١، ص ٣٢٠؛ الفصول المهمة، ص ٢٦٥.

٤. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٤٠.

٥. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢١٦.

٦. الكافي، ج ١، ص ٣٢٠.

واجتمع جماعة عنده فلما نهضوا قال لهم: القوا أبا جعفر فسلموا عليه وأحدثوا به عهداً، ثم قال: يرحم الله المفضل أنه لكان ليقنع بدون ذلك^١.

وفسر العلامة المجلسي قوله عليه السلام: ليقنع بدون ذلك، أي: بأقل مما قلت لكم في العلم بأنه إمام بعدي ونههم على أن غرضه النص عليه، ولم يصرح به تقيّة وافتاء^٢. وكان عليه السلام على اتصال دائم بابنه الجواد عليه السلام، وكان يخاطبه في رسائله بالتعظيم والتوقير^٣.

وكان يبدي له التوجيهات والإرشادات لكي يفهم أتباع أهل البيت عليه السلام بأنها جاءت في مقام إعداده للإمامة من بعده ومما جاء في بعض هذه الرسائل قوله عليه السلام: **إني أريد أن يرفعك الله**^٤.

وقد أعد عليه السلام طليعة من الكوادر لإسناد إمامة الجواد عليه السلام ومنهم: عمه علي بن الإمام الصادق عليه السلام، وصفوان بن يحيى، وأحمد بن محمد بن أبي نصر.

الإعداد لإمامة المهدي المنتظر عليه السلام

المهدي المنتظر من الحقائق الثابتة عند المسلمين بمختلف مذاهبهم، وهو المصلح الأكبر والمنقذ الأعظم للبشرية من الانحراف الفكري والسلوكي، ومن الظلم والاضطهاد والاستغلال والفساد، وظهوره يشكّل قمة الصراع بين الإسلام والكفر، وبين الحقّ والباطل، وبين الفضيلة والرذيلة، وبظهوره ينتصر الإسلام والحقّ على جميع ألوان الكفر والباطل.

واختلف المسلمون في خصوصيات ولادته:

١. الكافي، ج ١، ص ٣٢٠.

٢. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٥.

٣. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٤٠.

٤. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٨.

فالرأي الأول: يقول: إنّه لم يولد بعد.

والرأي الثاني - وهو رأي أهل البيت عليهم السلام وبعض المؤرخين من غيرهم - أنّه مولود وهو محمّد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمّد الجواد^١.

وقد تواترت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه من العترة الطاهرة، لقوله صلى الله عليه وآله: لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً^٢.

- المهدي من عترتي من ولد فاطمة^٣.

- المهدي من ولد الحسين^٤.

ووردت الروايات عنه صلى الله عليه وآله في غيبته ومنها: والذي بعثني بالحقّ بشيراً ليغيبنّ القائم من ولدي بعهد معهود إليه منّي، حتى يقول أكثر الناس: ماله في آل محمّد حاجة، ويشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكّه^٥.

ووردت روايات متواترة عن أهل البيت عليهم السلام تؤكد أنّه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهنالك روايات تؤكد على أنّه التاسع من ولد الحسين بن علي عليه السلام، ووردت روايات تؤكد على أنّه الخامس من ولد السابع، ووردت أيضاً: إذا تواتت ثلاثة أسماء: محمّد وعلي والحسن كان رابعهم قائمهم^٦.

١. تأريخ الإسلام للذهبي، ص ١٦١؛ الوافي بالوفيات للصفي، ج ٢، ص ٣٣٦؛ شذرات الذهب

لابن العماد الحنبلي، ج ١، ص ١٥٠؛ الكامل في التأريخ لابن الأثير، ج ٧، ص ٢٧٤.

٢. سنن أبي داود، ج ٤، ص ١٠٧.

٣. سنن أبي داود، ج ٤، ص ١٠٧؛ سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٦٨؛ عقد الدرر، ص

٤٢.

٤. عقد الدرر، ص ٤٦؛ كفاية الطالب، ص ٥٠٣.

٥. كمال الدين و تمام النعمة، ج ١، ص ٥١.

٦. كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٣٤ وقبلها.

وكان الأئمة يروّجون لهذه المفاهيم حول الغيبة وخصوصيات الإمام عليه السلام، ويزداد التركيز على ذلك كلّما قرب عصر ولادة الإمام المهدي عليه السلام، وجاء دور الإمام الرضا عليه السلام لتركيز هذه الحقيقة في العقول والقلوب، ولنلاحظ نشاطه عليه السلام في هذا العدد:

١. الإمام الرضا عليه السلام و الغيبة

عن أيوب بن نوح قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّنا نترجو أن تكون صاحب هذا الأمر، وأنّه يرده الله عزّ وجلّ إليك من غير سبق، فقد بويع لك، وضربت الدراهم باسمك. فقال عليه السلام: مامناً أحد اختلفت إليه الكتب، وسئل عن المسائل وأشارت إليه الأصابع، وحملت إليه الأموال إلا اغتيل أو مات على فراشه، حتى يبعث الله عزّ وجلّ لهذا الأمر رجلاً خفيّ المولد والمنشأ غير خفيّ في نسيبه^١. وعن محمد بن أبي يعقوب البلخي قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إنّهُ سيبتلون بما هو أشدّ وأكبر؛ يبتلون بالجنين في بطن أمّه والرضيع، حتى يقال: غاب ومات، ويقولون: لا إمام^٢.

٢. تحديد نسيبه واسمه

صرّح الإمام عليه السلام بنسب الإمام المهدي عليه السلام وبأنّه الثالث من ولده، فقال عليه السلام: كائن في الشيعة عند قدوم الثالث من ولدي يطلبون المرعى فلا يجدونه. فقال له علي بن الحسين بن فضال: ولمّ ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأنّ إمامهم يغيب عنهم... لئلا يكون في عنقه لأحد بيعة إذا قام بالسيف^٣.

١. كمال الدين، ج ٢، ص ٣٧٠؛ الكافي، ج ١، ص ٣٤١.

٢. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٥٥ عن الغيبة للنعماني.

٣. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٥٢.

ثم صرّح باسمه فقال: لا بد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كلّ بطانة ووليّة، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي...سَمّي جدي، وشبّيهي، وشبّيه موسى بن عمران^١.

٣. الارتكاز الذهني في العقيدة بالمهدي

كانت العقيدة المهديّة مركوزة في أذهان أتباع أهل البيت عليهم السلام، وكانوا ينتظرون قيامه لإصلاح الأمّة وإقامة العدل، وقد كان الإمام الرضا عليه السلام يعمّق هذا الارتكاز في الأذهان.

قال دعبل الخزاعي: لمّا نشدت مولاي الرضا هذه القصيدة - مدارس آيات - وانتهيت إلى قولي:

خروج إمام لامحالة قائم يقوم على اسم الله والبركات
يميّز فينا كلّ حقّ وباطل ويجزي على النعماء والنقمات.
بكى الرضا عليه السلام ثم رفع رأسه إليّ وقال:

ياخزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذا البيت، أتدري من هذا الإمام الذي تقول؟.

قال دعبل: قلت: لأدري إلّا أنّي سمعت يامولاي بخروج إمام منكم يملأ الأرض عدلاً.

فقال: يادعبل، الإمام بعدي محمّد ابني، وبعده عليّ ابنه، وبعده علي ابنه الحسن، وبعده الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، ولو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم، حتّى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^٢.

١. كمال الدين، ج ٢، ص ٣٧١.

٢. الفصول المهمة، ص ٢٥١؛ إعلام الوري، ص ٣١٨؛ كمال الدين، ج ٢، ص ٣٧٢.

وقد بين عليه السلام لخواصه والمقربين له جميع خصوصيات الإمام المهدي (عج) لتعميق إيمانهم بغيته، وكتمانهم للأمر خوفاً من ملاحقة السلطات له. وكان العباسيون يدركون ولادة المهدي عليه السلام وغيته، ولعلّ إشخاصهم للأئمة المتأخرين وفرض الإقامة الجبرية عليهم في داخل البلاط الحاكم هو أحد الأساليب المتبعة لمراقبة ولادة الإمام المهدي عليه السلام، ولعلّ اغتيال الأئمة عليهم السلام من قبلهم وهم في عمر الشباب كان أيضاً للحيلولة دون ولادة المهدي عليه السلام.

استشهاد الإمام الرضا عليه السلام

أدّى الإمام عليه السلام دوره المكلف به في نشر المفاهيم والقيم الإسلامية وإقرارها في الواقع، وإعداد الجماعة الصالحة لتستمر في حمل المسؤولية، ووضع اللبنة الأساسية لمستقبل الرسالة، والحفاظ على الوجود الإسلامي. وقد توقع الإمام عليه السلام استشهادَه وعدم إتمام ولاية العهد وصرّح بأنّه سيموت قبل المأمون.

وقد أحسّ المأمون بتنامي القاعدة الشعبية للإمام عليه السلام حتى تأثر به الوزراء والقواد والفقهاء والمقربون للبلاط، ولم يستطع أن يحقق ما أراد من تثبيت سلطانه، فقد تمرد عليه العباسيون، ولم يستطع المأمون أن يحطّ من شأنه عليه السلام أمام الملأ، وكان الإمام عليه السلام يعارضه في جملة من مواقفه وممارساته، وأخذ المسلمون يقارنون بينهما من حيث الأهلية للخلافة، لذا أقدم على قتله واغتياله بالسّم كما هو ظاهر أغلب الروايات^١. وكانت شهادته في آخر صفر سنة ٢٠٣ هـ فسلام عليه يوم ولد ويوم بويع ويوم استشده ويوم يبعث حياً.

١. الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ٢٥١؛ مرآة الجنان، ج ٢، ص ١٢؛ تأريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٤٥٣؛ الثقات لابن حبان، ج ٨، ص ٤٥٧؛ نهاية الإرب، ج ٢٢، ص ٢١٠؛ مآثر الإنابة في معالم الخلافة، ج ١، ص ٢١١.

الخامس

□ بالإضافة إلى جميع النشاطات والمكتسبات الخاصة بعصر الإمام الرضا ومرحلته الزمنية نجد الإمام عليه السلام يهتم بمستقبل الرسالة والحركة الرسالية فينصّ على الإمام من بعده ويهيّء الأرضية اللازمة لإمامته كما نلاحظه أيضاً يهيّء الأرضية اللازمة لإمامة حفيده المهدي المنتظر وغيبته والذي كانت تقترب الأمة الإسلامية والجماعة الصالحة من أيام إمامته وغيبته.

□ وكما كان يقدر الإمام أنّ أيام ولاية العهد سوف لاتطول لأنّ المأمون لا يستطيع أن يتحمّل تبعات هذه الولاية المشروطة بشروط الإمام عليه السلام لأنّ أهدافه لم تحقق، ووجود الامام عليه السلام كان يشكّل خطراً ماحقاً له في المستقبل القريب، فقد وجد المأمون نفسه أمام هذا الفشل الذريع والخطر الناجم من ولاية عهد الإمام عليه السلام فخطّط لاغتياله وتصفية وجوده الشريف.

□ وهكذا استشهد الإمام عليه السلام في آخر صفر من سنة ٢٠٣ هجرية.

□ فسلام عليه يوم ولد و يوم استشهد و يوم يبعث حياً.

الفصل

١ . اتفق المسلمون على وجوب معرفة الإمام، ووجوب البيعة له، اذكر ثلاثة أحاديث عن رسول الله ﷺ حول ذلك؟

٢ . هل يكون تعيين الإمام باختيار من الأمة أم بنص من الله تعالى ورسوله، ولماذا؟

٣ . كيف كان الإمام الرضا عليه السلام يهيء الأجواء لإمامة ابنه محمد الجواد عليه السلام؟

٤ . لماذا لم يصرح الإمام عليه السلام بإمامة ولده أمام الملاء؟

٥ . حدّد نسب الإمام المهدي (عج) من خلال أحاديث رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام؟

٦ . لماذا ازداد التركيز على الإمام المهدي عليه السلام من قبل الأئمة المتأخرين؟

٧ . ماذا كان دور الإمام الرضا عليه السلام تجاه قضية الإمام المهدي؟

٨ . كيف تجمع بين الروايات التي تنص على: أَنَّ الأئمة من قریش، والروايات التي تنص على: أَنَّ الأئمة من بني هاشم لتثبت أنها مشيرة إلى الأئمة الإثني عشر أولهم علي وآخريهم المهدي؟

٩ . هل استطاع المأمون أن يحقق أهدافه من وراء تولية العهد للإمام الرضا عليه السلام؟

١٠ . كيف تثبت أَنَّ الإمام الرضا عليه السلام مات مسموماً؟

ظاهرة الإمامة المبكرة في مدرسة أهل البيت عليه السلام

ولد الإمام محمد الجواد سنة ١٩٥ هـ واستشهد الإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠٢ أو ٢٠٣ هـ فكان عمره حين استشهاده أبيه وتصديه لمنصب الإمامة سبع أو ثمان سنوات وأشهر وعاصر في باقي عمره القصير كلاً من المأمون والمعتصم وهذه الظاهرة بطبيعتها غريبة على الناس بالرغم من أن القرآن الكريم قد بين لها عدّة مصاديق تاريخية فيما يخص نبوة عيسى ويحيى عليه السلام.

إنّ الإمكان العقلي لا يكفي لإقرار مثل هذه الحقيقة في النفوس التي لم تألفها، فلا بدّ من تمهيدات ومقدمات تهيب الأرواح اللازمة ليتقبل عامة المؤمنين بإمامة أهل البيت عليه السلام هذه الظاهرة ويسلموا زمام أمرهم إلى صبيّ يكون إماماً وقائداً ربانياً للمسيرة الإسلامية رغم كلّ التحديات الزمانية والمكانية التي تكتنف الخطّ الشيعي بشكل عام وهذه الظاهرة في هذا الخطّ بشكل خاصّ.

من هنا نلاحظ تمهيدات الإمام الرضا عليه السلام في خصوص الإمامة على مذهب أهل البيت عليه السلام ملفته للنظر وواسعة ومركزة للغاية وقد قرنها الإمام الرضا عليه السلام بتمهيدات تخص إمامة ابنه الجواد عليه السلام المبكرة والتي كانت تشكل بداية مهمة لهذه

الظاهرة المتميزة التي تجسدت في خط أهل البيت عليهم السلام حيث نلاحظ تكرّر هذه الظاهرة فيما بعد في إمامة الهادي عليه السلام ثم في إمامة حفيده المهدي عليه السلام.

ومن الواضح أنّ جملة من نشاطات الإمام الممهد والإمام الممهد له سوف تتمحور حول تقرير هذه الظاهرة التي تشكل مدخلاً جديداً للإيمان بإمامة أهل البيت عليهم السلام وعاملاً من عوامل استمرار هذا الخط الإلهي عبر التحديات المختلفة التي خرج منها مذهب أهل البيت عليهم السلام ظافراً.

لقد أضافت هذه الظاهرة دليلاً حسيّاً جديداً إلى جانب سائر الأدلة على حقانيّة مذهب أهل البيت عليهم السلام وربانيّة خطهم ورسالتهم.

ومن هنا كانت دراسة النصوص الصادرة عن الإمام الرضا عليه السلام باعتباره الإمام المباشر في التمهيد لإمامة الجواد عليه السلام ضرورة تاريخيّة تستدعي الوقوف عندها والبحث فيها لثري كيف استطاع مذهب أهل البيت عليهم السلام أن يتجاوز هذه العقبة - كما تجاوز غيرها - بنجاح.

نصوص الإمام الرضا عليه السلام على إمامة الجواد المبكرة

تدرّجت النصوص الخاصّة الصادرة من الإمام الرضا عليه السلام حول إمامة ابنه الجواد من قبل أن يولد واستمرّ صدورها حتّى قبل استشهادِه وذلك لتمهيد وإيجاد الأرضيّة اللازمة للإمامة المبكرة المتمثلة في إمامة الجواد عليه السلام ولاسيّما إذا لاحظنا أنّها تعتبر ظاهرة فريدة في نوعها إذ تظهر لأوّل مرّة في تاريخ أهل البيت عليهم السلام.

وبالإمكان أن نصنّف النصوص التي ناهزت الأربعين نصّاً إلى عشرة نصوص يعود تأريخها إلى ما قبل الولادة وعدّة نصوص صدرت بعد الولادة وحوالي ١٤ نصّاً ترتبط بمرحلة الصبا وعشرة نصوص تختصّ بمرحلة ما قبل استشهاد الإمام الرضا بدءاً بترحيله من المدينة وانتهاءً باستقراره في خراسان وطوس.

ومن النصوص التي صدرت عنه عليه السلام قبل ولادة ابنه محمّد الجواد عليه السلام:

١. عن ابن قياماً الواسطي: - وكان واقفياً - قال: دخلت على علي بن موسى عليه السلام فقلت له: أياكون إمامان؟ قال: لا إلا أن يكون أحدهما صامتاً فقلت له: هو ذا أنت ليس لك صامت؟ فقال: بلى والله ليجعلنّ الله منّي ما يثبت به الحق وأهله ويمحق به الباطل وأهله: ولم يكن في الوقت له ولد، فولد له أبو جعفر عليه السلام بعد سنة^١.

٢. وعن عقبة بن جعفر قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: قد بلغت ما بلغت وليس لك ولد. فقال: يا عقبة إن صاحب هذا الأمر لا يموت حتى يرى خلفه من بعده^٢.

٣. وعن حنان بن سدير، قال: قلت للرضا عليه السلام: يكون إمام ليس له عقب؟ فقال لي: أما إنه لا يولد لي إلا واحد ولكن الله ينشيء منه ذرية كثيرة^٣.
وأما النصوص التي صدرت عنه عليه السلام بعد ولادته عليه السلام فمنها:

١. قال صفوان بن يحيى، قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر، فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً فقد وهب الله لك وأقرّ عيوننا فلا أراني الله يومك، فإن كان كون، فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر وهو قائم بين يديه.
فقلت: جُعِلت فداك هذا ابن ثلاث سنين! قال: وما يضرّ من ذلك قد قام عيسى بالحجة وهو ابن أقلّ من ثلاث سنين^٤.

٢. وعن معمر بن خلاد أنّ الرضا عليه السلام قال: هذا أبو جعفر قد أجلسه مجلسي وصيرته مكاني. إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة^٥.
وتبلغ النصوص التي صدرت عن الإمام الرضا عليه السلام خلال فترة حياة الجواد عليه السلام مع أبيه حوالي خمسة وعشرين نصّاً على الأقل.

١. الإرشاد، ص ٢٩٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٥.

٣. إثبات الوصية، ص ٢١١.

٤. مسند الإمام محمد الجواد، ص ٢٨.

٥. الكافي، ج ١، ص ٣٢٠.

وفيهما ما يتضمن إقرار بعض الشخصيات الشيعة اللامعة مثل علي بن جعفر (عم أبيه) بإمامته وخضوعه له والتسليم لأمره.

على أن طبيعة الظرف الذي عاشه الإمام الرضا عليه السلام سواء كان في المدينة أو في خراسان بالنسبة، لظاهرة الإمامة المبكرة المتمثلة في الجواد من أهل البيت عليه السلام لأول مرة قد طغت على قضية النص، فكان اختبار الإمام عليه السلام من قبل شيعة أبيه وغيرهم هو الحكم الفصل في هذا المجال.

ومن هنا نجد جملة من نشاطات الإمام الجواد عليه السلام قد انصبّت لتثبيت موقعه القيادي.

وما الكرامات والمناقب التي ظهرت منه بعد استشهاد أبيه عليه السلام إلا طريق واضح من طرق إثبات إمامته للمتريدين فيها.

الإمام الجواد عليه السلام يدحض مزاعم المشككين بإمامته

إن اضطلاع الإمام الجواد عليه السلام بأعباء الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله وتصديه لإمامة المسلمين في ذلك الوقت المبكر قد أوجد حالة بين الناس تراوحت بين التساؤل والتشكيك.

على أن التساؤلات قد تم حسمها عبر الأحاديث والتوجيهات التي صدرت عن الإمام الرضا عليه السلام وانتشرت بين مقربيه ورؤساء القرى الموالية لأهل البيت عليه السلام في كثير من البلدان كمصر والحجاز والعراق وبلاد فارس، علاوة على مانهض به الإمام من أمور لتبديد تلك الأوهام التي قد تثار بعد وفاة الإمام الرضا كما يبدو من بعض الروايات الواردة بهذا الشأن.

قال أبو جعفر الطبري الإمامي: فلما مضى الرضا وذلك في سنة اثنتين ومائتين وसन أبي جعفر ست سنين وشهورا واختلف الناس في جميع الأمصار، اجتمع الريان بن الصلت وصفوان بن يحيى ومحمد بن حكيم وعبدالرحمن بن الحجاج في بركة زلزل يبكون

ويتوجعون من المصيبة فقال لهم يونس: دعوا البكاء، من لهذا الأمر يفتي المسائل إلى أن يكبر هذا الصبي - يعني أباجعفر - وكان له ست سنين وشهور، ثم قال: أنا ومن مثلي. فقام إليه الريان بن الصلت فوضع يده في حلقه ولم يزل يلطم وجهه ويضرب رأسه، ثم قال له: يا ابن الفاعلة ان كان أمر من الله جلّ وعلا فابن يومين مثل ابن مائة سنة، وإن لم يكن من عند الله فلو عمر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة أو بعضه وهذا ممّا ينبغي أن ينظر فيه.

وأقبلت العصابة على يونس تعذله، وقرب الحج واجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً وخرجوا إلى المدينة وأتوا دار أبي عبد الله، فدخلوها وبسط لهم بساط أحمر، وخرج إليهم عبد الله بن موسى فجلس في صدر المجلس وقام مناد فنادى: هذا ابن رسول الله فمن أراد السؤال فليسال. فقام إليه رجل من القوم فقال له: ماتقول في رجل قال لامرأته أنت طالق عدد نجوم السماء؟ قال: طلقت ثلاثاً دون الجوزاء.

فورد على الشيعة ما زاد في غمهم وحزنهم إليه، ثم قام رجل آخر فقال: ماتقول في رجل أتى بهيمة؟ قال: تقطع يده ويجلد مائة جلدة وينفى. فضج الناس بالبكاء وكان قد اجتمع فقهاء الأمصار فهم في ذلك إذ فتح باب من صدر المجلس وخرج موقّ.

ثم خرج أبوجعفر وعليه قميصان وازار وعمامة بذؤابتين، أحدهما من قدام والأخرى من خلف ونعل بقبالين فجلس وأمسك الناس كلهم، ثم قام إليه صاحب المسألة الأولى فقال: يا ابن رسول الله ماتقول فيمن قال لامرأته أنت طالق عدد نجوم السماء؟ فقال له: يا هذا اقرأ كتاب الله، قال الله تبارك وتعالى: «الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان في الثالثة» قال: فإنّ عمك أفتاني بكيت وكيت، فقال: يا عم اتق الله ولا تفت وفي الأمة من هو أعلم منك.

فقام إليه صاحب المسألة الثانية فقال له: يا ابن رسول الله ماتقول في رجل أتى بهيمة؟ فقال: يعزّر ويحمى ظهر البهيمة وتخرج من البلد لا يبقى على الرجل عارها، فقال: إنّ عمك أفتاني بكيت وكيت فالتفت وقال بأعلى صوته: لا إله إلا الله يا عبد الله

إنّه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يدي الله فيقول لك: أفتيت عبادي بما لا تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك.

فقال عبدالله بن موسى: رأيت أخي الرضا وقد أجاب في هذه المسألة بهذا الجواب. فقال أبو جعفر: إنما سئل الرضا عن تباش نبش قبر امرأة ففجر بها وأخذ ثيابها فأمر بقطعه للسرقه وجلده للزنا ونفيه للمثلة، ففرح القوم^١.

الإمام الجواد عليه السلام وتخطي القوانين الطبيعيّة

إنّ تصدّي الإمام الجواد عليه السلام لإمامة المسلمين - وهو صبي - كان معجزة بذاته. وستتطرق فيما بعد إلى ما أظهره من المعارف الإلهيّة، وتحديّه لكبار الفقهاء بما فيهم قاضي قضاة الدولة العبّاسيّة مع ملاحظة عمره الشريف حين مخاورته مع ابن أكرم باعتبار أنّ ذلك من مصاديق الصفة الإعجازيّة التي تجسد حقيقة ارتباطه بالله تعالى وقربه منه وحجم الدعم الغيبي الذي كان يحظى به من عند الله عزّ وجلّ. ولكن التاريخ يحدثنا بأنّه كان يستفيد من الدعم الإلهي الغيبي لتثبيت إمامته في نفوس المسلمين أو تصعيد درجة إيمان أتباعه من المؤمنين، وإليك نماذج من هذا النشاط:

١. عن محمّد بن علي الهاشمي قال: دخلت على أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام صبيحة عزّسه بينت المأمون وكنت تناولت من اللّيل دواءً فأول من دخل عليه في صبيحته أنا وقد أصابني العطش وكرهت أن أدعوا بالماء، فنظر أبو جعفر عليه السلام في وجهي وقال: أراك عطشاًناً قلت أجّل. قال: يا غلام اسقنا ماءً.

فقلت في نفسي: الساعة يأتونه بماء مسموم واغتصمت لذلك، فأقبل الغلام ومعه الماء فتبسّم في وجهي ثمّ قال: يا غلام ناولني الماء فتناول الماء فشرب، ثمّ ناولني

فشربت وأطَلْتُ عنده فعطشت فدعي بالماء ففعل كما فعل في المرة الأولى فشرب، ثم ناولني وتبسم. قال محمد بن حمزة: فقال لي محمد بن علي الهاشمي: والله إني أظن أن أبا جعفر يعلم ما في النفوس كما يقول الراضية^١.

٢. عن المطرفي قال: مضى أبو الحسن الرضا عليه السلام ولي عليه أربعة آلاف درهم لم يكن يعرفها غيري وغيره.

فأرسل إليّ أبو جعفر عليه السلام: إذا كان في غد فائتني فأتيته من الغد، فقال لي: مضى أبو الحسن عليه السلام ولك عليه أربعة آلاف درهم، قلت: نعم، فرفع المصلى الذي كان تحته فإذا تحته دنائير فدفعها إليّ فكان قيمتها في الوقت أربعة آلاف درهم^٢.

٣. عن معلّى بن محمد قال: خرج عليّ أبو جعفر عليه السلام حدثان موت أبيه فنظرت إلى قدّه لأصف قامته لأصحابنا، فقعده، ثم قال: يا معلّى إن الله احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ به في النبوة، فقال: وآتيناك الحكم صبيّاً^٣.

٤. قال أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري: دخلت على أبي جعفر الثاني ومعى ثلاث رقاع غير معنونة فاشتبهت عليّ فاغتممت لذلك غمّاً، فتناول إحداهنّ وقال: هذه رقعة ريان بن شبيب، ثم تناول الثانية فقال: هذه رقعة محمد بن حمزة، وتناول الثالثة وقال: هذه رقعة فلان. فبهت فنظر إليّ وتبسم عليه السلام.

قال الحميري: وقال لي أبو هاشم: وأعطاني أبو جعفر ثلاثمائة دينار وأمرني أن أحملها إلي بعض بني عمّه وقال: أما إنه سيقول لك دلّني على حريف يشتري لي بها متاعاً فدله عليه، قال: فأتيت بالدنائير فقال لي: يا أبا هاشم دلّني على حريف يشتري بها متاعاً ففعلت.

١. الإرشاد، ص ٣٠٥ ويشير هذا النص إلى أن أتباع أهل البيت عليهم السلام ومن يرتبط بهم كانوا يتوقعون اغتيال الإمام عليه السلام من قبل السلطة.

٢. الإرشاد، ص ٣٠٦.

٣. الإرشاد، ص ٣٠٦.

قال أبو هاشم: وكلفني جمال أن أكلّمه ليدخله في بعض أموره فدخلت عليه لأكلّمه فوجدته يأكل مع جماعة فلم يمكنني كلامه، فقال: يا أبا هاشم كلّ، ووضع بين يديّ ثم قال - ابتداء منه من غير أن أسأله -: يا غلام أنظر الجمال الذي أتانا أبو هاشم فضمّه إليك^١.

٥. عن الحر بن عثمان الهمداني قال: دخل اناس من أصحابنا من أهل الري على أبي جعفر عليه السلام وفيهم رجل من الزيدية فسألناه مسألة فقال أبو جعفر لقلامه: خذ بيد هذا الرجل فأخرجه فقال الزيدي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله طيباً مباركاً وأنت حجة الله^٢.

٦. عن العباس بن السندي الهمداني عن بكير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن ابنة عمّي تشتكي من ريح فقال: ابيني بها فأتيته فدخلت عليه فقال لها ممّ تشتكين. قالت: ركبتني جعلت فداك فمسح يده على ركبتها من وراء الثياب وتكلّم بكلام فخرجت ولم تجد من الوجع شيئاً^٣.

٧. عن علي بن إسباط قال: خرجت مع أبي جعفر عليه السلام من الكوفة وهو راكب على حمار فمرّ بقطيع غنم فتركت شياء القطيع وغدت اليه فاحتبس عليه السلام وأمرني أن أدعو الراعي إليه ففعلت، فقال أبو جعفر عليه السلام: أيها الراعي إن هذه الشياخ تشكو وتزعم أن لها رحلين وأن تحيف عليها بالحلب وإذا رجعت إلى وطنها بالعنا لم تجد معها لبنا وإن كفت من ظلمها وإلا دعوت الله تعالى أن يبتز عمرك.

فقال الراعي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنت وصيه أسالك لما أخبرتني من أين علمت هذا الشأن. قال أبو جعفر: نحن خزّان الله على علمه وغيبه وحكمته وأوصياء أنبيائه وعباد مكرمون^٤.

١. مسند الإمام الجواد عليه السلام، ص ٣٧ عن إعلام الوري.

٢. الثاقب، ص ٢٠٨.

٣. الثاقب، ص ٢٠٨.

٤. الثاقب، ص ٢٠٩.

٨. عن محمد الأشعري قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقضيت حوائجي وقلت له: إن أم الحسن تقرئك السلام وتسألك ثوباً من ثيابك تجعله كفناً لها قال: قد استغنت عن ذلك فخرجت ولست أدري مامعنى ذلك فأتى الخبر بأنها قد ماتت قبل ذلك بثلاثة عشر يوماً أو أربعة عشر يوماً^١.

٩. عن ابن أرومة قال: إن المعتصم دعا جماعة من وزرائه وقال: اشهدوا لي على محمد بن علي بن موسى زورا فاكذبوا أنه أراد أن يخرج فدعاه، فقال: إنك أردت أن تخرج عليّ. فقال: والله ما فعلت شيئا من ذلك. فقال: إن فلانا وفلانا وفلانا شهدوا عليك واحضروا فقالوا: نعم هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك. قال وكان جالسا في نهر.

فرجع أبو جعفر يده وقال: اللهم إن كانوا كذبوا عليّ فخذهم. قال فنظرنا إلى ذا النهر يزحف ويذهب ويحيى وكلما قام واحد وقع عليه، وقال: قال المعتصم: يابن رسول الله تبت مما قلت فادع ربك أن يسكنه. فقال: اللهم سكنه وأنت تعلم أنهم أعداؤك وأعدائي^٢.

الناقب

□ يعتبر التصدي لإمامة المسلمين فكرياً وروحياً وسياسياً في سن الطفولة مع استجابة جماهير العلماء لهذه الإمامة ظاهرة فريدة من نوعها تميزت بها مدرسة أهل البيت عليه السلام تميزاً واضحاً وأضاف إلى سائر الأدلة العقائدية على حقايق مذهبهم دليلاً حسياً جديداً.

□ ويعتبر الإمام محمد الجواد عليه السلام أول إمام تمثلت فيه هذه الظاهرة الفريدة. واستدعت هذه الظاهرة التمهيد الخاص من الإمام الرضا عليه السلام

ثم تصدّى الإمام الجواد عليه السلام لإثبات هذه الحقيقة متحدّياً كلّ المحاولات التي كوّنت لإسقاطه وإبطال مذهب أهل البيت عليه السلام تبعاً لهذا الإسقاط.

□ و تدرجت نصوص الإمام الرضا عليه السلام لإقرار هذه الظاهرة قبل بزورها بل قبل ولادة الإمام الجواد عليه السلام بتهينة الذهنية الشيعية أولاً في الدائرة القريبة منه، ثم استمر التمهيد خلال سبع سنوات من حياة الجواد عليه السلام في طلابه إذ كان يرجع إليه البت في الأمور ويكشف لأتباعه تميّزه واستعداده للتصدي لمنصب الإمامة الإلهية التي يعتقد بها مذهب أهل البيت عليه السلام.

□ و كانت جملة من نشاطات الإمام الجواد عليه السلام تنصبّ على إقرار هذه الحقيقة الفريدة وقد استطاع الإمام الجواد عليه السلام خلال مدة إمامته أن يثبت هذه الحقيقة للملأ الإسلامي العامّ فضلاً عن أتباع أهل البيت عليه السلام.

السئلة

١. ما هي ظاهرة الإمامة المبكرة؟
٢. وما هي دلالاتها؟
٣. ما هي التمهيدات التي صدرت من الإمام الرضا عليه السلام تجاه هذه الظاهرة؟
٤. كيف تصنّف النصوص الصادرة عن الإمام الرضا عليه السلام في هذا المجال؟
٥. هل استطاع الإمام الجواد أن يدحض مزاعم المشكّكين بإمامته؟ وكيف؟
٦. ما هي الأساليب التي استخدمها الإمام الجواد عليه السلام لدحض مزاعم المشكّكين؟
٧. اذكر نموذجاً لكل أسلوب.

مدلول ظاهرة الإمامة المبكرة

يشكل وجود الإمام الجواد عليه السلام برهاناً واضحاً على صحة عقيدة أهل البيت عليهم السلام في الإمامة.

وذلك لأن ظاهرة تولي شخص في سنّ الطفولة لمنصب الإمامة وما رافقها من شؤون تستطيع أن تقدّم لنا دليلاً قاطعاً على سلامة هذه العقيدة التي يتميز بها مذهب أهل البيت عليهم السلام عمّا سواه من المذاهب في قضية الإمامة التي هي منصب إلهي وموقع (ربّاني) لا يكون على أساس الانتخاب والترشيح البشري وإنما يكون على أساس التعيين والنصب الإلهي لشخصٍ تجتمع في وجوده كلّ عناصر الكفاءة والقدرة الحقيقيه لإدارة هذا المنصب الربّاني من قيادة فكرية (علمية) ودينيّة وعملية للمؤمنين بإمامته بل للمسلمين جميعاً.

لقد أجمع المؤرخون على أن الإمام الجواد عليه السلام قد توفى أبوه عليه السلام وعمره لا يزيد على ثمانين أو سبع سنين. وتولّى منصب الإمامة بعد أبيه عليه السلام وهو في سن الطفولة بحسب ظاهر الحال.

وهذه الظاهرة هي أوّل ظاهرة من نوعها في حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ظاهرة الإمامة المبكرة في حساب الاحتمالات

لو درسنا هذه الظاهرة على أساس حساب الاحتمالات لوجدناها كافية لوحدها للإقناع بحقانيّة مدرسة الإمام الجواد وخطّ أهل البيت عليهم السلام الأظهر الذي كان يمثلّه الإمام الجواد عليه السلام.

إذ كيف يمكن أن نفترض فرضاً آخر غير فرض الإمامة الواقعيّة (الربانيّة) في شخص لا يزيد عمره عن سبع سنين ويتولّى زعامة هذه الطائفة في كلّ المجالات الروحيّة والفكريّة والدينيّة (التشريعيّة والسياسيّة).

المحتملات في أفق الواقع

والفروض الأخرى التي لا يمكن افتراضها وقبولها هنا هي كما يلي:

الافتراض الأول

إنّ الطائفة الشيعيّة التي آمنت بإمامة هذا الشخص لم ينكشف لديها بوضوح أنّ هذا المدعي للإمامة هو صبي.

وهذا الفرض غير صحيح لأنّ زعامة الإمام من أهل البيت عليهم السلام لم تكن زعامة محاطة بالشرطة والجيش وأبهة الملك والسلطان بحيث يُحجب الزعيم عن رعيته.

ولم تكن زعامة دعوة سرّيّة من قبيل الدعوات الصوفيّة أو الفاطميّة التي تحجب بين رأس الدعوة وبين قواعد الدعوة ليُحتمل أنّ هذه القيادة كانت محجوبة عن رعيّتها مع إيمان الرعية بها.

إنّ الإمام من أهل البيت عليهم السلام كان مكشوفاً أمام الطائفة وكانت الطائفة بكلّ طبقاتها تتفاعل معه مباشرة في مسائلها الدينيّة وفي قضاياها الروحيّة والأخلاقيّة.

إنّ الإمام الجواد عليه السلام نفسه كان قد أصرّ على المأمون حينما استقدمه إلى بغداد في أن يسمح له بالرجوع إلى المدينة وسمح له بالرجوع إليها فرجع وقضى بقيّة عمره أو

أكثر عمره فيها.

وهكذا بقي الإمام الجواد عليه السلام مكشوفاً أمام مختلف طبقات المسلمين بما فيهم الشيعة المؤمنون بزعامته وإمامته.

فافتراض أنه لم يكن مكشوفاً أمام شيعته بالخصوص خلاف طبيعة العلاقة التي أنشئت منذ البداية بين أئمة أهل البيت عليهم السلام وقواعدهم الشعبية هذا أولاً.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن الإمام الجواد عليه السلام كان قد سلّطت عليه أضواء خاصة من قبل المأمون (الخليفة العباسي) - في القصة المعروفة عن تزويجه لابنته أم الفضل ورصد العباسيين الإمام عليه السلام للردّ على موقف المأمون منه - فهذا شاهد آخر على بطلان احتمال عدم انكشافه أمام المسلمين.

الافتراض الثاني

إن المستوى الفكري والعلمي للطائفة الشيعية التي آمنت بالإمام عليه السلام وقتئذٍ لم يكن بالمستوى المطلوب الذي تستطيع من خلاله أن تميّز الخطأ من الصواب في مجال الإيمان بإمامة طفل يدّعي الإمامة وهو ليس بإمام.

وهذا الافتراض أيضاً ممّا يكذّبه الواقع التاريخي لهذه الطائفة مع ما وصلت إليه من مستوى علمي وفقهي.

فإنّ هذه الطائفة قد خلفها الإمام الباقر والصادق عليهما السلام وفيها أكبر مدرسة للفكر الإسلامي في العالم الإسلامي على الإطلاق وهذه المدرسة تتكوّن من جيلين متعاقبين: جيل تلامذة الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام، وجيل تلامذة تلامذتهم.

وكان هذان الجيلان على رأس هذه الطائفة متميزين في مبادئ الفقه والتفسير والكلام والحديث والأخلاق بل في كلّ جوانب المعرفة الإسلامية.

إذن المستوى الفكري والعلمي لهذه الطائفة ما كان ليتمكن أن يمرّ عليه مثل هذا الاعتقاد إن لم يكن له رصيد واقعي ودليل منطقي ومعقول ومُلمز لمعتنقيه بالإيمان بهذه

الإمامة المبكرة التي تشكّل تحدياً لكل الظروف والواقع المعاش الذي لا يستفيد معتنقوه من الإيمان به غير التحديد والضغط والمطاردة والقتل والتهديد. وإن أمكن لشخص أن يتصور أن رجلاً عالمًا كبيراً محيطاً مطلعاً بلغ الخمسين أو الستين يستطيع أن يقنع مجموعة من الناس بإمامته وهو ليس بإمام لأنه يتصف بدرجة كبيرة من العلم والمعرفة والذكاء والاطلاع فليس بالإمكان أن نفترض ذلك في شخص لم يبلغ العاشرة من عمره. فإنه كيف يستطيع أن يقنع طائفة بإمامته كذباً وهو مكشوف أمامها وهذه الطائفة ذات مدرسة فكرية من أضخم المدارس الفكرية التي وجدت في العالم الإسلامي يومئذٍ. وهي مدرسة كان بعض قطاعاتها في الكوفة وبعضها في قم وبعضها في المدينة، فهي مدرسة موزعة في حواضر العالم الإسلامي وكانت على صلة مباشرة بالإمام الجواد عليه السلام تستفتيه وتسأله وتنقل إليه الأموال من مختلف الأطراف من شيعته.

فمثل هذه المدرسة لا يمكن أن نتصور أنها تغفل عن حقيقة طفل لا يكون إماماً.

الافتراض الثالث

إن مفهوم الإمام والإمامة لم يكن واضحاً عند الطائفة الشيعية بل إنها كانت تتصور أن الإمامة مجرد تسلسل نسبي ووراثي ولم تكن تعرف ماهو الإمام وماهي قيمة الإمام وماهي شروط الإمام.

وهذا الافتراض يكذبه واقع التراث المتواتر من أمير المؤمنين عليه السلام إلى الإمام الرضا عليه السلام عن شروط الإمامة وحقيقتها وعلامات الإمام عند هذه الطائفة بنحو يميزها عما سواها من الطوائف والمذاهب التي تجعل الإمامة منصباً بشرياً لا يصعب على كثير من الناس التسلّق إليه.

بينما قام التشيع على المفهوم الإلهي المعمق للإمامة وهو من المفاهيم الأولى والبدئية للتشيع، فإن الإمام في المفهوم الشيعي إنسان فذ فريد في معارفه وأخلاقه

وأقواله وأعماله. وهذا المفهوم قد أشارت إليه مجموعة كبيرة من النصوص من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عهد الإمام الرضا عليه السلام^١.

وقد أصبحت كلّ التفاصيل والخصوصيات بالتدريج واضحة ومرتكزة عند الطائفة الشيعية وتقولبت بها ذهنيّتها حتّى بعض التفاصيل الثانوية.

يقول الراوي: دخلت المدينة بعد وفاة الإمام الرضا عليه السلام أسأل عن الخليفة بعد الإمام الرضا عليه السلام. فقليل: إنّ الخليفة في قرية قريبة من المدينة فخرجت إلى تلك القرية ودخلتها وكان فيها بيت للإمام موسى بن جعفر عليه السلام انتقل منه إلى أولاده. فرأيت البيت غاصّاً بالناس ورأيت أحد إخوة الإمام الرضا عليه السلام كان جالساً يتصدّر المجلس إلّا أنّ الناس يقولون: إنّ هذا ليس هو الإمام بعد الرضا عليه السلام لأنّا سمعنا من الأئمة أنّ الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين.

نعم كلّ هذه التفاصيل والخصوصيات النسبية والمعنوية كانت واضحة ومحدّدة عند الطائفة.

إذن هذا الافتراض الثالث أيضاً يكذّبه واقع التراث الثابت والمتواتر عن الأئمة السابقين على الإمام الجواد عليه السلام.

الافتراض الرابع

أن يكون هناك بين أبناء الطائفة الشيعية نوع من التباين على الزور والباطل. وهذا الافتراض أيضاً يكذّبه الواقع. لا إيماننا الشخصي فقط بورع هذه الطائفة وقديسيّتها. بل لأنّ الطرف الموضوعي لهذه الطائفة هو الذي يكذب هذا الافتراض. فإنّ التشيع لم يكن في يوم من الأيام نبي حياة هذه الطائفة طريقاً إلى الأمجاد وإلى المال والجاد والسلطان والمقامات العالية. بل التشيع طيلة هذه المدة كان طريقاً إلى

١. راجع في هذا الجانب بالخصوص الحديث التفصيلي الذي ورد عن الإمام الرضا عليه السلام حول الإمام والإمامة في تحف العقول.

التعذيب والسجون والحرمان والويل والدمار.

لقد كان التشيع طريقاً شائكاً مزروعاً بالألغام بالخوف والتقية والذل كانت هي مظاهر وثمار هذا الطريق، فما الفائدة المادية في التباي على هذا الزور والباطل في الإمامة مادام التشيع ليس سبيلاً لتحقيق أي مطمع مادي أو مطمع دنيوي آتئذ.

فلماذا يتباي عقلاء الطائفة ووجهاءها وعلمائها على إمامة باطلة؟ مع أن تباينهم عليها يكلفهم كثيراً من ألوان الحرمان والعذاب.

وأي عقل يستسيغ مثل هذه التبعات إذا كان مجرد تباي على أمر باطل؟!

الافتراض المقبول

إن هذه الظروف الموضوعية ألا تكون شاهداً ودليلاً على أن هذا الاعتقاد إنما كان ناشئاً عن حقيقة ثابتة وملزمة لأبناء الطائفة قد وعوها وآمنوا بها واستسلموا للوازمها وآثارها بالرغم من أنها كانت تكلفهم حياتهم المادية على طول الخط؟

إذن أي واحد من الافتراضات الأربعة لا يمكن قبوله إذا اطلعنا على واقع الشيعة والتشيع وتاريخهم المليء بالألغام وأنواع الحرمان وهو يشكل اعتراضاً صارخاً على الوضع القائم في المجتمع الإسلامي بعد عصر الرسول ﷺ.

وهكذا يبقى الافتراض الأخير وهو أن الإمام الجواد عليه السلام بدعواه الإمامة المبكرة وتعديه لكل من وقف أمامه، وصموده أمام كل الإنارات والتساؤلات والاختبارات يشكل دليلاً تاريخياً علمياً قاطعاً على حقانية دعواه، ومذهبه وخطئه - وهو خط أهل البيت عليهم السلام - الذي كان يمثل الإمام الجواد عليه السلام في مجال إمامة المسلمين وزعامة الأمة الإسلامية وقيادة الدولة النبوية التي خلفها الرسول ﷺ لتتكامل وتؤسس الحضارة الإسلامية على أسس الهيّة وقيم ربّانية.

إن التراث القيم الذي تركه لنا هذا الإمام العظيم لدليل قاطع على عظمة الدور الذي قام به هذا الإمام في تبلور العقيدة الشيعية في مجال القيادة الإسلامية التي أكّدها

الآيات القرآنية والنصوص النبوية الشريفة^١.

الخاص

□ مثل وجود الإمام الجواد عليه السلام ظاهرة الإمامة المبكرة لأوّل مرّة في تاريخ إمامة أهل البيت عليهم السلام، ودراسة هذه الظاهرة على أساس حساب الاحتمالات كفيّلة لوحدها للإقناع بحقانيّة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الإمامة. وكلّ المحتملات حينما تعرض على افق الواقع لاتصمد أمام النقد العلمي.

□ و يتعين أن يكون إيمان أبناء الطائفة الشيعيّة بإمامة صبيّ بالمعنى السامي للإمامة على أساس وجود حقيقة ثابتة وملزمة قد وعوها واستسلموا للوازمها بالرغم من أنّ الإيمان بها كان يكلفهم ثمناً باهضاً جدّاً. وهكذا كان تحديّ الإمام الجواد عليه السلام لكلّ الاختبارات ومحاولات التسقيط العلمي وصموده أمام كلّ الإثارات والتساؤلات دليلاً تاريخياً قاطعاً على حقانيّة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مجال إمامة المسلمين.

١ . اعتمدنا في هذا البحث على محاضرة فريدة للشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته الله حول الإمام الجواد عليه السلام وعرضناها بتصريف.

الأسئلة

- ١ . ما هو معتقد أهل البيت عليهم السلام في إمامة الصبي؟
- ٢ . من هم الأئمة الذين تولّوا منصب الإمامة في حال الصبا؟
- ٣ . كيف تدرس ظاهرة الإمامة المبكرة تاريخياً على أساس حساب الاحتمالات؟
- ٤ . ما هي الفروض المحتملة التي لاتصمد أمام الواقع التاريخي؟
- ٥ . كيف تفنّد كلّ واحد من الفروض الأربعة الباطلة؟
- ٦ . ما الذي يميز به هذا التحليل العلمي للإمامة المبكرة؟

ملاح عصر الإمام محمد الجواد عليه السلام (١)

الحالة السياسيّة العامّة

قامت الدولة العبّاسيّة - في بداية أمرها - على الدعوة لخصوص العلويّين، ثمّ لأهل البيت، ثمّ إلى الإمام الرضا عليه السلام من آل محمد صلى الله عليه وآله، وكان سرنجاحها في ربطها بأهل البيت عليهم السلام، حيث تحكّم العبّاسيون، وتسلطوا على الأمتة بدعوى القربى النسيبة من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

ومن هنا فإنّه من الطبيعي أن يكون الخطر الحقيقي الذي يهدّد العبّاسيّين، وخلافتهم، هو من جهة العلويّين الذين كانوا أقوى منهم حجةً، وأقرب منهم منزلة إلى النبي صلى الله عليه وآله.

إنّ ادّعاء العلويّين له مسوّغاته الشرعيّة والتاريخيّة، لاسيّما وأنّ من بينهم من له الجدارة والأهليّة، ويتمتع بأفضل الصفات والمؤهلات لهذا المنصب من العلم والعقل والحكمة، وبُعد النظر في الدين والسياسة، علاوة على ما كان يكنّه الناس لهم من الاحترام والتقدير، أضف إلى ذلك كله: إنّ أهم رجالات الإسلام وأبطاله كانوا من آل أبي طالب رضوان الله عليه، فأبو طالب مربّي النبي صلى الله عليه وآله وكفيله، وعلي عليه السلام وصيه وظهيره، وكذلك الحسن والحسين، وعلي زين العابدين، وبقية الأئمة عليهم السلام.

وقد كان الخلفاء من بني العباس يدركون جيداً مقدار نفوذ العلويين، ويستخفون منهم منذ أيامهم الأولى في السلطة. فمثلاً: وضع السفاح - منذ أول عهده بالحكم - الجواسيس على بني الحسن، حيث قال لبعض ثقاته - وقد خرج وفد بني الحسن من عنده -: «قم بإنزالهم ولا تأل في إطفائهم، وكلما خلوت معهم؛ فأظهر الميل إليهم، والتحامل علينا وعلى ناحيتنا وأنهم أحقّ بالأمر منا، وأحص لي ما يقولون، وما يكون منهم في مسيرهم، ومقدمهم»^١.

لقد أدرك العباسيون أنّ الخطر الذي يهددهم إنّما هو من قبل العلويين، وعليه كان عليهم أن يتحرّكوا لمواجهة الخطر المحدق بهم بكلّ وسيلة، وبأي أسلوب كان، سيّما وهم يشهدون عن كثب سرعة استجابة الناس للعلويين، وتأبيدهم، ومساندتهم لكلّ دعوة من قبلهم.

ويقول المؤرخون:... لكن ذلك المثل الأعلى للعدالة والمساواة الذي انتظره الناس من العباسيين، قد أصبح وهماً من الأوهام، فشراسة المنصور والرشيد وجشعهما، وجور أولاد علي بن عيسى، وعبثهم بأموال المسلمين، يذكّرنا بالحجاج وهشام ويوسف بن عمرو الثقفي، وعمّ الاستياء أفراد الشعب بعد أن استفتح أبو عبد الله المعروف به «السفاح»، وكذلك المنصور بالإسراف في سفك الدماء على نحوٍ لم يعرف من قبل»^٢.

وأما العباسيون في حياتهم الخاصة فنستطيع أن نقف عليها من خلال نصّ للمأمون عنهم حيث كتب للعباسيين في بغداد رسالة جاء فيها:

وليس منكم إلّا لاعب بنفسه، مأفون في عقله وتدبيره، إمّا مغنٍّ، أو ضارب دفّ، أو زامر، واللّه، لو أنّ بني أميّة الذين قتلتموهم بالأمس نُشِروا، فقليل لهم: لاتأنفوا من

١. الحياة السياسيّة للإمام الرضا(ع)، جعفر مرتضى العاملي: ص ٦٦.

٢. المصدر: ص ١٠٨-١٠٩، عن نظريّة الإمامة، أحمد محمود صبحي.

معائب تناولهم بها، لما زادوا على ما صيّرتموه لكم شعاراً وذناراً، وصناعة وأخلاقاً. ليس منكم إلّا من إذا مسّه الشر جزع، وإذا مسّه الخير منع. ولا تأنفون، ولا ترجعون إلّا خشية، وكيف يأنف من بيت مركوباً، ويصبح بإثمه معجباً كأنه قد اكتسب حمداً، غايته بطنه وفرجه، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل، أو ملك مقرب، أحبّ الناس إليه من زين له معصية، أو أعانه في فاحشة، تنظفه المخمورة...^١ فهذه القطعة تبين بجلاء كيف كان خلفاء العبّاسيّين مغمورين في الملذات والشهوات، وتبين لنا نظرهم للحياة وأهدافهم منها، وليس في أقوال المأمون مبالغة، بل إنّ الحقيقة أكبر من ذلك، وكُتِبَ التأريخ والأدب شاهدة على ذلك.

التحدّيات التي واجهها المأمون

١. لقد جابه المأمون تحدّيات كبيرة وخطيرة كانت تهدّد كيان حكمه وتعصف به، وكان بقاءه في السلطة يحتاج إلى الكثير من الدهاء والمناورات، لأنّه كان يواجه:
 - ١ . تحرّك الشيعة ضده وكان تحرّكاً عنيفاً، وثورة أبي السرايا التي عمّت الكثير من الحواضر الإسلاميّة آنذاك كانت خير نموذج لذلك.
 - ٢ . تكتّل العائلة العبّاسيّة ضدّ المأمون ووقوفها إلى جانب الأمين أولاً، ثمّ عزلها له وتعيين عمّه إبراهيم بن المهدي بعد ذلك.
 - ٣ . تحرّكات الخوارج والفئات المناوئة الأخرى.
 - ٤ . وجود المخاطر الخارجيّة من جانب الدول المتربّصة بالدولة الإسلاميّة، خصوصاً الدولة البيزنطيّة.
- وأمام هذه التحديات قام المأمون بالأمور الآتية:
 - ١ . تصفيته لتحرّك أخيه الأمين والقوى المتحرّكة القويّة ضده.

٢ . القيام بلعبة تولية الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد بالإكراه ليصوّر للأمة بأنّه مع القيادة الشرعيّة وأنّه نقل الحكم إليها وهذا يضعف الروح التوريّة للأمة باتّجاه إقامة الحكم بقيادة أهل البيت.

٣ . محاربة وتصفية ثورات العلويّين.

٤ . التصفية الجسديّة للإمام الرضا عليه السلام بعد انتهائه من تصفية الثورات الخطيرة.

٥ . التوجّه لبغداد للقضاء على معارضة البيت العبّاسي.

٦ . تصفية مراكز القوى في الدولة باتّجاه تعزيز قوّته.

٧ . إشاعة فتنة خلق القرآن لإشغال الناس بها عمّا يهمهم.

٨ . تصفية قوى المعارضة الأخرى كالخوارج.

٩ . التوجّه لمحاربة الدولة البيزنطيّة ودفع خطرّها.

هذه هي أهم ملامح الوضع السياسي في مطلع عصر الإمام الجواد عليه السلام.

حقيقة العلاقة بين المأمون والإمام الرضا عليه السلام

وصلت المسيرة الإسلاميّة أثناء إمامة الإمام الرضا عليه السلام إلى مرحلة متقدمة نتيجة الجهود العظيمة التي بذلها الأئمّة السابقون على الإمام الرضا عليه السلام ممّا جعل السلطة العبّاسيّة مضطّرة للدخول فيما دخلت فيه من تولية الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد والإيحاء بتحويل الخلافة من العبّاسيّين إلى أهل البيت عليهم السلام. ولايضاح هذا الأمر نذكر الأمور التالية:

أ - حالة الأئمّة بلحاظ القيادة الشرعيّة

يبدو أن الأئمّة كانت تؤيد قيادة أهل البيت عليهم السلام ولكن ضمن ثلاثة مستويات، هي:

١ . عموم الأئمّة التي أصبحت مؤمنة بقيادة أهل البيت عليهم السلام، دون ارتباطها بهم

برباط عميق من الوعي.

٢ . المعارضون للدولة الذين يعتمدون الكفاح المسلح لإسقاطها وإقامة الحكم الإسلامي.

٣ . المؤمنون الواعون بالقيادة الشرعية وهم أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وأنصاره.

ب - تحرك المأمون على واقع المستويات الثلاثة

انتهج المأمون سياسة المراحل في احتواء المستويات الثلاثة، وبالشكل التالي:

١ . التصدي لمواجهة الثوار الموالين لأهل البيت عليه السلام وتصفيتهم عسكرياً.

وفي أيامه خرج أبو السرايا وقويت شوكته ودعا إلى بعض أهل البيت عليه السلام، فقاتله الحسن بن سهل، فكانت الغلبة لجيش المأمون وقُتل أبو السرايا.

٢ . احتواء التوجّه الشعبي لأهل البيت عليه السلام.

لقد ابتكر المأمون وسيلة سياسية بارعة لاحتواء هذا التوجّه وذلك بسيعة الإمام الرضا عليه السلام على ولاية العهد والتظاهر بموالاته وأهل البيت عليه السلام لتشويه هذا التوجّه الشعبي نحو أهل البيت عليه السلام وتوجيهه نحو الجهاز الحاكم باعتبار الإمام ولياً لعهد.

كان المأمون حذراً من الإمام الرضا عليه السلام، يتحّن الفرص لاغتياله، وقد فعل ذلك في أوّل فرصة فأوعز لعملائه باغتياله، وذلك بعد عامين من ولاية العهد.

عن أحمد بن علي الأنصاري قال: سألت أبا الصلت الهروي فقلت له: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع إكرامه ومحبته له وما جعل له من ولاية العهد بعده؟ فقال: إنّ المأمون إنّما كان يكرمه ويحبه لمعرفة فضلّه، وجعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس أنّه راغب في الدنيا فيسقط محله من نفوسهم، فلما لم يظهر منه في ذلك للناس إلّا ما زاد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه واحد منهم فيسقط محله عند العلماء وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهرية ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين إلّا قطعه وألزمه الحجة،

وكان الناس يقولون: واللّه إنّه أولى بالخلافة من المأمون، وكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيفتاظ من ذلك ويشدد حسده له، وكان الرضا عليه السلام لا يحابي المأمون من حق وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيغيظه ذلك ويحقده عليه ولا يظهره له، فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسّم^١.

عن علي بن إبراهيم، عن ياسر الخادم قال: لما كان بيننا وبين طوس سبعة منازل اعتلّ أبو الحسن عليه السلام فدخلنا طوس وقد اشتدت به العلة، فبقينا بطوس أياماً فكان المأمون يأتيه في كلّ يوم مرتين. فلما كان في آخر يومه الذي قبض فيه كان ضعيفاً في ذلك اليوم فقال لي بعد ما صلّى الظهر:

«يا ياسر أكل الناس شيئاً؟» قلت: ياسيدي من يأكل ههنا مع مانت فيه. فانصب عليه السلام ثم قال: «هاتوا المائدة» ولم يدع من حشمه أحداً إلا أقعده معه على المائدة يتفقد واحداً واحداً، فلما اكلوا قال: «ابعدوا إلى النساء بالطعام» فحمل الطعام إلى النساء فلما فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف، ف وقعت الصيحة وجاءت جوارى المأمون ونساؤه حافيات حاسرات.

وجاء المأمون حافياً وحاسراً يضرب على رأسه، ويقبض على لحيته، ويتأسف ويبكي وتسيل الدموع على خديه فوقف على الرضا عليه السلام وقد أفاق فقال: ياسيدي واللّه ما أدري أي المصيبتين أعظم عليّ، فقد لي لك وفراقي إياك، أو تهمة الناس لي أنا اغتلتك وقتلتك، قال: فرفع طرفه إليه ثم قال: «أحسن يا أمير المؤمنين معاشره أبي جعفر، فإنّ عمرك وعمره هكذا.» وجمع سبائيه.

قال: فلما كان من تلك الليلة قضى عليه بعد ما ذهب من الليل بعضه، فلما أصبح اجتمع الخلق وقالوا: هذا قتله واغتاله، يعني المأمون، وقالوا: قُتل ابن رسول الله وأكثروا القول والجلبة، وكان محمد بن جعفر بن محمد عليه السلام استأمن إلى المأمون وجاء إلى

خراسان وكان عمّ أبي الحسن فقال له المأمون: يا أبا جعفر أخرج إلى الناس وأعلمهم أنّ أبا الحسن لا يخرج اليوم وكره أن يخرج ففتح الفتنة فخرج محمد بن جعفر إلى الناس فقال: أيها الناس تفرقوا فإنّ أبا الحسن لا يخرج اليوم ففرق الناس وغسل أبو الحسن في الليل ودفن^١.

وقد استطاع المأمون أن يخدع الكثيرين عندما أظهر حزنه وجزعه على استشهاد الإمام الرضا عليه السلام بصورة أثرت على عامة الناس المغفلين لكنّها لم تنطل على الخواص والعارفين.

طبيعة حكم المأمون

لقد شخص السيد عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، طبيعة حكم المأمون وأساليبه برسالة تسلط مزيداً من الضوء على العلاقة بين هذا الحاكم والإمام الجواد عليه السلام، فقد كان تشخيص هذا السيد دقيقاً وعميقاً، فقد كتب المأمون إلى عبدالله بن موسى - وهو متوار منه - يعطيه الأمان ويضمن له ان يوليّه العهد بعده، كما فعل بعلي بن موسى، ويقول: ما ظننت أنّ أحداً من آل أبي طالب يخافني بعدما عملته بالرضا، وبعث الكتاب إليه.

فكتب عبدالله بن موسى: وصل كتابك وفهمته، تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال عليّ حيلة المغتال القاصد لسفك دمي، وعجبت من بَذْلِكَ العهد وولايته لي بعدك كأنك تظن أنّه لم يبلغني ما فعلته بالرضا، ففي أي شيء ظننت أنّي أرغب من ذلك؟ أفي الملك الذي قد غرّتك نضرتة وحلاوته؟ فوالله لئن أقذف وأنا حي في نار تتأجج أحب إليّ من أن ألي أمراً بين المسلمين أو أشرب شربة من غير ملها مع عطش شديد قاتل. أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا؟ أم ظننت أن

الاستتار قد آلمني وضاق به صدري، فوالله إني لذلك كاره ولقد مللت الحياة وأبغضت الدنيا، ولو وسعني في ديني أن أضع يدي في يدك تبلغ من قبلي مرادك لفعلت ذلك، ولكن الله قد حظر عليّ المخاطرة بدمي، وليتك قدرت عليّ من غير أن أبذل نفسي لك فقتلتني، ولقيت الله عز وجل، بدمي، ولقيته قتيلاً مظلوماً، فاسترحت من هذه الدنيا.

واعلم أنني رجل طالب النجاة لنفسي، واجتهدت فيما يرضي الله عز وجل عني وفي عمل أتقرب به إليه، فلم أجد رأياً يهدي إلى شيء من ذلك، فرجعت إلى القرآن الذي فيه الهدى والشفاء، فتصفحته سورة سورة، وآية آية، فلم أجد شيئاً أزلّف للمرء عند ربه جل وعز من الشهادة في طلب مرضاته، ثم تتبعته ثانية أتأمل الجهاد أيّه أفضل، ولأني صنف، فوجدته جل وعلا يقول: «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة». فطلبت أيّ الكفار أضر على الإسلام، وأقرب من موضعي فلم أجد أضر على الإسلام منك، لأنّ الكفار أظهروا كفرهم، فاستبصر الناس في أمرهم، وعرفوهم فخافوهم، وأنت ختلت المسلمين بالإسلام، وأسرت الكفر، فقتلت بالظنة، وعاقبت بالتهمة، وأخذت المال من غير حلّه فأنفقته في غير محله، وشربت الخمر المحرمة صراحاً، وأنفقت مال الله على الملهين وأعطيت المغنين، ومنعته من حقوق المسلمين، فغششت بالإسلام، وأحطت بأقطاره إحاطة أهله، وحكمت فيه للمشرك، وخالفت الله ورسوله في ذلك خلافة المضاد المعاند، فإن يسعدني الدهر، ويعينني الله عليك بأنصار الحق، أبذل نفسي في جهادك بذلاً يرضيه عني، وأن يمهلك ويؤخرك ليجزيك لما تستحقه في منقلبك، أو تحترمني الأيام قبل ذلك فحسبي من سعيي ما يعلمه الله عز وجل من نيتي، والسلام^١.

الخاص

□ لقد أدرك العباسيون أنّ الخطر الذي يهددهم هو خطر العلويين الذين كانوا يشكلون المعارضة الحقيقية للانحراف الذي طال الحكم الإسلامي بعد الرسول ﷺ وكانت سرعة استجابة الأمة لأهل البيت عليهم السلام مؤشراً آخر على شدة الخطر الذي يهددهم، بالإضافة إلى الخواء الداخلي للأسرة العباسية نفسها.

□ و حاول المأمون أن يستفيد من هذه الورقة الراححة فكانت اطروحة ولاية العهد منه للإمام الرضا عليه السلام لاحتواء المعارضة ضده، ولما لم تتحقق له كلّ أهدافه حاول أن يتخلص من الإمام الرضا عليه السلام بشكل خفي بحيث لا ينعكس على الموالين لأهل البيت عليهم السلام و الأمة الإسلامية أنّه هو السبب الحقيقي وراء اغتيال الإمام الرضا عليه السلام و لكنّ الواعين من أتباعهم لم تنطل عليهم هذه اللعبة بلاريب.

□ و قد جهد المأمون للتغطية على جريمته باحتفائه بالإمام الجواد نجل الرضا عليه السلام وهو صبي لم يبلغ الحلم ولم يتوقع منه أن يقوم بدور أبيه الرضا عليه السلام في هداية المسيرة الرسالية وهو مازال صبياً حيث يصعب على الكثير الاعتراف بإمامته في هذه السن المبكرة هذا فضلاً عن إمكان احتواء تحرّكه فيما بعد.

الأسئلة

- ١ . ما هو الخطر الحقيقي الذي كانت تواجهه السلطة العباسية؟
- ٢ . ما هي التحديات التي واجهها المأمون إبان حكمه؟
- ٣ . كيف واجه المأمون التحديات التي كانت تحيط بحكومته؟
- ٤ . ما هي حقيقة العلاقة بين المأمون والإمام الرضا عليه السلام؟
- ٥ . ما هو منهج المأمون في مواجهة العلويين بشكل خاص والشيعية بشكل عام؟

ملاح عصر الإمام الجواد عليه السلام (٢)

المأمون والإمام الجواد عليه السلام

استمر المأمون على منهجه السابق في التظاهر بالإحسان لأهل البيت عليه السلام، وقد تظاهر بإكرام الإمام الجواد عليه السلام وزوجه ابنته أم الفضل متقرباً إليه، ولكنه بهذا الإكرام في ظاهر الأمر كان يؤكد للإمام عليه السلام إذ يشدد عليه الرقابة وقام بتحجيم نشاطه من خلال تواجد ابنته التي كانت قد دخلت بيته وأحاطت بشؤونه:

وقد قضى الإمام الجواد عليه السلام خمسة عشر عاماً من عمره المبارك في حكومة المأمون في الفترة الواقعة بين استشهاد الإمام الرضا عليه السلام سنة (٢٠٣ هـ) وموت المأمون سنة (٢١٨ هـ). وهي معظم مدة إمامته التي لم تدم سوى سبعة عشر عاماً إذ اغتيل بعد سنتين من حكومة المعتصم في سنة ٢٢٠ هـ.

تزويج المأمون ابنته من الإمام الجواد عليه السلام

لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أباجعفر محمد بن علي عليه السلام بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم، واستنكروه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام فخاصوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه. فقالوا:

نشكك الله يا أمير المؤمنين أن لا تقيم على ما الأمر أنذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فأنا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله عز وجل، وينزع منا عزاً قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخفاء الراشدون قبلك، من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرضا عليه السلام ما عملت فكفانا الله المهم من ذلك. فالله الله أن تردنا إلى غمّ قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو انصفتهم القوم لكانوا أولى بكم، وأما ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان قاطعاً الرحم، وأعوذ بالله من ذلك، والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا عليه السلام ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وأما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل، مع صغر سنه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا أنّ الرأي ما رأيت فيه.

فقالوا له: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك. فقال لهم:

ويحكم إليّ أعرف بهذا الفتى منكم وإنّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده والهامه، وله يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله.

قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانها، فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا استرضاء في أمره وظهر للخاصّة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه، وإن عجز عن ذلك فقد كفيها الخطب في معناه فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مساءلة يحيى بن أكثم له، وهو يومئذ قاضي الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون وسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك . فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن أكثم وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ويجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك، وخرج أبو جعفر وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر فجلس بين المسورتين وجلس يحيى بن أكثم بين يديه وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه الصلاة والسلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟ فقال له المأمون: استأذنه في ذلك فأقبل عليه يحيى بن أكثم، فقال: أتأذن لي - جعلت فداك - في مسألة؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت.

قال يحيى: ما تقول - جعلت فداك - في محرم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: قتله في حل أو في حرم، عالماً كان المحرم أو جاهلاً، قتله عمداً أو خطأ، حرّاً كان المحرم أو عبداً، صغيراً كان أو كبيراً، مبتدئاً بالقتل أو معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها مصراً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم في النهار، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟

فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانتقطاع ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي ثم نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تتكرونها؟ ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام فقال له: أخطب يا أبا جعفر؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال له المأمون: اخطب لنفسك جعلت فداك قد رضيتك

لنفسى وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي وإن رغم قوم ذلك.

فقال أبو جعفر: الحمد لله إقراراً بالنعمة، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدايته وصلى الله على محمد سيد برئته، والأصفياء من عترته.

أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام، أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال سبحانه: «وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم».

ثم إن محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد عليها السلام وهو خمسمائة درهم جياداً فهل زوجته يأمر المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟

فقال المأمون: نعم قد زوجتك يا أبا جعفر أم الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟

قال أبو جعفر عليه السلام: قد قبلت ذلك ورضيت به.

فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة والعامة.

قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاحين في محاوراتهم، فإذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من فضة مشدودة بالحبال من الأبريسم، على عجلة مملوءة من الغالية، ثم أمر المأمون أن تخضب لحاء الخاصة من تلك الغالية، ثم مدت إلى دار العامة فتطيبوا منها ووضعت الموائد فأكل الناس وخرجت الجوائز إلى كل قوم على قدرهم.

فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة من بقي، قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام: إن رأيت - جعلت فداك - أن تذكر الفقه الذي فصلته من وجوه من قتل المحرم لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من كبارها، فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة

الفرخ، فإذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامه فعليه بدنة وإن كان ظبياً فعليه شاة وإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة.

وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه، وكان إحرامه بالحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمدة عليه المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحرّ في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك.

فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى: أسألك؟

قال: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني وإلا استفتدته منك. فقال له أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلّت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلّت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له، فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلّت له، ما حال هذه المرأة وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله لأهتدي إلى جواب هذا السؤال ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه.

فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس، نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاهما فحلّت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلّت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فخرمت عليه فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلّت

له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة، فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له.

قال: فأقبل المؤمنون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم من يجيب هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله إن أمير المؤمنين اعلم وما رأى.

فقال: ويحكم إن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال.

أما علمتم إن رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدع أحداً في سنه غيره، وباع الحسن والحسين عليهما السلام وهما ابنا دون الست سنين، ولم يبايع صبياً غيرهما، أولاً تعلمون ما اختص الله به هؤلاء القوم وأنهم ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم. فقالوا: صدقت يا أمير المؤمنين ثم نهض القوم^١.

الخاص

□ قضى الإمام الجواد عليه السلام أكثر مدة إمامته البالغة سبع عشرة سنة في عهد حكم المأمون العباسي. وكان من الطبيعي للمأمون أن يتظاهر بالاحسان إلى الإمام الجواد عليه السلام بعد اغتياله لأبيه الرضا عليه السلام للتغطية على دوره في تصفية الإمام الرضا عليه السلام.

□ و تمثل هذا الاحتفاء منه بالإمام الجواد عليه السلام بتزويجه لابنته أم الفضل له بعد إظهار علمه وفضله للعباسيين وغيرهم من المعترضين على هذا الزواج.

□ على أن المأمون لم يأل جهداً في إفحام الإمام الجواد عليه السلام من خلال أمره لابن أكنم باختباره أمام الآخرين. وقد سببت هذه المحاولة ظهور فضل الإمام عليه السلام وعلمه الفائق فكان نصراً واضحاً له استغله المأمون لإظهار التقرب من الإمام عليه السلام.

□ كما استطاع الإمام عليه السلام أن يفحم ابن أكنم ويوقفه عند حده. مما اضطره لأن يعترف بعظمة الإمام الجواد عليه السلام.

الأسئلة

١. كم هي الفترة التي قضاها الإمام الجواد عليه السلام مع المأمون؟
٢. لماذا قرر المأمون أن يزوج ابنته للإمام الجواد عليه السلام؟
٣. لماذا عارض العباسيون هذا الارتباط السببي بين المأمون والإمام الجواد عليه السلام؟
٤. كيف استطاع المأمون أن يُسكت العباسيين المعارضين عليه؟
٥. ما هي نتائج الاختبار الذي أجراه المأمون للإمام الجواد عليه السلام؟

ملاح عصر الإمام الجواد عليه السلام (٣)

العلاقة بين المأمون والإمام الجواد عليه السلام

١ . كان المأمون يدرك جيداً أن الإمام الجواد عليه السلام هو الوارث الحقيقي لأبيه وهو القائد الشرعي لامة جدّه رسول الله ﷺ ، لذلك تعامل في تخطيطه السياسي معه تعاملأ جادأ بصفة أن الإمام عليه السلام كان قطبأ مهمأ من أقطاب الساحة السياسيّة الإسلاميّة وقتذاك فيما يمثله من قائد مطاع من قبل الطليعة الواعية في الأمة وما يمتلكه من مكانة واحترام في نفوس قطاعات واسعة من الأمة.

وقد أعلن المأمون تصوره هذا أمام العباسيين عندما قالوا له:

ياأميرالمؤمنين أتزوجُ ابنتك وقرّة عينك صبيأ لم يتفقه في دين الله؟! ولا يعرف حلاله من حرامه، ولا فرضأ من سنة؟! ولأبي جعفر عليه السلام إذ ذاك تسع سنين فلو صبرت له حتّى يتأدب ويقرأ القرآن ويعرف الحلال من الحرام.

فأجاب المأمون: بأنّه لأفقه منكم وأعلم بالله ورسوله وسنته وأحكامه، وأقرألكتاب الله منكم وأعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وخاصه وعامه وتنزيله وتأويله منكم، ولذلك نرى أن تعامل المأمون مع الإمام الجواد عليه السلام كان مخططا له بعناية وحكمة. وهذا الأمر يفسر البعد الضخم الذي أخذه

زواج الجواد عليه السلام من بنت المأمون وكيف اهتم القواد والحجاب والخاصة والعمال به.

أهداف سياسة حسن التعامل مع الإمام عليه السلام

على أساس النقطة السابقة فقد تظاهر المأمون بحبه وتقديره للإمام الجواد عليه السلام مستهدفاً ما يلي:

- أ . كسب الجماهير المسلمة المحبة لأهل البيت عليهم السلام باعتباره من المحبين والمكرمين لآل الرسول، وهو نظير مايقوم به السياسيون المعاصرون من رفعهم للشعارات التي تطمح الأمة إلى تحقيقها.
- ب . التغطية على جريمة قتله للإمام الرضا عليه السلام، وذلك بإظهار الحب والشفقة والاحترام لولده الجواد عليه السلام وبهذا التصرف يستطيع المأمون أن يخدع الرأي العام.

الموقف الحقيقي للمأمون من الإمام الجواد عليه السلام

كانت علاقة المأمون بالإمام الجواد عليه السلام كعلاقته السابقة مع أبيه الإمام الرضا عليه السلام، تستبطن أغراضاً سياسية، ظاهرها جميل وباطنها ماكر مخادع. لقد كاد المأمون للإمام الجواد عليه السلام، ولكنه لم يستطع تحقيق أغراضه في الانتقاص منه وإسقاطه، فكانت آخر محاولة له مع الجواد هي تزويجه لابنته، فقد روي في الكافي: عن محمد بن الريان قال: احتال المأمون على أبي جعفر بكل حيلة، فلم يمكنه فيه شيء فلما اعتل وأراد أن يبني عليه ابنته دفع إلى مائتي وصيفة من أجمل ما يكون إلى كل واحدة منهن جاماً فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر عليه السلام إذا قعد في موضع الأخيار فلم يلتفت إليهن، وكان رجل يقال له مخارق صاحب صوت وعود وضرب، طويل اللحية فدعاه المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين إن كان في شيء من أمر الدنيا فأنأ أكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفر عليه السلام فشقق مخارق شهقة اجتمع عليه أهل الدار، وجعل يضرب بعوده ويغنّي، فلما فعل ساعة وإذا أبو جعفر لا يلتفت إليه يمينا ولا شمالاً، ثم

رفع إليه رأسه وقال: اتق الله ياذا العثنون. قال: فسقط المضرب من يده والعود، فلم ينتفع بيديه إلى أن مات، قال: فسأله المأمون عن حاله فقال: لَمَّا صاح بي أبو جعفر فرزت فرزة لأفريق منها أبداً^١.

يتجلى لنا من هذه الرواية أنَّ المأمون احتال بكل حيلة لإظهار عدم صلاحية الجواد عليه السلام للإمامة والقيادة أمام الناس وأنه أولى منه بالخلافة والقيادة، لكنّه فشل في ذلك ممّا اضطرّه لسلوك أسلوب آخر يحتوي حركة الإمام عن طريق تزويجه إبنته له عليه السلام.

أمّا توجهات قاضي القضاة ابن أكتثم في التصدي لإخراج الإمام بالاسئلة الصعبة فما كانت إلّا بدافع من المأمون.

قال المأمون ليحيى بن أكتثم: اطرح على أبي جعفر محمد بن الرضا عليه السلام مسألة تقطعه فيما، فقال: يا أبا جعفر ما تقول في رجل نكح امرأة على زنا أيحل أن يتزوجها؟ فقال عليه السلام: يدعها حتّى يستبرئها من نطفته ونطفة غيره، إذ لا يؤمن منها أن تكون قد أحدثت مع غيره حدثاً كما أحدثت معه. ثمّ يتزوج بها إن أراد، فإنّما مثلها مثل نخلة أكل رجل منها حراماً ثمّ اشتراها فأكل منها حلالاً. فانقطع يحيى^٢.

ولكن دهاء المأمون وحكته السياسيّة كانا يجعلانه يظهر الفرح عندما يجيب الإمام الجواد عليه السلام على المشكلات من المسائل فتظهر توجهات ابن أكتثم وكأنّها توجهات فردية. وهذا لون من ألوان السياسة المتبعة حتّى الآن وهي أنّ القائد يظهر الودّ لجهة ما، لكنّه يأمر أتباعه وأذناؤه بمحاربة هذه الجهة.

ولم تظل هذه السياسة على جملة من اتباع الإمام عليه السلام الواعين لألا عيب السلطة وسياساتها تجاه أهل البيت عليه السلام.

١. عوالم العلوم، ج ٢٣، ص ٥٢٧ - ٥٢٨.

٢. تحف العقول، ما أثر عن الإمام الجواد عليه السلام.

الرقابة الصارمة على تحركات الإمام الجواد عليه السلام

إن إصرار المأمون على تزويج ابنته للإمام الجواد عليه السلام إضافة لما سيحققه هذا الزواج من دعاية في الأوساط العامة للمأمون لما سوف يظهره من كونه محباً لأهل البيت عليه السلام، فإن ثمة سبباً آخر لاستبعده وهو وضع الجاسوس والرقيب الدائم على الإمام عليه السلام في بيته ليحصى عليه سكناته وحركاته ويرفعها إلى الجهة التي زرعتة وهكذا كانت أم الفضل مع الإمام الجواد عليه السلام.

موقف العباسيين من الإمام الجواد عليه السلام

اتسم موقف العباسيين بالحدق والتعصب والسذاجة. فقد استأثروا مآراًوه من تساهل المأمون مع الإمام عليه السلام في الظاهر كثيراً دون إدراك البعد الحقيقي الذي كان يستهدفه المأمون من هذا التقارب والتمازج. وقد استفاد المأمون من موقفهم العدائي ليظهر وكأنه موالٍ حقيقي لأهل البيت عليه السلام.

موقف الإمام عليه السلام من ابن أكنم

لقد تصدى الإمام عليه السلام للرد على ابن أكنم ففضحه أمام الناس للأسباب الآتية:

- أ. إثبات إمامته وعلمه أمام الناس في وقت راحت تشن الجهات المعادية حملة إعلامية شديدة على الإمام بزعمها أنه عليه السلام لا يفقه من الدين شيئاً وذلك لصغر سنّه.
- ب. تفنيده وإفحامه لابن أكنم يعتبر تفنيداً وإفحاماً للنظام الحاكم باعتباره عالمه وقاضي قضاته.
- ج. تنقيف الناس وكشف الحقيقة بإظهار العلم الصحيح لهم من خلال الإجابة على أسئلته.

حكومة المعتصم

المعتصم العباسي هو أبو إسحاق محمد بن الرشيد ولد سنة ثمانين ومائة، كذا قال

الذهبي. وقال الصولي: في شعبان ثمان وسبعين.

وأُمّه أُم ولد من مولدات الكوفة اسمها ماردة وكانت أحظى الناس عند الرشيد. وكان ذا شجاعة وقوة وهمة وكان عرياً من العلم، لقب بالمعتصم بالله وهو أبعد ما يكون من الاعتصام بالله عز وجل.

وكان فاسد الأخلاق له غلام يقال له عجيب وكان مشغوقاً به.

وقد استمر على نهج أخيه في فتنة خلق القرآن. فسلك ما كان المأمون عليه وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن، فكتب إلى البلاد وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك، وقاسى الناس منه مشقة في ذلك، وقُتل عليه خلقاً من العلماء، وضرب الإمام أحمد بن حنبل وكان ضربه في سنة عشرين. قيل: فجلده حتى غاب عقله وتقطع جلده وقيدته وحبسها^١.

لقد كان المعتصم محدود التفكير ميالاً للقسوة في تعامله مع خصومه السياسيين وغيرهم، وكان يفتقد كثيراً من مقومات الحنكة السياسية في إدارة شؤون الدولة، وقد تعرض حكمه لكثير من الاضطرابات السياسية في أقاليم عديدة من الدولة العباسية، وقد هيمن الجيش على الحكم في عصره بعد أن مال المعتصم إلى أخواله الأتراك وكوّن منهم جيشاً خاصاً به وأغدق عليهم الأموال الطائلة مما أثار حفيظة العسكريين العرب، وكرّس الروح القومية في المجتمع.

وتعتبر سياسة المعتصم هذه أخطر ما واجهته الدولة العباسية في مسيرتها، فيما ساءت الأحوال بعد المعتصم، واستشرى خطر العسكريين في الدولة وباشروا الانقلابات العسكرية على الخلفاء الذين حاولوا تقليص سلطاتهم.

المعتصم والإمام الجواد عليه السلام

لم تكن المدة التي قضاها الإمام الجواد عليه السلام في خلافة المعتصم طويلة فهي لم

تتجاوز الستين، كان ختامها استشهاد الإمام الجواد عليه السلام على يد هذا الحاكم العباسي المنحرف، وذلك عبر خطوتين:

الخطوة الأولى: استقدام الإمام عليه السلام إلى بغداد

لقد خشي المعتصم من بقاء الإمام الجواد عليه السلام بعيداً عنه في المدينة، لذلك قرر استدعاءه إلى بغداد، حتى يكون على مقربة منه يحصي عليه أنفاسه ويراقب حركاته، وكان سبب وروده إليها إشخاص المعتصم له من المدينة «فورّد بغداد لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين، وتوفي بها في ذي القعدة من هذه السنة».

لقد كان هذا الاستقدام بمثابة الإقامة الجبرية تتبعه عملية أكبر وهي التصفية الجسدية.

الخطوة الثانية: اغتيال الإمام الجواد عليه السلام

كان وجود الإمام الجواد عليه السلام يمثل خطراً حقيقياً على النظام الحاكم لما يملكه هذا الوجود من دور فاعل وقيادي للأمة، لذلك قررت السلطة أن تتخلص منه مع عدم استبعادها وجود العلاقة بين الإمام القائد والتحركات النهضوية في الأمة.

فقد روى المؤرخون عن زرقان صاحب ابن أبي داود قاضي المعتصم قوله:

رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أنني قدمت منذ عشرين سنة، قال قلت له: ولم ذاك؟ قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين، قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟ قال: إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي فسالنا عن القطع في أيّ موضع يجب أن يقطع؟ قال: فقلت: من الكر سوع.

قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قلت: لأنّ اليد هي الأصابع والكفّ إلى الكر سوع،

لقول الله في التيمم «فامسحوا بوجوهكم وأيديكم» واتفق معي [على] ذلك قوم.
وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأن الله
لما قال: «وأيديكم إلى المرافق» في الغسل دلّ ذلك على أنّ حدّ اليد هو المرفق.
قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام فقال: ماتقول في هذا يا أبا جعفر؟
فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين، قال: دعني ممّا تكلموا به! أي شيء عندك؟
قال: أعفني عن هذا يا أمير المؤمنين، قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.
فقال: أمّا إذا أقسمت عليّ بالله إنّي أقول إنهم أخطأوا فيه السّنة، فإنّ القطع يجب أن
يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكفّ، قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: قول
رسول الله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت
يده من الكر سوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها وقال الله تبارك وتعالى: «وأنّ
المساجد لله» يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها «فلاتدعوا مع الله أحداً»
وما كان لله لم يقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ.
قال ابن أبي داود: قامت قيامتي وتميّت أني لم أك حياً قال زرقان: قال ابن
أبي داود: صرت إلى المعتصم بعد ثلاثة، فقلت: إنّ نصيحة أمير المؤمنين عليّ واجبة وأنا
أكلّمه بما أعلم أنّي أدخل به النار، قال: وما هو؟ قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في
مجلسه فقهاء رعيّته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه
فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقوّاده ووزراؤه
وكتّابه، وقد تسمع الناس بذلك من وراء بابه، ثمّ يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول
شطر هذه الأمّة بإمامته، ويدّعون أنّه أولى منه بمقامه ثمّ يحكم بحكمه دون حكم
الفقهاء؟

قال: فتغير لونه وانته به لما نُبّهته له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً. قال: فأمر
اليوم الرابع فلاناً من وزرائه بأن يدعوه (أي الجواد عليه السلام) إلى منزله فدعاه فأبى أن

يحييه وقال: قد علمت أنني لا أحضر مجالسكم، فقال: إني إنما أدعوك إلى الطعام وأحب أن تطأ ثيابي، وتدخل منزلي فأتبرك بذلك، فقد أحب فلان ابن فلان من وزراء الخليفة لقاءك. فصار إليه، فلما طعم منها أحس السم فدعا بدايته فسأله رب المنزل أن يقيم. قال: خروجي من دارك خير لك، فلم يزل يومه ذلك وليله في خلفه حتى قبض عليه^١.

لقد كان الإمام الجواد عليه السلام يتوقع مقتله بعد هذا الاستدعاء فقد روي عن إسماعيل بن مهران قوله: لما أخرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجته قلت له عند خروجه: جعلت فداك، إني أخاف عليك من هذا الوجه، فإلى من الأمر بعدك؟ قال: فكرّ بوجهه إليّ ضاحكاً وقال: «ليس حيث ظننت في هذه السنة»، فلما استدعي به إلى المعتصم صرّ إليه فقلّ له: جعلت فداك، أنت خارج، فإلى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتى اخضلت لحيته ثم التفت إليّ فقال: عند هذه يخاف عليّ الأمر من بعدي إلى ابني علي^٢.

وهناك من يذهب إلى أن المعتصم قد سمّ الإمام بواسطة أم الفضل إذ لم يجد أفضل من بنت أخيه المأمون للقيام بهذه المهمة فهي التي تستطيع أن تقتله بصورة أكيدة دون أن تشير ضجة في الأمة، مستغلاً نقطتين في شخصيتها:

١. كونها تنتمي للخط الحاكم انتماءً حقيقياً، فهي بنت المأمون وعمها المعتصم، وليست بالمستوى الإيماني الذي يجعلها تنفك عن انتمائها النسبي هذا، لذلك كانت تخضع لتأثيراته وما تفرزه من سلبيات ضد الإمام.

٢. غيرتها وحقدّها على الإمام بسبب تسريته وتزوجه من نساء أخريات خصوصاً وأنّها لم تلد للإمام عليه السلام بينما قد ولدت له أم الإمام الهادي عليه السلام.

١. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٩.

٢. الإرشاد، ص ٣٦٩.

ولقد كان أمر غيرتها شائعاً بين الناس ولذلك قال بعض المؤرخين: قد روى الناس أن أم الفضل كتبت إلى أبيها من المدينة تشكو أبا جعفر وتقول: إنّه يتسرّى عليّ ويغيرني، فكتب إليها المأمون يابنيتي إنّا لم نزوجكي أبا جعفر لنحرّم عليه حلالاً، فلا تعاودي لذكر ما ذكرتني بعدها^١.

ولم تخل هذه الفترة من الاعتداءات الظاهرية على الإمام عليه السلام من طرف أذئاب السلطة، ومن ذلك ما فعله عمر بن فرج الرفجي الرجل المعادي لأهل البيت عليه السلام والعالم عند السلطة العباسية. فقد روى المؤرخون عن محمد بن سنان قوله: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال: يا محمد حدث بآل فرج حدث؟ فقلت: مات عمر، فقال: الحمد لله على ذلك. أحصيت أربعاً وعشرين مرة ثم قال: أو لاتدري ما قال لعنه الله لمحمد بن علي أبي؟ قال: قلت: لا، قال: خاطبه في شيء، فقال: أظنك سكران، فقال أبي: اللهم إن كنت تعلم أنني أمسيت لك صائماً فأذقه طعم الحرب وذلل الأسر، فوالله إن ذهبت الأيام حتى حُرِبَ ماله، وما كان له، ثم أخذ أسيراً فهو ذا مات^٢.

الناحية

- إن اهتمام المأمون بالإمام الجواد عليه السلام يعكس أموراً أهمّها:
- ١ . إن المأمون كان يدرك أن الإمام الجواد عليه السلام هو الوارث الحقيقي والامتداد الواقعي لخط الإمامة، وهو القائد الشرعي لأمة جده عليه السلام.
- ٢ . إن الاحتفاء بالإمام الجواد عليه السلام كان يؤدي إلى إضفاء نوع من الشرعية على حكم المأمون وتأمين جانب من توقعات الجماعة الصالحة المرتبطة بالإمام عليه السلام فكرياً وروحياً وعقائدياً.

١ . كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٥٨.

٢ . أصول الكافي، (كتاب الحجة)، ص ٤١٥.

٣. إِمَكان تحجيم دور الإمام الجواد عليه السلام حيث يكون قريباً من عيون السلطة ويقع تحت رقابتها.
٤. و من هنا نجد إسرار المأمون في استدعاء الإمام الجواد عليه السلام وتزويجه من ابنته (أم الفضل).
٥. و مات المأمون سنة ٢١٨هـ ليخلفه المعتصم على عرش الدولة العباسية، والذي كان لا يختلف في سياسته عن المأمون فضلاً عن اعتماده على الأتراك في قيادة الدولة والجند.
٦. لم يشهد الإمام الجواد عليه السلام سوى سنتين من حكم المعتصم، حيث تمّ اغتياله بالسّم على يد عمّال المعتصم.

الأسئلة

١. ما هي حقيقة علاقة المأمون بالإمام الجواد عليه السلام ؟
٢. لماذا دفع المأمون يحيى بن أكثم ليحاجج الإمام الجواد عليه السلام ؟
٣. لماذا زوج المأمون الإمام الجواد من ابنته أم الفضل ؟
٤. ما هي صفات المعتصم وكيف كان يتعامل مع منائيه ؟
٥. لماذا استقدم المعتصم الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد ؟
٦. كيف تمّ اغتيال الإمام الجواد عليه السلام ؟
٧. ما هو دور أبي داود السجستاني في اغتيال الإمام الجواد عليه السلام ؟

متطلبات عصر الإمام الجواد عليه السلام (١)

اهتمام الإمام الجواد عليه السلام بالبناء الفكري والعلمي للجماعة الصالحة كان اهتمام الإمام الجواد عليه السلام في بناء الجانب العقائدي في شخصية الإنسان المسلم واضحاً للناظر في تراثه فمما يرتبط بالعقيدة في تراثه نلاحظ مايلي:

١. الدعوة إلى التوحيد الخالص

التوحيد هو أساس العقيدة الإسلامية. وسلامة تصورات المسلم عن الله تعالى تعدّ الركيزة التي تستند عليها باقي المفردات العقيدية، ومن هنا كان الإمام عليه السلام يعتني عناية شديدة بإيضاح هذا الأساس وتجليته.

قال داود بن قاسم الجعفري: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: «قل هو الله أحد»، ما معنى «الأحد»؟

قال: المجمع عليه بالوحدانية، أما سمعته يقول: «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولنَّ الله»، ثم يقولون بعد ذلك: له شريك وصاحبة. فقلت: قوله: «لا تدركه الأبصار»^١.

قال: يا أباهاشم! أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولم تدرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف تدركه الأبصار؟!

وسئل عليه السلام: أيجوز أن يقال لله: إنه شيء؟

فقال عليه السلام: نعم، تخرجه من الحدّين: حدّ التعطيل وحدّ التشبيه.

قال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه؟ وأسماء وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: إن لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول: هي هو، أي أنه ذو عدد وكثرة، فتعالى الله عن ذلك. وإن كنت تقول: هذه الصفات والأسماء لم تزل، فإن «لم تزل» محتمل معنيين: فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها، فنعم، وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره. بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره، وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل.

والأسماء والصفات مخلوقات، والمعاني والمعني بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنما يختلف ويأتلّف المستجزيء فلا يقال: الله مؤتلف، ولا الله قليل ولا كثير، ولكنه القديم في ذاته، لأنّ ماسوى الواحد متجزئ، والله واحد لا متجزئ، ولا متوهم بالقلّة والكثرة وكلّ متجزئ أو متوهم بالقلّة والكثرة، فهو مخلوق دالّ على خالق له.

فقولك: إن الله «قديس» خبرت أنّه لا يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة المعجز وجعلت المعجز سواه.

وكذلك قولك: «عالم» انما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل سواه، وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع، ولا يزال من لم يزل عالماً. فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا «سميعاً»؟

فقال: لانه لا يخفى عليه ما يدرك بالاسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس. وكذلك سمّيناه «بصيراً» لانه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار، من لون او شخص او غير ذلك، ولم نصفه ببصر لحظة العين.

وكذلك سمّيناه «لطيفاً» لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك. وموضع النشوء منها، والعقل والشهوة للسفاد والحدب على نسلها وإقام بعضها على بعض، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار، فعلمنا ان خالقها لطيف بلا كيف، وانما الكيفيّة للمخلوق المكثّف.

وكذلك سمّينا ربنا «قوياً» لابقوة البطش المعروف من المخلوق، ولو كانت قوّته قوّة البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه لاحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم، وما كان غير قديم كان عاجزاً.

فربنا تبارك وتعالى لاشبه له ولاضدّ ولا ند ولا كيف ولانهاية ولا تبصار بصر، ومحزّم على القلوب أن تمثّله، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الضمائر أن تكونه، جلّ وعز عن أداة خلقه وسمات بريته، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً^١.

٢. الرد على الشبهات

لقد استغل بعض الناس صغر سنّ الإمام الجواد عليه السلام للردّ على عقيدة الإمامة لاهل البيت عليه السلام فراحوا يبتوّن الدعايات المضادة حولها.

قال صاحب الملل والنحل:

«فاعلم أنّ من الشيعة من قال بإمامة: أحمد بن موسى بن جعفر دون أخيه علي الرضا عليه السلام ومن قال بعلي: شكّ أولاً في محمّد بن علي إذ مات أبوه وهو صغير غير مستحقّ للإمامة ولا علم عنده بمناهجها وثبت قوم على إمامته»^٢.

١. كافي الشيعة، ج ١، ص ١٦.

٢. الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٩.

ورداً على مثل هذه الشبهات فقد تصدى الإمام الجواد عليه السلام إلى إثبات إمامته من خلال كثير من المواقف العملية والفكرية.

قال علي بن أسباط: «رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج عليّ فأخذت النظر إليه وجعلت أنظر إلى رأسه ورجليه، لأصف قامته لأصحابنا بمصر فبينما أنا كذلك حتى قعد، فقال: يا عليّ! إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج في النبوة، فقال: «وآتيناه الحكم صبياً».

«ولمّا بلغ أشده» «وبلغ أربعين سنة»، فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي ويجوز أن يؤتاها وهو ابن أربعين سنة^١.

٣. التمهيد إلى الإمام المهدي وغيته

قضية الإمام المهدي (عج) من القضايا الأساسية في الثقافة الإسلامية، والمتبع لآثار الرسول صلّى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من بعده يجد التأكيد عليها واضحاً جداً. وعلى هذا المنهج سار الإمام الجواد عليه السلام فطرح قضية الإمام المهدي (عج) للأمة قاصداً تركيز هذا المفهوم في الأذهان وإعدادها لاستقبال عصر إمامته وظهوره ومن نماذج هذه الدعوة:

١. ماجاء عن عبد العظيم بن عبد الله الحسن عليه السلام قال: «قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: يا مولاي! إنني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. فقال عليه السلام:

مأمناً إلا قائم بأمر الله، وهادٍ إلى دين الله. ولكن القائم الذي يطهر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملؤها قسطاً وعدلاً هو الذي يخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليه تسميته، وهو سمي رسول الله وكنيته، وهو الذي تطوى له الأرض، ويذل له كل صعب، يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر: (ثلاثمائة

وثلاثة عشر)، رجلاً من أقاصي الأرض وذلك قول الله عز وجل: «أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير». فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص، أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو (عشرة آلاف) رجل، خرج بإذن الله تعالى، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عز وجل.

قال عبد العظيم: فقلت له: يا سيدي! وكيف يعلم أن الله تعالى قد رضى؟

قال: يلقي في قلبه الرحمة. فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما.^١»

٢. عن أبي تراب عبد الله موسى الروياني، قال: حدثنا عبد العظيم بن عبد الله بن

علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الحسنی قال:

دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين علي بن أبي طالب عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره فابتدأني فقال لي:

«يا أبا القاسم إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة وخصنا بالإمامة، إنه لولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإن الله تبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليلة، كما أصلح أمر كليمه موسى عليه السلام إذ ذهب ليقبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبي، ثم قال عليه السلام: أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرَج.^٢

٤. النصّ على إمامة الهادي ومن يليه

قال الصقر ابن أبي دلف: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول:

إِنَّ الْإِمَامَ بَعْدِي ابْنِي عَلِيٍّ، أَمْرُهُ أَمْرِي، وَقَوْلُهُ قَوْلِي، وَطَاعَتُهُ طَاعَتِي وَالْإِمَامَ بَعْدَهُ

ابنه الحسن، أمره امر أبيه، وقوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه، ثم سكت. فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى عليه السلام بكاءً شديداً، ثم قال: ان من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر فقلت له: يا ابن رسول الله لم سمي القائم؟ قال: لانه يقوم بعد موت ذكره وارتداد اكثر القائلين بإمامته. فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ قال: لأن له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكذب بها الوقاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون.^١

٥. مكافحة الغلو

الغلو بأهل البيت عليهم السلام يعتبر من الانحرافات الخطيرة التي انتشرت في تلك الحقبة وقد وقف الأئمة عليهم السلام بالمرصاد للمغالين فردّوهم وأفحموهم وأوصوا الأمة بالابتعاد عنهم.

وقد سار الإمام الجواد عليه السلام على نهج آبائه لمكافحة هذه الظاهرة الخطرة.

عن عبد الله بن رزين قال: كنت مجاوراً بالمدينة مدينة الرسول وكان أبو جعفر عليه السلام يجيء في كل يوم مع الزوال إلى المسجد فينزل إلى الصخرة ويمرّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويسلم عليه، ويرجع إلى بيت فاطمة ويخلع نعله فيقوم فيصلّي فوسوس إليّ الشيطان، فقال: إذا نزل فاذهب حتّى تأخذ من التراب الذي يطأ عليه فجلست في ذلك اليوم أنتظره لأفعل هذا.

فلما أن كان في وقت الزوال أقبل عليه السلام على حمار له فلم يزل في الموضع الذي كان ينزل فيه فجازه حتّى نزل على الصخرة التي كانت على باب المسجد ثم دخل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رجع إلى مكانه الذي كان يصلّي فيه ففعل ذلك أيّاماً

فقلت: إذا خلع نعليه جئت فأخذت الحصى الذي يطأ عليه بقدميه.

فلما كان من الغد جاء عند الزوال فنزل على الصخرة ثم دخل على رسول الله ﷺ وجاء إلى الموضع الذي كان يصلي فيه ولم يخلعهما ففعل ذلك أياماً فقلت في نفسي: لم يتهياً لي ههنا ولكن أذهب إلى باب الحمام فإذا دخل أخذت من التراب الذي يطأ عليه فسألت عن الحمام فقيل لي إنه يدخل حماماً بالبقيع لرجل من ولد طلحة، فتعرفت اليوم الذي يدخل فيه الحمام، وصرت إلى باب الحمام وجلست إلى الطلحي أحذته وأنا أنتظر مجيئه عليه السلام.

فقال الطلحي: إن أردت دخول الحمام؛ فقم فادخل فإنه يهتأ لك بعد ساعة، قلت: ولم قال: لأن ابن الرضا يريد دخول الحمام، قال: قلت: ومن ابن الرضا؟ قال: رجل من آل محمد ﷺ له صلاح وورع، قلت له: ولا يجوز أن يدخل معه الحمام غيره؟ قال: نخلي له الحمام إذا جاء، قال: فبينما أنا كذلك إذ أقبل عليه السلام ومعه غلمان له، وبين يديه غلام، ومعه حصير حتى أدخله المسلخ، فبسطه ووافى وسلم ودخل الحجرة على حمارة، ودخل المسلخ، ونزل على الحصير.

فقلت للطلحي: هذا الذي وصفته بما وصفته من الصلاح والورع؟ فقال: يا هذا والله ما فعل هذا قط إلا في هذا اليوم، فقلت في نفسي: هذا من عملي أنا جنيت، ثم قلت: أنتظره حتى يخرج فلعلي أنال ما أردت إذا خرج، فلما خرج وتلبس دعا بالحمارة وأدخل المسلخ، وركب من فوق الحصير وخرج عليه السلام، فقلت في نفسي: قد والله آذيته ولا أعود أروم مارمت منه أبداً وصح عزمي على ذلك. فلما كان وقت الزوال من ذلك اليوم أقبل على حمارة حتى نزل في الموضع الذي كان ينزل فيه في الصحن، فدخل فسلم على رسول الله ﷺ وجاء إلى الموضع الذي كان يصلي فيه في بيت فاطمة عليها السلام وخلع نعليه وقام يصلي^١.

٦. تصحيح مفاهيم خاطئة

كان للغلو ألوان شتى، منها الغلو بالصحابة، ونجد في حوار للإمام الجواد عليه السلام مع يحيى بن أكنم أمام جماعة كبيرة من الناس أنه قد فند فيه التوجهات المغالية بالصحابة:

قال له يحيى بن أكنم: ماتقول يا بن رسول الله في الخبر الذي، روي: أنه «نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال: يا محمد! إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راضٍ فإني عنه راضٍ»؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: لست بمنكر فضل أبي بكر ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله عز وجل وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به» وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد». فالله عز وجل خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى يسأل عن مكنون سره، هذا مستحيل في العقول.

ثم قال يحيى بن أكنم: وقد روي: «إن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء».

فقال عليه السلام: وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه، لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة. وهما قد أشركا بالله عز وجل وإن أسلما بعد الشرك فكان أكثر أيامهما الشرك بالله فمحال أن يشيهما بهما.

قال يحيى: وقد روي أيضاً: «أنهما سيّداه كهل أهل الجنة»، فما تقول فيه؟

فقال عليه السلام: وهذا الخبر محال أيضاً، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباناً ولا يكون فيهم كهل وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في

الحسن والحسين عليهما السلام بأنهما «سيدا شباب أهل الجنة».

فقال يحيى بن أكرم: وروي: «أنَّ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة» فقال عليه السلام: وهذا أيضاً محال، لأنَّ في الجنة ملائكة الله المقربين، وآدم ومحمد ﷺ، وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضيء الجنة بأنوارهم حتَّى تضيء بنور عمر؟!

فقال يحيى بن أكرم: وقد روي: «أن السكينة تنطق على لسان عمر».

فقال عليه السلام: لست بمنكر فضل عمر، ولكن أبأبكر أفضل من عمر، فقال - على رأس المنبر -: «إنَّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسد دوني». فقال يحيى: قد روي أن النبي ﷺ قال: «لولم أبعث لبعث عمر».

فقال عليه السلام: كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح»، فقد أخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبذل ميثاقه، وكلَّ الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله، وقال رسول الله ﷺ: «نبئت وآدم بين الروح والجسد».

فقال يحيى بن أكرم: وقد روي أيضاً أنَّ النبي ﷺ قال: «ما احتبس عني الوحي قط إلَّا ظننته قد نزل على آل الخطاب» فقال عليه السلام: وهذا محال أيضاً، لأنَّه لا يجوز أن يشكَّ النبي ﷺ في نبوته، قال الله تعالى: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس» فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممَّن اصطفاه الله تعالى إلى مَن أشرك به. قال يحيى: روي أنَّ النبي ﷺ قال: «لونزل العذاب لما نجا منه إلَّا عمر».

فقال عليه السلام: وهذا محال أيضاً، لأنَّ الله تعالى يقول: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون». فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً مادام فيهم رسول الله ﷺ وما داموا يستغفرون الله^١.

وهكذا أ طرح الإمام عليه السلام منهج أهل البيت عليهم السلام في مرجعية القرآن الكريم وكيفية الاستفتاء به للرد على التحريف الذي ختم على الحديث النبوي والتأريخ الإسلامي خلال عصور الخلفاء والحكام الأمويين والعباسيين.

٧. الإجابة على الاستفتاءات الفقهية

ومن نماذج إجاباته عليه السلام على الاستفتاءات والاستفسارات الفقهية نقرأ مايلي،

أ. عن الحصين بن أبي الحصين، قال: كتبت إلى أبي جعفر: جعلت فداك، اختلف مواليك في صلاة الفجر، فمنهم من يصلي إذا طلع الفجر الأول المستطيل في السماء، ومنهم من يصلي إذا اعترض في أسفل الأرض واستبان، ولست أعرف أفضل الوقتين فأصلي فيه. فإن رأيت يا مولاي جعلني الله فداك أن تعلمني أفضل الوقتين، وتحدد لي كيف أصنع مع القمر والفجر لأتبين معه حتى يحمر ويصبح؟ وكيف أصنع مع الغيم؟ وماحد ذلك في السفر والحضر؟ فعلت إن شاء الله.

فكتب بخطه عليه السلام: الفجر - يرحمك الله - الخيط الأبيض، وليس هو الأبيض صعداً، ولا تصل في سفر، ولا في حضر حتى تبيته - يرحمك الله - فإن الله لم يجعل خلقه في شبهة من هذا، فقال تعالى: «كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»^١ فالخيط الأبيض هو الفجر الذي يحرم به الأكل والشرب في الصيام، وكذلك هو الذي يوجب الصلاة^٢.

وفي هذا النص تعليم السائل لكيفية الاستظهار من النص القرآني واعطائه خطأً عملياً في كيفية الاستنباط.

ب. عن يحيى بن أبي عمران الهمداني، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، ماتقول في رجل ابتداءً بسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده في أم الكتاب، فلما

١. البقرة.

٢. كافي الشئمة، ج ٣، ص ٢٨٢.

صار إلى غير أم الكتاب من السورة ترك تلك البسملّة؟
فقال العباسي^١: ليس بذلك بأس.

فكتب بخط يده يعيدها مرتين على رغم أنفه - يعني العباسي.

ج. جاء في رواية علي بن مهزيار عن محمد بن الحسن الأشعري، قال: كتب بعض بني عمي إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام: ماتقول في صبيّة زوجها عمّها، فلما كبرت أبت التزويج؟ فكتب بخطه عليه السلام: لا تكره على ذلك، والأمر أمرها^٢.

عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أسأله عن أرض أوقفها جدّي على المحتاجين من ولد «فلان بن فلان» وهم كثير، متفرون في البلاد؟

فأجاب عليه السلام: ذكرت الأرض التي أوقفها جدك على فقراء ولد «فلان ابن فلان» وهي لمن حضر البلد الذي فيه الوقف، وليس لك أن تتبع من كان غائباً^٣. وهكذا كان يقوم الإمام الجواد عليه السلام بتفقيه شيعته وأتباعه فضلاً عن عامّة المسلمين.

مدرسة الإمام الجواد عليه السلام

لقد كان عُمر الإمام الجواد عليه السلام منذ ولادته وحتى استشهاده لا يتجاوز العقدين ونصف العقد وهو أقل من متوسط عمر سائر الأئمة عليهم السلام الذين سبقوه حين استلامهم للقيادة وتصدّيهم لمنصب الإمامة.

وقد قضى ما يقل عن العقد الواحد في ظل أبيه الرضا عليه السلام وكانت مدة مباشرته لمهام الإمامة ثماني عشرة سنة وإذا لاحظنا الظروف الخاصّة التي اكتنفت حياته من

١. قيل هو هشام بن إبراهيم العباسي وكان يعارض الرضا والجواد عليه السلام.

٢. وسائل الشريعة، ج ١٤، ص ٢٠٧.

٣. وسائل الشريعة، ج ١٣، ص ٣٠٨.

حيث الرقابة المشددة على نشاطه ولا سيما فيما يرتبط بعلاقاته مع شيعته وأتباعه في عهد المأمون الذي شغل خمسة عشر عاماً من عمر الإمام الجواد عليه السلام، ولاحظنا أيضاً حجم التراث الذي وصلنا عنه عليه السلام وحجم الرواة عنه - البالغين ٢٧٦ راوياً وراوية^١؛ لعرفنا مستوى نشاط مدرسة الإمام الجواد عليه السلام العلميّة ومدى نجاحه في المهمّة التعليميّة والبناء الثقيفي للجماعة الصالحة في عهده القصير جداً فيما إذا قورن إلى عهود غيره من الأئمة السابقين عليه.

١ . راجع الإمام الجواد عليه السلام من المهد إلى الملحد، ص ٩٥ - ٣٧٦.

الخاص

□ كانت مسيرة الإمام الجواد عليه السلام اكتمالاً واتساعاً لمسيرة، آباءه عليه السلام وإن اختلفت الوسائل والخطط في مواجهة التحديات التي تحتّمها الظروف التي يعيشها الإمام عليه السلام فإن تحرّكه عليه السلام يتحدّد بنفس هدفهم وغايتهم من التحرك في حفظ الرسالة والحيلولة دون انحراف الأمة وبناء الجماعة الصالحة المرتبطة بخط الإمامة فكرياً وروحياً، لهذا نجد أن مواقف الإمام عليه السلام كانت تنصب في جملة من القضايا والأمور المهمة التي تلخص في:

- ١ . موقف الإمام عليه السلام تجاه البناء الفكري والعقائدي.
- ٢ . الموقف ضدّ الغلو والمغالين في أهل البيت عليه السلام والصحابة.
- ٣ . التركيز على البناء التربوي للجماعة الصالحة.
- ٤ . رد الشبهات التي كانت تثار من قبل المعاندين وناصبي العداء لأهل البيت عليه السلام ووعاظ السلاطين و تصحيح المفاهيم الخاطئة.
- ٥ . وردت عنه عليه السلام اجوبة لمجموعة من الاستفتاءات والأسئلة حول مسائل فقهية مختلفة.
- ٦ . أكد على غيبة الإمام المهدي عليه السلام وأنه آخر الأنمة عليه السلام وأنه سيظهر ويملا الأرض عدلاً وقسطاً.

الأسئلة

- ١ . ما هو اختلاف الإمام الجواد عليه السلام عن الأئمة السابقين له في منهج التعامل مع الأحداث؟
- ٢ . ما هو موقف الإمام عليه السلام من القضايا الفكرية؟
- ٣ . وضع موقف الإمام عليه السلام من شبهات المعاندين حول الإمامة.
- ٤ . كيف يُردّ على مانعي صغر السن من تولي الإمامة؟
- ٥ . ما هو موقف الإمام عليه السلام من المغالين؟
- ٦ . وضع موقف الإمام عليه السلام من قضية الإمام المهدي ٧.
- ٧ . ما هو موقف الإمام عليه السلام من بعض المفاهيم المخطوءة الشائعة؟

متطلبات عصر الإمام الجواد عليه السلام (٢)

الإمام الجواد عليه السلام ونظام الوكلاء

لقد كان التشيع حركة تصحيحية معارضة للنظام القائم بعد الانحراف الذي حصل عند وفاة الرسول ﷺ وتمثل في ردة سياسية وانقلاب على الحكم الشرعي المتمثل في حكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد استلزم هذا الانحراف السياسي انحرافات ثقافية ودينية طغت على القيم الإسلامية والسلوك الإسلامي بالتدريج.

إن أهل البيت عليهم السلام كانوا هم المؤتمنون على صيانة الرسالة الإسلامية والأمة المحمدية من الزيغ وحفظ الدولة التي بناها الرسول ﷺ - وصحابته الأبرار بيديه الكريمتين وجهاده المتواصل - من الترددي والانهياري... وقد بدأوا هذه الحركة التصحيحية بإيجاد تيار فكري ثقافي ووجود اجتماعي حي متحرك داخل شرايين المجتمع الإسلامي لينبض هذا الكيان بالحياة ويحاول إرجاع السفينة المنحرفة إلى مسارها الصحيح.

من هنا كان انتشار التشيع واتساع رقعته هدفاً من أهداف أهل البيت عليهم السلام الرسالية وكان هذا الانتشار يشكل معارضة واضحة للحكم القائم وبشكل دائم. وكان يعدّ اتساع هذا التيار الفكري والاجتماعي خطراً سياسياً يهدد كيان الحاكمين الظالمين حتى وإن

لم يتحرك أهل البيت عليهم السلام على مستوى الثورة لقلب نظام الحكم كما حدث في ثورة أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

وكُلِّما كان يتسع هذا التيار كُلِّما كانت الرقابة تشدّد على الأئمة الأطهار باعتبارهم الرموز القائمة والمحاور التي تمدّ هذا التيار بالحيوية والنشاط.

وكانت هذه الحركة الثقافية والاجتماعية لأهل البيت عليهم السلام تستدعي إيجاد كيان اجتماعي داخل المجتمع الإسلامي يقوم بمهمة الارتباط بين الامام (القيادة الشرعية) والقواعد الشعبية والتنسيق بين حركة الإمام وأتباعه ويقوم هذا لكان بتلقّي الأوامر والنواهي والإرشادات من القيادة الربّانية وينشرها بين الأتباع - بعيداً عن عيون الرقابة والجواسيس الذين كانوا يحصون على الإمام المعصوم حركاته ونشاطه ويخشون تحركه ضدّ الحاكم المتسّم لمنبر الخلافة دون استحقاق.

إنّ نظام الوكلاء الذي يعتمد الوعي والإخلاص من أتباع الأئمة وأصحابهم كان من الطبيعي أن يبدأ تأسيسه منذ عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام وبدأت تظهر آثاره وتتضح معالمه ورموزه بشكل واضح في عهد الإمام الصادق عليه السلام حيث أخذ التشيع بالانتشار وبدأت الشيعة تشعر بضرورة الارتباط الدائم بالإمام المعصوم عليه السلام عبر أصحابه وتلاميذه.

وكُلِّما كانت الرقابة تشدّد ضدّ الأئمة عليهم السلام ونشاطهم كُلِّما كانت الحاجة تشنّد إلى ازدياد عدد الوكلاء، واتّسع مجال تحرّكهم ونشاطهم.

من هنا كان الخط البياني لهذا النظام تصاعدياً خلال عهود الأئمة الثلاثة: الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام.

يعتبر عهد الإمام الجواد عليه السلام.

وبعد الرقابة المشدّدة التي أعملت في داخل بيت الإمام الجواد عليه السلام من خلال ابنة الخليفة العبّاسي التي كانت تحصي على الإمام عليه السلام أنفاسه بداية عهد جديد لتوسيع رقعة هذا النظام (نظام الوكالة) وتعميقه في داخل المجتمع الإسلامي

والخط الشيعي باعتبار الحاجات المستجدة للجماعة الصالحة التي سوف تحرم بالتدريج من الارتباط المستمر بالإمام المعصوم من جهة، وضرورة استقلال الكيان الشيعي والحفاظ على قدرته للصدود أمام التيارات المنحرفة في المجتمع الإسلامي وقدرته على الاستمرار في إيجاد التغيير الاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي من جهة أخرى.

وسوف نلاحظ تلك المستجدات في عهود الأئمة اللاحقين وهم الهادي والعسكري والمهدي عليه السلام.

وهكذا تبلورت ظاهرة الوكالة في عهد الإمام الجواد عليه السلام واعتبرت بداية عصر جديد للجماعة الصالحة من حيث ضرورة تدريبها وتعويدها على الاستقرار والاستقلال في أيامها المقبلة حين تنقطع عن الإمام المعصوم وتضطرها الظروف السياسية القائمة لقطع العلاقة المباشرة وغير المباشرة بالإمام إذ يضطر الإمام عليه السلام إلى الغيبة عن الأنظار ويكون ارتباطه من جهة واحدة ويكتفي بالتوجيه والارشاد دون أن يعرفه الناس بشخصه وكان الأئمة عليه السلام منذ عهد الإمام علي عليه السلام يمهّدون الأمر لهذه الظروف العصيبة التي كانوا يخبرون شيعتهم بها ويتبنّون بها استعداداً بعصر الغيبة.

التربية السياسية من خلال تراث الإمام الجواد عليه السلام

لقد أثرت عن الإمام الجواد عليه السلام النصوص التالية^١:

١ . من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمرٍ فرضيه كان كمن شهد.

٢ . من استحسّن قبيحاً كان شريكاً فيه.

٣ . العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء.

٤ . من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله وإن كان

١ . راجع النصوص التالية في تحف العقول والإمام الجواد من المهد إلى اللحد.

الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس.

٥ . إظهارك الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له.

٦ . قال أمير المؤمنين عليه السلام لقيس بن سعد - وقد قدم عليه من مصر -: يا قيس إنَّ للمحن غايات لا بدَّ أن يُنتهى إليها، فيجب على العاقل أن ينأى لها إلى إدبارها فإنَّ مكايدها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها.

٧ . أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحة والغنى والعلم والتوفيق.

وهذه النصوص وإن كانت قد رواها عن جده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولكنها تكشف لنا عن مدى توجهاته في العمل والتحرك السياسي ومدى ضرورة التثقيف لأتباعه.

٨ . من هجر المداراة قاربه المكروه.

٩ . من لم يعرف الموارد أعيته المصادر.

١٠ . من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للهلكة والعاقبة المتعبة.

١١ . كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة.

١٢ . لا يضرك سخط من رضاه الجور.

١٣ . إياك ومصاحبة الشر فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره.

١٤ . من انقطع إلى غير الله وكله الله إليه.

لقد كان الإمام يزرع روح الأمل ويقوي ملكة الصبر في قلوب أتباعه وشيعته ويعدّهم إعداداً رسالياً يتناسب مع المراحل المستقبلية التي تنتظرهم وتتطلب منهم أن يكونوا قوةً لاتلين وثورةً لا تقاوم.

وكان ممّا أثر عنه عليه السلام:

١ . الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها.

٢ . من وثق بالله أراه السرور ومن توكل عليه كفاه الأمور والثقة بالله حصن.

لا يتحصن فيه إلا مؤمن أمين، والتوكل على الله نجاة من كل سوء وحرز من كل عدو.

والدين عزّ والعلم كنز والصمت فوز، وغاية الزهد الورع، ولاهدم الدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال مثل الطمع، وبالراعي تصلح الرعيّة، وبالدعاء تصرف البليّة، ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر، ومن عاب عيب، ومن شتم أجيب ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المُنَى.

وقد تضمّن هذا النصّ وصايا للعاملين كما تضمّن التوعية السياسيّة والدينيّة حين أشار إلى عوامل هدم الدين وفساد الرجال والحكّام والمحكومين.

٣ . كيف يضيع من الله كافله؟! كيف ينجو من الله طالبه؟!

٤ . الثقة بالله ثمن لكلّ غالٍ وسلّم إلى كلّ عالٍ.

٥ . عزّ المؤمن غناه عن الناس.

٦ . لا تكن لله ولياً في العلانية وعدّواً له في السرّ.

٧ . تعرّ عن الشيء إن مُنعت به بقلّة صحبتته إذا أُعطيت.

٨ . توسّد الصبر واعتنق الفقر وارفض الشهوات وخالف الهوى واعلم أنّك لن تخلو

من عين الله، فانظر كيف تكون؟

٩ . المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصالٍ: توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول من

ينصحه.

١٠ . من استغنى بالله افتقر الناس إليه، ومن اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا.

الإمام الجواد عليه السلام و التربية الاجتماعية

إنّ توثيق أواصر الكيان الاجتماعي لأتباع أهل البيت ضرورة فعلية ومستقبلية تعينهم على الصمود أمام التحديات التي كانت تزداد أمامهم يوماً بعد يوم.

من هنا نلاحظ توجّهاً خاصاً للإمام الجواد عليه السلام نحو هذا المجال. قال عليه السلام .

١ . إنّ لله عبداً يخصّه بالنعم ويقرّها فيهم مابذلوها، فإذا منعوها نزعها عنهم

وحولها إلى غيرهم.

- ٢ . ما عظمت نعمة الله على عبده إلا عظمت عليه مؤونة الناس فمن لم يحتمل المؤونة فقد عرّض النعمة للزوال.
- ٣ . أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأنّ لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبنّ - شكر ماصنع إلى نفسه - من غيره.
- ٤ . المؤمن لا يشتفي غيظه، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه.
- ٥ . ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار وخفض الجانب وكثرة الصدقة.
- ٦ . ثلاث من كنّ فيه لم يندم: ترك العجلة والثورة والتوكّل عند العزم على الله عز وجل.
- ٧ . لاتعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم.
- ٨ . من أخطأ وجوه المطالب خذلتة الحيل.

الإمام الجواد عليه السلام والتربية الروحية

لقد اعتنى أئمة أهل البيت عليهم السلام ببناء الإنسان داخلياً قبل أي بناء واهتموا ببناء الروح أشدّ الاهتمام لأنّ الإنسان المتعالي بروحه هو الذي يستطيع أن يتسلّق سلّم الكمال ويسمو بقوة الروح على المصائب والمشاكل ولا يهتز مهما قويت الأعاصير. فالتوبة والاستغفار والتوجّه إلى الله تعالى في كلّ صغير وكبير من الأمور والدعاء بنصوص صادرة عن المعصومين هي من أولى خطوط التربية النفسية والروحية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وقد أشرت عن الإمام الجواد عليه السلام مجموعة من الأدعية عُرفت بالمناجاة أو الوسائل إلى المسائل وقد جعلها الإمام عليه السلام مهراً لزوجته حينما زوّجه المأمون ابنه فكتب عليه السلام للمأمون: إنّ لكلّ زوجة صداقاً من مال زوجها وقد جعل الله أموالنا

في الآخرة مؤجلة مذخورة هناك كما جعل أموالكم معجلة في الدنيا..وقد أمهرتك ابتك (الوسائل إلى المسائل) وهي مناجاة رفعها إلي أبي...ثم عرفها: بأنها كنوز الدنيا والآخرة، وقال: فلا تؤثرها في حوائج الدنيا فتبحس بها الحظ من آخرتك...^١

(للمطالعة)

المناجاة للاستخارة

«اللَّهُمَّ اِنْ خَيرَكَ فيما استخرتك فيه تنيل الرغائب وتجزل المواهب وتغنم المطالب وتطيب المكاسب وتهدي إلى أجمل المذاهب وتسوق إلى أحمد العواقب وتقي مخوف التوائب، اللَّهُمَّ اِنِّي استخيرك فيما عزم رأيي عليه وقادني عقلي إليه.

فسهل اللَّهُمَّ فيه ماتوعر، ويسر منه ماتعسر واكفني فيه المهمم وادفع به عني كل ملّم واجعل يارب عواقبه غنماً ومخوفه سلماً وبعده قريباً وجد به خصباً.

وارسل اللَّهُمَّ اجابتي وأنجح طلبتي واقض حاجتي واقطع عني عوائقها وامنع عني بوائقها وأعطني اللَّهُمَّ لواء الظفر والخيرة فيما استخرتك ووفور المغنم فيما دعوتك وعوائد الإفضال فيما رجوتك.

وأقرنه اللَّهُمَّ بالنجاح وخصه بالصّلاح وأرني أسباب الخيرة فيه واضحة وأعلام غنمها لائحة واشدد خناق تعسيرها وانعش صريح تكسيرها.

وبين اللَّهُمَّ ملتبسها وأطلق محتبسها ومكن اشها حتى تكون خيرة مقبلة بالغنم مزيلة للغرم عاجلة للنفع باقية الصنع إنك مليء بالمزيد مبتدي بالجوّد».

المناجاة بالاستقالة

«اللَّهُمَّ اِنْ الرَّجاء لسعة رحمتك أنطقني باستقالتك والأمل لأناتك ورفقك شجّعني على طلب أمانك وعفوك ولي يارب ذنوب قد واجهتها أوجه الانتقام وخطايا قد لاحظتها أعين الاصطلام واستوجبت بها على عدلك أليم العذاب واستحققتة باجتراحها

مبير العقاب وخفت تعويقها لاجباتي وردّها إياي عن قضاء حاجتي بإبطالها لطلبتي وقطعها لأسباب رغبتني من أجل ماقد انقضّ ظهري من نقلها وبهظني من الاستقلال بحملها.

ثم تراجعت ربّ إلى حلمك عن الخاطئين وعفوك عن المذنبين ورحمتك للعاصين فاقبلتْ بثقتي متوكلاً عليك طارحاً نفسي بين يديك شاكياً بئني إليك سائلاً ما لا استوجه من تفريج الهمّ ولا أستحقّه من تنفيس الغمّ مستقيلاً لك إياي واثقاً مولاي بك.

اللهمّ فامنن عليّ بالفرج وتطوّل بسهولة المخرج وادللني برأفتك على سمت المنهج وازلقني بقدرتك عن الطريق الأعوج وخلّصني من سجن الكرب بإقالتك وأطلق أسري برحمتك وطل عليّ برضوانك وجد عليّ بإحسانك وأقلني عثرتي وفرّج كربتي وارحم عبرتي ولا تحجب دعوتي واشدد بالإقالة أوزي وقو بها ظهري وأصلح بها أمري وأطل بها عمري وارحمني يوم حشري ووقت نشري إنك جواد كريم غفور رحيم». «أمرتني فلم أثمر ونهيتني فلم أنزجر فما أنا عبدك بين يديك أعتذر»

المناجاة بالسفر

«اللهمّ إنّي أريد سفرأ فخر لي فيه وأوضح لي فيه سبيل الرّأي وفهمنيه وافتح عزمي بالاستقامة واشملني في سفري بالسّلامة وأفدني جزيل الحظّ والكرامة واكلأني بحسن الحفظ والحراسة.

وجتنبني اللهمّ وعثاء الأسفار وسهّل لي حزنونة الأوعار واطوّل لي بساط المراحل وقرب منّي بعد ناي المناهل وابعدني في المسير بين خطى الرّواحل حتّى تقرب نياط البعيد وتسهّل وعور الشّديد.

ولقني اللهمّ في سفري نجح طائر الواقعة وهبني فيه غنم العافية وخفير الاستقلال ودليل مجاوزة الأهوال وباعث وفور الكفاية وسانح خفير الولاية.

واجعله اللهم سبب عظيم السلم حاصل الغنم واجعل الليل عليّ سترًا من الآفات
والنّهار مانعًا من الهلكات واقطع عنيّ قطع لصوصه بقدرتك واحرسني من وحوشه
بقوتك، حتّى تكون السلامة فيه مصاحبتي والعافية فيه مقارنتي واليمن سائقي واليسر
معانقي والعسر مفارقي والفوز موافقي والأمن مرافقي إنّك ذو الطّول والمنّ والقوّة
والحول وأنت على كلّ شيء قدير وبعبادك بصير خبير».

المناجاة في طلب الرزق

«اللّهم أرسل عليّ سجال رزقك مدراراً وامطر عليّ سحاب إفضالك غزاراً وأدم
غيث نيلك إليّ سجالاً وأسبل مزيد نعمك على خلّتي إسبالاً وافقرني بجودك إليك
واغنني عمّن يطلب مالدك».

وداوداء فقري بدواء فضلك وانعش صرعة عيلتي بطولك وتصدّق على إقلالي
بكثرة عطائك وعلى اختلالي بكريم حبايك وسهّل ربّ سبيل الرزق إليّ وثبّت قواعده
لديّ وبجّس لي عيون سعته برحمتك».

وفجّر أنهار رغد العيش قبلي برأفتك وأجذب أرض فقري واخصب جذب ضرّي
واصرف عنيّ في الرزق العوائق واقطع عنيّ من الضيق العلائق وارمني من سعة الرزق
اللّهم بأخصب سهامه وأحبني من رغد العيش بأكثر دوامه».

واكسني اللّهم سراييل السّعة وجلايب الدّعة فإني ياربّ منتظر لإنعامك بحذف
المضيق ولتطوّلك بقطع التّعويق ولتفضّلك بإزالة التقتير ولوصول حبلي بكرمك
بالتيسير».

وامطر اللّهم عليّ سماء رزقك بسجال الديم واغنني عن خلقك بعوائد النعم وارم
مقاتل الإقتار منّي واحمل كشف الضّرّ عنيّ على مطايا الإعجال واضرب عنيّ الضيق
بسيف الاستيصال واتحفني ربّ منك بسعة الإفضال وامدني بنموّ الأموال».

واحرسني من ضيق الإقلال واقبض عنيّ سوء الجذب وابسط لي بساط الخصب

واسقني من ماء رزقك غداً وانهج لي من عميم بذلك طرقاتاً وفاجئني بالثروة والمال
وانعشني به من الإقلال وصبّحني بالاستظهار ومسّني بالتمكّن من اليسار إنك ذو الطول
العظيم والفضل العميم والمنّ الجسيم وأنت الجواد الكريم».

المناجاة بالاستعاذة

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مَلَمَاتٍ نَوَازِلِ الْبَلَاءِ وَأَهْوَالِ عِظَائِمِ الضَّرَائِعِ فَأَعِزَّنِي رَبِّ مِنْ
صَرَعَةِ الْبَأْسَاءِ وَاحْجِبْنِي مِنْ سَطَوَاتِ الْبَلَاءِ وَنَجِّنِي مِنْ مَفَاجِئِ النِّقَمِ وَأَجْرِنِي مِنْ زَوَالِ
النِّعَمِ وَمِنْ زَلَلِ الْقَدَمِ.

واجعلني اللَّهُمَّ فِي حَيَاةٍ عَزَّكَ وَحِفَافٍ حَرْزِكَ مِنْ مَبَاغِثَةِ الدَّوَائِرِ وَمَعَاجِلَةِ الْبَوَادِرِ
اللَّهُمَّ رَبِّ وَأَرْضِ الْبَلَاءِ فَاخْشَعُهَا وَعَرِصَةِ الْمَحَنِ فَارْجِفْهَا وَشَمْسِ التَّوَابِ فَاكْشِفْهَا
وَجِبَالِ السُّوءِ فَانْسِفْهَا وَكِرْبِ الدَّهْرِ فَاكْشِفْهَا وَعَوَاتِقِ الْأُمُورِ فَاصْرِفْهَا وَأُورِدْنِي حَيَاضَ
السَّلَامَةِ وَاحْمِلْنِي عَلَى مَطَايَا الْكِرَامَةِ وَاصْحِبْنِي بِإِقَالَةِ الْعَثَرَةِ وَاشْمَلْنِي بِسِتْرِ الْعُورَةِ.
وجد عليّ ياربّ بآلائك وكشف بلائك ودفع ضرّائك وارفع كلالك عذابك واصرف
عني أليم عقابك وأعزني من بوائق الدُّهُورِ وأنقذني من سوءِ عواقبِ الْأُمُورِ واحرسني
من جميع المحذور واصدع صفاء البلاء عن أمري واشلل يده عني مدى عمري إنك
الرَّبُّ الْمَجِيدُ الْمُبْدِي الْعَمِيدُ الْفَعَالُ لِمَا تَرِيدُ».

المناجاة بطلب التوبة

«اللَّهُمَّ إِنِّي قَصَدْتُ إِلَيْكَ بِإِخْلَاصٍ تَوْبَةَ نَصُوحٍ وَتَثْبِيتٍ عَقْدٍ صَحِيحٍ وَدَعَاءٍ قَلْبٍ
قَرِيحٍ وَإِعْلَانٍ قَوْلٍ صَرِيحٍ.

اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْ مِنِّي مَخْلُصَ التَّوْبَةِ وَإِقْبَالَ سَرِيعِ الْأُوبَةِ وَمَصَارِعَ تَخَشُّعِ الْحَوَیَّةِ وَقَابِلَ
رَبِّ تَوْبَتِي بِجَزِيلِ الثَّوَابِ وَكَرِيمِ الْمَأْبِ وَحَطَّ الْعِقَابِ وَصَرَفِ الْعَذَابِ وَغَنَمِ الْإِيَابِ
وَسِتْرِ الْحِجَابِ.

وامحُ اللَّهُمَّ ماثبت من ذنوبي واغسل بقبولها جميع عيوبي واجعلها جالية لقلبي
شاخصة لبصيرة لبي غاسلة لدرني مطهرة لنجاسة بدني مصححة فيها ضميري عاجلة
إلى الوفاء بها بصيرتي.

واقبل ياربّ توبتي فإنّها تصدر من إخلاص نيّتي ومحض من تصحيح بصيرتي
واحتفالاً في طويّتي واجتهاداً في نقاء سريرتي وتثبيتاً لإنباتي مسارعة إلى أمرك
بطاعتي.

واجل اللَّهُمَّ بالتوبة عني ظلمة الإصرار وامح بها ماقدمته من الأوزار واكسني لباس
التقوى وجلايب الهدى فقد خلعت ريق المعاصي عن جلدي ونزعت سربال الذنوب
عن جسدي مستمسكاً ربّ بقدرتك مستعيناً على نفسي بعزّتك مستودعاً توبتي من
النكت بخفرتك معتصماً من الخذلان بعصمتك مقارناً به لاحول ولا قوّة إلا بك».

المناجاة بطلب الحج

«اللَّهُمَّ ارزقني الحجّ الذي افترضته على من استطاع إليه سبيلاً واجعل لي فيه هادياً
وإليه دليلاً وقرب لي بعد المسالك وأعني على تأدية المناسك وحرّم بإحرامي على النار
جسدي وزد للسفر قوّتي وجلدي وارزقني ربّ الوقوف بين يديك والإفاضة إليك
واظفري بالتّجّح بوافر الربح واصدرني ربّ من موقف الحجّ الأكبر إلى مزدلفة المشعر.

واجعلها زلفة إلى رحمتك وطريقاً إلى جنّتك وقفني موقف المشعر الحرام ومقام
وقوف الإحرام وأهلني لتأدية المناسك ونحر الهدى التّوامك بدم يشجّ وأوداج يمجّ وإراقة
الدماء المسفوحة والهدايا المذبوحة وفري أوداجها على ما أمرت والتّنقّل بها كما وسمت.
واحضرني اللَّهُمَّ صلوة العيد راجياً للوعد خائفاً من الوعيد حالفاً شعر رأسي
ومقصرأ ومجتهدأ في طاعتك مشترأ رامياً للجمار بسبع بعد سبع من الأحجار.

وأدخلني اللَّهُمَّ عرصة بيتك وعقوتك ومحلّ أمنك وكعبتك ومساكينك وسؤالك
ومحاويجك وجد عليّ اللَّهُمَّ بوافر الأجر من الانكفاء والتّفرّ واختم اللَّهُمَّ مناسك حجّي

وانقضاء عَجَبِي بقبول منك لي ورأفة منك بي يا أرحم الراحمين».

المناجاة بكشف الظلم

«اللَّهُمَّ إِنَّ ظِلْمَ عِبَادِكَ قَدْ تَمَكَّنَ فِي بِلَادِكَ حَتَّى أَمَاتَ الْعَدْلَ وَقَطَعَ السَّبِيلَ وَمَحَقَ الْحَقَّ وَأَبْطَلَ الصِّدْقَ وَأَخْفَى الْبِرَّ وَأَظْهَرَ الشَّرَّ وَأَخْمدَ التَّقْوَى وَأَزَالَ الْهُدَى وَأَزَاحَ الْخَيْرَ وَأَثْبَتَ الضَّرَّ وَأَنَمَى الْفَسَادَ وَقَوَّى الْعِنَادَ وَبَسَطَ الْجَوْرَ وَعَدَى الطُّورَ.

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ لَا يَكْشِفُ ذَلِكَ إِلَّا سُلْطَانُكَ وَلَا يَجِيرُ مِنْهُ إِلَّا امْتِنَانُكَ اللَّهُمَّ رَبَّ فَايْتِرِ الظُّلْمَ وَبِثْ حِبَالَ الْغَشْمِ وَأَخْمدَ سَوْقَ الْمَنْكَرِ وَأَعَزَّ مَنْ عَنْهُ يَنْزَجِرُ وَاحْصِدْ شَافَةَ أَهْلِ الْجُودِ وَأَبْسِمْ الْخُورَ بَعْدَ الْكُورِ.

وَعَجَّلِ اللَّهُمَّ إِلَيْهِمُ الْبَيَاتَ وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمُ الْمَثَلَاتِ وَأَمِتْ حَيَاةَ الْمَنْكَرِ لِيُؤْمِنَ مِنَ الْمَخُوفِ وَيَسْكُنَ الْمَلْهُوفَ وَيَشْبِعِ الْجَايِعَ وَيَحْفَظَ الضَّالِّعَ وَيَأْوِي الطَّرِيدَ وَيَعُودِ الشَّرِيدَ وَيَغْنِي الْفَقِيرَ وَيَجَارِ الْمُسْتَجِيرَ وَيُوَقِّرُ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُ الصَّغِيرَ وَيَعِزُّ الْمَظْلُومَ وَيَذِلُّ الظَّالِمَ وَيَفْرِجُ الْمَغْشُومَ وَتَنْفِرُ الْغَمَاءُ وَتَسْكُنُ الدَّهْمَاءُ وَيَمُوتُ الْاِخْتِلَافُ وَيَعْلُو الْعِلْمُ وَيَشْمَلُ السَّلَامُ وَيَجْمَعُ الشَّتَاتَ وَيَقْوَى الْإِيْمَانُ وَيَتْلَى الْقُرْآنُ إِنَّكَ أَنْتَ الدَّيَّانُ وَالْمَنْعَمُ الْمَتَّانُ».

المناجاة بالشكر لله تعالى

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَرَّةٍ نَوَازِلِ الْبَلَاءِ وَتَوَالِي سَبُوحِ التَّعْمَاءِ وَمَلَمَّاتِ الضَّرَاءِ وَكَشْفِ نَوَائِبِ الْأَوَاءِ وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى هَنِيئِ عَطَائِكَ وَمَحْمُودِ بِلَاتِكَ وَجَلِيلِ آلَاتِكَ وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى إِحْسَانِكَ الْكَثِيرِ وَخَيْرِكَ الْعَزِيزِ وَتَكْلِيْفِكَ الْيَسِيرِ وَدَفْعِ الْعَسِيرِ. وَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبَّ عَلَى تَمْمِيكِ قَلِيلِ الشُّكْرِ وَإِعْطَائِكَ وَافِرِ الْأَجْرِ وَحَطَّكَ مَثْقَلِ الْوِزْرِ وَقَبُولِكَ ضَيْقِ الْعَذْرِ وَوَضْعِكَ بَاهِضِ الْإِصْرِ وَتَسْهِيلِكَ مَوْضِعِ الْوَعْرِ وَمَنْعِكَ مَفْطَعِ الْأَمْرِ.

وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى الْبَلَاءِ الْمَصْرُوفِ وَوَافِرِ الْمَعْرُوفِ وَدَفْعِ الْمَخُوفِ وَإِذْلَالِ الْعُسُوفِ

ولك الحمد على قلّة التّكليف وكثرة التخفيف وتقوية الضّعيف وإغاثة اللّهيّف.
ولك الحمد على سعة إمهالك ودوام إفضالك وصرف إمهالك وحميد أفعالك وتوالي
نوالك ولك الحمد على تأخير معالجة العقاب وترك مغافضة العذاب وتسهيل طريق
المآب وإنزال غيث السّحاب».

المناجاة بطلب الحوائج

«جدير من أمرته بالدعاء أن يدعوكم ومن وعدته بالإجابة أن يرجوكم ولي اللّهم
حاجة قد عجزت عنها حيلتي وكلّت فيها طاقتي وضعفت عن مراهما قوّتي وسوّلت لي
نفسى الأمّارة بالسّوء وعدوّى الغرور الّذى أنا منه مبلّو أن أرغب إليك فيها.
اللّهم وأنجحها بأيمن النّجاح واهدّها سبيل الفلاح واشرح بالرّجاء لإسعافك
صدري ويسّر في أسباب الخير أمرى وصور إليّ الفوز ببلوغ مارجوته بالوصول إلى
مأملّته.

ووفّقني اللّهم في قضاء حاجتي ببلوغ امنيتي وتصديق رغبتى وأعزني اللّهم
بكرمك من الخيبة والقنوط والأناة والتّشبيب اللّهم إنك مليء بالمنايح الجزيلة وفيّ بها
وأنت على كلّ شيء قدير بعبادك خبير بصير»^١.

النام

□ إن إحدى مهام الإمام الجواد عليه السلام و التي ركز عليها وأحياها من خلالها تراث
آبائه هي العناية الفائقة بالجانب التربوي للأمة، أي بناء الخلق الإسلامي
والشخصية السويّة وفقاً لمنهج أهل البيت عليهم السلام، وقد أكّد الإمام عليه السلام في
هذا الاتجاه المفاهيم التالية:

- أ . ضرورة الحكمة في العمل.
- ب . ضرورة ابتعاد المؤمنين عن الركون للظالم.
- ج . أهمية النشاط الاجتماعي ودور الجماعة الصالحة فيه.
- د . تحسين العلاقة مع الأصدقاء والاختبار الجيد لهم.
- هـ . وصاياہ للعاملين وحثهم على الصبر والجد والمثابرة.
- و . الحث على طلب العلم وبيان فضيلته.
- ز . التركيز على أهمية التوبة حياة الإنسان المؤمن.
- ح . النص على الإمام الهادي عليه السلام والتمهيد لإمامته من بعده.

الأسئلة

- ١ . اذكر نماذج لنشاط الإمام الجواد تعزز إحياءه لمنهج آباءه عليه السلام.
- ٢ . ما هي المفاهيم التي تناولها الإمام الجواد في حفظ الأمة وصيانة الرسالة؟
- ٣ . لما ذا أكد الإمام الجواد عليه السلام على الحكمة في العمل والتحرك داخل الأمة؟
- ٤ . ما هي دلالة المنع من التعامل مع السلطان الظالم؟
- ٥ . كيف حث الإمام الجواد عليه السلام على التحرك الاجتماعي؟
- ٦ . ما هي الغاية من الحث على الصبر والثقة بالله في أحاديث المعصومين عليهم السلام؟
- ٧ . ما هي أهمية التوبة في حياة الإنسان المؤمن؟

النصّ على إمامة الهادي عليه السلام و ملامح عصره (١)

ويتمثّل عصر الإمام الهادي عليه السلام في الحقبة الزمنية التي بدأت من تحمّله أعباء منصب الإمامة وانتهت باستشهاده عليه السلام فهي تبدأ منذ سنة ٢٢٠ هـ (سنة استشهاد الإمام الجواد عليه السلام) وحتى استشهاد عليه السلام سنة ٢٥٤ هـ، وقد عاصر الإمام الهادي، عدداً من خلفاء بني العباس، وقد تزامن تولّي هؤلاء مع بداية ضعف السلطة العباسيّة وسيطرة الترك على زمام الأمور.

النصّ على إمامة علي بن محمّد الهادي عليه السلام

ولد الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام في ذي الحجة من سنة ٢١٢ هجرية وتصدّى لمنصب الإمامة الكبرى في ذي الحجة من سنة ٢٢٠ هجرية حيث استشهد والده الجواد عليه السلام بأمر من المعتصم العباسي بعد أن نصّ على إمامة ابنه الهادي وأتمّ الحجة على شيعته وبهذا يكون عمره الشريف حين تصديّه لإمامة المسلمين الرّبانيّة ملا يزيد على ثمان سنوات، كما تصدّى من قبل أبوه الجواد عليه السلام لهذا المنصب الإلهي الخطير وهو في عمر لا يزيد على الثمان سنوات أيضاً.

إذن إمامة الهادي عليه السلام هي المصداق الثاني للإمامة المبكرة التي ظهرت في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وعلى هذا فمن الطبيعي أن يكون خضوع علماء الطائفة ووجهائها لإمامته على أساس النصّ المعتبر أو الإحساس المباشر بقابليات الإمام عليه السلام وقدراته الربانية التي تعتقد الطائفة لزوم توقّرها في الإمام المعصوم لأنّ الإمامة الربانية هي إمامة العقول والقلوب والدين فلا بد للإمام المعصوم من أن يكون كفوّاً لهذا المنصب ولا يضرّه الصغر في السنّ لأنّ علمه ليس مستمداً من التجارب أو الاكتساب العادي. ومن الطبيعي أيضاً أن يكون التمهيد لإمامة الجواد عليه السلام المبكرة تمهيداً لإمامة من يليه من الأئمة المعصومين في سنّ مبكرة حيث أنّ كثيراً من الاستعدادات قد أُجيب عليها خلال التمهيد الذي قام به الإمام الرضا عليه السلام أولاً والجدارة التي أنبتها الإمام الجواد عليه السلام خلال سنوات إمامته القصيرة ثانياً.

وعلى هذا فمن الطبيعي أن لانتلاخط كثافة في النصوص الواردة عن الإمام الجواد عليه السلام بهذا الشأن كما كانت النصوص على إمامة الجواد عليه السلام قد سبقت ولادته بشكل مكثّف وكانت تتضمن دفع الشبهات عن إمامته المبكرة بشكل ملفت للنظر أيضاً.

وقد ذكرنا في البحث الذي سبق لبيان دور الإمام الجواد عليه السلام في بناء الجماعة الصالحة واحداً من النصوص الصادرة عنه حول إمامة ابنه علي الهادي ثمّ ولده الحسن العسكري ثمّ ابن الحسن محمّد المهدي (عج).

وإليك مجموعة النصوص التي وصلت إلينا عن الإمام الجواد عليه السلام فيما يخص موضوع إمامة ولده علي الهادي عليه السلام.

١. روى الكليني، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مهران قال: لَمَّا أخرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجته، قلت له عند خروجه: جعلت فداك إنّني أخاف عليك في هذا الوجه، فيألي من الأمر بعدك؟ فكسّر بوجهه إليّ ضاحكاً وقال: ليس الغيبة حيث ظننت في هذه السنة، فلَمَّا أخرج به الثانية

إلى المعتصم صرت إليه فقلت له: جعلت فداك أنت خارجٌ فإلى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتّى اخضلتّ لحيته، ثمّ التفت إليّ فقال: عند هذه يخاف عليّ، الأمر من بعدي إلى ابني عليّ^١.

٢ . وعن الخيرانيّ، عن أبيه أنّه قال: كان يلزم باب أبي جعفر عليه السلام للخدمة الّتي كان وكلّ بها وكان أحمد بن محمّد بن عيسى يجيىء في السحر في كلّ ليلة ليعرف خبر علّة أبي جعفر عليه السلام وكان الرسول الّذي يختلف بين أبي جعفر عليه السلام وبين أبيّ إذا حضر قام أحمد وخلا به أبيّ، فخرجت ذات ليلة وقام أحمد عن المجلس وخلا أبيّ بالرسول واستدار أحمد فوقف حيث يسمع الكلام.

فقال الرسول لأبيّ: إنّ مولاك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنّني ماض والأمر صائر إلى ابني عليّ وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبيّ، ثمّ مضى الرسول ورجع أحمد إلى موضعه وقال لأبيّ: ما الّذي قد قال لك؟ قال: خيراً، قال: قد سمعت ما قال، فلم تكتمه؟ وأعاد ماسمع، فقال له أبيّ: قد حرّم الله عليك ما فعلت لأنّ الله تعالى يقول: «ولا تجسّسوا» فاحفظ الشهادة لعلّنا نحتاج إليها يوماً ما وإياك أن تظهرها إلى وقتها.

فلما أصبح أبيّ كتب نسخة الرسالة في عشر رقاع وختمها ودفعها إلى عشرة من وجوه العصابة وقال: إنّ حدث بي حدث الموت قبل أن أطالبكم بها فافتحوها واعلموا بما فيها، فلما مضى أبو جعفر عليه السلام ذكر أبيّ أنّه لم يخرج من منزله حتّى قطع على يديه نحواً من أربعمائة إنسان واجتمع رؤساء العصابة عند محمّد بن الفرج يتفاوضون هذه، فكتب محمّد بن الفرج إلى أبيّ يعلمه باجتماعهم عنده وأنّه لولا مخافة الشهرة لصار معهم إليه ويسأله أن يأتيه، فركب أبيّ وصار إليه، فوجد القوم مجتمعين عنده، فقالوا لأبيّ: ما تقول في هذا الأمر؟ فقال أبيّ لمن عنده الرقاع: احضروا الرقاع، فأحضروها، فقال

لهم: هذا ماأمرت به، فقال بعضهم: قد كنّا نحبُّ أن يكون معك في هذا الأمر شاهدٌ آخر؟ فقال لهم: قد آتاكم الله عزَّ وجلَّ به هذا أبو جعفر الأشعريَّ يشهد لي بسماع هذه الرسالة وسأله أن يشهد بما عنده، فأنكر أحمد أن يكون سمع من هذا شيئاً، فدعاه أبي إلى المباهلة، فقال لِمَا حَقَّقَ عليه، قال: قد سمعت ذلك وهذا مكرومة كنت أحبُّ أن تكون لرجل من العرب لالرجل من العجم، فلم يبرح القوم حتَّى قالوا بالحقِّ جميعاً^١.

٣. عن محمد بن الحسين الواسطيَّ أنه سمع أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر يحكي أنه أشهده على هذه الوصية المنسوخة: شهد أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر أنَّ أباجعفر محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أشهده أنه أوصى إلى عليّ ابنه بنفسه وأخواته وجعل أمر موسى إذا بلغ إليه وجعل عبدالله بن المساور قائماً على تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق وغير ذلك إلى أن يبلغ عليّ بن محمد.

صيّر عبدالله بن المساور ذلك اليوم إليه، يقوم بأمر نفسه وأخواته ويصيّر أمر موسى إليه، يقوم لنفسه بعدهما على شرط أبيهما في صدقاته التي تصدّق بها وذلك يوم الأحد لثلاث ليال خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين، وكتب أحمد بن أبي خالد شهادته بخطه وشهد الحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام وهو الجواني على مثل شهادة أحمد بن أبي خالد في صدر هذا الكتاب وكتب شهادته بيده وشهد نصر الخادم وكتب شهادته بيده^٢.

٤. قال الخزاز القمي: حدثنا محمد بن علي، قال: حدثنا عبد الواحد بن محمد ابن عبدوس العطار، قال: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري، قال: حدثنا حمدان بن سليمان، قال: حدثنا الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت أباجعفر محمد بن علي بن

١. الكافي، ج ١، ص ٣٢٤.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٢٥.

موسى الرضا عليه السلام يقول: الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري، وقوله قولي وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه. ثم سكت، فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟

فبكى عليه السلام بكاءً شديداً ثم قال: إنّ بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر. فقلت له: يا ابن رسول الله ولم سمي القائم؟ قال: لأنّه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته. فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ قال: لأنّ له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ به الجاحدون ويكذب فيها الوقّاتون ويهلك فيها المستعجلون وينجو فيها المسلمون^١.

٥ . وقال: حدثنا علي بن محمّد السندي، قال: حدثنا محمّد بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن هلال، عن (اميّة بن علي) القيسي، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: من الخلف من بعدك؟ قال: ابني علي. ثم قال: إنّهُ سيكون حيرة. قال: قلت: إلى أين؟ فسكت ثم قال: إلى المدينة، قلت: وإلى أي مدينة؟ قال: مدينتنا هذه، وهل مدينة غيرها؟^٢.

٦ . وقال: قال أحمد بن هلال: أخبرني محمّد بن إسماعيل بن بزيع أنّه حضر أُميّة بن علي وهو يسأل أبا جعفر الثاني عليه السلام عن ذلك، فأجابهُ بمثل ذلك الجواب^٣.

٧ . وروى المجلسي عن عيون المعجزات: عن الحميري، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبيه أنّ أبا جعفر عليه السلام لما أراد الخروج من المدينة إلى العراق ومعاودتها أجلس أبا الحسن في حجره بعد النصّ عليه وقال له: ما الذي تحبُّ أن أهدي إليك من طرائف العراق؟ فقال عليه السلام: سيفاً كأنّه شعلة نار، ثمّ التفت إلى موسى ابنه وقال له:

١ . كفاية الأثر، ص ٢٧٩.

٢ . كفاية الأثر، ص ٢٨٠.

٣ . كفاية الأثر، ص ٢٨٠.

ماتحب أنت؟ فقال: فرساً، فقال عليه السلام: أشبهني أبو الحسن، وأشبه هذا أمه^١.
 وقضى الإمام علي الهادي عليه السلام اثنتين وعشرين سنة من عمره المبارك في مدينة
 جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. وحمل على هجرتها سنة ٢٣٤ هجرية بعد أن كان قد ولد
 له الحسن في سنة ٢٣٢ هجرية.
 وبهذا يكون الإمام الهادي عليه السلام قد قضى أربع عشرة سنة من سنّي إمامته في
 المدينة وعشرين سنة أخرى في (سرّ من رأى) مقرّ حكومة العبّاسيين.
 وقد أدرك الإمام الهادي عليه السلام قبل استشهاده أبيه ست سنوات من عهد المأمون
 وستين من حكم المعتصم.
 وعاصر بعد استشهاده أبيه خلال أربع وثلاثين سنة - وهي سنّي إمامته - ستة من
 الحكّام العبّاسيين، وهم على الترتيب:
 المعتصم (وقد دام حكمه ٨ سنوات) ٢٢٧ هـ .
 والواثق (٥ سنوات و ٩ أشهر) ٢٣٢ هـ .
 والمتوكّل (١٤ سنة) ٢٤٧ هـ .
 والمستنصر (ستة أشهر) ٢٤٨ هـ .
 والمستعين (سنتان وقيل ثلاث سنوات و ٩ أشهر) ٢٥٢ هـ .
 والمعتز (٨ سنوات و ٦ أشهر) ٢٥٨ هـ .
 واستشهد في عهد المعتزّ العبّاسي في سنة ٢٥٤ هـ .

ملامح عصر الإمام الهادي عليه السلام الحالة السياسيّة

اتّسم عصر الإمام الهادي عليه السلام بانتشار الفوضى وفقدان الأمن، لأنّ السلطة العبّاسيّة

كانت قد فقدت هيمنتها وقدرتها التي كانت تتمتع بها أيام الرشيد والمأمون. ويعود ذلك إلى عدّة أسباب منها: تسلّط الأتراك على زمام الحكم حتّى لم يعد للخليفة أي نفوذ وسلطان، إذ كانوا هم الذين يولّون من شاءوا ويعزلون من أرادوا من الخلفاء فضلاً عن الوزراء وسائر أعمال الدولة^١.

ووصف الجاحظ الأتراك بأنهم: أصحاب خيام وسكانٍ منافٍ وأرباب مواشٍ وهم أعراب العجم... فلم تكن لهم معرفة بشؤون الحكم والإدارة. ومن هنا ظهرت ألوان الفساد في الجهاز الحاكم بدءاً بانعدام المسؤوليّة فانتشار الرشوة واختلاس أموال الأمّة بواسطة الوزراء والعَمّال والقضاة وكتّاب الدواوين ورجال الحسبة.

وكان الولاة يشترّون وظائفهم من الوزراء، وجهد أغلبهم على ظلم الناس والاستبداد عليهم وزجّوا الأبرياء في ظلمات السجون.

من هنا كره المسلمون بجميع اتّجاهاتهم الحكم العبّاسي وتمنّوا زواله لحظة بعد أخرى، وقد اضطهد دعاة الإصلاح والعدل الاجتماعي من العلويّين وعانوا من الإرهاق مالم يكن يعانيه أحد وزخر عهد المتوكّل العبّاسي بهذه الظاهرة المزرية إذ جهد في ظلمهم والتنكيل بهم. حتّى فرض عليهم الحصار الاقتصادي ومنع رسمياً من البرّ بهم وعاقب على الإحسان إليهم فأضرّ هذا الحصار الاقتصادي بالعلويّين أضراراً بليغة حتّى انتهى بهم الحال أنّ القميص الواحد يكون بين جماعة من العلويّات تصلي فيه واحدة بعد واحدة وكنّ يرققنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر^٢، في حين أنّ المتوكّل كان ينفق على لياليه الحمراء الملايين من الدنانير ويهب الآلاف للمغنيّين واللاهين.

وكانت الأموال الطائلة تمنع للشعراء من أجل النيل من آل بيت رسول الله ﷺ^٣

١. راجع تاريخ اليعقوبي، عهد المعتصم و المعتمد و المعتز.

٢. مقاتل الطالبين، ص ٥٩٩.

٣. حياة الامام علي الهادي، ص ٢٩١ - ٢٩٦.

الذي يحكم هؤلاء الطغاة باسمه ويتصرفون بكلّ صلف في سلطانه ودولته. وتصرّض العلويّون - ولاسيما في أيّام المتوكّل - إلى الاعتقال والاضطهاد لالذنب سوى مطالبتهم بحقوق الأئمة المهدورة وتوارى جمع من كبار العلويّين وفضلاتهم وهربوا إلى الأرياف متنكرين خوفاً من السلطة العبّاسيّة الفاشمة. وأقدم المتوكّل على هدم قبر الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام إذ كان يتحرّق غيظاً ممّا يسمعه من تهافت الناس على زيارة هذا القبر الشريف. كما هدم كلّ بناء حول القبر وكرّب ماحوله وأجرى الماء عليه إلّا أنّ الماء قد دار حول القبر ولم يصل إليه ومن ثمّ سمي بالحائر، وقد خرجت من القبر الشريف رائحة طيّبة لم يشم الناس عطراً مثلاً^١. ومنع المتوكّل رسمياً المسلمين من زيارة قبر ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنّة إذ أقام المراسد وبثّ العيون لملاحقة الزائرين وإنزال أقسى العقوبة بهم متمثلةً في القتل والصلب وقطع الأيدي. لكن المسلمين كانوا يزدحمون على زيارة هذا القبر الشريف رغم كلّ هذا الاضطهاد والتنكيل حتّى ثار أهل السواد واضطّر للكفّ عن هذا الحظر^٢.

الحياة الاقتصاديّة

إنّ الفوضى السياسيّة التي أُشير إليها كانت ترافقها فوضى اقتصاديّة تتمثّل في السلب والنهب وعدم التوزيع الصحيح للثروة فضلاً عن احتكار الأموال الطائلة في خزّانات المتنفّذين وانتشار البؤس والفقر بين الأكثرية الساحقة من أبناء الأئمة إلى جانب البذخ والإسراف الذي كان يطنّي على سلوك الخلفاء، فكانت هباتهم للمغنّين وجواري القصور واللاهين والشعراء الذين كانوا ينتقصون أهل البيت عليهم السلام، هذا فضلاً

١. مقاتل الطالبين، ص ٦٥٨ و ٥٩٨ و أخبار الدول، ص ٣٥٩.

٢. حياة الإمام علي الهادي، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

عن الاحتفالات والدعوات التي كانت تقام لأدنى مناسبة ويتفنن فيها بما لا يخطر على فكر بشر من أنواع البذخ والإسراف^١.

وظاهرة بناء القصور في عهد المتوكل ظاهرة ملفتة للنظر حتى أنه قد بنى قصرًا في سفينة. وقد أنفق الملايين على قصوره التي عرفت بالجعفري والبرج والمليح والشبندار والمختار والغرو وبركوار والخير وبرك الماء التي كانت مسرحاً للهو والعبث والسخرية بالناس بدل صرف أوقاته في خدمة الأمة ومعالجة مشكلاتها والعمل على ازدهار حياتها وإنقاذها من البؤس الذي ألم بها.

لقد كانت معظم حياة هؤلاء الخلفاء حياة لهو ومجون فقصورهم مسرحاً لتعاطي المنكرات وشرب الخمر^٢.

الحالة الدينية

لقد أثارت القوى الحاكمة على الإسلام - في العصر الذي لاحظنا عليه الاضطراب السياسي والانحيار الاقتصادي - شكوكاً كثيرة حول العقيدة الإسلامية بشكل عام. كما اندست زمرة خبيثة من الملاحدة في صفوف الشيعة المعارضين للحكم القائم... لتشويه معالم الخط المعارض الذي ينتسب أصحابه إلى آل الرسول ﷺ من العلويين وأتباعهم المؤمنين بخط أهل البيت عليه السلام.

وتمثلت هذه البدع بالغلو بأهل البيت عليه السلام من جانب والتهتك بترك الفرائض والسنن وإسقاطها والتشجيع لاقتراف المآثم من جانب آخر. كما أشيع القول بالتناسخ إلى جانب إنكار ضروريات الشريعة الإسلامية، كما حاول البعض تأويل الفرائض وتفسيرها بتفسيرات بعيدة عن منهج الإسلام وخطه الواضح المبين.

١. المصدر، ص ٣٠٥ - ٣٠٨.

٢. المصدر، ص ٣٠٩ - ٣٢٢ و ٣٢٣ - ٣٣٠.

وقد تصدى الإمام الهادي عليه السلام وأصحابه لمحاربة هؤلاء الغلاة والمنحرفين حزم وعلى مختلف المستويات كما سنعرض لذلك في مجاله إن شاء الله تعالى.

واستمرت فتنة خلق القرآن في عصر الإمام الهادي عليه السلام كمحنة كان قد ابتدعها الحكم العباسي لأغراض سياسية وكان للإمام الهادي عليه السلام منها موقف واضح كما سوف نلاحظه فيما سيأتي، وقد كان الوعي الديني بشكل عام ضعيفاً للغاية ممّا وفر الأرضية الكافية لانتشار المذاهب الباطلة والفرق المنحرفة عن أصول الشريعة الإسلامية، وقد ساعد انحراف الحكّام وانغماسهم في الشهوات على انتشار حياة اللهو كما شاع شرب الخمر وانتشرت الخلاعة والمجون في أكثر أيام بني العباس. فإنّ الطيور على أشكالها تقع أو كما قال الشاعر:

إذا كان ربّ البيت بالدقّ ناقراً فشيمة أهل البيت كلّهم الرقص^١.

الخاص

□ إنّ الحقبة الزمنية الممتدة من سنة (٢٢٠ - ٢٥٤ هـ) تمثل عصر إمامة الإمام الهادي عليه السلام حيث تولّى قيادة الجماعة الصالحة بعد استشهاد والده عليه السلام ، فقد مارس دوره في بناء الجماعة الصالحة وحفظ الرسالة ، وتخلّلت هذه الحقبة أحداث كثيرة ، وفيها كان منعطف الدولة الكبير بعد قوّتها ومنعتها إذ دبّ إليها الضعف والوهن حيث استولّى الأتراك على مقاليد الدولة وقيادة الجيش .

□ و قد عاصر الإمام عليه السلام عدداً من خلفاء العصر العباسي الثاني وكانت له عليه السلام مواقف إزاء الأحداث والقضايا التي أكتنفت هذه الفترة من التاريخ الإسلامي .

□ و تبرز هنا ظاهرة التخلّص من الخلفاء عن طريق الأتراك وكانت تلك الظاهرة لها أثرها في زعزعة كيان الدولة من خلال القتل المستمر للخلفاء ، وبفواصل زمنية متقاربة كما حصل للمنتصر والمعتزّ وسواهما .

□ و قد تدهور الوضع الاقتصادي للمجتمع الإسلامي خلال هذه الفترة ، وإن شهد تقدماً ثقافياً ملحوظاً وأديباً أيضاً .

□ و كان الإمام الهادي عليه السلام في أوائل هذا العصر يحيا في المدينة المنورة ، غير أنّ المتوكّل أشخصه إلى سامراء ليكون تحت رقابة الدولة من أجل إبعاده عن قواعده وتحديد دوره وتقليص تأثيره في الأمة .

الأسئلة

- ١ . حدّد الفترة التي تولّى فيها الإمام الهادي عليه السلام منصب الإمامة وقيادة الجماعة الصالحة.
- ٢ . وضّح مظاهر الحياة السياسيّة في عصر الإمام الهادي عليه السلام وبماذا امتازت هذه الفترة.
- ٣ . ما هو موقف المتوكّل من العلويّين؟ وضّح ذلك.
- ٤ . اذكر دور الأتراك في عزل وتنصيب خلفاء هذا العصر.
- ٥ . وضّح الحالة الثقافيّة والوضع الاقتصادي في هذه الفترة.
- ٦ . تحدّث عن موقع الإمام عليه السلام الاجتماعي والسياسي في سامراء.
- ٧ . كيف تحدّد موقف الإمام عليه السلام إزاء الوضع العامّ في هذه الفترة؟

ملاح عصر الإمام الهادي عليه السلام (٢)

١. المعتصم والإمام الهادي عليه السلام

بعد اغتيال الإمام الجواد عليه السلام بأمر المعتصم، عهد المعتصم إلى عمر بن الفرج أن يشخص إلى المدينة ليختار معلماً لأبي الحسن الهادي عليه السلام البالغ من العمر آنذاك ثمان سنين على أكبر تقدير، وقد عهد إليه أن يكون المعلم معروفاً بالنصب والانحراف عن أهل البيت عليه السلام ليغذيه ببغضهم، ولما انتهى عمر إلى المدينة التقى بالوالي وعرفه بمهمته فأرشد إلى الجنيدي، وكان شديد البغض للعلويين فأرسل خلفه وعرفه بالأمر فاستجاب له، وعين له راتباً شهرياً، وعهد إليه أن يمنع الشيعة من زيارته والاتصال به، وباشر الجنيدي مهمته إلا أنه قد ذهل لما كان يراه من حدة ذكائه حتى قال:

إني والله لأذكر الحرف في الأدب، وأظن أنني قد بالغت، ثم إنه يملئ أبواباً أستفيدة منه، فيظن الناس أنني أعلمه، وأنا والله أتعلم منه.

وقال أيضاً: والله تعالى لهو خير أهل الأرض، وأفضل من برأه الله تعالى، وأنه لربما هم بدخول الحجرة فأقول له: حتى تقرأ سورة، فيقول أي سورة تريد أن أقرأها؟ فاذكر له السور الطوال فيسرع بقراءتها بما لم أسمع أصح منها، وكان يقرأها بصوت أطيب من مزامير داود، إنه حافظ القرآن من أوله إلى آخره، ويعلم تأويله وتنزيله. وأضاف

قائلاً: هذا الصبي صغير نشأ بالمدينة بين الجدران السود فمن أين علّم هذا العلم الكبير
ياسبحان الله؟!

ثم نزع عن نفسه النصب لأهل البيت عليهم السلام ودان بالولاء لهم واعتقد بالإمامة^١.
لقد كان لأدب الإمام الهادي عليه السلام وحسن تعامله مع معلّمه «الناصبي» أثرٌ كبيرٌ في
تحوّله الاعتقادي وإيمانه بزعامة أهل البيت عليهم السلام.

ثم إنَّ الجنيدي نفسه قد صرّح بأنّه تعلّم من الإمام عليه السلام ولم يأخذ الإمام عليه السلام العلم
عنه، وتلك خاصّة للإمام وآبائه عليهم السلام، فإنَّ الإمام الرضا عليه السلام لما سُئل عن الخلف بعده
أشار إلى الإمام الجواد عليه السلام وهو صبيّ أو غلام واحتجّ بقوله تعالى: «وآتيناه الحكم
صبيّاً».

وتعكس لنا هذه الرواية مدى الاهتمام المبكّر من قبل المعتصم بالإمام الهادي عليه السلام
من أجل تطويق تحرّكه وعزله عن شيعته ومريديه.

تصعيد المواجهة مع أهل البيت عليهم السلام

تصدّى قاضي القضاة - يحيى بن أكثم - من قبل السلطة العباسيّة لتوجيه أسئلة
مُحرّجة لموسى بن الإمام محمّد الجواد عليه السلام وموسى لم يتصد لمنصب الإمامة ولم
يتزعم حركة أهل البيت عليهم السلام، ولهذا التوجيه دلّالته في تصعيد المواجهة مع خط
أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم بعد اتّضاح قدرة الإمام المعصوم - المنصوب من الله - على
الإجابة والرّد على جميع التحدّيات التي حاولها ابن أكثم من قبل مع أبيه الإمام
الجواد عليه السلام.

قال موسى بن محمّد الجواد عليه السلام: لقيت يحيى بن أكثم في دار العامّة فسألني عن
مسائل فجئت إلى أخي عليّ بن محمّد عليه السلام فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني

١ . مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، ج ٣، ص ٩٥ - ٩١ راجع حياة الإمام الهادي عليه السلام للشيخ باقر شريف

القرشي، ج ٤، ص ٢٦.

وبصرني طاعته، فقلت له: جعلت فداك إن ابن أكرم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها فضحك عليه السلام ثم قال: فهل أفتيته؟ قلت: لا، لم أعرفها، قال عليه السلام: وما هي؟ قلت: كتب يسألني عن قول الله: «وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك» نبي الله كان محتاجاً إلى علم آصف؟

وعن قوله: «ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً» سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟

وعن قوله: «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسل الذين يقرؤون الكتاب» من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب النبي ﷺ فقد شك، وإن كان المخاطب غيره فعلى من إذا أنزل الكتاب؟

وعن قوله: «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله» ما هذه الأبحر وأين هي؟

وعن قوله: «وفيها ماتشتهي الأنفس وتلذ الأعين» فاشتتهت نفس آدم عليه السلام أكل البرّ فأكل وأطعم [وفيها ماتشتهي الأنفس] فكيف عوقب؟

وعن قوله: «أو يزوجهم ذكرانا وإناثاً» يزوج الله عباده الذكران وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك؟

وعن شهادة المرأة جازت وحدها وقد قال الله: «وأشهدوا ذوي عدل منكم»؟ وعن الخنثى وقول علي عليه السلام: «يورث من المبال» فمن ينظر إذا بال إليه؟ مع أنه عسى أن يكون امرأة وقد نظر إليها الرجال، أو عسى أن يكون رجلاً وقد نظرت إليه النساء؟ وهذا مالا يحل، وشهادة الجار إلى نفسه لا تقبل؟

وعن رجل أتى إلى قطيع غنم فرأى الراعي ينزو على شاة منها، فلما بصر بصاحبها خلى سبيلها فدخلت بين الغنم كيف تذيب؟ وهل يجوز أكلها أم لا؟

وعن صلاة الفجر لم يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار وإنما يجهر في صلاة الليل.

وعن قول عليّ عليه السلام لابن جرموز: بشر قاتل ابن صفية بالنار فلم يقتله وهو إمام؟ وأخبرني عن عليّ عليه السلام لم قتل أهل صفين وأمر بذلك مقبلين ومدبرين وأجهز على الجرحى، وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل مولياً ولم يُجهز على جريح ولم يأمر بذلك، وقال: من دخل داره فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن. لم فعل ذلك؟ فإن كان الحكم الأول صواباً فالثاني خطأً.

وأخبرني عن رجل أقرّ باللواط على نفسه أيحذ أم يدرأ عنه الحدّ؟.

الإمام الهادي عليه السلام ومواجهة التحديات العلمية

ثم قال الإمام الهادي عليه السلام لموسى: اكتب إليه قال موسى: وما أكتب؟ قال الإمام عليه السلام اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم وأنت فألهمك الله الرشيد أتاني كتابك فأمتحتنا به من تعنتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصرنا فيها والله يكافيك على نيتك، وقد شرحنا مسائلك فاصغ إليها سمعك وذلل لها فهمك، واشغل بها قلبك، فقد لزمك الحجة والسلام.

١. سألت عن قول الله عز وجل: «قال الذي عنده علم من الكتاب» فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف لكنه صلوات الله عليه أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه عند آصف بأمر الله، ففهم ذلك لثلاً يختلف عليه في إمامته ودلالته، كما فهم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام لتعرف نبوته وإمامته من بعد لتأكد الحجة على الخلق.

٢. وأما سجود يعقوب عليه السلام وولده كان طاعة لله ومحبة ليوسف عليه السلام، كما أن

السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم عليه السلام وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب وولده ويوسف عليه السلام معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل

الأحاديث * فاجر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين»^١.

٣. وأما قوله: «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب»^٢، فإن المخاطب به رسول الله ﷺ ولم يكن في شك مما أنزل إليه، ولكن قالت الجهلة كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة؟ إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشى في الأسواق، فأوحى الله إلى نبيه: فاسأل الذين يقرؤون الكتاب بمحضر الجهلة، هل بعث الله رسولا قبلك إلا هو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ ولك بهم أسوة، وإنما قال: فإن كنت في شك ولم يكن شك ولكن للمنفعة كما قال: «تعالوا ندع أبناءكم وأبناءكم ونساءكم ونساءكم وأنفسكم وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين، سورة آل عمران ٦١.

ولو قال (عليكم) لم يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أن نبيه يؤدي عنه رسالته وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبي أنه صادق فيما يقول ولكن أحب أن ينصف من نفسه.

٤. وأما قوله: «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله»، فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً لنفدت قبل أن تنفذ كلمات الله وهي عين الكبريت وعين التمر وعين البرهوت وعين طبرية وحمّة ماسيندان وحمّة افريقية يدعى لسان وعين بحرون، ونحن كلمات الله لا تنفذ ولا تدرك فضائلنا.

٥. وأما الجنة فإن فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وأباح الله ذلك كله لآدم عليه السلام، والشجرة التي نهى الله عنها آدم عليه السلام وزوجته أن

يأكلها منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى مَنْ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَى خَلَاتِقِهِ بعين الحسد فنسي، ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزما.

٦. وأما قوله: «أوزير وجههم ذكراً وإناثاً» أي يولد له ذكور ويولد له إناث، يقال لكل اثنين مقرنين زوجان، كل واحد منهما زوج، ومعاذ الله أن يكون عن الجليل مالست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم، «ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً» - الفرقان ٦٨ / ٦٩ - إن لم يتب.

٧. وأما شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة، جازت شهادتها مع الرضا، فإن لم يكن رضي فلا أقل من إمرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة، لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كانت وحدها قُبِلَ قولها مع يمينها.

٨. وأما قول عليٍّ عليه السلام في الخنثى فهي كما قال: ينظر قوم عدول يأخذ كل واحد منهم امرأة وتقوم الخنثى خلفهم عريانه وينظرون في المرايا فيرون الشيخ فيحكمون عليه.

٩. وأما الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة فإن عرفها ذبحها وأحرقها، وإن لم يعرفها قسم الغنم نصفين وساهم بينهما فإذا وقع على أحد النصفين فقد نجا النصف الآخر، ثم يفرق النصف الآخر فلا يزال كذلك حتى تبقى شاتان فيقرع بينهما فأيتها وقع السهم بها ذبحت وأحرق وتجا سائر الغنم.

١٠. وأما صلاة الفجر فالجهر فيها بالقراءة، لأن النبي ﷺ كان يغلس بها فقراءتها من الليل.

١١. وأما قول عليٍّ عليه السلام: بَشُرَ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةٍ بالنار فهو لقول رسول الله ﷺ وكان مَنْ خَرَجَ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ فلم يقتله أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة لأنه علم أنه يقتل في فتنة نهروان.

١٢. وأما قولك: إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام قَتَلَ أَهْلَ صَفَيْنَ مُقْبِلِينَ وَمُدْبِرِينَ وَأَجْهَزَ عَلَى جَرِيحِهِمْ وَأَنَّهُ يَوْمَ الْجَمَلِ لَمْ يَتَّبِعْ مَوْلِيًّا وَلَمْ يَجْهَزْ عَلَى جَرِيحٍ، وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ آمَنَهُ

ومن دخل داره آمنه، فإن أهل الجمل قتل إمامهم ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا متناذرين رضوا بالكف عنهم فكان الحكم فيها رفع السيف عنهم والكف عن أذاهم إذ لم يطلبوا عليه أعواناً.

وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة، وإمام يجمع لهم السلاح: الدروع والرماح والسيوف ويسني لهم العطاء ويهيئ لهم الإنزال ويعود مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسو حاسرهم ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم فلم يساو بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتل أهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم، فمن رغب عرض على السيف أو يتوب من ذلك.

١٣. وأما الرجل الذي اعترف باللواط فإنه لم تقم عليه بيعة وإنما تطوع بالإقرار من نفسه وإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمن عن الله، أما ماسمعت قول الله: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»؟! قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم ذلك^١.

٢. الإمام الهادي عليه السلام في عهد الواصل العباسي

كان الواصل كآلافه الحاكمين في إسراره في اللهو والمفاسد، وقد قيل عنه:

كان وافر الأدب مليح الشعر، وكان أعلم الخلفاء بالفناء، وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت، وكان حاذقاً يجيد ضرب العود، وكان راويةً للأشعار والأخبار^٢. محباً للغلمان وقيل عنه إنه كان يحب خادماً له أهدي له من مصر فأغضبه الواصل يوماً ثم إنه سمعه يقول لبعض الخدم: واللّه إنه ليروم أن أكلّمه - أي الواصل - من أمسي فما أفعل، فقال الواصل في ذلك شعراً.

يا ذا الذي بعذابي ظلّ مختفراً ما أنت إلاّ عليك جار إذ قدرا

١. ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٥٢.

٢. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٣.

لولا الهوى لتجارينا على قدر وإن أقف منه يوماً فسوف ترى

الوائق وفتنة خلق القرآن

وامتحن الواثق الناس بفتنة خلق القرآن فكتب إلى القضاة أن يفعلوا ذلك في سائر البلدان وأن لا يجيزوا إلا شهادة من قال بالتوحيد فحُبِسَ بسبب ذلك أناس كثيرون. وفي سنة إحدى وثلاثين ورد كتاب إلى أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وكان قد تبع أباه في ذلك ثم رجع في آخر أمره.

وفي هذه السنة قتل أحمد بن نصر الخزاعي وكان من أهل الحديث وقد استفتى الواثق جماعة من فقهاء المعتزلة بقتله فأجازوا له ذلك، وقال: إذا قمت إليه فلا يقوم أحد معي فأني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبد ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ثم أمر بالنطح فأجلس عليه وهو مقيد فمضى إليه فضرب عنقه، وأمر بجمل رأسه إلى بغداد فصلب بها، وصلبت جثته في سر من رأى، واستمر ذلك ست سنين إلى أن ولي المتوكل فأنزله ودفنه، ولما صلب كتب ورقة وعلقت في أذنه فيها: هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبدالله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة فعجله الله إلى ناره، ووكل بالرأس من يحفظه.

وفي هذه السنة استفك من الروم ألفاً وستمائة أسير مسلم فقال ابن داود: من قال من الأسارى «القرآن مخلوق» خلّصوه وأعطوه دينارين ومن امتنع دعوه في الأسر^١. قال الخطيب: كان أحمد بن أبي داود قد استولى على الواثق وحمله على التشدد في المحنة ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن.

ومن جملة من شملهم ظلم الواثق أبويعقوب بن يوسف بن يحيى البوطي صاحب الشافعي - الذي مات سنة ٢٣١ هـ - محبوساً في محنة الناس بالقرآن، ولم يجب إلى

القول بأنه مخلوق وكان من الصالحين^١.

موقف الإمام الهادي عليه السلام من فتنة خلق القرآن

لقد عمّت الأمة فتنة كبرى زمن المأمون والمعتصم والواثق بامتحان الناس بخلق القرآن وكأنّ هذه المسألة مسألة يتوقف عليها مصير الأمة الإسلامية، وقد بين الإمام الهادي عليه السلام الرأي السديد في هذه المناورة السياسية التي ابتدعتها السلطة فقد روي عنه أنّه كتب إلى بعض شيعته ببغداد:

بسم الله الرحمن الرحيم: عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها نعمة وإلا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أنّ الجدل في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فتعاطى السائل ما ليس له وتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالّين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون^٢.

إخبار الإمام الهادي عليه السلام بموت الواثق

كان الإمام الهادي عليه السلام يتابع التطورات السياسية ويرصد الأحداث بدقّة. فعن خيران الخادم قال: قدمت على أبي الحسن عليه السلام المدينة فقال لي: ما خبر الواثق عندك؟ قلت: جعلت فداك خلّفته في عافية، أنا من أقرب الناس عهداً به عهدي به منذ عشرة أيام فقال لي: إنّ أهل المدينة يقولون: إنّّه مات. فلمّا أن قال لي: الناس، علمت أنّه هو ثمّ قال لي: ما فعل جعفر؟ قلت: تركته أسوأ الناس حالاً في السجن فقال: أما أنّه صاحب الأمر. ما فعل ابن الزيّات؟ قلت: جعلت فداك الناس معه والأمر أمره فقال: أما أنّه شؤم عليه ثمّ سكّت وقال لي: لا بدّ أن تجري مقادير الله تعالى وأحكامه يا خيران،

١. تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٣٣٥.

٢. أمالي الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٤٨٩.

مات الواثق وقد قعد المتوكل جعفر وقد قتل ابن الزيات فقلت: متى جعلت فداك؟ قال: بعد خروجك بستة أيام^١.

وهذه الرواية دون شك تظهر لنا حدة الصراع والتنافس على السلطة داخل الأسرة العباسية الحاكمة، كما تظهر لنا متابعة الإمام عليه السلام للإوضاع العامة والسياسية أولاً بأول، واهتمامه الكبير هذا يوضح حالة القهر والاضطهاد التي كانت تعاني منها قواعد الإمام عليه السلام الشعبية ومواليه، فكان عليه السلام يوافيهم بمآل الأحداث والظواهر السياسية، ليكونوا على حذر أولاً ولتنمية قابلياتهم في المتابعة وتحليل الظواهر ثانياً.

الخامس

□ حاول المعتصم بعد استشهاد الإمام الجواد عليه السلام أن يحتوي تحرك الإمام الهادي عليه السلام لذا بعث عمر بن الفرج إلى المدينة كي يختار معلماً للإمام الهادي عليه السلام - وأن يكون - هذا المعلم، معروفاً بالنصب والانحراف عن أهل البيت عليه السلام - غير أن معلّم الإمام عليه السلام أعجب بعلمه وأدبه مع صغر سنه عليه السلام. فقال عنه الجنيدي وهو معلّمه حين سأل عنه أو قيل له أنه صبي، قال: «والله تعالى لهو - أي الإمام عليه السلام - خير أهل الأرض وأفضل من يراه الله سبحانه». ونشأ الإمام عليه السلام وترعرع في مدينة جدّه رسول الله ﷺ.

□ ثم إنّ المعتصم حاول بكلّ وسائل سلطانه أن يدحض حجة الإمام عليه السلام عن طريق أسئلة واحتجاجات يحيى بن أكنم الذي نقل أسئلته إلى الإمام أخوه موسى بن محمد ابن الرضا عليه السلام، وأجاب عليها الإمام عليه السلام بأجمعها فبهت ابن أكنم.

□ أمّا في عصر الوائق فقد امتحن الناس بمسألة خلق القرآن وعمّ ذلك على القضاة في الأمصار حيث طلب منهم أن لا يجيزوا شهادة من خالف رأي الخليفة في ذلك وطلب من الولاة وخاصة أمير البصرة أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وكان متبعاً في ذلك سبيل أبيه ثم أن الإمام الهادي عليه السلام أخبر بموت الوائق كأنه بذلك الإخبار كان يبشر الناس بالخلاص من طاغية من طواغيت العباسيين الذين عتوا وطفوا واستبدوا بالسلطان.

الأسئلة

١. علل سبب اختيار المعتصم معلماً للإمام الهادي عليه السلام.
٢. اذكر أهم الأمور في موقف معلّم الإمام عليه السلام منه.
٣. أوضح النقاط التي تظهر علميّة الإمام الهادي عليه السلام.
٤. ما غرض الوائق من إثارة مسألة خلق القرآن؟
٥. لماذا اعتمد الوائق على بعض فقهاء المعتزلة دون سائر الفرق الإسلامية؟
٦. ما هو موقف الإمام عليه السلام من مسألة خلق القرآن؟
٧. ما دلالة من إخبار الإمام خيران الخادم بموت الوائق؟ للجماعة الصالحة؟

ملاح عصر الإمام الهادي عليه السلام (٣)

٣. المتوكل العباسي و الإمام الهادي عليه السلام

لقد عُرف المتوكل ببغضه لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بشكل خاص ولآل البيت عليهم السلام بشكل عام، وكان شديداً على الشيعة فعمد إلى هدم قبر الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام ومنع الشيعة من زيارته وأخذ يعاقبهم عليها ويضطهدهم لذلك.

إشخاص الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء

١. رسالة المتوكل إلى الإمام الهادي عليه السلام : روى الشيخ الكليني عن محمد بن يحيى، عن بعض أصحابنا قال: أخذت نسخة كتاب المتوكل إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام من يحيى بن هرثمة في سنة ثلاث وأربعين ومائتين وهذه نسخته: -

«بسم الله الرحمن الرحيم»

أما بعد فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك، راعٍ لقرابتك، موجباً لحقك يقدر الأمور فيك وفي أهل بيتك، ما أصلح الله به حالك وحالهم وثبت به عزك وعزهم، وأدخل الأيمن والأمن عليك وعليهم، ويبتغي بذلك رضا ربه وأداء ما فُترض عليه فيك وفيهم،

وقد رأى أمير المؤمنين صدق عبدالله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة رسول الله ﷺ.

إذا كان على ما ذكرت من جهالته بحقك واستخفافه بقدرك، وعندما قرفك به، ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه وصدق نيتك في ترك محاولته، وأنت لم تؤهل نفسك له، وقد ولي أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل، وأمره بإكرامك وتبجيلك والانتهاء إلى أمرك ورأيك والتقرب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك، وأمير المؤمنين مشتاق إليك يحب إحداث العهد بك والنظر إليك.

فإن نشطت لزيارته والمقام قبله مارأيت، شخصت ومن أحببت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمانينة ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت، وتسير كيف شئت وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند مشيعين لك، يرحلون برحيلك، ويسیرون بسیرك، والأمر في ذلك إليك حتى توفي أمير المؤمنين.

فما أحد من إخوته وولده وأهل بيته وخاصته ألطف منه منزلة ولا أحد له أثره ولا هو لهم أنظر وعليهم أشفق، وبهم أبر وإلهم أسكن منه إليك إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته^١.

٢. أسباب الإشخاص: كان المتوكل يهدف في رسالته أموراً إعلامية هي التأثير في أهل المدينة محاولة منه لتغيير انطباعهم فإن الغالبية من أهل المدينة كانوا يعرفون المتوكل ويعلمون عداؤه لأهل البيت عليه السلام وشيعتهم.

وحاول ثانياً أن يبدي للإمام الهادي عليه السلام أنه يحترم رأيه ويقدره ويعزّه، لذا فقد أبدل والي المدينة بغيره ومن ثم جعل له الحرّية في الشخوص إلى الخليفة كيف يشاء الإمام عليه السلام، وهذه أساليب تغري العامة فالإمام عليه السلام يدرك ما يهدف إليه المتوكل في

استدعائه.

لقد أمر المتوكل - يحيى بن هرثة بالذهاب إلى المدينة إشخاص الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء، وكانت للإمام عليه السلام مكانة رفيعة عند أهل المدينة، ولما عمد يحيى إلى إشخاصه اضطربت المدينة وضح أهلها.

قال يحيى بن هرثة: دخلت المدينة فضح أهلها ضجيجاً عظيماً، ماسمع الناس بمثله خوفاً على علي - أي الإمام الهادي عليه السلام - وقامت الدنيا على قدم وساق، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً المسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا فجعلت أسكتهم، وأحلف لهم أنني لم أؤمر فيه بمكروه وأنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد إلا مصاحف وأدعية، وكتب علم، فعظم في عيني^١. وكان ذلك في سنة ٢٣٤ هـ. وتفيد هذه الرواية مايلي:

١. قوة تأثير الإمام الهادي عليه السلام وانشداد الناس إليه وتعلقهم به؛ لكثرة إحسانه إليهم.

٢. خشية السلطة العباسية من تعاضم أمر الإمام عليه السلام لسهولة اتصال الجماعة الصالحة به، فكان في إشخاصه إلى سامراء إبعاداً له عنهم، فضلاً عن وضعه تحت المراقبة الشديدة وتحديد حركته وارتباطاته أو كشفها لإبادتها.

٣. تأثر قائد الجيش العباسي - يحيى بن هرثة - بالإمام عليه السلام، وتعظيمه له حيث لاحظ كذب الاتهامات والوشايات المرفوعة حوله بالنسبة لعدو العدة والسلاح للإطاحة بالخليفة العباسي.

٤. عزوف الإمام عليه السلام عن الدنيا وملازمة المسجد متخذاً من سيرة آبائه نبزاً له، ومن المسجد طريقاً لبث علوم أهل البيت عليهم السلام وتصحيح معتقدات الأمة.

٥. عزل الإمام عليه السلام عن شيعته ومحبيه، فسامراء مدينة أسسها العباسيون أنفسهم

وكانت تسكنها غالبية تركية (قواد وجنود)، ولم يكونوا ليعبأوا بالدين وقيمه بقدر اهتمامهم بالسيطرة وإحكام السلطة.

إن من أسباب إشخاص الإمام إلى سامراء - كما تفيد بعض المصادر التاريخية - وشاية بعض عمال السلطة العباسية الذين كانوا يرون الإمام عليه السلام منافساً لهم.

فقد كتب بريجة العباسي - صاحب الصلاة بالحرمين - إلى المتوكل: إن كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمد منهما فإنه قد دعا إلى نفسه وأتبعه خلق كثير، وتابع بريجة الكتب في هذا المعنى فوجه المتوكل يحيى بن هرثة وكتب معه إلى أبي الحسن عليه السلام كتاباً جميلاً يعرفه أنه قد اشتاقه ويسأله القدوم عليه، وأمر يحيى بالمسير معه كما يحب، وكتب إلى بريجة يعرفه ذلك فقدم يحيى بن هرثة المدينة فأوصل الكتاب إلى بريجة وركبا معاً إلى أبي الحسن عليه السلام فأوصلا إليه كتاب المتوكل فاستأجلاهما ثلاثاً، فلما كان بعد ثلاث عاد إلى داره فوجد الدواب مسرجة والأثقال مشدودة قد فرغ منها، وخرج عليه السلام متوجهاً نحو العراق وتبعه بريجة مشيعاً فلما صار في بعض الطريق قال له بريجة: قد علمت وقوفك على أنني كنت السبب في حملك وعلى ذلك حلف بأيمان مغلفة لئن شكوتني إلى أمير المؤمنين أو أحد من خاصته وأبنائه لأجترن نخلك ولأقتلن مواليك ولأعورن عيون ضيعتك ولا فعلن ولأصنعن، فالتفت إليه أبو الحسن فقال له: إن أقرب عرضي إليك على الله البارحة وما كنت لأعرضنك عليه ثم لأشكوئك إلى غيره من خلقه قال: فأكتب عليه بريجة وضرع إليه واستعفاء فقال له الإمام عليه السلام: قد عفوت عنك^١.

ويبدو من هذه الرواية أن المتوكل أمر يحيى بن هرثة برعاية الإمام عليه السلام وعدم التشديد عليه، وقد بلغ ذلك بريجة وخشي أن يشتكيه الإمام عليه السلام للمتوكل، فتوعد الإمام عليه السلام ولكن الإمام عليه السلام عمد إلى تركيز مفهوم إسلامي وهو مسألة الارتباط بالله

سبحانه، فإنه الذي ينفع ويضر ويدفع عن عباده الضرّ لذا أجاب الإمام عليه السلام بريحه بأنه قد شكاه إلى الله تعالى قبل يوم من سفره وأن الإمام عليه السلام ليس في نيّته أن يشتكي بريحه عند الخليفة ممّا اضطرّ بريحه إلى أن يعتذر من الإمام عليه السلام ويطلب العفو منه، فهو يعرف منزلة الإمام ومنزلة آبائه عليه السلام وصلتهم الوثيقة بالله سبحانه، فأخبره الإمام عليه السلام بأنه قد عفى عنه.

وكان الإمام يدرك أبعاد سلوك الخليفة إزاءه وما يرمي إليه من إشخاصه من المدينة إلى سامراء، وإبعاده عن أهله ومواليه ومن ثمّ وضعه تحت الرقابة المشدّدة لمعرفة الداخلين على الإمام والخارجين منه أي ضبط تصرّف الإمام عليه السلام وحركات قواعده، فوجوده عليه السلام في المدينة يعني بالنسبة للخليفة تمتّع الإمام عليه السلام بحرّية في التحرك، فضلاً عن سهولة سبل الاتصال به من قبل القواعد الموالية للإمام عليه السلام.

فكان الإمام عليه السلام في كلّ تحرّكاته، يقطّأ وكانت وصاياه إلى شيعته تتّصف بالحدّز، من هنا كانت الوشايات تبوء بالفشل، وبالرغم من مباغتة الإمام عليه السلام وكبس داره لم يجد جلاوزة السلطان فيها غير كتب الأدعية والعلم والقرآن الكريم^١.

والسبب الآخر للإشخاص - كما يراه ابن الجوزي -: هو أنّ المتوكّل كان يبغض علياً أمير المؤمنين عليه السلام وذريّته وخشي تأثيره في أهل المدينة وميلهم إليه^٢.

الإمام عليه السلام في خان الصعاليك

ذكر الشيخ المفيد أن الإمام الهادي عليه السلام حين وصل سرّ من رأى كان المتوكّل قد تقدّم بأن يحجب عنه في يومه فنزل في خان الصعاليك وأقام به يومه ثمّ تقدّم المتوكّل بإفراذ دار له فانتقل إليها.

وأقام أبو الحسن عليه السلام مدّة مقامه بسرّ من رأى مكرمّاً في ظاهر حاله يجتهد

١ . سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٢٢.

٢ . سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٢٢.

المتوكل في إيقاع حيلة به، فلا يتمكن من ذلك^١.

كبس دار الإمام الهادي عليه السلام في ساقراء واستدعائه

لم تحقق وسائل السلطة في التضييق على الإمام ومراقبته شيئاً من أهدافها في ضبط بعض القضايا التي تؤكد صحة الوشايات بالإمام عليه السلام، فكثيراً ماسعى بعض المتزلفين للخليفة بالإمام عليه السلام أو غرّوا صدره ضد الإمام عليه السلام وأخبروا الخليفة كذباً بأن لديه السلاح وتجبى إليه الأموال من الأقاليم، ممّا أدّى بالخليفة إلى إرسال بعض أمراء جنده إلى دار الإمام عليه السلام وتفتيشها ثم استدعاء الإمام عليه السلام إلى البلاط.

لقد كان المتوكل مرةً ثملاً على مائدة الشراب حينما دخل عليه الإمام عليه السلام وبعد أن أعظم الإمام عليه السلام وأجلسه إلى جانبه؛ ناوله الكأس.

فقال الإمام عليه السلام: يا أمير المؤمنين ما خمر لحمي ودمي قط فاعفني فأعفاه.

ثم قال له المتوكل: أنشدني شعراً.

فقال الإمام عليه السلام: إنّي لقليل الرواية للشعر.

فقال المتوكل: لا بدّ من ذلك، فأنشده الإمام هذه الأبيات:-

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلّل

واستنزّلوا بعد عزٍّ من معاقلمهم فاودعوا حُفراً يابّس منازلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قُبروا أين الأسرّة والتيجان والحلّل

أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الأستار والكلّل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا دهرأ وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكل، ثم أمر برفع الشراب وقال: يا أبا الحسن! أعليك دين؟ قال: نعم أربعة

آلاف دينار، فدفعها إليه وردّه إلى منزله مكرّماً.

وروى ابن شهر آشوب بإسناده عن أبي محمد الفحام أنّه قال: سألت المتوكّل ابن الجهم من أشعر الناس؟ فذكر الجاهليّة والإسلام، ثمّ إنّهُ سأل أبا الحسن عليه السلام، فقال: «الجماني» حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة	بمَدّ خدود وامتداد أصابع
فلَمّا تنازعنا المقال قضى لنا	عليهم بمانهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا	عليهم جهير الصوت في كلّ جامع
فإنّ رسول الله أحمد جدنا	ونحن بنوه كالنجوم الطوالع

قال المتوكّل: ومانداء الصوامع يا أبا الحسن؟

قال عليه السلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، جدّي أم جدّك؟

فضحك المتوكّل ثمّ قال: هو جدّك لاندفعك عنه^١.

إنّ الواقع العملي كان يفضح أساليب المتوكّل الذي عمد إلى التضييق على الإمام عليه السلام وفرض الإقامة الجبريّة عليه، ومن ثمّ ايداعه السجن وغيرها من أساليب الاضطهاد التعسّفيّة التي اتخذها المتوكّل ضدّ الإمام عليه السلام، كما اتضح ذلك من كبس دار الإمام عليه السلام عدّة مرّات واستدعائه إلى البلاط.

ومما يعزّز ذلك أيضاً ما رواه الشيخ الطوسي عليه السلام بإسناده عن محمد بن الفحام: أنّ الفتح بن خاقان قال: قد ذكر الرجل - يعني المتوكّل - خبر مال يجيء من قم، وقد أمرني أن أرسده لأخبره به، فقال لي من أيّ طريق يجيء حتّى أجتنبه، فجنّت إلى الإمام علي بن محمد عليه السلام فصادت عنده من احتشمه فتبسّم وقال لي:

لا يكون إلّا خيراً يا أبا موسى، لم تعد الرسالة الأولى؟ فقلت: أجلتلك ياسيدي، فقال لي: المال يجيء الليلة وليس يصلون إليه فبت عندي.

فلما كان من الليل وقام إلى ورده قطع الركوع بالسلام وقال لي: قد جاء الرجل ومعه المال، وقد منعه الخادم الوصول إليّ فأخرج خذ مامعه.

فخرجت فإذا معه زنفيلجة^١ فيها المال: فأخذته ودخلت به إليه، فقال: قل له هات المحنقة التي قالت له القميّة أنها ذخيرة جدّتها، فخرجتُ له فأعطانيها، فدخلت بها إليه، فقال لي: قل له الجبة التي أبدلتها منها ردّها إليها، فخرجت إليه فقلت له ذلك، فقال: نعم كانت ابنتي استحسنتها فأبدلتها بهذه الجبة وأنا أمضي فأجيب بها، فقال: اخرج فقل له: إنّ الله يحفظ مالنا وعلينا، هاتها من كتفك، فخرجت إلى الرجل فأخرجها من كتفه فغشي عليه، فخرج إليه عليه السلام، فقال له: قد كنت شاكاً، فتيقنت^٢.

وفي الرواية دلالات كثيرة، أهم مايلفت الانتباه فيها هو:-

أولاً: إنّ الإمام يعرف شك السلطة وهو أخذ حذره ومستيقظ للأمر، لذا أجاب من سأله عن المال بأنّه سيصل ولاسيبل للمتوكّل وجلاوزته عليه، وفعلًا وصل سالماً.

ثانياً: إنّ حامل المال إلى الإمام عليه السلام يُريد أن يختبر الإمام عليه السلام أو يبعث عن وسيلة لليقين في إمامته عليه السلام، لذا فقد أرشد الإمام مستلم المال إلى أمور لايعرفها إلاّ حامله كالجبة التي أخفاها تحت كتفه، وزاد عليه السلام بقوله: أتيقنت مشيراً إلى ماكان يكتنه هذا الرجل بنفسه ومايروم أن يصل إليه وهو معرفة الإمام بهذه الأمور وقد أيقن وأطمأنّ حينما أخبره رسول الإمام عليه السلام إليه بما يضره.

اعتقال الإمام الهادي عليه السلام في سامراء

وأمر الطاغية المتوكّل باعتقال الإمام وزجّه في السجن، فبقي فيه أياماً، وجاء لزيارته صقر بن أبي دلف، فاستقبله الحاجب وكانت له معرفة به، وكان عالماً بتشيّعه، وبادر الحاجب قائلاً: «ياصقر ماشأنك؟ وفيم جئت؟...»

١. زنفيلجة معرب زنبيلة بمعنى وعاء ادوات الراعي. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٥.

٢. أمالي الشيخ الطوسي، ج ١، ص ٢٨٢ و المناقب، ج ٢، ص ٤٥١.

فقلت: «لخير ما»

فقال: «لعلك جئت تسأل عن خبر مولاك؟».

فقلت له: ومن مولاي؟ «مولاي أمير المؤمنين - يعني المتوكل».

فتبسّم الحاجب وقال: «أسكت مولاك هو الحق - يعني الإمام الهادي عليه السلام - فلا

تحتشمني فإني على مذهبك...»

فقلت: الحمد لله... قال: أتحب أن تراه؟

قلت: نعم...

قال: «اجلس حتّى يخرج صاحب البريد من عنده».

ولمّا خرج صاحب البريد، التفت الحاجب إلى غلامه فقال له: خذ بيد الصقر حتّى

تدخله الحجرة التي فيها العلوي المحبوس، وخلّ بينهما.

فأخذه الغلام حتّى أدخله الحجرة وأوماً إلى بيت فيه الإمام عليه السلام، فدخل عليه

الصقر، وكان الإمام عليه السلام جالساً على حصير وبازائه قبر محفور قد أمر به المتوكل

لإرهاب الإمام عليه السلام، والتفت عليه قائلاً بحنان ولطف: «يا صقر ما الذي أتى بك؟».

قلت: «جئت لأتعرّف على خبرك...»، وأجهش الصقر بالبكاء رحمة بالإمام وخوفاً

عليه، فقال عليه السلام: «يا صقر لا عليك، لن يصلوا إلينا بسوء الآن...».

وهكذا هدأ روعه وحمد الله على ذلك، ثمّ سأل الإمام عن بعض المسائل الشرعيّة

فأجابها عنها، وانصرف مودّعاً الإمام^١، ولم يلبث الإمام إلا قليلاً في السجن حتّى أطلق

سراحه.

الخاص

□ كان المتوكل معروفاً ببغضه لأمر المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، وكان شديداً على القواعد الشيعية الموالية لأهل البيت عليهم السلام، لذا عمد إلى إشخاص الإمام عليه السلام من المدينة إلى سامراء وصحب ذلك اضطراب شديد في المدينة حزناً وألماً لذهاب الإمام عليه السلام إلى سامراء.

□ و يمكن أن يضاف إلى عامل حقد المتوكل على الإمام عليه السلام والشيعية عوامل أخرى دفعت المتوكل إلى إبعاده عن المدينة هي:

□ ١. تأثير الإمام عليه السلام في أهل المدينة وانشداهم إليه.

□ ٢. خشية السلطة من تعاضم أمر الإمام عليه السلام.

□ ٣. اتّخاذ الإمام عليه السلام من المسجد النبوي مقراً لبث علوم أهل البيت عليهم السلام.

□ ٤. محاولة إبعاد وعزل الإمام عليه السلام عن الجماعة الصالحة إلى غير ذلك من العوامل التي ساهمت في تطويق تحرك الإمام عليه السلام وشيعته، ثم نجد أنّ المتوكل لم يترك الإمام عليه السلام وشأنه حيث حلّ في سامراء، بل ذهب إلى مضايقته وتحديد تحركه بل عمد المتوكل إلى سجن الإمام عليه السلام ومن ثمّ عمل على اغتياله عليه السلام ولكن باءت محاولته بالفشل.

□ ففي إحدى المرات دعا المتوكل الإمام عليه السلام إلى مجلس شراب ورفض الإمام عليه السلام الشراب وأنشده شعراً فيه ترهيب ووعيد ولم يخش الإمام عليه السلام سطوة المتوكل وغضبه.

□ و قد لجأ الإمام عليه السلام داعياً إلى الله من أجل هلاك المتوكل لشدة ظلمه وبطشه ولم يلبث المتوكل بعد دعاء الإمام عليه السلام عليه سوى ثلاثة أيام، حتّى أعلن هلاك المتوكل وتخلّصت الأمة عامة والجماعة الصالحة خاصّة منه ومن استبداده وظلمه.

الفصل

- ١ . هم عُرف المتوَكِّل العبَّاسي إزاء أهل البيت عليه السلام ومواليهم؟
- ٢ . لماذا أمر المتوَكِّل بأشخاص الإمام عليه السلام إلى سامراء؟
- ٣ . ما هي أهم إجراءات السلطة العبَّاسية لتحديد نشاط الإمام عليه السلام ومنع تأثيره في مواليه وشيعته؟
- ٤ . ما هي أهم النقاط التي تضمنتها رسالة المتوَكِّل إلى الإمام عليه السلام؟
- ٥ . ما هي دلالات عملية اعتقال الإمام عليه السلام ومحاولة اغتياله من قبل المتوَكِّل؟
- ٦ . بأي وسيلة واجه الإمام عليه السلام المتوَكِّل بحيث قتل بعدها بثلاثة أيام؟
- ٧ . كيف قتل المتوَكِّل العبَّاسي وعلى أيدي من؟

ملاح عصر الإمام الهادي عليه السلام (٤)

المتوكل ومحاولة اغتيال الإمام الهادي عليه السلام

وقد دبرت السلطة الحاكمة آنذاك مؤامرة لقتل الإمام الهادي عليه السلام ولكنها لم تنجح، فقد حدث أبو العباس فضل بن أحمد بن إسرائيل الكاتب عن أبيه، قال: كنا مع المنتصر وأبي كاتبه فدخلنا والمتوكل على سريرته فسلم المنتصر ووقف ووقفت خلفه، وكان إذا دخل رحب به وأجلسه، فأطال القيام وجعل يرفع رجلاً ويضع أخرى وهو لا يأذن له في القعود، ورأيت وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ويقول للفتح بن خاقان: هذا الذي يقول فيه ما تقول؟ يردّ عليه القول والفتح يسكته ويقول: هو مكذوب عليه. وهو يتلظى ويستشيط ويقول:

والله لاقتلن هذا المرائي الزنديق وهو يدعي الكذب ويطعن في دولتي، ثم طلب أربعة من الخزر أجلاً فادفع إليهم أسياًفاً. وأمرهم أن يقتلوا أبا الحسن إذا دخل وقال: والله لأحرقنه بعد قتله. وأنا قائم خلف المنتصر من وراء الستر فدخل أبو الحسن وشفتاه تتحركان وهو غير مكترث ولا جازع، فلما رآه المتوكل رمى بنفسه عن السرير إليه، وأنكب عليه يقبل بين عينيه ويديه، واحتمل شقه بيده وهو يقول:

يا سيدي يابن رسول الله يا خير خلق الله يابن عمي يا مولاي يا أبا الحسن!

وأبو الحسن عليه السلام يقول: أعيدك يا أمير المؤمنين من هذا. فقال: ماجاء بك ياسيدي في هذا الوقت؟ قال: جاءني رسولك قال: كذب ابن الفاعلة.
إرجع ياسيدي يافتح يا عبيد الله يا منتصر شيعوا سيّدكم وسيدي فلما بصر به الخزر خروا سجداً فدعاهم المتوكل وقال: لِمَ لم تفعلوا ما أمرتكم به؟
قالوا: شدة هيبتة ورأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن نتأملهم، وامتلأت قلوبنا من ذلك رعباً، فقال: يافتح هذا صاحبك وضحك في وجهه.
وقال: الحمد لله الذي بيض وجهه وأنار حجته.

المتوكل واضطهاد الإمام الهادي عليه السلام وإهانتة

روى الحسين بن محمد أن المتوكل لما حبس أبا الحسن الهادي عليه السلام عن علي بن كركر قال أبو الحسن عليه السلام: أنا أكرم على الله من ناقة صالح: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعدٌ غير مكذوب. فلما كان من الغد أطلقه واعتذر إليه، فلما كان في اليوم الثالث وثب عليه باعز وتامش ومعطون فقتلوه وأقعدوا المنتصر ولده خليفة.
وعن أبي سالم أن المتوكل أمر الفتح بسيه عليه السلام فذكر الفتح له ذلك فقال: قل تمتعوا في داركم ثلاثة أيام... وأنهى ذلك إلى المتوكل فقال: أقتله بعد ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث قتل المتوكل والفتح^١.

وروى المجلسي عن عيون المعجزات أنه لما كان في يوم الفطر في السنة التي قتل فيها المتوكل أمر المتوكل بني هاشم بالترجل والمشي بين يديه وإنما أراد بذلك أن يترجل أبو الحسن عليه السلام فترجل بنو هاشم وترجل أبو الحسن عليه السلام واتكأ على رجل من مواله فأقبل عليه الهاشميون وقالوا: ياسيدنا مافي هذا العالم أحد يستجاب دعاؤه ويكفيها الله به تعزز هذا. قال لهم أبو الحسن عليه السلام: في هذا العالم من قلامة ظفري أكرم

١. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٠٤ وبحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٩٢ - ١٩٤ و ٢٠٤.

على الله من ناقة ثمود لما عقرت الناقة صاح الفصيل إلى الله تعالى فقال الله سبحانه: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعدٌ غير مكذوب.

وروى المجلسي عن زرافة حاجب المتوكل تفصيل الحدث مشيراً فيه إلى أن المتوكل لحظوة الفتح بن خاقان عنده وقربه منه أراد أن يبين موضعه عندهم فأمر الجميع بأن يمشوا بين يديه ولا يركب أحد إلا هو والفتح وكان يوماً قائظاً شديد الحر وأخرجوا أبا الحسن في جملة الأشراف وقد شقّ عليه ما لقيه من الحرّ والزحمة... قال زرافة: فوالله ما جاء اليوم الثالث حتّى هجم المنتصر ومعه بناء والوصيف والأتراك على المتوكل فقتلوه وقطعوه والفتح جميعاً... فلقيت أبا الحسن عليه السلام بعد ذلك... فقال عليه السلام: لما بلغ مني الجهد رجعت إلى كنوز نتوارثها من آبائنا هي أعزّ من الهون والسلاح والجنن وهو دعاء المظلوم على الظالم فدعوت به عليه فأهلكه الله. ثمّ طلب من الإمام عليه السلام أن يعلمه الدعاء فعلمه. وإليك نصّه:

للمطالعة

«اللّهم: إني وفلاناً - يعني المتوكل - عبدان من عبيدك، نواصينا بيدك، تعلم مستقرّنا ومستودعنا، وتعلم منقلبنا ومثوانا، سرّنا وعلاّئنا، وتطلع، وتحيط بضمائرنا، علمك بما نبيد به كعلمك بما نخفيه، ومعرفتك بما نبطنه كمعرفتك بما نظهره، ولا ينطوي عنك شيء من أمورنا ولا يستر دونك حال من أحوالنا ولا لنا منك معقل يحصننا، ولا حرز يحرزنا، ولا هارب يفوتك منّا، ولا يمتنع الظالم منك بسلطانه، ولا يجاهدك عنه جنوده، ولا يغالبك مغالب بمنعته ولا يعازك متعزّز بكثرة أنت مدرّكه أينما سلك، وقادر عليه، أين لجأ، فعاذ المظلوم ببابك، وتوكلّ المقهور منّا عليك ورجوعه إليك، ويستغيث بك إذا خذله المغيث، ويستصرّخك إذا قعد عنه النصير، ويلوذ بك إذا أته الأفيّة، ويطرق بابك إذا غلّقت دونه الأبواب الموتجة ويصل إليك إذا احتجبت عنه الملوك الغافلة، تعلم به قبل أن يشكوه إليك، وتعرف ما يصلحه قبل أن يدعوك له، فلك الحمد سمياً بصيراً لطيفاً قديراً...».

«اللَّهُمَّ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِكَ وَمَحْكَمِ قَضَائِكَ، وَجَارِي قَدْرِكَ وَمَاضِي حَكْمِكَ وَنَافِذِ مَشِيئَتِكَ فِي خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ سَعِيدِهِمْ، وَشَقِيهِمْ، وَبَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ أَنْ جَعَلْتَ لِفُلَانٍ - يَعْنِي الْمُتَوَكِّلَ - عَلَيَّ قُدْرَةً فَظَلَمَنِي بِهَا وَبَغَى عَلَيَّ لِمَكَانَهَا، وَتَعَزَّزَ عَلَيَّ بِسُلْطَانِهِ الَّذِي خَوَّلْتَهُ إِيَّاهُ، وَتَجَبَّرَ عَلَيَّ بِعُلُوِّ حَالِهِ الَّذِي جَعَلْتَهُ لَهُ، وَغَرَّهَ إِمْلَاؤُكَ لَهُ، وَأَطْغَاهُ حِلْمُكَ عَنْهُ فَقَصَدَنِي بِمَكْرِهِ عَجَزْتَ عَنِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَتَعَمَّدَنِي بِشَرٍّ ضَعَفْتَ عَنْ احْتِمَالِهِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْإِنْتِصَارِ مِنْهُ لَضَعْفِي وَالْإِنْتِصَافِ مِنْهُ لَذَلِّي فَوَكَّلْتَهُ إِلَيْكَ، وَتَوَكَّلْتُ فِي أَمْرِهِ عَلَيْكَ، وَتَوَعَّدْتَهُ بِعَقُوبَتِكَ، وَحَذَرْتَهُ سَطُوتِكَ، وَخَوَّفْتَهُ نَقْمَتِكَ، فَظَنَّ أَنَّ حِلْمَكَ عَنْهُ مِنْ ضَعْفٍ، وَحَسَبَ أَنَّ إِمْهَالَكَ لَهُ مِنْ عَجْزٍ، وَلَمْ تَنْهَ وَاحِدَةً عَنْ أُخْرَى، وَلَا أَنْزَجِرَ عَنْ ثَانِيَةٍ بِأُولَى، وَلَكِنَّهُ تَمَادَى فِي غِيهِ وَتَتَابَعَ فِي ظُلْمِهِ وَلَجَّ فِي عَدَوَانِهِ، وَاسْتَشْرَى فِي طُغْيَانِهِ جَرَأَةً عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي، وَتَعَرَّضَ لِسَخْطِكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الظَّالِمِينَ، وَقَلَّةَ اكْتِرَافَاتِ بِيَأْسِكَ الَّذِي لَا تَحْسِبُهُ عَنِ الْبَاغِينَ، فَهَا أَنَا يَا سَيِّدِي مُسْتَضَعَفٌ فِي يَدَيْهِ مُسْتَضَامٌ تَحْتَ سُلْطَانِهِ مُسْتَذَلٌّ بِعُنَانِهِ، مَغْلُوبٌ، مَبْغَى عَلَيَّ، مَقْصُوبٌ وَجِلٌّ، خَائِفٌ مَرْوَعٌ، مَقْهُورٌ، قَدْ قَلَّ صَبْرِي، وَضَاقَتْ حِيلَتِي، وَانْفَلَقَتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ إِلَّا إِلَيْكَ، وَانْسَدَّتْ عَلَيَّ الْجِهَاتُ إِلَّا جِهَتَكَ، وَالتَّبَسَّتْ عَلَيَّ أُمُورِي فِي دَفْعِ مَكْرُوهِهِ عَنِّي، وَأَثْبَتَتْ عَلَيَّ الْآرَاءَ فِي إِزَالَةِ ظُلْمِهِ، وَخَذَلْنِي مِنْ اسْتِنصَرْتِهِ مِنْ عِبَادِكَ، وَأَسْلَمْنِي مِنْ تَعَلَّقَتْ بِهِ مِنْ خَلْقِكَ، وَاسْتَشَرْتُ نَصِيحَتِي فَأَشَارَتْ إِلَيَّ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَاسْتَرْشَدْتُ دَلِيلِي فَلَمْ يَدُلَّنِي إِلَّا عَلَيْكَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْكَ يَا مُوَلَايَ صَاحِرًا رَاغِمًا مُسْتَكِينًا عَالِمًا أَنَّهُ لَا فَرْجَ لِي إِلَّا عِنْدَكَ، وَلَا خَلَاصَ لِي إِلَّا بِكَ، أَنْجِزْ وَعْدَكَ فِي نَصْرَتِي، وَاجَابَةِ دَعَائِي فَإِنَّكَ قُلْتَ - وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَرُدُّ وَلَا يَبْدُلُ -: «وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِّقَ بِهِ ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ»^١.

وقلت: جَلَّ جَلَالُكَ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»^٢.

وأنا فاعل ما أمرتني به لأمناً عليك، وكيف أمنّ به وأنت عليه دللتني؟

فصل على محمد وآل محمد فاستجب لي كما وعدتني يامن لا يخلف الميعاد.

وإني لأعلم ياسيدي أن لك يوماً تنتقم فيه من الظالم للمظلوم، وأتيقن أن لك وقتاً تأخذ فيه من الغاصب للمغصوب لأنك لا يسبقك معاند، ولا يخرج عن قبضتك منابذ، ولا تخاف فوت فائت، ولكن جزعي وهلمي لا يبلغان بي الصبر على أناةك، وانتظار حلمك، فقد ترك عليّ ياسيدي ومولاي فوق كلّ قدرة، وسلطانك غالب على كلّ سلطان، ومعاد كلّ أحد إليك وإن أهملته، ورجوع كلّ ظالم إليك وإن أنظرته، وقد ضرني حلمك من فلان - يعني المتوكل - وطول أناةك له، وإمهالك إياه، وكاد القنوط يستولي عليّ لولا الثقة بك، واليقين بوعدك فإن كان في قضائك النافذ، وقد تركت الماضية أن ينيب أو ينوب عن ظلمي أو يكفّ مكروهه عني، وينتقل عن ذلك عظيم ما ركب مني... اللهم فصل على محمد وآل محمد وأوقع ذلك في قلبه الساعة، الساعة قبل إزالة نعمتك التي أنعمت بها عليّ، وتكديره معروفك الذي صنعتة عندي، وإن كان في علمك به غير ذلك من مقام عليّ ظلمي فأسألك ياناصر المظلوم المبغى عليه إجابة دعوتي.

فصل على محمد وآل محمد، وخذه من مأمنه أخذ عزيز مقتدر وافجأه في غفلة مفاجأة مليك منتصر، واسلبه نعمته وسلطانه، وافضض عنه جموعه وأعوانه، ومزّق ملكه كلّ مرقق، وفزّق أنصاره كلّ مفرق، وأغرّه من نعمتك التي لا يقابلها بالشكر، وانزع عنه سربال عزّك الذي لم يجازه بالإحسان، واقصمه ياقاصم الجبابرة، واهلكه يامهلك القرون الخالية، وأبره يامبير الأمم الظالمة، واخذله ياخذل الفئات الباغية، وأبر عمره وابتزّ ملكه، وعفّ أثره، واقطع خبره، واطف ناره، وأظلم نهاره، وكوّر شمس، وأزرق نفسه، واشم شدّته، وجب سنامه، وارغم أنفه، وعجّل حتفه، ولا تدع له جنبه إلّا هتكها، ولا دعامة إلّا قضمها، ولا كلمة مجتمعة إلّا فرقها، ولا قائمة علوّ إلّا وضعها، ولا ركناً إلّا وهنته ولا سبباً إلّا قطعت، وأرنا أنصاره، وجنده وأحباءه وأرحامه أباديد بعد الإلغة، وشئني بعد اجتماع الكلمة، ومقنعي الرؤوس بعد الظهور على الأمة، وأشف

بزوال أمره القلوب المنقلبة الوجلة والأفئدة اللهفة، والأمة المتحيرة، والبرية الضائعة. وأزل بيواره الحدود المعطلة والأحكام المهملة، والسنن الدائرة والمعالم المغبرة، والآيات المحرّفة، والمدارس المهجورة والمحارِبِ المجفوة، والمساجد المهدومة، وأرح به الأقدام المغيبة، وأشبع به الخماص الساغية، وأرد به اللّهوات اللّاغية، والأكباد الظامية، وأطرقه بليلة لأخت لها، وساعة لاشفاء منها، ونكية لانتعاش معها، وبعثرة لإقالة منها، وأبح حريمه، ونقص نعيمه، وأره بطشتك الكبرى، ونقمتك المثلى، وقدرتك التي هي فوق كلّ قدرة، وسلطانك الذي هو أعزّ من سلطانه، وأغلبه لي بقوّتك القويّة، ومحالك الشديد، وامنّني بمنعتك التي كلّ خلق فيها ذليل، وابتله بفقره لاتجبره، وبسوء لاتستره وكله إلى نفسه فيما يريد إنك فعال لما تريد، وأبرأه من حولك وقوّتك وأحوجه إلى حوله وقوّته وأذلّ مكره بمكره، وادفع مشيئته بمشيئتك، واسقم جسده، وأيّم ولده، وأنقص أجله وخيّب أمله، وأزل دولته، وأطلّ عولته، واجعل شغله في بدنه ولاتفكّه من حزنه، وصيّر كيده في ضلال، وأمره إلى زوال، ونعمته إلى انتقال، وجده في سفال، وسلطانه في اضمحلال، وعاقبته إلى شرّ مآل وأمتة بغيظه إذا أمتة وأبقه لحزنه إن أبقيته، وقني شرّه وهمزّه ولمزه وسطوته وعداوته، والمحه لمحّة تدمّر بها عليه فإنّك أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً، والحمد لله ربّ العالمين».

هلاك المتوكّل

واستجاب الله دعاء وليّه الإمام الهادي عليه السلام فصم ظهر عدّوه، وانتقم منه كأشدّ ما يكون الانتقام، فلم يلبث المتوكّل بعد هذا الدعاء سوى ثلاثة أيّام حتّى أودى الله بحياته وجعله أثراً بعد حين.

وتّم ذلك باتّفاق المنتصر ابن المتوكّل مع مجموعة من الأتراك حيث هجم الأتراك على المتوكّل ليلة الأربعاء المصادف لأربع خلون من شوال ٢٤٧ هـ يتقدّمهم باغر التركي، وقد شهروا سيوفهم، وكان المتوكّل ثملاً سكراناً، وذعر الفتح ابن خاقان فصاح

بهم: «ويلكم أمير المؤمنين».

فلم يعنوا به ورمى بنفسه عليه ليكون كبش الفداء له إلا أنه لم يغن عن نفسه ولا عنه شيئاً، وأسرعوا إليهما، فقطعوهما إرباً إرباً، بحيث لم يعرف لحم أحدهما من الآخر - كما يقول بعض المؤرخين - ودفنا معاً.

وبذلك انطوت أيام المتوكل الذي كان من أعدى الناس لأهل البيت عليه السلام. وخرج الأتراك، وكان المنتصر بانتظارهم فسلموا عليه بالخلافة وأشاع المنتصر أن الفتح بن خاقان قد قتل أباه، وأنه أخذ بثأره فقتله، ثم أخذ البيعة لنفسه من أبناء الأسرة العباسية وسائر قطعات الجيش.

وقد استقبل العلويون وشيعتهم النبأ بهلاك المتوكل بمزيد من الابتهاج والأفراح فقد هلك الطاغية الذي صير حياتهم إلى مآسي لاتطاق^١.

٤. المنتصر و العلويين

من الأمور المعروفة عند حدوث الانقلابات السياسية هي إحسان السلطة الجديدة للقيود المظلومة في العهد السابق، وهكذا كان المنتصر مع العلويين المظلومين في عهد أبيه، فعطف المنتصر عليهم ووجه بمال فرقته عليهم وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله ومضادة مذهبه طعناً عليه ونصرة لفعله^٢.

فقد كان محسناً إلى العلويين وموالياً لهم، أزال عن آل أبي طالب عليه السلام ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنهم من قبل المتوكل من زيارة قبر الحسين عليه السلام ورد على آل الحسين فذكاً.

فقال يزيد المهلب في ذلك:-

ذموا زماناً بعدها وزماناً

ولقد بررت الطالبيّة بعدما

١. الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٤٩.

٢. مقاتل الطالبين، ص ٣٩٦.

وردت إلفه هاشم فرأيتهم بعد العداوة بينهم إخواناً^١
وقال أبو الفرج عنه: «وكان المنتصر يُظهر الميل إلى أهل البيت ويخالف أباءه في أفعاله فلم يجبر منه على أحد منهم قتل أو حبس أو مكروه»^٢.
وجاء في تاريخ الطبري: «أنَّ المنتصر لما ولي الخلافة كان أوَّل شيء أحدث من الأمور عزلَ صالح بن علي عن المدينة وتولية علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد إياها فذكر عن علي بن الحسين أنَّه قال: دخلت عليه اودَّعه فقال لي: يا علي إنِّي أوجَّهك إلى لحمي ودمي ومدَّ جلد ساعده، وقال: في هذا وجَّهتك فانظر كيف تكون مع القوم وكيف تعاملهم يعني آل أبي طالب (عليه السلام)».

موت المنتصر

ولما ولي المنتصر صار يسبُّ الأتراك ويقول: هؤلاء قتلة الخلفاء، فعملوا عليه وهموا به فعجزوا عنه لأنَّه كان مهيباً شجاعاً فطناً متحرِّزاً فتحيلوا إلى أنْ دسَّوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه فأشار بفصده ثمَّ فصده بريشة مسمومة فمات، ويقال: إنَّ ابن طيفور نسي ذلك ومرض فأمر غلامه بفصده بتلك الريشة فمات أيضاً، وقيل: بل سُمِّ في كمِّثرة وقيل: مات بالخوانيق»^٣.

٥. الإمام (عليه السلام) في عهد المستعين

أ. الوضع العام: وكان المستعين ضعيفاً أمام الأتراك، ولكنَّه أراد أن يتخلَّص من هذه الحالة فقتل كبارهم فتتكرَّر له الأتراك لما قتل وصيفاً وبغا ونفَى باغر التركي الذي فتك بالمتوكِّل، ولم يكن للمستعين مع وصيف وبغا أمر حتى قيل في ذلك:

١. تاريخ الخلفاء، ص ٣٥٦.

٢. مقاتل الطالبين، ص ٤١٩.

٣. تاريخ الخلفاء، ص ٣٥٧.

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قال له كما تقول الببغا

ولما تنكر له الأتراك خاف وانحدر من سامراء إلى بغداد^١ فخلعه الأتراك وبيعوا أخاه المعتز بدلاً عنه وتبعوه حتى قتلوه.

ب . الثورات في عصره: وأشار المؤرخون إلى ما حدث في عصره من الثورات بقولهم:

- ١ . وثبة في الأردن بقيادة رجل من لخم.
- ٢ . وثب في حمص أهلها بعاملهم كيدر الأثروسي.
- ٣ . وثبة الجند في سامراء وضربة لآوتاش التركي وهو أحد القادة.
- ٤ . وثبة المعرة بقيادة القصيص، وهو يوسف بن إبراهيم التتوخي.
- ٥ . وثبة الجند بفارس بعاملهم الحسين بن خالد.
- ٦ . وثبة إسماعيل بن يوسف الجعفري الطالبي في المدينة.

عزل المستعين وقلته

خلع المستعين في أوّل سنة (٢٥٢) هـ وأشهد عليه القضاة وغيرهم، فأحدر إلى واسط فأقام بها تسعة أشهر محبوساً موكلاً به أميناً ثم رُدَّ إلى سامراء. وأرسل المعتز إلى أحمد بن طولون أن يذهب إلى المستعين فيقتله فقال: واللّه لأقتل أولاد الخلفاء، فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من السنة نفسها، وله إحدى وثلاثون سنة^٢.

١ . تاريخ الخلفاء، ص ٣٥٨.

٢ . تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٣٥٩.

٦. عهد المعتز

الوضع العام

كان المعتز مستضعفاً من قبل الأتراك وألوية بأيديهم، وأول سنة تولّى الحكم فيها مات أشناس الذي كان الائق قد استخلفه على السلطة، وخلف خمسمائة ألف دينار، فأخذها المعتز وخلع خلعة الملك على محمد بن عبدالله بن ظاهر، وقلّده سيفين، ثم عزله وخلع خلعة الملك على أخيه - يعني أخا المعتز أباً أحمد - وتوجه بتاج من ذهب وقلنسوة مجوهره، ووشاحين مجوهرين وقلّده سيفين، ثم عزله من عامه ونفاه إلى واسط، وخلع على بغا الشراي وألبسه تاج الملك فخرج على المعتز بعد سنة فقتل وجيء إليه برأسه.

وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه المؤيد من العهد وضربه وقيّده فمات بعد أيام، فخشي المعتز أن يتحدّث عنه أنّه قتله أو احتال عليه، فأحضر القضاة حتّى شاهدوه وليس به أثر، وكان المعتز مستضعفاً من جانب الأتراك، فاتّفق أنّ جماعة من كبارهم أتوه وقالوا:

يا أمير المؤمنين: أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف، وكان المعتز يخاف منهم فطلب من أمّه مالاً لينفقه فيهم، فأبت عليه وشجّت نفسها، ولم يكن قد أبقى في بيوت المال شيء، فاجتمع الأتراك على خلعه، ووافقهم صالح بن وصيف، ومحمد بن بغا، فلبسوا السلاح وجاءوا إلى دار الخلافة فبعثوا إلى المعتز أن اخرج إلينا، فبعث يقول: قد شربت الدواء وأنا ضعيف، فهجم عليه جماعة وجزّوا برجله وضربوه بالدبابيس، وأقاموه في الشمس في يوم صائف، وهم يلطمون وجهه ويقولون: إخلع نفسك، ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب والشهود وخلعوه، ثم أحضروا من بغداد إلى دار الخلافة - وهي يومئذ سامراء - محمد بن الائق، وكان المعتز قد أبعده إلى بغداد فسلم المعتز إليه الخلافة وبايعه^١.

ومات بعد خلعه من الخلافة بطريقة مستحدثة «إذ أن الملاء أخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه، فأدخلوه الحمام، فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء، ثم أخرج - فسقوه ماءً بثلج فشربه وسقط ميتاً، وهو أول ميت مات عطشاً وذلك في شهر شعبان المعظم سنة خمس وخمسين ومائتين.

اضطهاد الشيعة: وذكر المؤرخون موقف المعتز الاستبدادي ضد آل محمد ﷺ واضطهادهم واضطهاد شيعتهم. وإليك بعض نماذج هذا الاضطهاد:

- ١ . قتل جعفر بن محمد الحسيني في وقعة حدثت بالري بينه وبين أحمد بن عيسى عامل محمد بن طاهر^١.
- ٢ . وقتل إبراهيم بن محمد العلوي، قتله طاهر بن عبدالله في وقعة كانت بينه وبين الكوكبي بقزوين^٢.
- ٣ . وهناك من مات في الحبس، مثل عيسى بن إسماعيل الجعفري وأحمد بن محمد الحسيني^٣.

١ . مقاتل الطالبين، ص ٤٣٤.

٢ . مقاتل الطالبين، ص ٤٣٤.

٣ . مقاتل الطالبين، ص ٤٣٤.

الخاص

□ تولّى المنتصر الخلافة بعد هلاك المتوكل، وحصل شيء من تحوّل في سياسة الدولة تجاه الإمام عليّ عليه السلام وشيعته والعلويّين حيث بدأت تتحسنّ معاملة السلطة لهم، صاحب ذلك تدهور الحالة العامّة والأوضاع السياسيّة حيث استشرى أمر الترك وعتوا كثيراً، لما حصل بينهم وبين الحكّام العبّاسيّين من جفوة وتناحر حتى آل الأمر إلى أن يعجّل الأتراك في القضاء على الخليفة والإتيان بغيره.

□ ثمّ جاء المستعين وكان ضعيفاً أمام الأتراك وقد قتل منهم جماعة. ولكنهم قتلوه وبايعوا المعتزّ مكانه وكان المعتزّ شديداً قاسياً مع أهل البيت عليه السلام وشيعتهم وعُرف بالاستبداد والظلم، فمن لم يعمل سيفه فيه مات في سجنونه، وقد ثار في زمنه جعفر بن محمّد الحسيني وإبراهيم بن محمّد العلوي وقد قتل جميعاً.

الأسئلة

١. ما هو موقف المنتصر من العلويّين؟
٢. كيف قُتل المنتصر العبّاسي؟
٣. عدّد الثورات في عهد المستعين العبّاسي؟
٤. كيف قتل المستعين العبّاسي؟
٥. ما هو موقف المعتزّ من العلويّين والشيعة؟
٦. ما هي أهمّ القضايا التي حدثت في خلافة المعتزّ العبّاسي؟

متطلبات عصر الإمام الهادي عليه السلام (١)

ملاح المنهج التربوي عند الإمام عليه السلام

إنَّ المنتبِع لسيرة الإمام الهادي عليه السلام وماروي عنه من أحاديث تبرز أمامه ملاح المنهج الذي أتخذه هذا الإمام عليه السلام في تكامل بناء الجماعة الصالحة وصيانتها من الانهيار وإحكام تماسكها وتأمين عطائها الرسالي بحفظ ماتحملة من مفاهيم معبرة عن رسالتها تجاه الواقع بأبعاده الاجتماعية والسياسية والفكرية.

لذا فإننا نجد إتجاهين واضحين في منهج الإمام عليه السلام في البناء وهما:-

الأول: بناء الذات وتزكية النفس، إذ كان الإمام عليه السلام يعمد إلى تركيز مفهوم التقوى وطاعة الله سبحانه في كلّ مناسبة وفرصة، بشكل مباشر أو من خلال رسائله إلى شيعته ومواليه، فقد أوصى فتح بن يزيد الجرجاني حين ضمه وإيائه الطريق من مكة إلى خراسان قائلاً له: من اتقى الله يتقى ومن أطاع الله يطاع^١.

الثاني: ما يخصّ كيان الجماعة الصالحة ومواقفها إزاء الوقائع والأحداث والظروف التي تكتنفها وما يتعلق بالجانب التنظيمي لها لتجاوز الصعاب التي تضعها السلطة أمامها، ولتقوم بنشر الوعي الرسالي بما يتناسب مع الظروف التي تكتنفها.

١. نشاط الإمام الهادي عليه السلام ومنهجه في بناء الذات

لدينا وصايا وأحاديث عن الإمام الهادي عليه السلام تركّز على جوانب وميادين متعدّدة تتعلّق بالبناء الذاتي للفرد، كما هي ناظرة في الوقت نفسه إلى تقوية أو اصر العلاقة فيما بين أفراد الجماعة الصالحة ذاتها، والسير بهم نحو الكمال من خلال الاتّصال باللّه سبحانه وتعالى.

فعنه عليه السلام أنّه قال لأحد مواليه: كاتب فلاناً وقل له: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَدَ بَعْدَ خَيْرٍ؛ إِذَا عَوْتَبَ قَبْلَ»^١.

وعند التأمل في هذا الأثر الشريف نجد أنّ الإمام عليه السلام يشير إلى جانب مهمّ في بناء الشخصية، وله جذور في النفس - وهو حب الظهور أو ما يتّصل بالأنانيّة - فمسألة تقبّل النقد والرضا بالتعرّف على عيوب النفس من الأمور التي تظهر فيها النفس ممانعة، وربّما رفض الاعتراف بها، وهنا نجد أنّ الإمام عليه السلام يربط ذلك بالصلة باللّه سبحانه وبالحالة السامية للنفس التي تجد في ذلك عمليّة بناء لها في هدم ماتغفل عنه بالنقد والتنبيه من قبل الإخوان، فليس في ذلك عيب بل فيه سَمُو وكمال يتجلّى في الخير ورضا اللّه سبحانه وتعالى ممّا ييسّر على الإنسان أن يتقبّل النقد البناء، ويرى ضرورة تزكية نفسه بانقاذها ممّا علق بها من معاييب ونواقص، هذا فضلاً عمّا ينجم عنه من تلاحم الجماعة وتماسك بنائها في ظلّ حالة تسود فيها ظاهرة النقد من أجل البناء، المرتكز على النصّح والتوجيه المستمر والسليم، لبلوغ الغاية القصوى وهي رضا اللّه سبحانه وتعالى.

ولمّا كانت الظروف التي تحيط بالإمام عليه السلام وشيعته ظروفًا قاسيةً تتمثّل في السجن والمطاردة والتضييق عليهم، فالإمام عليه السلام يوجّه أنظار الجماعة الصالحة على امتداد وجودها الزماني إلى طاعة اللّه سبحانه حيث تعطي لكلّ حركة تصدر منهم بُعداً ربّانياً أولاً وتجعلها عاملاً من عوامل نمو الإيمان الصادق والإخلاص ثانياً.

قال عليه السلام: «ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين، ومن أسخط الخالق فلييقن أن يحلّ به سخط المخلوقين»^١.

فالإمام يرسم خطأ واضحاً لمعادلة العلاقة بين الله وبين الإنسان.

فإن الآصرة التي تحكم هذه العلاقة هي التقوى والطاعة، حيث أنهما معيار التوازن بين كرامة الإنسان وموقعه في التعامل مع الآخرين، وأن تنمية مثل هذا التوجّه في الارتباط بالله سبحانه يعزّز قوّة شخصيّة الإنسان تجاه المغريات أو ما يواجهه من اضطهاد أو محاربة من قبل السلطان الجائر.

وقد كان لهذا المنحى التربوي أثر واضح في مواقف الشيعة على امتداد وجودهم وحركتهم في الواقع تجاه سلاطين الجور والظالمين، فضلاً عن تأثيره في حفظ كياناتهم الفكرية والروحية.

وقال عليه السلام: «مَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللَّهِ وَأَلِيمَ عَذَابِهِ أَخَذَهُ تَكَبُّرٌ حَتَّى يَحْلَلَ بِهِ قِضَاؤَهُ وَنَافِذَ أَمْرِهِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَلَوْ قَرَضَ وَنَشَرَ»^٢.
فالطاعة والتقوى ركيزتاهما، أن يكون المرء على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ يَسْتَصْغِرُ الْمَغْرِيَّاتِ، وَيَهْوَنُ عَلَيْهِ يَلَاقِي مِنْ عَذَابٍ أَوْ تَشْرِيدٍ فِي سَبِيلِ مَا آمَنَ بِهِ وَاعْتَقَدَهُ ضَمِيرُهُ وَوَجَدَانَهُ.

كما نجد أن الإمام عليه السلام يلفت نظر الجماعة الصالحة إلى تجنّب بعض الأمور التي من شأنها أن تعكّر صفو الجماعة، كما هي في نفس الوقت تشكّل خطراً على الفرد لأنّها مداخل للشيطان، وابتعاد عن رضا الله سبحانه، حيث أنّها تقوّي في الفرد حب ذاته وتشعره بالكبر وغيره من الرذائل.

ونجد الإمام عليه السلام يمنع شخصاً من «الملق» لآخر، حيث يقول له عليه السلام: أقبل على شأنك، فإن كثرة الملق يهجم على الظنّة، وإذا حللت من أخيك في محلّ الثقة فاعدل

١ . تحف العقول، ص ٣٦١.

٢ . تحف العقول، ص ٣٦١.

عن الملق إلى حسن النية.

وكما منع عليه السلام من الملق نراه يوضح مفهوماً آخر لبناء الإنسان والجماعة الصالحة وتوجيهها نحو طاعة الله ورضاه بقوله عليه السلام: «من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه»^١.

٢. وسائل الإمام عليه السلام في البناء الفكري والثقافي

تعددت الأساليب والوسائل التي اتبناها الإمام عليه السلام في تنمية وبناء الجانب الفكري والثقافي للجماعة الصالحة وقواعده الشعبية، وكان من هذه الوسائل: الرسائل المكتوبة إلى أصحابه ومواليه:

١. عن أحمد بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام أسأله عن الرؤية ومافيه الخلق فكتب عليه السلام:

«لاتجوز الرؤية مالم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فمتى انقطع الهواء وعُدم الضياء لم تصح الرؤية، وفي الجواب اتصال الضياء بين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه والله تعالى منزّه عن الاشتباه فثبت أنه لايجوز عليه سبحانه الرؤية بالأبصار لأن الأسباب لابد من اتصالها بالمسببات»^٢.

٢. أجاب الإمام عليه السلام عن التوحيد حين قيل له عليه السلام: لم يزل الله وحده لاشيء معه ثم خلق الأشياء بديعاً واختار لنفسه أسماء لم تزل الأسماء والحروف له معه قديمة، فكتب عليه السلام:

لم يزل الله وحده موجوداً ثم كون ماأراد له لقضائه ولامعقّب لحكمه تاهت أوهام المتوهمين وقصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنه أو الوقوع بالبلوغ على علو مكانه فهو: الموضع الذي

١. الحسني، هاشم معروف، ج ٢، ص ٤٧٤.

٢. الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٥.

لا يتناهى، وبالمكان الذي لم يقع عليه عيون بإشارة ولا عبارة هيئات هيئات^١.

٣. لما احتدمت الحوارات وثار الجدل في مسألة الجبر والتفويض كتب الإمام عليه السلام جواباً لرسالة وردت إليه من بعض شيعته ومواليه.

لقد فصل الإمام عليه السلام هذه المسألة بشكل لا يدع لشاكاً أو قائل حجة، وبذا وضع حداً لهذا النزاع ومكّن شيعته من التصدي للجواب بأبلغ حجة وبرهان وكان ذلك في رسالته المعروفة إلى أهل الأهواز حين سأله عن الجبر والتفويض^٢، وقد جاء فيها:

اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك: أنّ القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها، فهم في حالة الإجماع عليه مصيبون، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون، ولقول النبي ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلال»، فأخبر عليه السلام أنّ ما اجتمعت عليه الأمة، ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحق، فهذا معنى الحديث لا كما تأوله الجاهلون، ولا ما قاله المعاندون، ومن إبطال حكم الكتاب وأتباع حكم الأحاديث المزورة والروايات المزخرفة، أتباع الأهواء المروية المهلكة التي تخالف نص الكتاب، وتحقيق الآيات الواضحات النيرات، ونحن نسأل الله أن يوفقنا للصواب، ويهدينا إلى الرشاد^٣.

ولابدّ من وقفة تأمل عند هذه المقدمة الوجيزة البليغة التي صدر الإمام عليه السلام رسالته عن الجبر والتفويض بها.

فالإمام عليه السلام يوضح لمواليه جملة قواعد أصيلة ذات أهمية بالغة في التعامل مع الأحداث والحوادث عقلية كانت أو موضوعية فقد أشار عليه السلام:

أولاً: إلى أنّ كتاب الله هو المرجع في الاختلاف لحلّ كلّ إشكال حاصل حيث اجتمعت الأمة على أنّ القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فبذلك هم مصيبون حين الاجتماع عليه.

١. الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٤٩.

٢. الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٥٠.

٣. الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٥٠.

ثانياً: إِنَّ الْحَقَّ هُوَ: ما اجتمعت عليه الأمة ولم يخالف بعضها بعضاً.

ثالثاً: النهي عن اتباع حكم الأحاديث المزورة والروايات المزخرفة.

ثم يستتر الإمام عليه السلام موضحاً مقصوده في النص السابق حول الكتاب بقوله: فإذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه فأنكرته طائفة من الأمة وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزورة، فصارت بإنكارها ودفعها الكتاب كقاراً ضلّالاً، وأصبح خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «إني مستخلف فيكم خليفتين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي، وأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»^١.

ثم قال عليه السلام: ومرادنا وقصدنا الكلام في الجبر والتفويض وشرحهما وبيانهما إنّما قمنا بهذا ليكون اتفاق الكتاب والخبر - إذا اتفقا - دليلاً لما أردناه، وقوة لما نحن مبيّنوه من ذلك إن شاء الله.

(فقال): الجبر والتفويض يقول الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عندما سئل عن ذلك فقال: لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين. قيل: فماذا يابن رسول الله؟

فقال: صحّة العقل، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد قبل الرحلة، والسبب المهيّج للفاعل على فعله، فهذه خمسة أشياء، فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطرَحاً بحسبه، وأنا أضرب لكلّ باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي: الجبر، والتفويض، والمنزلة بين المنزلتين، مثلاً يقرب المعنى للطالب، ويسهل له البحث من شرحه، ويشهد به القرآن بمحكم آياته، ويحقّق تصديقه عند ذوي الألباب، وبالله العصمة والتوفيق.

ثم قال عليه السلام: فأما الجبر: فهو: قول من زعم أن الله عزّ وجلّ جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذّبه، وردّ عليه قوله تعالى: «ولا يظلم ربك أحداً»^٢.

١. الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٥٠.

٢. الكهف / ٥٠.

وقوله جلّ ذكره: «ذلك بما قدّمت يدك وأنّ الله ليس بظلام للعبيد»^١ مع آي كثيرة في مثل هذا، فمن زعم أنّه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وظلمه في عظّمته له، ومن ظلم ربّه فقد كذّب كتابه ومن كذّب كتابه لزمه (الكفر) بإجماع الأمة. فالمثل المضروب في ذلك: مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك إلا نفسه، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا ويعلم مولاّه ذلك منه، فأمره - على علم منه بالمصير - إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملكه ثمن ما يأتيه به، وعلم المالك أنّ على الحاجة قريباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن، وقد وصف به مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور، فأوعد عبده إن لم يأتيه بالحاجة يعاقبه، فلما صار العبد إلى السوق، وحاول أخذ الحاجة التي بعثه بها، وجد عليها مانعاً يمنعه منها إلا بالثمن ولا يملك العبد ثمنها فانصرف إلى مولاّه خائباً بغير قضاء حاجة فاغتاظ مولاّه لذلك وعاقبه على ذلك، فأنه كان ظالماً متعدياً مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته، وإن لم يعاقبه كذّب نفسه، أليس يجب أن لا يعاقبه والكذب والظلم ينفيان العدل والحكمة؟، تعالى الله عما يقول المجبرة علواً كبيراً.

ثم قال العالم عليه السلام - بعد كلام طويل -: فأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطأ من دان به، فهو قول القائل: «إنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيهم وأهملهم».

الخاص

❏ إنّ أهم ما يمتاز به منهج أهل البيت عليه السلام هو الشمولية والواقعية؛ فالشمولية هي ما يتعلق بالجوانب الروحية والفكرية والاجتماعية، وأمّا الواقعية وهو ما يختص بالحلول والمعالجات التي تمس صميم حياة الفرد والجماعة في

آن واحد وبما ينسجم وقابليات الفرد وإمكانيات الجماعة في التحمل والقبول ولذا فإننا نجد اتجاهين واضحين في منهج الإمام الهادي عليه السلام والذي هو امتداد لمنهج آبائه عليهم السلام.

□ ما يخص البناء الذاتي (الفردية).

□ ما يخص كيان الجماعة الصالحة ومواقفها إزاء الأحداث.

□ وقد تعددت وسائل الإمام عليه السلام في تنمية وبناء الفرد والجماعة الصالحة وأكد مفاهيم التوحيد وجملة من المسائل المتعلقة بالرؤية والجبر والتفويض وركز الإمام عليه السلام على الأحاديث الصحيحة الصادرة عن الرسول ﷺ وأبائه الطاهرين والآيات القرآنية، حيث يؤكد على محورية كتاب الله سبحانه وما خالفه فلا قيمة له ويضرب به عرض الحائط فهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الأسئلة

١. بماذا يمتاز منهج أهل البيت عليهم السلام ولماذا؟
٢. ما هي ملامح منهج الإمام الهادي عليه السلام في تنمية الفرد والجماعة الصالحة؟
٣. وضع موقف الإمام عليه السلام تجاه مسألة الجبر والتفويض.
٤. كيف وضع الإمام عليه السلام دلالة حديث الرسول ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلال»؟
٥. اذكر توجيهات الإمام عليه السلام مع ذكر بعض الأحاديث في مسألة البناء الذاتي للإنسان المؤمن.
٦. وضع الخط الذي رسمه الإمام عليه السلام لعلاقة الإنسان بالله سبحانه.

متطلبات عصر الإمام الهادي عليه السلام (٢)

ظاهرة الزيارة في تراث الإمام الهادي عليه السلام

تعدّ ظاهرة الزيارة للإمام عليه السلام إحدى وسائل الإمام الهادي عليه السلام في إيصال المفاهيم الفكرية والروحية لشيعة ومواليه من أجل تركيز هذه المفاهيم السليمة وتنمية الجانب الروحي والفكري لدى الجماعة الصالحة، وهذه الوسيلة لا تثير الشك والريب مع سهولتها في الانتشار وظهور أثرها في الأمة والجماعة الصالحة. وما ورد عن الإمام الهادي عليه السلام وحفظه لنا التأريخ من الوثائق المهمة في هذا المضمار ما يلي:

١. الزيارة الجامعة.

٢. زيارة أمير المؤمنين يوم الغدير.

٣. زيارات متعدّدة للأئمة عليهم السلام.

ونحاول هنا إلقاء الضوء على دلالات ومضامين الزيارة الجامعة ليتّضح من خلال ذلك أهميّة هذا الأسلوب في التربية وبناء الفرد والمجتمع.

تأمّلات في الزيارة الجامعة

نظرة عامّة إلى زيارة الجامعة: وهي من أشهر زيارات الأئمة الطاهرين عليهم السلام،

وأعلاها شأنًا، وأكثرها ذبوعاً وانتشاراً، فقد أقبل أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على حفظها، وزيارة الأئمة بها خصوصاً في يوم الجمعة، وتحدثت - باختصار - عنها. أما سند زيارة الجامعة فقد حاز درجة القطع من الصحة، حيث رواها شيخ الطائفة في التهذيب، ورئيس المحدثين الصدوق في (الفقيه) و(العيون) وغيرهما وقال المجلسي: إن هذه الزيارة من أصحّ الزيارات سنداً، وأعمقها مورداً؛ وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنى، وأعلاها شأنًا^١.

لقد روى هذه الزيارة محمد بن إسماعيل البرمكي عن موسى بن عبد الله النخعي، قال: قلت: لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم، فقال: إذا صرت إلى الباب فقف واشهد الشهادتين، وأنت على غسل، فإذا دخلت ورأيت القبر فقف، وقل: الله أكبر الله أكبر، ثلاثين ثم امش قليلاً وعليك السكينة الوقار، وقارب بين خطاك، ثم قف وكبر الله عز وجل ثلاثين مرة، ثم ادن من القبر، وكبر الله أربعين مرة تمام مائة تكبيرة، ثم ساق الإمام عليه السلام الزيارة^٢.

وتفيض زيارة الجامعة بالأدب الرائع، فقد رُصّعت بأرقّ الألفاظ كما تحلّت بجواهر الفصاحة والبلاغة، وبداعة الديباجة، وجمال التعبير ودقّة المعاني الأمر الذي يدلّ على صدورها عن الإمام عليه السلام، فقد اعتبر العلماء أنّ آية الخبر الصحيح هو ما إذا كان في أرقى مراتب البلاغة، فإنّ الأئمة الطاهرين هم معدن البلاغة والفصاحة، وهم الذين أسسوا قواعد الكلم البليغ، فكان كلامهم في أعلى مراتب الكلام الفصيح.

واهتمّ العلماء اهتماماً بالغاً بشرح زيارة الجامعة لما فيها من المطالب العالية، والأسرار المنيعه، والأمور البديعه.

١. راجع حياة الإمام علي الهادي عليه السلام، ص ١٣٨؛ باقر شريف القرشي.

٢. بحار الأنوار، كتاب المزار.

محتوياتها: الدعوة إلى التشيّع والاتباع الكامل لأهل البيت عليه السلام :
تعتبر زيارة الجامعة الكبرى من النتائج المهمة للإمام الهادي عليه السلام ومن الوثائق
التي نستل منها ملامح التصور السليم، وفي استعراضنا للزيارة المذكورة وتأشيرنا على
الأفكار الأساسية فيها تنجلي لنا المنهجية الحركية والفكرية.

١. اصطفاء أهل البيت عليه السلام

يقول عليه السلام «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة
ومهبط الوحي ومعدن الرحمة وخزان العلم ومنتهى الحلم وأصول الكرم وقادة الأمم
وأولياء النعم وعناصر الأبرار ودعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد وأبواب
الإيمان وأمناء الرحمن وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وخيرة رب العالمين ورحمة
الله وبركاته».

فالإمام عليه السلام يلفت الأنظار إلى ما يلي:

أ . إنّ الله اختص أهل البيت بكرامته فجعلهم موضع الرسالة ومختلف الملائكة
ومهبط الوحي.

ب . إنّ هذا الجعل الإلهي نابع من الصفات الكمالية التي يبلغون القمة فيها كالعلم
والحلم والكرم والرحمة.

ج . كون أهل البيت موضع الرسالة إنّما هو لاختيار الله لهم -نتيجةً لتكاملهم-
وتعيينهم كأمناء لمنصب القيادة العليا للبشرية فضلاً عن قيادة المسلمين وأتباعهم فهم
دعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد وأبواب الإيمان وأمناء الرحمن وسلالة
النبيين.

٢. حركة أهل البيت عليه السلام

يقول الإمام الهادي عليه السلام «السلام على أئمة الهدى ومصابيح الدجى وأعلام التقى

وذوي النهي وأولي الحجى وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته. السلام على محال معرفة الله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحفظة سرّ الله وخملة كتاب الله وأوصياء نبيّ الله وذويّة رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته السلام على الدعاة إلى الله والأدلاء على مرضاة الله والمستقرّين في أمر الله والتأمين في محبة الله والمخلصين في توحيد الله والمظهرين لأمر الله ونهيه وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ورحمة الله وبركاته».

من هذه الكلمات نستفيد الأمور التالية: -

أ . في المسيرة البشرية ينفرد دائماً خطّان هما: خطّ الهدى، وخطّ الضلالة، بقيادة: أئمة الهدى وأئمة الضلالة، وأئمة أهل البيت هم أئمة الهدى، أمّا غيرهم ممّن يتصدّى للإمامة ويخالفهم في خطّهم ونهجهم فهو من أئمة الضلال فلذلك لا يكون التسليّ إلاّ منهم ولا يكون نهج التحرك إلاّ نهجهم.

ب . أمّا واقع الأئمة فهم ذوو الحجى وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدعوة الحسنى التي يُحتذى بها، فهم أهل لأن يقتدى بهم.

ج . من خلال مامرّ نعرف أنّ حركة أهل البيت حركة أصيلة ذات عمق في المسيرة النبويّة الراشدة وكلّ حركة تدّعي المنهج الديني أو الإصلاح الديني ولا تسير على خطاهم فهي منحرفة، لأنّ أهل البيت أهل البيت محلّ معرفة الله ومساكن بركته ومعادن حكمته وحفظة سرّه وخملة كتابه وأوصياء نبيّه.

د . ومن مظاهر أصالة أهل البيت في المسيرة الإلهيّة:

١ . الدعوة إلى الله والدلالة على مرضاته.

٢ . الثبات على أمر الله.

٣ . الحبّ التام لله.

٤ . الإخلاص في التوحيد.

٥ . الإظهار لأوامر الله ونواهيه.

٦ . عدم سبق الله بقول والعمل بأمره.

٣ . الأسس الفكرية للتشيع

إنّ الأسس الفكرية التي تقوم عليها دعوة أهل البيت والتي يجب أن تسير الحركة الشيعية عليها وتلتزم بحدودها، يمكن تحديدها في نقاطٍ يقول عليه السلام:

«السلام على الأئمة الدعاة والقادة الهداة والسادة الولاة والذادة الحماة وأهل الذكر وأولي الأمر وبقية الله وخيرته وحزبه وعيية علمه وحجّته وصراطه ونوره وبرهانه ورحمة الله وبركاته».

«أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم وأشهد أنّ محمداً عبده المنتجب ورسوله المرتضى أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون وأشهد أنّكم الأئمة الراشدون المهديّون المعصومون المكرّمون المقربون المتّقون الصادقون المصطفون المطيعون لله القوامون بأمره العاملون بإرادته الفائزون بكرامته اصطفاكم بعلمه وارتماكم لغيبه واختاركم لسرّه واجتباكم بقدرته وأعزّكم بهداه وخصّكم ببرهانه وانتجبكم لنوره وأيدّكم بروحه ورضيكم خلفاء في أرضه وحججاً على بريّته وأنصاراً لدينه وحفظةً لسرّه وخزنةً لعلمه ومستودعاً لحكمته وتراجمةً لوجيه وأركاناً لتوحيده وشهداء على خلقه وأعلاماً لعباده ومنارا في بلاده وأدلاء على صراطه، عصمكم الله من الزلل وآمنكم من الفتن وطهرّكم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهرّكم تطهيراً فعظّمتم جلاله وأكبرتم شأنه ومجّدتم كرمه وأدتم ذكره ووكدتم ميثاقه وأحكمتم عقد طاعته ونصحتكم له في السرّ والعلانية ودعوتكم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وبذلتم أنفسكم في مرضاته وصبرتم في جنبه وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتكم عن المنكر وجاهدتم في الله حقّ جهاده

حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ وَبَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ وَنَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ وَصَرْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَا وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رِسَالِهِ مَنْ مَضَى.

وَمَا مَرَّ نَسْتَفِيدُ النِّقَاطَ التَّالِيَةَ:

أ. الْأُئِمَّةُ هُمُ الدَّعَاةُ إِلَى اللَّهِ وَالْقَادَةُ الْهَدَاةُ وَالسَّادَةُ وَالْوَلَاةُ وَهُمْ حِزْبُ اللَّهِ وَحُجَّتُهُ وَبِرْهَانُهُ.

ب. الْعُنَاصِرُ الْفِكْرِيَّةُ الْأَسَاسِيَّةُ لِلتَّشْيِيعِ:

١. الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

٢. مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ الْمُنْتَخَبُ وَرَسُولُهُ الْمُنْتَجِبُ.

٣. الْأُئِمَّةُ هُمُ بَشَرٌ رَاشِدُونَ مُهْدِيُونَ مَعْصُومُونَ مُكَرَّمُونَ، قِيَمَتُهُمْ نَابِعَةٌ مِنْ تَكْرِيمِ

اللَّهِ لَهُمْ.

ج. الْجَانِبُ الْعَمَلِيُّ لِحُرْكَةِ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١. تَعْظِيمُ اللَّهِ وَإِكْبَارُ شَأْنِهِ وَتَمْجِيدُ كَرَمِهِ.

٢. تَوْكِيدُ مِيثَاقِهِ وَإِحْكَامُ عَقْدِ طَاعَتِهِ.

٣. النَّصْحُ لَهُ بِالسِّرِّ وَالْعَلَنِ.

٤. الدَّعْوَةُ لَهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ.

٥. التَّضَحُّيَةُ الْمُسْتَمْرَّةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِبَذْلِ النَّفْسِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ.

٦. إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَإِتْيَاءُ الزَّكَاةِ وَمُمَارَسَةُ بَاقِي الْعِبَادَاتِ وَالْحُدُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

٧. الْحِفَاظُ عَلَى سَلَامَةِ الشَّرِيعَةِ مِنَ التَّحْرِيفِ.

٨. التَّسْلِيمُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

٩. التَّأَكُّيدُ عَلَى وَحْدَةِ الْمَسِيرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَتَصْدِيقُ الرِّسْلِ.

د. الْمَوَالُونُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَبَيَّنَ الْإِمَامُ أَنَّهُ:

أ. هُنَاكَ صَنَفَانِ مِنَ النَّاسِ قَسَمَ يُوَالِي أَهْلَ الْبَيْتِ فَيُسِيرُ فِي طَرِيقِ الْهَدْيِ وَآخَرِ

يوالي أعداءهم فيسير في طريق الضلال، يقول عليه السلام:

«فالراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق والمقصر في حقكم زاهق، والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه وميراث النبوة عندكم وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم وآيات الله لديكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم وأمره إليكم، مَنْ والاكم فقد والى الله وَمَنْ عاداكم فقد عادى الله وَمَنْ أَحَبَّكُمْ قَدْ أَحَبَّ الله وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ الله وَمَنْ اعتصم بكم فقد اعتصم بالله. أنتم الصراط الأقوم وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء والرحمة الموصولة والآية المخزونة والأمانة المحفوظة والباب المبتلى به الناس مَنْ أتاكم نجا وَمَنْ لم يَأْتِكُمْ هلك، إلى الله تدعون وعليه تدلون وبه تؤمنون وله تسلمون وبأمره تعملون وإلى سبيله ترشدون ويقولون تحكمون. سَعَدَ مَنْ والاكم وهلك من عاداكم وخاب من جحدكم وضلَّ من فارقكم وفاز من تمسك بكم وأمن مَنْ لجأ إليكم وسلم من صدقكم وهُدِيَ من اعتصم بكم، مَنْ اتَّبِعَكُمْ فالجنة مأواه وَمَنْ خالفكم فالنار مثواه وَمَنْ جحدكم كافر وَمَنْ حاربكم مشرك ومن ردَّ عليكم في أسفل درك من الجحيم».

ب - أَنَّ الموالى لأهل البيت عليهم السلام يعلم قيمتهم الحقيقية عند الله لذلك يقول عليه السلام:

«أشهدُ أَنَّ هذا سابق لكم فيما مضى وجار لكم فيما بقي وَأَنَّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض. خلقكم الله أنوارا فجعلكم بعرشه محدقين حتَّى مَنْ علينا بكم فجعلكم في بيوت أَذِنَ الله أَنْ تُرفع ويُذكر فيها اسمه وجعل صلواتنا عليكم وماخصنا به من ولايتكم طيبا لخلقنا وطهارة لأنفسنا وتركية لنا وكفارة لذنوبنا فكنا عنده مسلمين بفضلكم ومعروفين بتصديقنا إياكم».

ج . الرغبة في انتشار أمرهم وتشعشع فضلهم فلا يبقى خير إلَّا وأضاءه نورهم

الشريف:

«فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطعم في إداراه

طامع، حتّى لا يبقى ملك مقرّب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل
ولا دنئ ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مرید
ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلّا عزّفهم جلاله أمرکم وعظم خطرکم وكبر شأنکم وتعام
نورکم وصدق مقاعدکم وثبات مقامکم وشرف محلّکم ومنزلتکم عنده وكرامتکم عليه
وخاصّتکم لديه وقرب منزلتکم منه.

د . الإقرار الدائم بمعتقدات أهل البيت والعمل بموجبها:

«بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرّي أشهد الله وأشهدكم أنّي مؤمن بكم وبما
آمنتكم به كافر بعدوكم وبما كفرتم به مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم، موالي لكم
ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم، سلّم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم
محقّق لما حقّقتم مبطل لما أبطلتم مطيع لكم عارف بحقّكم مقرّ بفضلکم محتمل
لعلمکم».

ومن مصاديق الإيمان بقضيّة أهل البيت قول الإمام عليّ عليه السلام:

«محتجب بذمتكم ومعترف بكم مؤمن بآبائكم مُصدّق برجعتكم منتظر لأمرکم
مرتقب لدولتكم آخذ بقولکم عامل بأمرکم مستجير بكم زائر لكم عائد بقبورکم
مستشفع إلى الله عزّ وجلّ بكم متقرّب بكم إليه ومقدّمکم أمام طلبتي وحوائجي
وإرادتي في كلّ أحوالي وأموري، مؤمن بسرّکم وعلايتکم وشاهدکم وغائبکم وأولّکم
وأخرکم ومفوّض في ذلك كلّ إليکم ومسلمّ فيه معكم، وقلبي لكم
مسلمّ ورأيي لكم تبع ونصرتي لكم مُعَدّة حتّى يحيي الله تعالى دينه بكم ويردّكم
في أيامه ويظهرکم لعدله ويُمكنکم في أرضه، فمعكم معكم لامع غيرکم آمنت بكم
وتولّيت آخرکم بما تولّيت به أولّکم، وبرئت إلى الله عزّ وجلّ من أعدائكم
ومن الجبّ والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لكم الجاحدين
لحقّکم والمارقين من ولايتکم الغاصبين لإرثکم الشاكّين فيکم المنحرفين عنكم ومن
كلّ وليجة دونكم وكلّ مطاع سواكم ومن الأئمّة الذين يدعون إلى النار، فثبتني الله أبداً

ماحييت على موالاتكم ومحبتكم ودينكم ووفقني لطاعتكم ورزقني شفاعتكم وجعلني من خيار مواليكم التابعين لما دعوتكم إليه وجعلني ممن يقتض آثاركم ويسلك سبيلكم ويهتدي بهدايكم ويحشر في زمركم ويكرّ في رجعتكم ويملك في دولتكم ويشرف في عافيتكم ويؤمن في أيامكم وتقرّ عينه غدا برويتكم، بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي من أراد الله بدأ بكم ومن وخذ قبل عنكم ومن قصده توجّه بكم. موالّي لأحصي ثناءكم ولا أبلغ من المدح كنهكم ومن الوصف قدركم وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار وحجج الجبار بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه وبكم ينفس الهمة ويكشف الضرّ وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته وإلى جدكم بعث الروح الأمين آتاكم الله مالم يؤت أحدًا من العالمين. طأطأ كلّ شريف لشرفكم وبخع كلّ متكبر لطاعتكم وخضع كلّ جبار لفضلكم وذلل كلّ شيء لكم وأشرقت الأرض بنوركم وفاز الفائزون بولايتكم، بكم يسلك إلى الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن.

بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي ذكركم في الذاكرين وأسماءكم في الأسماء وأجسادكم في الأجساد وأرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس وآثاركم في الآثار وقبوركم في القبور فما أحلى أسماءكم وأكرم أنفسكم وأعظم شأنكم وأجلّ خطركم وأوفى عهدكم وأصدق وعدكم، كلامكم نور وأمركم رشد ووصيتكم التقوى وفعلكم الخير وعادتكم الإحسان وسجيّتكم الكرم وشأنكم الحقّ والصدق والرفق وقولكم حكم وحتم ورأيكم علم وحلم وحزم، إنّ ذكّر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه.

بأبي أنتم وأمي ونفسي كيف أصف حسن ثنائكم وأحصي جميل بلائكم وبكم أخرجنا الله من الدّلّ وفرّج عنا غمرات الكروب وأنقذنا من شفا جرف الهلكات ومن النار بأبي أنتم وأمي ونفسي بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا وأصلح ما كان فسد من دنيانا.

وبمواالاتكم تقبل الطاعة
المفترضة ولكم المودة الواجبة والدرجات الرفيعة والمقام المحمود والمكان المعلوم
عند الله عز وجل والجاه العظيم والشأن الكبير والشفاعة المقبولة، ربنا آمنا بما أنزلت
واتبعنا الرسول فاكثبنا مع الشاهدين ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة إنك أنت الوهاب سبحانه ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا.

يا ولي الله إن بيني وبين الله عز وجل ذنوباً لا يأتي عليها إلا رضاكم فبحق من
اتممكم على سره واسترعاكم أمر خلقه وقرن طاعتكم بطاعته لما استوهبتم ذنوبي
وكنتم شفعاي فأني لكم مطيع، من أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله
ومن أحبكم فقد أحب الله ومن أبغضكم فقد أبغض الله.

اللهم إني لو وجدت شفعا أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار والأئمة الأبرار
لجعلتهم شفعاي فبحقهم الذي أوجب لهم عليك أسألك أن تدخلني في جملة
العارفين بهم وبحقهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم إنك أرحم الراحمين وصلّى الله
على محمد وآله الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومن هذه الفقرات نستلم النقاط التالية:

- ١ . الإيمان بإيائهم وقيام دولتهم.
- ٢ . أهمية زيارة قبورهم.
- ٣ . أهمية الإيمان بالرجعة.
- ٤ . أهمية الإيمان بسرهم وعلانياتهم.
- ٥ . أهمية الاستعداد لنصرة دولتهم لحدّ التمكين في الأرض.
- ٦ . أهمية البراءة من عدوهم.
- ٧ . فرح المؤمن بمارزقه الله على يد أهل البيت واعتقاده لهذا المعنى.
- ٨ . وحدة المسلمين السليمة لا تتم إلا تحت لوائهم عليهم السلام.
- ٩ . الإيمان بهم لا يكون عاطفياً بل يكون عن وعي وإدراك وبحث وتمحيص.

الخاص

□ إن تنوع أساليب التعامل مع الأحداث والظواهر التي اتخذها الإمام الهادي عليه السلام تظهر لنا طبيعة الظروف التي كانت تعيشها قواعده سواء كانت موضوعية أو مصطنعة من قبل السلطة العباسية وطبيعة الأطراف التي تختلف في توجهاتها مع خط الإمام عليه السلام، لذا نجد أن الإمام عليه السلام يغير أساليبه ووسائله في التصدي للأحداث والظواهر بما يتناسب والواقع المعاش، فتارة يطلب من أصحابه الهدوء والسكون وعدم إظهار أي نشاط يستفز السلطة، وتارة هو يحاول الاحتجاب عن خلص أصحابه علاجاً لمتطلبات الظرف الذي يعيشه أو الظروف الأقسى في المستقبل القريب حيث يقترب عصر الغيبة بشكل سريع. إلى زمن الإمام السجاد عليه السلام والظروف التي كانت تمر بها الأمة آنذاك نجد هناك تشابهاً في وسائل التأثير قوة وضعفاً، حددها الظرف المضطرب بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وثورة الحرّة، وتحرك ابن الزبير، وكانت وسيلة الإمام عليه السلام هي الأدعية والزيارات الماثورة عنه في الصحيفة السجادية فكانت هذه المشابهة في الظروف إلى عودة أسلوب الأدعية والزيارات في منهج التحرك لدى الإمام الهادي عليه السلام لتخطي المرحلة الصعبة التي تمر بها الجماعة الصالحة وإيّاها عليه السلام.

الأسئلة

- ١ . ما هي أهمية دراسة وحفظ الزيارة الجامعة؟
- ٢ . وضح درجة الوثوق بالزيارة الجامعة بفض النظر عن صحة سندها؟
- ٣ . ماذا يُستفاد من كثرة عدد الشروح للزيارة الجامعة؟
- ٤ . وضح ماتضمنته الزيارة الجامعة بالنسبة للفقرات التالية:
 - أ - مقام ومنزلة أهل البيت عليهم السلام.
 - ب - حركة أهل البيت عليهم السلام.
 - ج - الأسس الفكرية للتشيع.
- ٥ . ما هي أقسام الناس الواردة في الزيارة بالنسبة للقرب والبعد من أهل البيت؟

متطلبات عصر الإمام الهادي عليه السلام (٣)

الجانب التنظيمي في منهج الإمام الهادي عليه السلام

لقد مارس الإمام الهادي عليه السلام وظيفته بصفته الإمام والقائد لمواليه والراعي لمصالحهم بالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمرّ بالإمام عليه السلام ويشيعته من تتبّع السلطة لهم ومطاردتهم، وفرض الإقامة الجبريّة على الإمام بعد إشخاصه من المدينة إلى سامراء^١ ليكون قريباً من السلطان وتحت رقابته المباشرة وتتجلّى لنا مواقف الإمام عليه السلام في اتجاهين:

الأول: فيما يتعلّق بإثبات الحقّ أو نقد الباطل على المستويات المختلفة سواء اتّجاه الدولة أو المخالفين أو سواهما، وقد سبقت الإشارة لمواقف الإمام عليه السلام مع المتوكّل، وبعض مقرّبيه.

الثاني: وهو ما يتعلّق بالمحافظة التامّة على شيعته ورعاية مصالحهم وقضاء حوائجهم وتحذيرهم ماتهوكه السلطة ضدّهم، وما يجب أن يتخذوه من حيطة وكتمان لنشاطهم واتصالاتهم حتّى لا يقعوا في حبال السلطة الفاشمة التي كانت تتربّص بهم، وبالإمام عليه السلام الدوائر.

لذا فإن وصايا الإمام عليه السلام كانت تُظهر مدى اهتمامه ومدى قربه من الأحداث العامة والخاصة، وكانت إجراءاته وأوامره تصل الجماعة الصالحة سابقة للأحداث لتتمكن تلك الجماعة من تجاوز ما يحاك ضدها، كما أن إجراءات الإمام وأساليبه كانت مظهرًا لعمل حركي وتنظيمي على درجة عالية من الدقة والتخطيط، وهذا ما تظهره لنا خطابات الإمام عليه السلام إلى شيعته والتي تحمل بين طياتها أدوات ووسائل مختلفة ومتعددة لمواجهة الظروف التي تحيط بهم، واليك شيئاً منها:

أ. الحذر من تدوين الأمور

كان الإمام عليه السلام يحذر أصحابه من تدوين وكتابة بعض الأمور وخصوصاً ما يتعلق بعلاقات ووضع الجماعة الصالحة ومواقفها، فعن داود الصرمي قال: أمرني سيدي بحوائج كثيرة فقال عليه السلام لي: قل كيف تقول؟ فلم أحفظ مثل ما قال لي فمدّ الدواة وكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم أذكره إن شاء الله والأمر بيد الله، فتبسمت، فقال عليه السلام: مالك؟ قلت: خير، فقال: أخبرني! قلت: جعلت فداك! ذكرت حديثاً حدثني به رجل من أصحابنا عن جدك الرضا عليه السلام، إذا أمر بحاجة كتب بسم الله الرحمن الرحيم، أذكر إن شاء الله فتبسمت، فقال عليه السلام لي: يا داود ولوقلت: إن تارك التقيّة كن تارك الصلاة لكنت صادقاً^١.

فالإمام عليه السلام هنا يربط الكتمان والحذر بمفهوم إسلامي وهو: «التقيّة» والتي وردت بها أحاديث وآيات كريمة كقوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَقُوا مِنْهُمْ تَقَاةً» وكذا قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»: وهي الآية التي نزلت في قضية عمّار بن ياسر رضي الله عنه حيث عذبه المشركون في مكّة لكي ينال من الرسول ويتركوه، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وآله

فقال له: إن عادوا فعد، فلم تكن أوامر الإمام عليه السلام بهذا الصدد فقط الخشية من انكشافها بل أيضاً تأكيداً لهذا المفهوم الذي عرفت به الشيعة لوصايا الأئمة عليهم السلام والقرآن الكريم بها.

ب. تغيير الأسماء

كان الإمام عليه السلام يذكر في توقيعاته إلى بعض أصحابه وينسبهم إلى عبيد بن زرارة، وكانوا قد عرفوا ببني الجهم وهم من أكابر بيوت الشيعة وأصحاب الأئمة عليهم السلام، فعن الزراري (أحدهم) قال: إنّ ذلك تورية وستر من قبل الإمام عليه السلام ثم اتسع ذلك وسمّينا به، وكان عليه السلام يكتبه في أمور له بالكوفة وبغداد^١.

ج. التحذير من الحديث في الأماكن العامة

كان عليه السلام يمنع بعض أصحابه من الحديث والمسألة في الطريق وغيره من الأماكن التي يكون فيها عيون للسلطان.

فعن محمد بن شرف قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام أمشي في المدينة فقال لي: ألسنت ابن شرف؟ قلت بلى، فأردت أن أسأله عن مسألة فابتدأني من غير أن أسأله فقال: «نحن على قارعة الطريق وليس هذا موضع مسألة».

د. استعمال وسائل متعددة ضدّ الأعداء

لقد اختلفت وتعدّدت الوسائل التي أوصى بها الإمام عليه السلام شيعته ومواليه أن يتخذوها ضدّ أعدائهم بحسب حجم الخطورة وماتسمح به الظروف السياسيّة والاجتماعيّة آنذاك، فنجدّه تارة يوصي أن يضرب ويخدش أحد المغالين والمدّعين لولاء الإمام عليه السلام كما في حالة علي بن حسكة^٢ بيد أنّه - أي الإمام - أمر باغتيال وقتل

١. تاريخ الكوفة، ص ٣٩٣.

٢. رجال الكشي، ص ٤٣٧.

(فارس بن حاتم) لما كان يشكّله من خطر على الجماعة الصالحة، فعن الجنيد أنه قال: أرسل إليّ أبو الحسن العسكري عليه السلام يأمرني بقتل فارس بن حاتم^١.

هـ. العمل مع الظالمين

لقد استولى بنو العبّاس على السلطة وتولّوا أمر الأئمة بالقهر والغلبة بعد سقوط الدولة الأموية ١٣٢ هـ، وعاثوا في الأرض الفساد، حيث استشرى أمرهم فكان القتل والتشريد وابتزاز الأموال، وعليه فلم تكن للدّولة والسلطات الحاكمة أيّ شرعية إسلامية، لذا فكان العمل معهم غير مشروع، وقد كتب محمّد بن عليّ بن عيسى - أحد أصحاب الإمام عليه السلام - إلى الإمام الهادي عليه السلام يسأله عن العمل لبني العبّاس وأخذ ما يمتكّن من أموالهم هل فيه رخصة؟ فقال عليه السلام ما كان المدخل فيه بالجبر والقهر فالله قابل به العذر، وما خلا ذلك فمكروه، ولا محالة قليله خير من كثيره، وما يكفر به ما يلزمه فيه من يرزقه بسبب وعلى يديه ما يسرّك فينا وفي موالينا.

ولما وافى كتاب الإمام عليه السلام إلى محمّد بن عليّ بن عيسى بادر فكتب إلى الإمام عليه السلام: «إنّ مذهبي في الدخول في أمرهم وجود السبيل إلى إدخال المكروه على عدوّه وانسباط اليد في التشقيّ منهم بشيء أتقرّب إليهم، فأجاب الإمام عليه السلام من فعل ذلك فليس مدخله في العمل حراماً بل أجراً ونواباً^٢.

لقد وضع الإمام عليه السلام في النصّين أعلاه ضوابط العمل مع السلطان الجائر والظالمين باتّباع وسائل إضعافهم، أو خدمة مواليه.

و. احترام وتقييم أهل الكفاءة والمقدرة

روي أنّه اتصل بأبي الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام: أنّ رجلاً من فقهاء

١. رجال الكشي، ص ٤٤٤.

٢. العزّ العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٣٧.

شيعة كلّ بعض النواصب فأفحمه بحجّته حتّى أبان عن فضيحتة، فدخل إلى عليّ ابن محمّد عليه السلام وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب وهو قاعد خارج الدست، وبحضرته خلق من العلويّين وبني هاشم فما زال يرفعه حتّى أجلسه في ذلك الدست وأقبل عليه فاشتدّ ذلك على أولئك الأشراف فأما العلويّون فأجلّوه عن العتاب، وأما الهاشميّون فقال له شيخهم: يا بن رسول الله هكذا تُؤثر عامياً على سادات بني هاشم من الطالبين والعبّاسيين؟

فقال عليه السلام: إيّاكم وأن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: ألم تر إلى الذين اتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولّى فريق منهم وهم معرضون^١» أترضون بكتاب الله حكماً؟ قالوا: بلى.

قال: أليس الله يقول: «يا أيّها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسّحوا يفسّح الله لكم؟ إلى قوله: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اتوا العلم درجات» فلم يرض للعالم المؤمن إلّا أن يرفع على من ليس بمؤمن أخبرني عنه قال: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اتوا العلم درجات» أو قال: «يرفع الذين اتوا شرف النسب درجات» أوليس قال الله «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»؟ فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله إن كسر هذا (لفلان) الناصب بحجج الله التي علّمه إياها لأفضل له من كلّ شرف في النسب.

فقال العبّاسي: يا بن رسول الله قد أشرفت علينا هو ذا تقصير بنا عمّن ليس له نسب كنسبنا وما زال، أو الإسلام يقدّم الأفضل في الشرف على من دونه فيه؟ فقال عليه السلام: سبحان الله أليس عباس بايع أبابكر وهو (تيمي) والعبّاس (هاشمي)؟ أوليس عبد الله بن عباس كان يقدّم عمر بن الخطاب وهو (هاشمي) أبو الخلفاء، وعمر

(عدويّ) وما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى ولم يدخل العباس؟ فإن كان رفعنا لمن ليس بهاشمي على هاشمي منكرًا فأنكروا على عباس بيعته لأبي بكر، وعلى عبدالله بن عباس خدمته لعمر بعد بيعته فإن كان ذلك جائزًا فهذا جائز. فكأنما ألقم الهاشمي حجرًا^١.

ثم إن رعاية الإمام عليه السلام واهتمامه بشيعته ومواليه لاتقف عند حدود مسائل التنمية الفكرية والروحية... ويمكن أن نجمل ما كان يهدف إليه الإمام بالنسبة لشيعته في الأمور التالية:

١. قضاء حوائجهم الخاصة

وهذه الحوائج قد تكون فيما يتعلّق بموقف السلطان من بعضهم كما في قصة محمّد بن الفرج الرفجي، حيث كتب إليه الإمام محذراً: يا محمّد! اجمع أمرك وخذ حذرك فلم يفهم ماذا أراد الإمام بكلامه هذا، فيقول: فأنا في جمع أمري لست أدري مالذي أراد بما كتب، حتّى ورد عليّ رسول حملني من وطني مصفّداً بالحديد، وضرب على كلّ ما أملك، وكنت في السجن ثماني سنين، ثمّ يمتدّ لطف الإمام عليه السلام ورعايته بمحمّد هذا أواخر سجنه فيكتب له عليه السلام: يا محمّد بن فرج لاتنزل في ناحية الجانب الغربي: ويعجب محمّد من كتاب الإمام عليه السلام حتّى أفرج عنه، وخلّي سبيله^٢.

وقصة أخرى للإمام مع أحد أصحابه وقد تضرّر كثيراً من المتوكّل، يقول: قصدت الإمام يوماً فقلت: إنّ المتوكّل قطع رزقي، وما أتهم في ذلك إلّا علمه بملازمتي لك، فينبغي أن تفضّل عليّ بمسألته، ولم يفضّل الإمام بالوساطة إلى المتوكّل - كما طلب - وإنما تفضّل عليه السلام بالوساطة مع الله تعالى فهو غاية المأمول ونهاية المسؤول^٣.

١. الاحتجاج، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

٢. إعلام الوري، ص ٣٤٢.

٣. الصدر محمّد صادق، الفبية الصغرى، ص ١٤٠ - ١٤١.

فقال الإمام عليه السلام لهذا الرجل: تكفى إن شاء الله.

يقول الراوي: فلما كان في الليل طرقتني رسل المتوكل رسول يتلو رسولاً، فجئت فوجدته في فراشه: فقال: يا أبا موسى! يشتغل شغلي عنك، وتنسينا نفسك: أي شيء لك عندي به، فقلت: الصلة الفلانية، وذكرت أشياء، فأمر لي بها وبضعفها.

وكان هذا الرجل قد توسط الإمام عليه السلام لدى المتوكل من أجله لذا بدر إلى الوزير الفتح بن خاقان وقال له مستفهماً:

وإف علي بن محمد إلى ههنا، أو اكتب رقعة! فأجاب الوزير بالنفي ثم دخل على الإمام الهادي عليه السلام، فقال له: يا أبا موسى هذا وجه الرضا، فقلت ببركتك ياسيدي، ولكن قالوا: إنك ماضيت ولا سألت؛ فأجابه الإمام عليه السلام المهمات إلا إليه ولا تتوكل في الملهمات إلا عليه، وعدنا - إذا سألناه - الإجابة ونخاف أن نعدل فيعدل لنا^١.

وقد سبق أن أشرنا إلى قصّة الكوفي الذي جاء يطلب من الإمام عليه السلام أن يقضي دينه فقد أخبر الإمام عليه السلام أنه من شيعة جده أمير المؤمنين، ثم إن الإمام عليه السلام أوصاه أن يلتزم بما يقوله له، ثم يسمع المتوكل بذلك ويرسل إلى الإمام عليه السلام أربعة آلاف درهم فيعطيهما إلى هذا الرجل ليستعين بها على دينه وحوائج أهله.

٢. إن ممارسة الإمام عليه السلام لهذا الدور ومتابعته لمختلف أحوالهم الخاصة والعامة، تعني تركيز ثقتهم به فهو المرجع في كل أمورهم، ولما تستشعر القواعد هذا الإهتمام والرعاية في صفات الأمور كما في المهمات من قبل الإمام عليه السلام يزداد ولاؤها وارتباطها به.

٣. كما أن الإمام عليه السلام بأدائه لهذا الدور كان يهدف إلى تجديد نشاطهم الاجتماعي وحيويتهم بالتفاعل مع الأحداث والمواقف بما يرضي الله سبحانه.

فكانت غاية الإمام عليه السلام هي الارتفاع والسفوف بهم إلى الدرجات السامية والرفيعة

بما يوجب نيل الرعاية والرضا الإلهيين.

الناحية

□ للحفاظ على كيان الجماعة الصالحة - القواعد الشعبية - أو ما يصطلح عليه بالجانب التنظيمي، سعى الإمام عليه السلام بشتى الوسائل والطرق ليجنب الجماعة الصالحة ماتحوكة السلطة ضدها من خطط ومؤامرات من أجل النيل منها وإضعافها وبالتالي تحجيم دورها التأثيري في مجريات الأحداث التي عاصرها الإمام عليه السلام، ويمكن تحديد منهج الإمام عليه السلام هذا بالنقطتين التاليتين:-

- ما يتعلق بإثبات الحق ونقد الباطل على المستويات المختلفة.
- ما يتعلق بالحفاظ على قواعد الإمام عليه السلام ورعاية مصالحهم وتحذيرهم مما يحيط بهم من أخطار وحل المعضلات التي تعترضهم في الظروف القاسية التي كانت تمر بالإمام عليه السلام والقواعد الموالية له فكانت تعليماته عليه السلام إليهم تتضمن جملة أمور:
- تحذيره لهم من كتابة الرسائل وغيرها.
- طلبه من بعض قواعد تغيير أسمائهم.
- اشتراط العمل مع السلطان الظالم بشروط خاصة.
- تحذيرهم من الحديث في الأماكن العامة إلى غير ذلك من الوصايا والتعليمات.
- وكان الإمام عليه السلام يتفقد أحوال مواليه ويسهم في قضاء حوائجهم ومشكلاتهم وكان يترقب أخبارهم وأمورهم المختلفة.

الأسئلة

١. وضع بماذا اتصفت مواقف الإمام عليه السلام في حفظ كيان الجماعة الصالحة؟
٢. ما هي أساليب الإمام عليه السلام في مواجهة الظروف والملابسات التي تخص حفظ الجماعة الصالحة؟
٣. ما هي ضوابط العمل مع السلطان الظالم حسب ماورد عن الإمام الهادي عليه السلام؟
٤. ما هو موقف الإمام الهادي عليه السلام من أحد أصحابه الذي أقحم الناصبي في محاورته إياه؟
٥. كيف كان موقف الإمام الهادي عليه السلام في قضاء حوائج أصحابه؟
٦. ما الذي كان يهدفه الإمام عليه السلام في مواقفه تجاه قواعد الشعبية؟
٧. ما هي دلالات المنهج الذي اتبعه الإمام عليه السلام في الحفاظ على كيان الجماعة الصالحة؟

متطلبات عصر الإمام الهادي عليه السلام (٤)

موقف الإمام عليه السلام من الغلاة والمنحرفين

إن موقف الإمام الهادي عليه السلام من الغلاة وتحركهم كان موقفاً متشدداً، بحسب خطورة التحرك أو باعتبار مالصاحبه من منزلة ومكانة في المجتمع، لذا اختلفت مواقف الإمام عليه السلام إزاءهم كما تعددت وصاياه في هذا الاتجاه لشيئته موضحاً مايجب أن يتخذه تجاه الغلاة والمنحرفين، فربما كان يكتفي بالاستخفاف والهجران وربما أمر بالضرب لبعضهم وربما تطلب الأمر أن يقتل زعيم أو رأس تلك العصابة المغالية أو المنحرفة.

عن أحمد بن محمد بن عيسى قال: كتبت إليه - أي الإمام الهادي عليه السلام - في قوم يتكلمون ويقرؤون أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك فيها ما تشتمز منها القلوب، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي فأولوها وصيروها فإن رأيت أن تبين لنا وأن تمنّ على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الأقاويل التي تصيرهم إلى المعطب والهلاك، والذين ادعوا هذه الأشياء ادعوا أنهم أولياء، وادعوا إلى طاعتهم، منهم علي بن حسكة والقاسم البقطيني، فما تقول في القول منهم جميعاً؟

فكتب «ليس هذا ديننا فاعتزله»^١.

وعن محمد بن عيسى قال كتب إليّ أبو الحسن عليه السلام ابتداءً منه: لعن الله القاسم اليقطيني ولعن الله عليّ بن حكمة القميّ إنّ شيطاناً يتراءى للقاسم فيرمي إليه زخرف القول غرورا.

كما كتب أحد أصحاب الإمام الهادي عليه السلام إليه سائلاً ومستفسراً عن أحوال عليّ بن حكمة: جعلت فداك ياسيدي إنّ عليّ بن حكمة يدّعي أنّه من أوليائك، وأنك أنت الأوّل القديم وأنّه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى ذلك ويزعم أنّ الصلاة والزكاة والحجّ والصوم كلّ ذلك معرفتك ومعرفته من كان في مثل حال ابن حكمة فيما يدّعي من البابيّة والنبوّة، فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستبعاد بالصلاة والصوم والحجّ وذكر جميع شرائع الدين أنّ معنى ذلك كلّ ما ثبت لك ومالّ الناس إليه كثيراً، إن رأيت أن تمنّ عليّ مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة؟ قال: فكتب عليه السلام كذب ابن حكمة عليه لعنة الله أو بحسبك أنّي لأعرفه؟! لعنه الله، فوالله ما بعث الله محمداً والأنبياء قبله إلّا بالحنفيّة والصلاة والزكاة والصيام والحجّ والولاية. ومادعا محمداً عليه السلام إلّا إلى الله وحده لا شريك له، وكذلك نحن الأوصياء من ولده، لا نشرك به شيئاً، إن أطعناه رحمنا وإن عصيناه عذبنا، مالنا على الله من حجّة بل الحجّة لله علينا وعلى جميع خلقه أبرأ إلى الله، ممن يقول ذلك وأنتمي إلى الله من هذا القول، فاهجروهم لعنهم الله وألجئوهم إلى ضيق الطريق، فإن وجدتم أحداً منهم فاخذشوا رأسه بالحجر^٢.

وتضمّن هذا النصّ الشريف جملة من الأمور المهمّة نشير إليها:

١. تأكيد عليّ مقام الألوهيّة، وأنّ الحجّة لله سبحانه على جميع خلقه وأنّ الطاعة لله سبحانه هي الأساس في رضا الله سبحانه.

١. رجال الكشي، ص ٤٣.

٢. رجال الكشي، ص ٤٣٧.

٢. إِنَّ الرّسول الأعظم ﷺ والأنبياء (سلام الله عليهم) دعوا إلى الحنفيّة والعبادات المفروضة.

٣. إِنَّ الأئمة عليهم السلام هم أوصياء الرّسول محمد ﷺ لا يشركون بالله شيئاً.

٤. تأكيد الإمام عليه السلام على البراءة من هؤلاء الغلاة والمنحرفين ولعنهم وحرّض مواليه على هجرانهم وإيقاع الأذى فيهم.

ووفقاً لهذا نجد الإمام الهادي عليه السلام - كما هو شأن آبائه عليهم السلام - سعوا جاهدين للحفاظ على سلامة الشريعة الإسلاميّة، كما عملوا كثيراً من أجل صيانة الأئمة من الانحراف، بيد أنّا نجد الكثير من المسلمين - وللأسف - اتخذوا منهج المستشرقين في رمي الشيعة الإماميّة مآهم بُراء منه مثل هذه الافتراءات التي ذكرت أعلاه وسواها ممّا ورد عن الأئمة عليهم السلام أنفسهم ردّها ولعن أصحابها ومنع شيعتهم من الاختلاط بهم وضرورة الابتعاد عنهم، فالأئمة عليهم السلام كانوا يراقبون هذه الأمور بدقّة، وتصدر عنهم الوصايا إلى شيعتهم أولاً بأوّل وحسب الظروف وأهميّة تلك المطالب.

الإمام الهادي عليه السلام وثورات عصره

إنّ أهمّ ما يميّز عصر الإمام الهادي عليه السلام هو ضعف الخلافة العبّاسيّة وسقوط هيبتها لاستيلاء الأتراك على العاصمة والعمّال والأمراء على الأطراف، ونتيجة لذلك كان الخليفة مسلوب الإرادة يُحرّك من قبل قوّاده الذين كانت بأيديهم زمام السلطة^١. واتّسم الوضع بعدم الاستقرار وازدياد الاضطرابات وكثرة الخارجين على السلطة وكثرة الوثبات في الأمصار، فكان للخوارج نشاط ملحوظ قويّ ومدعم بالمال والسلاح، كما نجد أنّ مجموعة من الأقاليم قد حدثت فيها انتفاضات ضدّ السلطة كما حصل في الأردن بقيادة رجل من لخم، وكانت في حمص وثبة أخرى ضدّ عاملها

كيدر الأشرو بيني، وكذا وثبة الجند في سامراء فضلاً عن حدوث ثورات أخرى منها: ثورة يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن أبي طالب عليه السلام وقد انطلقت هذه الثورة من كربلاء باتجاه الكوفة وكان شعارها الدعوة إلى «الرضا من آل محمّد ﷺ» وعرف يحيى بحسن السيرة وأظهر العدل حتّى قتل^١.

إنّ موقف الإمام الهادي عليه السلام تجاهها وسواها من الأحداث يصعب الوقوف عليه لعدم وجود نصّ صريح عنه عليه السلام، بيد أنّه يمكن أن يُستفاد من خروج بعض المخلصين من أصحابه مع العلويين موقفه غير العلنيّ، ويعلّل عدم إيدائه أيّ رأي تجاه الثورة أو الحدث للظروف الحرجة التي كان يعيشها من مراقبة مشدّدة واضطهاد لشيعته ومواليه، فليس من السهل أن يعطي رأياً صريحاً بثورة سواء كانت تتفق وخطّه، أم لا تتفق، فإنّ الفساد والظلم قد استشرى في هذا العصر الذي ازداد سوءاً باستيلاء الأتراك على مقاليد الأمور، فهم الذين كانوا ينصبون الخليفة أو يعزلونه وقد لاقت منهم الأمة الأمرين^٢.

أصحاب الإمام الهادي عليه السلام

كان لأصحاب الأئمة -الذين تميّزهم الرعاية الخاصّة- الدور البارز في نقل تراث الأئمة عليهم السلام ومواقفهم إزاء الظروف الاجتماعية فكان هؤلاء الأصحاب يمثلون الخطّ الرسالي ويجسّدون أعلى درجات الوعي والالتزام بخطّ الأئمة عليهم السلام على امتداد وجودهم المبارك رغم اشتداد الظروف وقساوتها تجاههم.

والذي يدعو إلى الاعتزاز والفخر بجهد هؤلاء الرواة هو أنّهم اتّصلوا بالأئمة ودوّنوا عنهم، في وقت كان من أعسر الأوقات حراجه وأكثرها ضيقاً وضغطاً، وقد أمعنت السلطات الأمويّة والعباسيّة في ظلم العلويين وشيعتهم، ومنعت الأوساط الشعبيّة من الاتّصال بهم، وأخذت تطارد كلّ من ينشر فضائل أهل البيت عليهم السلام، أو يستحدّث عن

١. أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٤٢٠.

٢. تراجع الكامل لابن الاثير، ج ٥، ص ٦، أحداث السنين (٢٤٧ - ٢٥٥ هـ).

مناقبهم، ومآثرهم أو يروي أحاديثهم^١.

وقد بلغ عدد الرواة عن الإمام الهادي عليه السلام وأصحابه ١٨٢ رواية^٢ وهي نسبة كبيرة قياساً إلى الرواة عن الأئمة عليهم السلام الآخرين، ومن ثقات أصحابه عليه السلام:

١. أحمد بن حمزة اليسع.
٢. صالح بن محمد الهمداني.
٣. يعقوب بن يزيد الكاتب.
٤. أبو الحسين بن هلال.
٥. إبراهيم بن إسحاق.
٦. خيران الخادم.
٧. النضر بن محمد الهمداني.
٨. جعفر بن سهيل الصقيل من وكلائه.
٩. وداد بن زيد من أصحابه الذين جاء ذكرهم في مناقب آل أبي طالب وأضاف إليهم:
١٠. أبو سليمان زنكان.
١١. سليم بن جعفر المروزي.
١٢. محمد بن سعيد بن كلثوم.
١٣. الحسين بن محمد المدائني.
١٤. أحمد بن اسماعيل بن يقطين.
١٥. بشر بن بشار النيشابوري الشاذلي.
١٦. معاوية بن حكيم الكوفي.

١. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الهادي عليه السلام، ص ١٦٩ - ١٧٠.

٢. عبد الهادي الفضلي، تأريخ التشريع الإسلامي، ص ٢٠٥.

١٧. علي بن محمد بن معبد البغدادي.

١٨. أبو الحسن ابن رجا العبرثاني.

إلى غيرهم من أصحاب الإمام عليه السلام الذين ذكرتهم عامة كتب الرجال^١.

الإمام الهادي عليه السلام والأتراك

إن الحديث عن موقف الإمام الهادي عليه السلام تجاه الأتراك، يتضح لنا من خلال نقطتين: النقطة الأولى فقد كان للاتراك دور كبير مؤثر في الحياة العامة يبدأ بالتأثير في السياسة المتبعة وتغيير الخليفة وعزله وتنصيبه وإلى أبسط الأمور ذات العلاقة بسياسة الدولة والمجتمع.

والنقطة الأخرى أنهم لم يكونوا من موالي الإمام عليه السلام وشيعته بل إنهم كانوا القوة الضاربة للدولة ويدها وعقلها المدبر، وكان الأتراك على قسمين: القواد والأمراء، وعامة الجند، وكان بيدهم إعلان الحرب والسلم مع أي شخص في أطراف الدولة، وكانوا يخوضون الحرب في الغالب في الجيش الممثل للدولة، وهو المنتصر في الحرب غالباً، وبذلك يغنم الأتراك ومن يليهم أموالاً طائلة على حساب المظلومين المقهورين تحت وطأة الحروب^٢.

ولم يكن الإمام عليه السلام ليوافق على تصرفاتهم التي لم تكن قائمة على شيء من تعاليم الدين والعدل الإسلامي، وبخاصة أنه يعلم موقفهم ضده وضد مواليه حتى كأن الخليفة يستخدمهم في الكبس على دار الإمام وحبسه، ومن هنا ينبثق موقفه عليه السلام حيث كان موقفاً حكيماً جداً مراعيّاً فيه ظروفهم وموقعهم السياسي والاجتماعي. إن جهود الإمام عليه السلام في هذا الاتجاه قد أثمرت بعض الشيء في تقريب بعضهم إليه

١. يراجع رجال الطوسي و رجال الكشي.

٢. الغيبة الصفري، ص ١٥٧، بتصرف.

وإيمانهم بفضله، وربما بإمامته... وكانت جهوده عليه السلام متواصلة في ذلك^١.

فمن ذلك: أنه مرَّ به تركي، فكلمه بالتركية، فنزل عن فرسه فقبل حافر دابة الإمام عليه السلام، قال الراوي: فحلّفت التركي أن يقول ما قال له الرجل، - أي الإمام - قال التركي: هذا كناني باسم سمّيت به في صفري ببلاد الترك، ما علمه أحد إلا الساعة^٢ فكان للإمام عليه السلام هذا أثر كبير في نفس هذا التركي حتّى قبل حافر دابّته.

أمّا بالنسبة لموقفه من القوّاد بخاصّة تجاه (بغا الكبير) والذي يعتبر أحد القوّاد البارزين في عصر الإمام عليه السلام والذي يصفه المسعودي بقوله: كان بغا الكبير كثير التعطف والتبر على الطالبين ثم، ينقل عنه تعاطفه مع أحد شيعة الإمام عليه السلام حيث حاول قتل عامل المعتصم على الكوفة، فأمر المعتصم بغا أن يلقيه إلى السباع، فلم يلقه إلا أنه أمره بأن يجهد أن لا يظهر في أيام المعتصم^٣، فالتعاطف هذا يعتبر مظهراً من مظاهر تأثير الإمام عليه السلام في هذا القائد التركي.

البشارة والتمهيد لإمامة المهدي المنتظر عليه السلام

إنّ البشارة بالمهدي عليه السلام وظهوره لإقامة العدل في الأرض بعد ماتملاً ظلماً وجوراً قد نقلها المسلمون كافّة عن الرسول صلى الله عليه وآله ثمّ إنّ الأئمّة قد تتابعوا في ذكر ذلك: وروايته حتّى كانت إمامة الهادي عليه السلام وعندما قرّب استشهاده أبلغ شيعته ومواليه إمامة الخلف من بعده وأخبرهم عمّا سيكون من غيبة حفيده وهو بين أظهرهم ولا يستطيعون الوصول إليه، وسيخفى عنهم ويحجب ولا يحقّ لهم ذكر اسمه خوفاً من طلب السلطان ومتابعته له.

عن أبي جعفر محمّد بن أحمد العلوي عن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت

١. الغيبة الصغرى، م. س، ص ١٥٨ - ١٥٩ بتصرف.

٢. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٥١٢.

٣. المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٧٦.

أبا الحسن عليه السلام يقول: الخلف بعدي ابني الحسن، فكيف بالخلف بعد الخلف؟ فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ قال: إنكم لا ترون شخصه، ولا يحلّ لكم ذكره باسمه قلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجة من آل محمّد صلى الله عليه وآله^١.

النصّ على إمامة أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام

إن النصّ والإشارة إلى الإمام عليه السلام في كلّ عصر من قبل الإمام عليه السلام السابق له قد توالّت منذ عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فالإمام الهادي عليه السلام قد نصّ على إمامة أبي محمّد الحسن العسكري لما اعتلّ فضلاً عن النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام حول إمامته عليه السلام ومما ورد عن الإمام الهادي عليه السلام نصّاً على إمامة الحسن العسكري عليه السلام ما يلي:

١. عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن أحمد النهدي، عن يحيى بن يسار القنبري قال أوصى أبو الحسن عليه السلام إلى ابنه الحسن قبل مضيّه بأربعة أشهر، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي^٢.

٢. وعن عليّ بن عمر النوفلي قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره فمرّ محمّد ابنه فقلت له: جعلت فداك! هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: لأصاحبكم بعدي الحسن^٣.

استشهاد الإمام علي الهادي عليه السلام

لقد استشهد وليّ الله عليّ بن محمّد عليه السلام في آخر ملك المعتزّ ودفن عليه السلام في داره بسرّ من رأى^٤ وكان عمره الشريف يوم وفاته أربعين سنة.

١. المسعودي، عليّ بن الحسين، إنبات الوصيّة، ص ٢٠٨.

٢. كافي الشيعة، ج ١، ص ٣١٣.

٣. كافي الشيعة، ج ١، ص ٣٨٤.

٤. الطبرسي، الفضل بن الحسن، أعلام الورى، ج ٢، ص ١٠٩ - ١١٠.

يقول المسعودي^١: لما أعتلَّ عليه السلام دعا ولده أبا محمد عليه السلام وسلم له الموارث - وهي ماورثه عن أبائه عليهم السلام - وسلاح الإمامة، وأوصى إليه أنه مات مسموماً^٢. وروى المسعودي: أنه اجتمع في دار الإمام الهادي عليه السلام حين التحق بالرفيق الأعلى جملة من بني هاشم من الطالبين والعباسيين، واجتمع خلق من الشيعة، ولم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمد عليه السلام - أي الإمام الحسن العسكري - ولا عرف خبره إلا الثقات الذين نصَّ أبو الحسن عندهم عليه فحكوا أنهم كانوا في مصيبة وحيرة ففيماهم فيه إذ خرج من الدار الداخلة خادم وصاح بخادم آخر يارباش خذ هذه الرقعة وامض بها إلى دار أمير المؤمنين - أي الخليفة المعتز - وادفعها إلى فلان وقل له هذه رقعة الحسن بن علي، فاستشرف الناس لذلك ثم فتح من صدر الرواق باب وخرج خادم أسود ثم خرج بعده أبو محمد عليه السلام حاسراً مكشوف الرأس مشقوق الثياب وعليه مبطنة بيضاء، وكان وجهه وجه أبيه عليه السلام لا يخطيء منه شيئاً، وكان في الدار أولاد المتوكل وبعضهم ولاية اليهود فلم يبق أحد إلا قام ووثب إليه أبو محمد الموفق فقصدته أبو محمد عليه السلام فعانقه، ثم قال له مرحباً: يابن العم! وجلس بين بابي الرواق والناس كلهم بين يديه، وكانت الدار كالسوق بالأحاديث، فلما خرج وجلس - أي الإمام العسكري عليه السلام - أمسك الناس فما كنا نسمع شيئاً إلا العطسة والسفلة، وخرجت جارية تندب أبا الحسن عليه السلام فقال أبو محمد: ماها هنا من يكفي مؤونة هذه الجاهلة! فبادر الشيعة إليها فدخلت الدار، ثم خرج خادم فوقف بحذاء أبي محمد عليه السلام فنهض وصلى عليه وأخرجت الجنازة، وخرج حتى أخرج بها إلى الشارع الذي بإزاء دار موسى بن بقا، وصلى عليه المعتمد، ثم دفن في دارٍ من دورته^٣ وكان ذلك في سنة أربع وخمسين

١. المسعودي، إنبات الوصية، ص ٢٠٥.

٢. ابن صباغ المالكي، علي بن أحمد، الفصول المهمة، ص ٢٧٩.

٣. إنبات الوصية، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

ومائتين للهجرة يوم الإثنين لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة^١.

الناص

□ تعاضم تيّار الغلاة وحدثت عدّة ثورات في عصر الإمام الهادي عليه السلام وكانت تصدر التعليمات والوصايا من الإمام عليه السلام إلى قواعده الموالية لتكون على بينة من أمرها في التعامل مع تلك الأحداث والظواهر. ولتجنبها مزالق الانحراف فتارة نجد أنّ الإمام عليه السلام يأمر باعتزال أهل الغلو والانحراف، واخرى يوصي بتأديبهم بالضرب أو الزجر، فإذا لم تجد هذه الوسائل نجده يأمر باغتيال أشخاص لخطرهم وتأثيرهم في المجتمع الإسلامي.

□ وإنّ أهم ما يميّز الدولة العباسيّة في عصره عليه السلام هو الضعف وسقوط هيبتها لاستيلاء الأتراك على العاصمة والأطراف الأخرى، فالخليفة والحالة هذه يكون مسلوب الإرادة يُحرّك من قبل قوّد الجند الذين ملكوا زمام الأمور، لذا نجد أنّ الإمام عليه السلام لم يؤيد مواقف وتصرفات الأتراك وكان يحذّر منهم.

□ وفي الختام نجد أنّ الإمام عليه السلام ركّز على أمرين هامّين: أحدهما فيما يخصّ الإمام عليه السلام بعده، والثاني الإمام المنتظر وغيبته وحاول تثبيت هذين الأمرين بين خاصّته وقواعده.

الفصل

١. لماذا اختلفت وصايا الإمام علي عليه السلام ومواقفه تجاه الغلاة؟
٢. ما هي مظاهر الغلو في آراء علي بن حنكة القمي وما هو موقف الإمام علي عليه السلام منه؟
٣. ما هي الثورات التي حدثت في عصر الإمام؟ وما هو موقف الإمام منها؟
٤. ما هو دور أصحاب الإمام الهادي عليه السلام؟
٥. ما هو موقف الإمام الهادي عليه السلام من الأتراك؟
٦. ما هو موقف الإمام الهادي عليه السلام من مسألة الغيبة والإمام المهدي عليه السلام؟
٧. كيف كانت شهادة الإمام الهادي عليه السلام؟ وما هي أسباب اغتياله؟

النصّ على إمامة الحسن العسكري عليه السلام

ولد الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري سنة ٢٣٢ هـ في المدينة وحمل مع أبيه الهادي عليه السلام سنة ٢٣٤ هـ إلى سرّ من رأى. فكانت مدة مكثه في المدينة سنتين فقط. وعاش في ظل أبيه الهادي ٢٢ سنة هـ حتّى حيث تولى منصب الإمامة في سنة ٢٥٤ هـ بعد استشهاده، واغتيل وهو في عمر الزهور بعد ست سنوات من استشهاد أبيه وذلك في سنة ٢٦٠ هـ وتعتبر مدة إمامته أقصر مدة للإمامة في تاريخ أهل البيت عليه السلام.

لقد كانت فترة حياة الإمام العسكري كلّها فترة متميّزة بالأهميّة ومتميّزة بحراجة ظروفها أيضاً.

أما حراجة ظروفها فلأنّ العباسيّين كانوا يراقبون تحرّكات الأئمّة المعصومين عن كتب ويحاولون السيطرة التامّة على كلّ نشاطاتهم وهم يتوقّعون كسائر المسلمين ولادة المهدي المنتظر من نسل الحسين بن علي عليه السلام، بل تزيد حساسيّتهم عن غيرهم لأنهم المسيطرون على جهاز الحكم وهم أبناء عمومة العلويّين فهم طرف المنافسة الحقيقيّة لقيادة أهل البيت عليه السلام وزعامتهم السياسيّة والدينيّة، ومن هنا نجد اهتمامهم البالغ برصد كلّ حركات الأئمّة الأطهار منذ ولاية عهد الإمام الرضا عليه السلام فالجوداد

والهادي العسكري وبشكل مكثف ليس له نظير.

وتميّزت فترة إمامة الحسن العسكري بالأهميّة القصوى لأن مهمّة التمهيد لولادة الإمام المهدي عليه السلام والنصّ على إمامته وتعريف الشيعة به والمحافظة على وجوده والتمهيد لغيبته وربط الوكلاء به والتنسيق لاستمرار الارتباط الصحيح به بحيث لا تنهار كلّ الأواصر التي أوجدها الأئمة الأطهار مع شيعتهم، ولا يتفتت الكيان الذي أسسوه على مدى قرنين ونصف من النشاط المباشر في تربية أتباعهم، وضرورة الانتقال بهم من الارتباط المباشر إلى الارتباط غير المباشر مع حفظ استقلال الكيان الشيعي في الوسط غير الشيعي الذي يهدّد وجودهم... كلّ هذه النقاط تشير إلى دقّة وحراجه الظرف الذي كان يعيشه الإمام الحسن العسكري عليه السلام حيث كان عليه أن يقوم بكلّ التمهيدات اللازمة خلال هذه الفترة القصيرة من مدّة إمامته.

من هنا كان علينا أولاً أن نطالع كلّ التمهيدات التي قام بها الإمام الهادي عليه السلام لإعلان وتثبيت إمامة ابنه الحسن العسكري عليه السلام خلال فترة إمامته التي دامت ٢٤ سنة والتي رافقها وجود مثل نجله محمّد المعروف بالفضل وجلالة القدر ووجود الأرضيّة للانشقاق داخل الخط الشيعي كما حدث ذلك في حياة الإمام الصادق عليه السلام بالنسبة لابنه اسماعيل.

إذن ينبغي أن يطالع نشاط الإمام الهادي عليه السلام في هذا الصدد لتثبيت إمامة الحسن من جهة وتبديد الشبهات والأرضيّة التي قد تستغل لإيجاد هذا الانشقاق الذي يضر بالكيان الشيعي في هذه الظروف الحرجة.

كما سوف نطالع نشاطه فيما يخص إمامة حفيده المهدي عليه السلام تمهيداً للخطوات التي كان ينبغي أن تتحقق في هذا الظرف العصيب فيما يخص إمامة المهدي المنتظر عليه السلام.

إن النصوص التي وصلتنا عن الإمام الهادي عليه السلام حول الإمام من بعده يمكن تصنيفها تاريخياً إلى عدّة طوائف:

١. النصوص التي صدرت قبل وفاة ابنه محمّد المعروف بأبي جعفر.

٢. النصوص التي صدرت حين وفاة ابنه محمّد.
٣. النصوص التي صدرت بعد وفاته.
٤. النصوص التي صدرت قبيل استشهاد الإمام الهادي عليه السلام.
٥. وهناك نصوص لم يُعرف تأريخ صدورها.

الطائفة الاولى

١. عن علي بن عمرو العطار قال: دخلت على أبي الحسن العسكري عليه السلام وأبو جعفر ابنه في الأحياء وأنا أظنّ أنّه هو. فقلت له: جُعِلَتْ فداك من أخصّ من ولدك؟ فقال لا تخصّوا أحداً حتّى يخرج إليكم أمري.

قال: فكتب اليه بعد: فيمن يكون هذا الأمر؟ قال: فكتب اليّ: في الكبير من ولدي، قال: وكان أبو محمّد أكبر من أبي جعفر^١.

وهذا النصّ ليس فيه اي اشارة أو تصريح بإمامة أبي جعفر بل فيه إبهام الأمر والتمهيد لخروج النصّ.

٢. عن علي بن عمرو النوفلي، قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره فمرّ بنا محمّد ابنه فقلت له: جُعِلَتْ فداك، هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: لا صاحبكم بعدي الحسن^٢.

وهذا النصّ تضمّن حقيقتين: الأولى: نفي الإمامة عن أبي جعفر، والثانية: النصّ على الحسن.

٣. عن عبد الله بن محمّد الإصفهاني قال: قال أبو الحسن عليه السلام: صاحبكم بعدي الذي يصلّي عليّ. قال: ولم نعرف أباً محمّد قبل ذلك، قال: فخرج أبو محمّد فصلّى

١. الكافي، ج ١، ص ٣٢٦.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٣٢٥ وغيبة الشيخ الطوسي، ص ١٢٠.

عليه^١.

وهذا النصّ تضمّن علامة فارقة ومميّزة قد عرفها الشيعة وهي أن الذي يصلي على الإمام هو الإمام. ومن هنا كانت هذه العلامة ذات دلالة إرشادية قويّة لكشف الحقيقة ونفي الريب لمن لم يبلغه النصّ الصريح.

٤. عن أحمد بن عيسى العلوي من ولد علي بن جعفر قال: دخلت على أبي الحسن بـ(صريا) فسلمنا عليه فإذا نحن بأبي جعفر وأبي محمد قد دخلا فقمنا إلى أبي جعفر لنسلم عليه، فقال أبو الحسن عليه السلام: ليس هذا صاحبكم، عليكم بصاحبكم وأشار إلى أبي محمد عليه السلام^٢.

وفي هذا النصّ أيضاً الإشارة إلى حقيقتين: الأولى نفي الإمامة عن أبي جعفر والثانية إنباتها لأبي محمد الحسن عليه السلام.

الطائفة الثانية

١. عن علي بن جعفر قال: كنت حاضراً أبا الحسن عليه السلام لما توفي ابنه محمد فقال للحسن: يا بني أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً^٣.

٢. عن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مروان الأنباري قال: كنت حاضراً عند [مضي] أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فجاء أبو الحسن عليه السلام فوضع له كرسيّ فجلس عليه وحوله أهل بيته وأبو محمد قائم في ناحيته، فلمّا فرغ من أمر أبي جعفر التفت إلى أبي محمد عليه السلام فقال: يا بني أحدث لله تبارك وتعالى شكراً فقد أحدث فيك أمراً^٤. ويتوافق هذا النصّ مع سابقه في المضمون ولا يبعد أن يكون وقت وظرف صدور

١. الكافي، ج ١، ص ٣٢٦.

٢. غيبة الشيخ الطوسي، ص ١٢٠.

٣. الكافي، ج ١، ص ٣٢٦.

٤. المصدر.

النصّ واحد، وفي هذا النصّ دلالة واضحة مع إشهاد أهل بيته على ذلك.

٣. عن سعد بن عبدالله عن جماعة من بني هاشم منهم الحسن بن الحسن الأفطس أنهم حضروا - يوم توفي محمد بن علي بن محمد - باب أبي الحسن يعزّونه وقد بسط له في صحن داره والناس جلوس حوله فقالوا: قدّرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب وبني هاشم وقريش مائة وخمسون رجلاً سوى مواليه وسائر الناس إذ نظر إلى الحسن بن علي قد جاء مشقوق الجيب حتّى قام عن يمينه ونحن لانعرفه فنظر إليه أبو الحسن عليه السلام بعد ساعة فقال: يا بني أحدث لله عزّ وجلّ شكراً فقد أحدث فيك أمراً، فبكى الفتى وحمد الله واسترجع، وقال: الحمد لله ربّ العالمين وأنا أسأل الله تمام نعمته لنا فيه وإنا لله وإنا إليه راجعون، فسألنا عنه فقيل: هذا الحسن ابنه وقدّرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة أو أرجح، فيومئذٍ عرفناه وعلمنا أنّه قد أشار إليه بالإمامة وأقامه مقامه^١.

وقد تضمن هذا الخبر عدّة حقائق:

الأولى: أن وفاة أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام كانت قبيل استشهاد الإمام الهادي بقليل (قبل سنة أو سنتين)؛ لأن الإمام الحسن العسكري قد تقلّد منصب الإمامة وهو ابن اثنين وعشرين سنة.

الثانية: أن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن معروفاً لدى الكثيرين في سرّ من رأى بخلاف جعفر الذي كان معروفاً.

الثالثة: أن هذا الاجتماع الغفير كان في دار الإمام الهادي عليه السلام في سرّ من رأى بينما كان الاجتماع السابق كما يبدو من قوله: لما فرغ من أمر أبي جعفر، أنّه كان عند محل قبره في خارج سرّ من رأى كما هو قبره المعروف الآن.

ووصف الحاضرين عنده في الخبرين متباين أولاً، والنصّ وإن كان فيه نوع اشتراك

ولكن مجموعة الظروف المذكورة في النص تشير إلى تنوع وتكرّر النص عليه ممّا يفيد أنّه كان في مجلسين وفي وقتين متفاوتتين: أحدهما بعد الفراغ من تجهيزه ودفنه عند موضع دفنه الآن، وثانيهما في مجلس التعزية الذي أقيم في دار الامام الهادي عليه السلام في سرّ من رأى.

الرابعة: أن النص السابق قد دلّ على إمامته أمام أهل بيته، والثاني قد دلّ عليها في الملأ العامّ الذي جمع آل أبي طالب وبني هاشم وقريش.

٣. عن شاهويّة بن عبدالله الجلاب قال: كتب إليّ أبو الحسن في كتاب: أردت أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر وقلقت لذلك فلا تغتم فإنّ الله عزّ وجلّ لا يضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتّى يبين لهم ما يتقون، وصاحبك بعدي أبو محمد ابني وعنده ماتحتاجون إليه، يقدّم ما يشاء الله ويؤخر ما يشاء الله، مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها، قد كتبت بما فيه بيان وقناع لذي عقل يقظان^١.

إنّ الخلف بعد أبي جعفر ليس فيه دلالة على أنّه كان قد نص عليه بالإمامة بل يكفي لصحة اطلاق هذا اللفظ أن يراد به (الذي يخلف الإمام الهادي عليه السلام بعد موته) حيث توفي ابنه محمد الذي كان يتوقع البعض أن يكون خلف أبيه.

الطائفة الثالثة

١. عن محمد بن يحيى بن درياب قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام بعد مضي أبي جعفر فعزّيته عنه وأبو محمد عليه السلام جالس. فبكى أبو محمد عليه السلام فأقبل عليه أبو الحسن عليه السلام فقال له: إنّ الله تبارك وتعالى قد جعل فيك خلفاً منه فاحمد الله^٢. وليس في هذا النص دلالة على إمامة أبي جعفر ولو كانت فإنما نُسبت إلى

١. الكافي، ج ١، ص ٣٢٨.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٢٦.

أبي محمد عليه السلام، ولا يبعد أن يكون فيها تلميح إلى أنّه هو الخلف لأبيه ولا سيما قوله عليه السلام: فاحمد الله.

٢. عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعد ماضى ابنه أبوجعفر وإني لأفكر في نفسي أريد أن أقول؛ كأنهما أعني أباجعفر وأبامحمد في هذا الوقت كأبي الحسن موسى وإسماعيل ابني جعفر بن محمد عليه السلام وأن قصتهما كقصتهما، إذ كان أبو محمد المرجى بعد أبي جعفر عليه السلام.

فأقبل أبو الحسن قبل أن أنطق فقال: نعم يا أباهاشم بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر عليه السلام ما لم يكن يعرف له، كما بدا له في موسى بعد مضي اسماعيل ما كشف به عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون. وأبو محمد ابني الخلف من بعدي عنده علم ما يحتاج إليه ومعه آلة الإمامة^١.

وقد أشار الإمام عليه السلام في هذا النصّ إلى عدّة حقائق مهمّة:

الأولى: أنّه بالإضافة إلى النصّ على أبي محمد قد أخبر الإمام الهادي عليه السلام أباهاشم عمّا كان يدور في خلدّه وهو شاهد آخر على قوّة هذا النصّ سوى التصريح الذي جاء فيه.

الثانية: أنّه قد شهد للإمام الحسن العسكري عليه السلام بأنّه قد زوّد بجميع مستلزمات الإمامة فهو الجدير بها.

الثالثة: أن البداء هنا يكفي أن يكون ولو باعتبار توهم البعض بأنّ الإمامة هي لأبي جعفر؛ لظهور فضله واشتغاره. أو لأنّه الأكبر من ولده، كما اشارت بعض كتب التاريخ إلى أنّه كان الابن الأكبر ولا يضرّه هذا ماسوف يأتي من ان الحسن هو الأكبر من ولده حين وفاة أبيه عليه السلام.

وعلى هذا فليس معنى البداء أن النصّ كان على أبي جعفر عليه السلام ثمّ وجّه النصّ بعد

وفاته إلى أبي محمد.

الرابعة: أن هناك من كان يحاول استغلال فضل أبي جعفر أو تصور بعض الناس بأنه الإمام بعد الهادي عليه السلام لاختراق الصفّ الشيعي بطرح إمامته ولو بعد موته كما حدث بالنسبة لاستغلال قصة اسماعيل لاجاد الانشقاق داخل الصفّ الشيعي بعد الإمام الصادق عليه السلام.

الطائفة الرابعة

١. روى الكليني بسنده عن يحيى بن يسار القنبري قال: أوصى أبو الحسن عليه السلام إلى ابنه الحسن قبل مضيّه بأربعة أشهر وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي^١.

الطائفة الخامسة

١. عن علي بن مهزيار قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إن كان كون -وأعوذ بالله- فإلى من؟ قال: عهدي إلى الأكبر من ولدي^٢.

وواضح أن الأكبر من ولده حين وفاته هو الفرض المعقول حتى وإن قلنا إن محمداً كان أكبر من الحسن؛ لأنه لم يكن موجوداً حين وفاة أبيه عليه السلام، ولا معنى للوصية إلى شخص غير حي، فالأكبر في هذا النصّ هو أكبر الموجودين لامحالة.

٢. عن أبي بكر الفهفكي قال: كتب إليّ أبو الحسن عليه السلام: أبو محمد ابني أنصح آل محمد غريزة وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف وإليه ينتهي عرى الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلي فسله عنه، فعنده ما يحتاج إليه^٣.

١. الكافي، ج ١، ص ٣٢٥ وفي الإرشاد، ص ٣١٥؛ القنبري بدل القنبري.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٢٦.

٣. الكافي، ج ١، ص ٣٢٧.

وهذا النصّ لا يعلم وقت صدوره هل كان قبل وفاة محمّد أم بعده.
وهو دالّ على أيّ حال على أن الحسن عليه السلام هو الأكبر مطلقاً أو الأكبر حين صدور النصّ.

على أن القيود والأوصاف التي تضمّنها النصّ تنفي الريب فيما يخص إمامة غير الحسن من ولد الإمام الهادي عليه السلام، لأن الإمام الهادي عليه السلام هنا قد ذكر الضوابط التي ترشح الشخص لمنصب الإمامة وطبقها على ابنه الحسن تطبيقاً لا يترك مجالاً للريب ولا سيما إرجاعه إليه في حياته وبعد حياته وهو شاهد آخر على أنّه هو الإمام بعد أبيه عليه السلام.

٣ . عن محمّد بن رجا صاحب الترك قال: قال أبو الحسن عليه السلام: الحسن ابني القائم من بعدي^١.

٤ . عن داود بن القاسم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الخلف من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: ولمّ جعلني الله فداك؟ فقال: إنكم لاترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه، فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجة من آل محمّد عليه السلام^٢.

٥ . قال الصقر بن أبي دلف: سمعت علي بن محمّد بن علي الرضا عليه السلام يقول: الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^٣.

٦ . عن عبد العظيم بن عبد الله الحسين قال: دخلت على سيدي علي بن محمّد عليه السلام فلما بصر بي قال لي: مرحباً بك يا أبا القاسم أنت ولينا حقاً.

١ . غيبة الشيخ الطوسي، ص ١٢٠.

٢ . الكافي، ج ١، ص ٣٢٨ وكفاية الأثر، ص ٢٨٨.

٣ . كفاية الأثر، ص ٢٨٨.

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله إني أريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضياً أثبت عليه حتى ألقى الله عز وجل فقال: هات يا أبا القاسم. قلت: إني أقول: إن الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء خارج من الحدين حد الإبطال وحد التشبه وإنه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر. بل هو مجسم الأجسام ومصور الصور وخالق الأعراض والجواهر ورب كل شيء ومالكة وجاعله ومحدثه وأن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، لاني بعدة إلى يوم القيامة.

وأقول بأن الإمام والخليفة وولي الأمر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم أنت يا مولاي. فقال عليه السلام: ومن بعدي الحسن ابني. فكيف للناس للخلف من بعده؟ قال: فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟

قال: لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

قال: قلت: أقررت وأقوله إن وليهم ولي الله وعدوهم عدو الله وطاعتهم طاعة الله [ومبغضهم مبغض الله] ومعصيتهم معصية الله.

وأقول: إن المعراج حق والمسائلة في القبر حق وأن الجنة حق والنار حق والصراط حق والميزان حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.

وأقول: إن الفرائض الواجبة بعد الولاية، الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقال علي بن محمد عليه السلام: يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده فاثبت

عليه ثبتك الله عليه بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة^١.

والنصوص الثلاثة الأخيرة قد تضمنت بالإضافة إلى التصريح بإمامة الحسن بن علي العسكري التصريح بإمامة ابنه محمد المهدي عليه السلام وهي من جملة التمهيدات التي قام بها الإمام الهادي عليه السلام بالنسبة لإمامة حفيده وغيبته.

ونلاحظ التأكيد على عدم جواز ذكر الاسم في نصين منها، لما قد ورد بتعليه في نصوص أخرى من أن ذكر الاسم يؤدي إلى كشف الشخص وهذا مالا يتناسب مع التخطيط المرسوم لكيفية غيبة الإمام المهدي عليه السلام في الظروف الخاصة التي كان يعيشها والده الحسن العسكري عليه السلام.

وهذا التمهيد إنما هو قبل ولادته عليه السلام، إعداداً للنفوس والعقول وترويضاً لها لتقبل عصر الغيبة بظروفه الخاصة.

وقد لاحظنا هذه الطوائف الخمسة من النصوص المرتبطة بإمامة الخلف من بعد الإمام الهادي عليه السلام ولم نجد فيها ما يتضمن التصريح أو الإشارة إلى إمامة ابنه محمد الذي توفي في حياة أبيه عليه السلام، بل وجدنا فيها ما صرح فيه بإمامة الحسن عليه السلام وفي زمن حياة محمد بالذات. وقد عضدتها النصوص التي صدرت من الإمام الهادي عليه السلام بعد وفاة ابنه أبي جعفر محمد بن علي باستمرار حتى قبيل استشهاده.

ولا ننسى النصوص الصادرة حول إمامة الحسن العسكري من الأئمة السابقين على الإمام الهادي عليه السلام ونصوص الرسول الأعظم ﷺ وجملة النشاطات التي صدرت من الإمام الحسن العسكري عليه السلام نفسه لتبديد كل أنواع الشك والارتياب حول إمامته خلال فترة إمامته بدءاً بالصلاة على أبيه وانتهاءً بالكرامات الكثيرة الصادرة عنه خلال هذه المدة القصيرة^٢.

١. كفاية الأثر، ص ٢٨٢.

٢. راجع مسند الإمام العسكري، باب دلالاته عليه السلام، ص ٧٩ - ١٣٢.

وبهذا التصنيف التاريخي للنصوص الصادرة لانجد أي تهافت بينها كما أننا نلمس مجموعة الخطوات التي قام بها الإمام الهادي عليه السلام لطرح وتثبيت إمامة ابنه الحسن وفي تلك الظروف الخاصة التي لم يعرف فيها الحسن بأنه ابن الإمام الهادي عليه السلام كما كان يُعرف محمّد بذلك.

إن الإمام الهادي عليه السلام قد تدرّج بلاريب في طرحه لقضية إمامة ابنه الحسن عليه السلام وهياً الأجواء اللازمة لذلك واستغلّ أحسن الظروف الحرجة لإتمام الحجة وإقامة الدليل على الخاصة وغيرهم من آل أبي طالب وشيعته على الرغم من حراجة الظروف ولزوم دقّة التخطيط للوصول إلى الحق وعدم فسح المجال لاختراق الوجود الشيعي بأي شكل من الأشكال.

للمطالعة

من دلائل إمامته عليه السلام بعد استشهاده أبيه عليه السلام

- ١ . قال أبوهاشم الجعفري: خطر بيالي أن القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ فقال أبو محمد عليه السلام: يا أباهاشم، الله خالق كل شيء، وماسواه مخلوق^١.
- ٢ . وقال أيضاً: قال أبو محمد عليه السلام: إذا خرج القائم يأمر بهدم المنابر والمقاصير التي في المساجد، فقلت في نفسي: لأي معنى هذا؟ فأقبل عليّ وقال: معنى هذا أنها محدثة مبتدعة، لم بينها نبي ولا حجة^٢.
- ٣ . سأله الفهفكي: ما بال المرأة تأخذ سهماً واحداً وتأخذ الرجل سهمين؟ فقال أبو محمد عليه السلام: إن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقه ولا عليها معقلة، إنّما ذلك على الرجال.

١ . المناقب، ج ٢، ص ٤٦٧.

٢ . المناقب، ج ٢، ص ٤٦٨.

فقلتُ في نفسي؛ قيل لي إنّ ابن أبي العوجاء سأل أبا عبد الله عليه السلام عن هذه المسألة فأجابه بمثل هذا الجواب في رواية لما جعل لها من الصداق.

فأقبل أبو محمد عليّ فقال: نعم هذه مسألة ابن أبي العوجاء، والجواب منّا واحد إذا كان معنى المسألة واحداً، أجري لآخرنا ما أجري لأوّلنا وأوّلنا وآخرنا في العلم والأمر سواء، ولرسول الله ﷺ ولأمير المؤمنين عليه السلام فضلها^١.

٤ . وقال أبو هاشم الجعفري: قلتُ في نفسي قد كتب الإمام يا أسمع السامعين... إلى آخره، اللهم اجعلني في حزبك وفي زمرك. فأقبل عليّ أبو محمد فقال: أنت في حزبه وفي زمرة إذ كنت بالله مؤمناً ولرسوله مصدّقاً ولأوليائه عارفاً ولهم تابعاً، فأبشر ثم أبشر^٢.

٥ . عن علي بن أحمد بن حمّاله، قال: خرج أبو محمد في يوم مصيف راكباً وعليه تجفاف ومطر، فتكلّموا في ذلك، فلمّا انصرفوا من مقصدهم امطروا في طريقهم وتبلّوا سواء^٣.

٦ . وعن محمد بن عيّاش قال: تذاكرنا آيات الإمام عليه السلام فقال ناصبيّ: إنّ أجاب عن كتاب بلامداد علمت أنّه حقّ، فكتبنا مسائل وكتب الرجل بلامداد على ورق وجعل في الكتب وبعثنا إليه فأجاب عن مسائلنا وكتب على ورقة اسمه وإسم أبويه فدهش الرجل، فلمّا أفاق اعتقد الحقّ^٤.

٧ . وعن محمد بن عبد الله قال: فقد غلام صغير فلم يوجد، فأخبر بذلك فقال عليه السلام: اطلبوه في البركة، فطلب فوجد فيها ميتاً^٥.

١ . المناقب، ج ٢، ص ٤٦٨.

٢ . المناقب، ج ٢، ص ٤٦٩.

٣ . المناقب، ج ٢، ص ٤٧٠.

٤ . المناقب، ج ٢، ص ٤٧٠.

٥ . المناقب، ص ٢٣١.

٨ . وروى أبو سليمان المحمودي فقال: كتبتُ إلى أبي محمد عليه السلام أسأله الدعاء بأن أرزق ولداً، فوقع: رزقك الله ولداً وأصبرك عليه فولد لي ابن ومات^١.

٩ . وروي عن محمد بن علي بن إبراهيم الهمداني قال: كتبتُ إلى أبي محمد عليه السلام أسأله التبرك بأن يدعو أن أرزق ولداً من بنت عمّ لي، فوقع: رزقك الله ذكراً فولد لي أربعة^٢.

١٠ . وعن عمر بن أبي مسلم قال: كان سميع المسمعي يؤذيني كثيراً ويبلغني عنه ما أكره، وكان ملاحقاً لداري، فكتبتُ إلى أبي محمد عليه السلام أسأله الدعاء بالفرج منه، فرجع الجواب: أبشّر بالفرج سريعاً، ويقدم عليك مال من ناحية فارس، وكان لي بفارس ابن عمّ تاجر لم يكن له وارث غيري فجاءني ماله بعد مامات بأيام يسيرة. ووقع في الكتاب: استغفر الله وتُب إليه ممّا تكلمتُ به، وذلك أنّي كنت يوماً مع جماعة من النصاب فذكروا بأطالبي حتّى ذكروا مولاي، فخضت معهم لتضعيفهم أمره، فتركْتُ الجلوس مع القوم، وعلمتُ أنّه أراد ذلك^٣.

١١ . وروي عن الحجاج بن يوسف العبدي انه قال: خلّفت ابني بالبصرة عليلاً وكتبتُ إلى أبي محمد أسأله الدعاء لابني فكتب اليّ: رحم الله ابنك إن كان مؤمناً، قال الحجاج: فورد عليّ كتاب من البصرة أنّ ابني مات في ذلك الذي كتب اليّ أبو محمد بموته، وكان ابني قد شكّ في الإمامة للاختلاف الذي جرى بين الشيعة^٤.

١ . بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٦٩ عن الخرائج.

٢ . بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٦٩ عن الخرائج.

٣ . بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٧٣ عن الخرائج.

٤ . بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٧٤.

الناص

□ إن الظروف التي مرّت بالإمام الهادي عليه السلام والجماعة الصالحة بما اشتملت عليه من قهر واضطهاد وتضييق كان لها أثر واضح في التفاوت في النصّ على إمامة أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، حتى أن إحدى الروايات تشير بل تصرّح أنّ الإمام الهادي عليه السلام قد نصّ قبل أربعة أشهر من استشهاده عليه السلام على إمامة الحسن العسكري عليه السلام، ولكن بالتأمل والنظر يمكن حلّ ما قد ورد عليها من إشكالات بلحاظ السياق التاريخي لصدورها مضافاً إلى ذلك أن النصوص الواردة حول إمامة الحسن العسكري عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة أيضاً تفيد في تدعيم ذلك. كما أنّ لمسألة التمهيد للغيبة دوراً واضحاً في حلّ ما يظهر من اختلاف وتفاوت. ثمّ إنّ طريقة الإمام الهادي عليه السلام تعزّز مسألة التدرّج كما تعكس صعوبة الظروف التي كان يعيشها الإمام الهادي عليه السلام والجماعة الصالحة. فتارة يصرّح أو يشير بذلك إلى أحد ثقاته أو مجموعة بل ربما يشهد آخرين على النصّ الصادر عنه بهذا الصدد لتثبيت إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ورجوع قواعده الشعبية إليه وتثبيت ذلك في الأذهان.

□ وقد أكّد الإمام الهادي عليه السلام أفضليّة الإمام العسكري عليه السلام وعلمه وتقواه في أكثر من مناسبه، وأشار بالرجوع إليه في جميع الأمور ليتّضح للجماعة الصالحة أهليّة الإمام العسكري عليه السلام لهذا المنصب العظيم دون سواء من ولده.

□ وبذلك يرتفع ما قد يترى من اختلاف دلالات النصوص الشريفة الصادرة عن الإمام الهادي عليه السلام بخصوص إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام. ثمّ يضاف إلى ذلك جملة من الأمور التي مارسها الإمام العسكري عليه السلام والتي توضّح وتثبت إمامته، للدلائل التي تضمنتها بالإضافة إلى النصوص الواردة بحقه عليه السلام.

المسئلة

- ١ . بماذا تملّل اختلاف دلالات النصوص الواردة في إمامة الإمام العسكري عليه السلام ؟
- ٢ . كيف تستدلّ على إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ؟
- ٣ . أذكر حديثين يتفاوتان في الدلالة حول إمامة الحسن العسكري عليه السلام ؟
- ٤ . كيف تُحلّ تلك الاختلافات بين النصوص ؟
- ٥ . وضّح أسلوب الإمام الهادي عليه السلام في مسألة النصّ على إمامة الإمام العسكري عليه السلام ؟
- ٦ . أذكر بعض دلائل إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ؟
- ٧ . هل التمهيد لغيبه الإمام المنتظر عليه السلام له تأثير في تفاوت الروايات واختلاف أساليب النصّ على إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ؟ وضع ذلك ؟

ملاح عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام (١)

مظاهر السلوك السياسي للدولة العباسية

أطلق مؤرخوا التاريخ الإسلامي على الفترة التي تبدأ بخلافة المتوكل على الله (٢٣٢) هـ وما بعدها بالعصر العباسي الثاني؛ لما لهذه الفترة من خصائص امتازت بها عن خصائص العصر العباسي الأول الذي بدأ بعد سقوط الدولة الأموية سنة (١٣٢ هـ) وقيام دولة بني العباس فيها.

إنّ العصر العباسي الثاني قد عاصر الإمام العسكري عليه السلام أعواماً عصيبة منه مع خلفاء مستبدين اعتلوا عرش الدولة منذ أن قدم سامراء مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام أيام المتوكل عام (٢٣٤ هـ) واستمر قاطناً فيها حتى استشهد عام (٢٦٠ هـ) في خلافة المعتمد العباسي.

وأهمّ ظواهر هذا العصر هو النفوذ الذي تمتّع به الأتراك والذين غلبوا الخلفاء في سلب زمام إدارة الدولة، وما اتّصفوا به من سلوك شائن في التعامل مع الأهالي، وقد اضطرّ سابقاً المعتصم لنقل عاصمة الخلافة من بغداد إلى سامراء بسبب سلوك الأتراك السيء وشكاية أهالي بغداد منهم، ثمّ ازدياد سوء الحالة العامة مع امتداد عمر هذا العصر، والدور الأكبر في المتغيرات الحاصلة فيه تُعزى إلى العنصر التركي الذي كان

يسهم في خلع وتعيين الخلفاء^١.

ويمكن إجمال أهم مظاهر هذا العصر في مايلي:

١ . تدهور الوضع السياسي للدولة العباسية حيث تم استيلاء الموالي والذين كان أغلبهم من الأتراك، وكانت سيطرتهم على مقاليد السلطة في العاصمة والأمصار. حيث ساهموا في خلع المتوكل وقتله (٢٤٧ هـ) والمهتدي (٢٥٦ هـ) ونصب غيرهما^٢.

٢ . اللهو والمجون وحياة الترف التي كان يحيها الخليفة وأتباعه والتي كانت عاملاً مهماً في سيطرة الأتراك وسقوط هيبة الخليفة عند عامة الناس.

وقصة المتوكل مع الإمام الهادي عليه السلام تعد خير تعبير عن تلك الحياة الماجنة التي كان الخليفة يعيشها^٣.

٣ . حوادث الشغب والفتن التي حدثت في بغداد، وكان نتيجة تلك الفتن أن يبيع لخليفين في آن واحد حيث يبيع المستعين في بغداد كان الأتراك في نفس الوقت قد باعوا المعتز في سامراء، وقد جهز جيشاً بقيادة أخيه لقتال المستعين في بغداد^٤.

٤ . الحركات الانفصالية في أطراف الدولة والتي يعود سببها إلى ضعف سلطان الخليفة، وكثرة حوادث الخروج على الدولة، أي إن الحركات المسلحة المناوئة للسلطة العباسية قد ازدادت، كما كانت الحروب تدور في الأطراف بين الأمراء والولاة أيضاً، ومن أوضح تلك الموارد، بلاد الأندلس التي كانت مستقلة تحت حكم عبدالرحمن الخليفة الأموي.

ثم ازداد الأمر بعد ذلك سوءاً ففقدت الدولة سيادتها على أطراف كثيرة، وولدت

١ . الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٠١ وما بعدها أحداث السنين، (٢٣٢ هـ - ٢٢٢ هـ).

٢ . الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤، أحداث السنين (٢٤٧ هـ - ٢٥٦ هـ) والمسهودي، ج ٤، ص ٦٠ وما بعدها.

٣ . تاريخ المسعودي، ج ٤، ص ١١.

٤ . الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٩٠.

دول الطوائف والأمراء في الأمصار بعد أن كانت دولة واحدة تخضع لحكومة مركزية في بغداد أو سامراء^١، فكانت أمصار الدولة العباسية مسرحاً لحروب دامية، ولأعمال التخريب من حرق ونهب للأموال والغلات وغيرها... كما حصل ذلك في السنوات ٢٣٨ - ٢٥٣، ٢٦٥، ويضاف إلى ذلك ما حدث من حوادث في بلاد ماوراء النهر من عام ٢٦١ - ٢٧٩ هـ^٢.

الظروف الاجتماعية

تحدثنا فيما سبق عن الظرف السياسي وملابساته: من عدم الاستقرار وفقدان الأمن وذلك لتعدد الحركات السياسية والمذهبية، الخارجية على الدولة العباسية في مختلف الأمصار الإسلامية فضلاً عن دور الأتراك البارز في خلع وتولية الخليفة العباسي، وهذا دون شكّ ينعكس سلبياً على الظروف الاجتماعية التي كان يعيشها أبناء الأمة المسلمة ورعايا الدولة الإسلامية فينجم عنه توتر في علاقة السلطة بالشعب، وعدم استقرار الوضع الاجتماعي نتيجة لذلك، كما أنّ اختلال الظروف السياسية يؤدي إلى ظهور الطبقة أو الفئات المتفاوتة في المستوى المعيشي والمتباينة في الحقوق والواجبات تبعاً لولائها وقربها أو بعدها من البلاط ورجاله، والحروب مآتكد تخمد إحداها حتى تتأجج الثانية وتتسع لتشمل مساحة أوسع من أرض الدولة الإسلامية^٣، ثمّ لتنفصل بعض أجزائها فتكون دولة مستقلة عن مركزية الدولة وغير خاضعة لها. وأطلق المؤرخون على هذا العصر: عصر (إمرة الأمراء)^٤. ثمّ عصر الدول المستقلة كما هو الحال بالنسبة لإمارة الحمدانيين والبويهيين والدولة الصفارية (٢٥٤ هـ) والدولة

١. تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٧، حوادث السنين (٢٣٤ - ٢٦٠ هـ).

٢. تاريخ الطبري، ج ٨ والكامل في التاريخ، ج ٤ وأحداث تلك الأعوام في المصدر السابق.

٣. الكامل لأبن الأثير، ج ٤، أحداث السنين (٢٤٨ - ٣٢٢ هـ).

٤. تاريخ الإسلام السياسي د. حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٢٦ وما بعدها.

السامانية (٢٦١ - ٣٨٩ هـ) وغيرها... مما أدى إلى تفكك وسقوط الدولة العباسية سنة (٦٥٦ هـ).

لقد كان المجتمع الإسلامي في أواخر عصر الدولة العباسية الأول يتألف من عدة عناصر.

هي: العرب والفرس والمغاربة وظهر العنصر التركي أيضاً على مسرح السياسة في عهد الخليفة المعتصم الذي اتخذهم حرساً له، وأسند إليهم مناصب الدولة الهامة وأهمل العرب والفرس، ولما رأوا الخطر المحدق بهم من قبل الأتراك استعانوا بالمغاربة والفراعنة وغيرهم من الجنود المرتزقة^١.

كما نلاحظ في انقسام المسلمين في هذا العصر إلى شيع وطائف وتعرض المجتمع الإسلامي إلى أنواع التنازع المذهبي الذي أدى إلى التفكك أيضاً، فهناك أبناء السنة والعمامة الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم ويتمتعون بقسط وافر من الحرية المذهبية والطمأنينة النفسية في عهد نفوذ الأتراك، وهناك الشيعة الذين كانوا يقاسون كثيراً من العنت والاضطهاد^٢، وهذا لا يعني الالتزام الديني من قبل حكام الدولة العباسية بالمذهب السني بقدر ما يوضح لنا أن موقفهم هذا كان من أجل التصدي لحركة الأئمة في الأئمة ومحاصرتها بمختلف الوسائل والطرق والتي منها دعم ومساندة فرق وحركات تحمل توجهات السلطة وترى السلطة فيها استتباب الوضع لها ولا تخشى من تمردا فهي تعيش على فتات موائدها وبذلها وبذخها لهم من أجل ديمومة الحكم واستمرار السلطة للخلفاء. ولم يكن هذا ليدوم بدخول العنصر التركي الذي كان يميل إلى البذخ والسيطرة وعدم الخضوع إلى سلطة الخليفة العباسي كما أوضحنا.

أما بالنسبة إلى التفكك الاجتماعي في هذا العصر فيمكن ملاحظته من خلال

١. تاريخ الإسلام السياسي، ج ٣، ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

٢. تاريخ الإسلام السياسي، ص ٤٢٣.

طبقات المجتمع فيه:

١. طبقة الرقيق: وكانت مصر وشمالى أفريقيا وشمالى جزيرة العرب من أهم أسواق الرقيق الأسود، وقد جلب كثير من الرنجات، كما جلب كثير من الرنج لفلاحة الأرض وحراسة الدور، وإن كثرة الرنج فى العراق أدت إلى قيام ثورة الرنج التى دامت أكثر من أربع عشرة سنة (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ).^١

وكلفت هذه الثورة الدولة والأمة الكثير من الأموال والدماء لإخمادها ممّا أسهم بشكل كبير فى إضعافها.

٢. أهل الذمة: وهم اليهود والنصارى، ولم تتدخل الدولة فى شعائهم بل على العكس كان يبلغ من تسامح الحكّام أنّهم كانوا يحضرون مواكبهم واحتفالاتهم ويأمرون بحمايتهم.^٢

٣. رجال البلاط والملّك وغيرهم ممّن لهم نفوذ كبير فى سياسة الدولة وتأثير واسع فى الوضع الاقتصادى والاجتماعى.

٤. عامة الناس والذين أجهدتهم الضرائب والحروب والخلافات والمنازعات الداخلىّة.

٥. ونشأت طبقة واسعة من الرقيق وغيرهم - من المغنّيات - اللّاتى كنّ يُحيين لىالى اللهو للخلفاء، وغيرهم، وقد ارتفعت أسعارهن بشكل ملفت للنظر^٣، ممّا أدّى ذلك أخيراً إلى إضعاف العلاقة داخل البلاط نفسه بين البلاط وبين قوّاد الجيش من أتراك وغيرهم، فضلاً عن آثاره السلبية على المجتمع عامة.

١. تأريخ الطبرى، ج ٧، أحداث السنين (٢٢٥ - ٢٧٠) هـ.

٢. الحضارة الإسلاميّة، ج ١٥، ص ٢٦٨، عن تأريخ الإسلام، ص ٤٢٤.

٣. تأريخ الإسلام السياسى، ج ٣، ص ٤٣٥.

الحالة الثقافية

انتشرت الثقافة الإسلامية في هذا العصر انتشاراً يدعو إلى الإعجاب بفضل الترجمة من اللغات الأجنبية وخاصة اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية والعامل الأول في ذلك هو حث الإسلام المسلمين على طلب العلم باعتباره فريضة على كل مسلم ومسلمة.

كما حظي العلماء بتشجيع من الخلفاء والسلاطين والأمراء ورجال العلم والأدباء بموقع متميز ساعدهم على ممارسة نشاطاتهم كل حسب اختصاصه.

وكانت مراكز هذه الحركة الثقافية في بلاط السامانيين والغزنويين والبويهيين والحمدانيين في الشرق وفي بلاط الطولونيين والأخشيديين والفاطميين في مصر وفي بلاد الأمويين في الأندلس.

ويضاف إلى ذلك ظهور كثير من الفرق التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق مآربها السياسية والدينية. وخير مثل لذلك مانشاهده من الآثار التي خلفها الشيعة الإمامية والمعتزلة ودعاة الإسماعيلية من العلماء والمتصوفين، وغيرهم.

وكان للجدل والنقاش الذي قام بين هذه الفرق من ناحية وبينها وبين العلماء الرسميين - أي فقهاء السلطة - من ناحية أخرى أثر كبير في هذه النهضة العلمية التي يتميز بها هذا العصر وخاصة في القرن الرابع الهجري على الرغم مما انتاب العالم الإسلامي بوجه عام من تفكك وانحلال وما أصاب الدولة العباسية من ضعف ووهن^١.

الحالة الاقتصادية

عنى العباسيون بالزراعة وفلاحة البساتين التي قامت على الدراسات العلمية^٢.

١ . تاريخ الإسلام السياسي، ج ٣، ص ٣٣٢.

٢ . تاريخ الإسلام بتصرف، ج ٣، ص ٣١٩.

وذلك بفضل انتشار المدارس الزراعية التي كان لها الأثر الكبير في إنارة عقول المسلمين، ولما كانت الزراعة تعتمد على الري، اهتم العباسيون بتنظيم أساليبه وجعل الماء مباحاً للجميع، ولذلك عملوا على تنظيمه في مصر والعراق واليمن وشمال شرقي فارس وبلاد ماوراء النهر، وبلغ هذا النظام شأواً بعيداً من الدقة، حتى أن الأوربيين أدخلوا كثيراً من هذه النظم في بلادهم، وعنت الدولة العباسية بصيانة السدود والترع، وجعلوا جماعة من الموظفين أطلق عليهم اسم (مهندسين) ومهمتهم المحافظة على السدود خشية انبثاق الماء منها فيما إذا حدث ثغر من الهدم والتخريب^١.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام و حكام عصره

لقد أمضى الإمام الحسن العسكري عليه السلام الجزء الأكبر من عمره الشريف في العاصمة العباسية - سامراء - وواكب جميع الظروف والملاسات والمواقف التي واجهت أباه الإمام علياً الهادي عليه السلام، ثم تسلم مركز الإمامة وقيادة الأمة الإسلامية سنة (٢٥٤) هـ بعد وفاة أبيه عليه السلام وعمره الشريف آنذاك (٢٢) عاماً.

وكانت «مواقفه امتداداً لمواقف أبيه عليه السلام بوصفه المرجع الفكري والروحي لأصحابه وقواعده وراعياً لمصالحهم العقائدية والاجتماعية بالإضافة إلى تخطيطه وتمهيده لغيبه^٢ ولده الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

بالرغم من الضعف الذي أحاط بالدولة العباسية في عصر الإمام عليه السلام لكن السلطة القائمة ضاعفت إجراءاتها التعسفية في مواجهة الإمام الحسن العسكري عليه السلام والجماعة الصالحة المنقادة لتعاليمه وإرشاداته عليه السلام. فلم تضعف في مراقبته ولم تترك الشدة في التعامل معه: بسجنه أو محاولة تفسيره إلى الكوفة خشيةً منه ومن حركته الفاعلة في

١. تجارب الأمم ابن مسكويه، ج ٢، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ بتصرف.

٢. الأئمة الإثناعشر، عادل الأديب دارالأضواء، ١٤٠٤ هـ، ص ٢٣٥.

الأمة ولتأثيره الكبير فيها.

ثم إن المواجهة من الإمام كقيادة للحركة الرسالية لم تكن خاصة بالخلفاء العباسيين الذين عاصروهم الإمام عليه السلام بل كان هناك أيضاً خطر النواصب الذين نصبوا العداء لأهل البيت النبوي عليه السلام ووقفوا ضد أطروحتهم الفكرية، والسياسة المتميزة، والتي كانت تتناقض مع أطروحة الحكم القائم والطبقة المستأثرة بالحكم والمنحرفة عن الإسلام النبوي^١.

والنواصب الأمويون منهم أو العباسيون كانوا يعلمون جيداً أن أهل البيت النبوي هم ورثة النبي الحقيقيون ولا يمكنهم أن يسيطروا على السلطة إلا بإبعاد أهل البيت عليه السلام عن مصادر القدرة وذلك بتحديد الأئمة المعصومين وشيعتهم وشل حركتهم وعزلهم عن الأمة والتضييق عليهم بمختلف السبل وبما يتاح لهم من وسائل قمعية.

وقد يكون لطبيعة هذه الظروف والملابسات التي عانى منها الإمام العسكري عليه السلام وشيعته الدور الأكبر في ما كان يتخذه الإمام عليه السلام من مواقف سلبية أو ايجابية إزاء الأحداث والظواهر التي منيت بها الأمة الإسلامية والتي ستعرفها فيما بعد.

لقد عاصر الإمام العسكري عليه السلام ثلاثة من خلفاء الدولة العباسية، فقد عاش عليه السلام شطراً من خلافة المعتز والذي هلك على أيدي الأتراك، فخلقه المهدي العباسي الذي حاول أن يتخذ من سيرة عمر بن عبدالعزيز الأموي مثلاً يحتذي به إغراءً للعامة ولينقل أنظارهم المتوجهة صوب الإمام العسكري عليه السلام لزهده وتقواه وورعه، وما كان يعيشه من همومهم وآلامهم التي كانوا يعانونها من السلطة وتجاوزاتها في الميادين المختلفة.

ولم يفلح المهدي بهذا السلوك لازدياد الاضطراب في دائرة البلاط العباسي نفسه مما أثار الأتراك عليه فقتلوه عام (٢٥٦ هـ)، وقد اعتلى العرش العباسي من بعده

المعتمد الذي انتقل عن سامراء وقتل^١ في سنة (٢٧٠ هـ).

١. المعتز العباسي

لقد ازداد نفوذ الأتراك بعد قتلهم المتوكل عام (٢٤٧ هـ) وتنصيب ابنه المنتصر بعده، حتّى أن الخليفة العباسي أصبح مسلوب السلطة ضعيف الإرادة ويتضح ذلك ممّا رواه ابن طباطبا حيث قال:

«ولما جلس المعتز على سرير الخلافة حضر خواصّه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم: أنظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة، وكان بالمجلس بعض الظرفاء، فقال: أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته، فقالوا: فكم تقول إنه يعيش وكم يملك؟ قال: مهما أراد الأتراك، فلم يبق أحد إلا ضحك^٢.

يعكس لنا هذا النصّ ما كان للأتراك من نفوذ ودور في إدارة الدولة وعزل الخلفاء والتحكّم في الأمور العامّة. فقد استولوا على المملكة واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في أيديهم كالأسير إن شأوا خلعوه وإن شأوا قتلوه، وكان المعتز يخاف الأتراك ويخشى بأسهم ولا يأمن جانبهم وكان بُغا الصغير - وهو أشدّ هؤلاء خطراً - أحد قوَاد الجيش الذي أسهم في قتل المعتز مع جماعة من الأتراك بعد أن أشهدوا عليه بأنّه قد خلع نفسه.

لقد عاصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام أواخر خلافة المعتز الذي كان استشهاد الإمام الهادي عليه السلام على يديه بدسّ السمّ إليه إذ كانت سياسة المعتز امتداداً لسياسة المتوكل في محاربة الإمام الحسن العسكري عليه السلام والشيعّة، بل ربّما ازدادت ظروف القهر في هذه الفترة حتّى أن المعتز نفسه أمر بتسفير الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى الكوفة لمّا تنبّه الخليفة إلى خطر وجود الإمام عليه السلام واتّسع دائرة تأثيره وكثرة أصحابه.

١. الفخري في الآداب السلطانيّة، ابن طباطبا، ص ٢٢١.

٢. الفخري في الآداب السلطانيّة، ابن طباطبا، ص ٢٢١.

فقد كتب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام أبو الهيثم - وهو أحد أصحاب الإمام عليه السلام - يستفسر عن أمر المعتزّ بإبعاده إلى الكوفة قائلاً:

«جُعِلَتْ فداك بلغنا خبرَ أفلقنا وبلغ منا»، فكتب الإمام عليه السلام: «بعد ثلاث يأتاكم الفرج»، فقتل المعتزّ في اليوم الثالث^١، فلم تكن العلاقة بين الإمام عليه السلام والمعتزّ إلاّ تعبيراً عن الصراع والعداء الذي ابتدأ منذ استلم بنو العباس الخلافة بعد سقوط الدولة الأمويّة، وامتدّ على طول عمر الدولة إلّا في فترات قصيرة جدّاً، فكان كيد السلطة وترصدها لتحرك الإمام عليه السلام دائماً؛ لماعرفه الخلفاء من المكانة السامية والدور الفاعل للأئمّة عليهم السلام في الأُمّة، وماكانوا يخشونه منهم على سلطتهم وكيانهم الذي أقاموه بالسيف والدم على جماجم الأبرياء والأتقياء من أبناء الأُمّة الإسلاميّة.

ويروي لنا محمّد بن علي السمرى توقّع الإمام الحسن العسكري هلاك المعتزّ قائلاً: «دخلت على أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله وبين يديه رقعة أبي محمّد العسكري عليه السلام، فيها: إنّي نازلت الله في هذا الطاغى يعني الزبيرى - لقّب المعتزّ - وهو آخذه بعد ثلاث، فلما كان في اليوم الثالث فعل به ما فعل»^٢، فقد قتل شرّ قتلة.

ويصف ابن الأثير قتل المعتزّ الذي ورد في هذه العبارة قائلاً: «فدخل إليه جماعة من الأتراك فجرّوه برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه، وأقاموه في الشمس في الدار، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحرّ، وكان بعضهم يلطمه وهو يتّقي بيده وأدخلوه حجرة، وأحضروا ابن أبي الشوارب وجماعة أشهدوهم على خلعه، وشهدوا على صالح بن وصيف أن للمعتزّ وأمه وولده وأخته الأمان، وسلّموا المعتزّ إلى من يعذّبه، فمنعه الطعام والشراب ثلاثة أيّام، فطلب حسوة من ماء البئر فَمَنَعَهُ ثمّ أدخلوه سرداباً وسدّوا بابه، فمات»^٣.

١ . كشف الغمّة، ج ٢، ص ٤١٧ عن دلائل الإمامة لمحب الدين الطبري.

٢ . المصدر السابق.

٣ . كشف الغمّة، ج ٢، ص ٤١٧.

وكان سبب خلعه أنه منع الأتراك أرزاقهم، ولم يكن لديه من المال وقد تنازلوا له إلى خمسين ألف دينار، فأرسل إلى أمّه يسألها أن تعطيه مالاً فأرسلت إليه: «ماعندي شيء»، فتآمروا عليه وقتلوه.

وهذه القصة خير مؤشر على ضعف السلطة العباسية وخروج الأمر من يد الخليفة، فالكتاب المسؤولون على الأموال يتصرفون بها كيف ما يشاءون ولا يطيعون الخليفة فكانت تلك النهاية المخزية للمعتز على أيدي أعوانه، وحرّاسه من الأتراك.

الخاص

- يعتبر عهد المتوكل بداية لانحلال الدولة العباسية وضعفها وقد سُمي العصر الذي بدأ به المتوكل بالعصر الثاني حيث تمكن الأتراك من السيطرة على مقاليد الأمور وزمام السلطة، ثم أصبح الخلفاء بعد ذلك خاضعين لقادة الجند الأتراك، كما امتاز هذا العصر بازدياد الشغب والحركات الانفصالية ضد الدولة مع اطراد ظاهرة اللهو والمجون لدى السلاطين العباسيين وقادة الجند والطبقة المقربة من البلاط العباسي.
- وقد ظهرت الطبقة في المجتمع نتيجة لظروف القهر والاضطهاد حيث أصبحت الثروة دولة بين عليّة القوم والقادة.
- وعاصر الإمام العسكري عليه السلام عدداً من السلاطين منهم المعتز إذ عاصر الإمام عليه السلام أواخر أيامه، كما عاصر المهدي العباسي من بعده.
- وقد عانت الجماعة الصالحة الكثير من الاضطهاد ومصادرة الأموال والممتلكات، فقد أمر المهدي بسجن الإمام العسكري عليه السلام كما همّ بإبعاده إلى الكوفة.

الأسئلة

١. ما هي مظاهر السلوك العباسي في هذا العصر.
٢. ما هو موقف المعتز من الإمام العسكري عليه السلام وشيعته؟
٣. ما هو أهم الأحداث في عصر المهدي؟
٤. ما هو موقف المهدي العباسي من الجماعة الصالحة؟
٥. لماذا سجن الإمام العسكري عليه السلام؟

ملاح عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام (٢)

٢. المهدي العباسي

هو محمد بن الواثق بن المعتصم، أمه أم ولد تسمى وردة، ولي الخلافة بعد مقتل أخيه المعتز سنة (٢٥٥هـ)، وما قبل أحد ببيعته حتى جيء بالمعتز واعترف أمام شهود أنه عاجز عن الخلافة ومدّ يده فبايع المهدي فارتفع حينئذ إلى صدر المجلس^١، وبويع بالخلافة.

ولقد تصنّع الزهد والتقشف محتدياً سيرة عمر بن عبدالعزيز إغراء للعامة ومحاولة لتغيير انطباعهم عن الخلفاء العباسيين الذين عُرفوا بالمجون والترف والإسراف على الملذات والخمر ومجالس اللهو، فقد نقل هاشم بن القاسم حينما سأل المتوكل عما هو عليه من التقشف وبما هو فيه من النعمة فقال له: إنّ الأمر كما وصفت، ولكنني فكرت في أنّه كان في بني أمية عمر بن عبدالعزيز - وكان من التقلل والتقشف ما بلغك - ففرتُ على بني هاشم فأخذت نفسي بما رأيت^٢.

فلم تكن الدوافع وراء هذه السيرة رضا الله سبحانه بل كانت هذه السيرة لإفتاء

١ . تأريخ الخلفاء، السيوطي، ص ٣٦١.

٢ . تأريخ الخلفاء، ص ٣٦٦.

شيء من صبغة التدّين على نفسه من أجل أن تطيعه عامّة الناس ومحاولة لإبعاد أنظارها عمّا تحلّى به بنو هاشم وفي مقدّمهم الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي عُرِف بتقواه وورعه ومواساته للأمة في ظروفها القاسية، وكان الأوّل بالخليفة الاتّعاظ بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لما عرف بزهده وتقواه بل هو الذي سنّ نهج الزهد للمسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإن عمر بن عبدالعزيز نفسه حين سأله جلساؤه عن أزهد الناس، فقالوا له: أنتم، قال: لا: إنّ أزهد الناس علي بن أبي طالب^١.

سياسة المهدي تجاه معارضيه

ألف - الخليفة وأمراء الجند: كانت سياسة المهدي تجاه الأتراك تتمثّل بالحدّ والحيلة والخشية من انقلابهم عليه كما فعلوا بالمتوكّل والمعتزّ، لذا أمر بقتل موسى ومفلح من أمراء جنده الأتراك الذين كانوا يتمتّعون بنفوذ كبير وتأثير فاعل في مجريات الأحداث، غير أنّ (بكيال) الذي أمره المهدي بقتله توقّف عن قتل موسى بن بغا، لإدراكه أنّ للمهدي خطة للحدّ من نفوذ الأتراك وتقليص الدور الذي يتمتّعون به، وقال بكيال: إنّني لست أفرح بهذا وإنّما هذا يعمل علينا كلّنا، فأجمعوا على قتل المهدي فكان بين الأتراك ومناصري الخليفة قتال شديد وقتل في يومٍ واحد أربعة آلاف من الأتراك ودام القتال إلى أن هزم جيش الخليفة المؤلّف من المغاربة والفراعنة والأسروسيّة، ومن ثمّ أمسك الخليفة فعصر على خصّيته فمات في عام ٢٥٦ هـ^٢.

ومن الأحداث المهمّة في عصر المهدي:

- ١ . انتفاضة أهل حمص بقيادة ابن عكار على محمّد بن إسرائيل.
- ٢ . إخراج أمّ المعتزّ وأبأحمد وإسماعيل ابني المتوكّل وابن المعتزّ إلى مكّة ثمّ ردّهم إلى العراق.

١ . تاريخ الطبري، ج ٣، حوادث ٩٩١ - ١٠١٠ هـ وهي خلافة عمر بن عبدالعزيز.

٢ . تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

٣. نفى وإبعاد بعض الشيعة من بلدانهم إلى بغداد كما هو حال جعفر ابن محمود.
٤. إعطاؤه الأمان لمعارضيه.
٥. الحرب بين عيسى بن شيخ الرعي وأماجور التركي. عامل دمشق وهزيمة الأول^١.

المهتدي وأصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام: لم تكن الظروف المحيطة بالإمام العسكري عليه السلام وأصحابه في عهد المهتدي أحسن ممّا كانت عليه من الشدة والنفي والتهجير والقتل إبان عهدي المعتزّ والمتوكل ومن سبقهما من خلفاء الدولة العباسيّة، بل كانت سياسة المهتدي امتداداً للمنهج العباسي في التصدي للإمام وشيعته وخاصّته والنكاية بهم، والتجنّس عليهم ومصادرة أموالهم ومطاردتهم.

لقد قاسى الشيعة والإمام الحسن العسكري عليه السلام في عهد المهتدي الكثير من الظلم والتعسف، ويمكن أن نقف على ذلك من خلال مارواه أحمد بن محمد حيث قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالي: ياسيدي الحمد لله الذي شغله عنك، فقد بلغني أنّه يتهدّدك ويقول: «والله لأخليّنهم عن جديد الأرض» فوقّع أبو محمد عليه السلام بخطه: ذاك أقصر لعمره، وعدّ من يومك هذا خمسة أيّام ويقتل في اليوم السادس بعد هوانٍ واستخفاف بموته، فكان كما قال عليه السلام، وقد سبق أن أوضحنا ذلك^٢.

ومن مظاهر اضطهاد الشيعة ومصادرة أملاكهم وأموالهم ماروي عن عمر بن أبي مسلم حيث قال: قدم علينا (بسرّ من رأى) رجل من أهل مصر يقال له سيف بن الليث يتظلم إلى المهتدي في ضيعة له قد غصبها إياه شفيح الخادم وأخرجته منها، فأشرنا عليه أن يكتب إلى أبي محمد عليه السلام يسأله تسهيل أمرها، فكتب إليه أبو محمد عليه السلام: لا بأس عليك ضيعتك تردّ عليك فلا تتقدم إلى السلطان والقي الوكيل

١. تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٢٤٣.

٢. أعلام الوري، ص ٣٧٥.

الَّذِي فِي يَدِهِ الضَّيْعَةُ وَخَوْفُهُ بِالْسلطانِ الْأَعْظَمِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَلَقِيهِ، فَقَالَ لَهُ الْوَكِيلُ
الَّذِي فِي يَدِهِ الضَّيْعَةُ: قَدْ كُتِبَ إِلَيَّ عِنْدَ خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ أَنْ أَطْلُبَكَ وَأَرَدَ الضَّيْعَةُ
عَلَيْكَ، فَرَدَّهَا عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْقَاضِي ابْنِ أَبِي الشَّوَّارِبِ وَشَهَادَةِ الشُّهُودِ وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ
يَتَقَدَّمَ إِلَى الْمَهْتَدِيِّ^١.

وَيُمْكِنُ الاسْتِدْلَالُ مِنْ خِلَالِ النَّصِّ عَلَى اتِّسَاعِ الْقَاعِدَةِ الشَّعْبِيَّةِ لِلْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَلَتْهُ
بِهَا وَعَمَقِ الْأَوَاصِرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَهُوَ يَتَقَدَّمُ أَصْحَابَهُ، وَيَسَاهِمُ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ أَوْ غَيْرِ
مُبَاشِرَةٍ فِي قِضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَإِنْ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي الْأَمْصَارِ تَأْثِيرًا وَعِلَاقًا بِالْوَلَاةِ
وَمَنْ يَدْبُرُونَ الْأُمُورَ فِي الْوَلَايَاتِ، فَكَانَتْ أَخْبَارُ شِيعَتِهِ تَصِلُهُ أَوَّلًا بِأَوَّلٍ، وَيَحَاوِلُ
إِعْبَادَهُمْ عَنِ الْوُقُوعِ فِي حَبَائِلِ السُّلْطَانِ وَشَرِّكَه كَمَا فِي قِصَّةِ سَيْفِ بْنِ اللَّيْثِ الْمِصْرِيِّ.
ب - سَجَنُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَلَمَّا رَأَى الْمَهْتَدِيُّ أَنَّ وَسَائِلَ النَّفْيِ وَالْإِعْبَادِ
وَالْمَصَادِرَةِ لَمْ تَكُنْ لِتَحْدُ مِنْ نَشَاطِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشِيعَتِهِ، وَاتَّسَاعِ حَرَكَتِهِ، لَمَّا كَانَ
لِتَعْلِيمَاتِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرِقَابَتِهِ لِشِيعَتِهِ مِنْ أَثَرٍ فِي إِفْشَالِ مُحَاوَلَاتِ السُّلْطَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ لَمْ
تَجِدِ السُّلْطَةُ بُدْأً مِنْ اعْتِقَالِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِ فِي السَّجَنِ، وَكَانَ الْمُتَوَلَّى
لِسُجْنِهِ صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ الَّذِي أَمَرَ الْمَهْتَدِيَّ مُوسَى بْنَ بَغَا التُّرْكِيَّ بِقَتْلِهِ وَقَدْ جَاءَهُ
الْعَبَّاسِيُّونَ إِبَانُ اعْتِقَالِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالُوا لَهُ: ضَيِّقْ عَلَيْهِ وَلَا تَوَسَّعْ، فَقَالَ صَالِحُ:
«مَا أَصْنَعُ بِهِ قَدْ وَكَّلْتُ بِهِ رَجُلَيْنِ، شَرٌّ مِنْ قُدْرَتِ عَلَيْهِ فَقَدْ صَارَا مِنَ الْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ
وَالصِّيَامِ إِلَى أَمْرِ عَظِيمٍ»، ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمُوَكَّلَيْنِ فَقَالَ لِهَما: وَيَحْكُمُ مَا شَأْنُكُمَا فِي أَمْرِ
هَذَا الرَّجُلِ: - يَعْنِي الْإِمَامَ الْحَسَنَ الْعَسْكَرِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ - فَقَالَا لَهُ: مَا نَقُولُ فِي رَجُلٍ يَصُومُ
النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَتَشَاغَلُ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْنَا أُرْعَدَتْ فَرَائِصُنَا
وَدَاخَلْنَا مَا لَا نَمْلِكُهُ مِنْ أَنْفُسِنَا فَلَمَّا سَمِعَ الْعَبَّاسِيُّونَ ذَلِكَ انْصَرَفُوا خَائِبِينَ^٢.

١. الكافي، ج ١، ص ٤٢٨ و ٥١١، طبعة المكتبة الإسلامية طهران.

٢. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٤١٤.

٣. المعتمد بن المتوكل العباسي

وعاصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعد المعتز والمهتدي، المعتمد العباسي، الذي انهمك في اللهو والملاذات واشتغل عن الرعيّة فكرهه الناس وأحبّوا أخاه طلحة^١. وكان المعتمد ضعيفاً قد وقع تحت تأثير الأتراك الذين يديرون أمور الحكم، ويقومون بتغيير الخلفاء والأمراء، وقد صوّر المعتمد نفسه هذا الضعف الذي هو فيه بقوله:

أليس من العجائب أنّ مثلي يرى ماقلّ ممتنعاً عليه؟
وتوكل باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
إليه تحمل الأموال طُراً ويمنع بعض مايجبى إليه^٢.

وكانت الفترة التي عاشها الإمام الحسن العسكري عليه السلام في عهد المعتمد تقرب من خمس سنين، من ابتداء خلافة المعتمد سنة (٢٥٦ هـ) وحتى استشهاده عليه السلام سنة (٢٦٠ هـ)، وكان الوضع العامّ مضطرباً؛ لسيطرة الأتراك على السلطة أولاً، ولما كان يحدث من حركات ضدّ السلطة في أقاليم الدولة ثانياً. فضلاً عن مطاردة السلطة للشيعية والمضايقة على الإمام عليه السلام وعليهم وتشديد المراقبة من جهة ثالثة.

وأهم هذه الأحداث في عصر المعتمد:

أ. ثورة الزنج: كانت ثورة الزنج حدثاً مهماً لما نتج عنها من آثار سيّئة، فقد صاحب حركة الزنج هذه، قتل، ونهب، وسلب، وإحراق ممّا أدّى إلى اضطراب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في عدّة أمصار سيطر عليها صاحب الزنج، فبدأت ثورتهم في البصرة وامتدّت إلى الأهواز وعبّادان وغيرهما.

وقد كلف القضاء على هذه الحركة الدولة كثيراً من الأموال والجند الذين هزمهم

١. تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص ٣٦٣.

٢. سبائك الذهب، ص ٨٧.

صاحب الزنج في أكثر من واقعة، وأخيراً تمكّنت الدولة من القضاء عليهم^١. وقد ادّعى صاحب الزنج علي بن محمد أنّه ينتسب إلى الإمام علي عليه السلام، ولكن الإمام الحسن العسكري عليه السلام كذب هذا الادعاء، فعن محمد بن صالح الخنمي قال: كتبت إلى أبي محمد - الحسن العسكري عليه السلام - أسأله - وكنت أريد أن أسأله عن صاحب الزنج الذي خرج بالبصرة - فوقّع عليه السلام: «صاحب الزنج ليس مِنّا أهل البيت»^٢. وفي نص الإمام عليه السلام هذا دلالة على عدم شرعية ثورة صاحب الزنج وعدم ارتباطها بخطّ أهل البيت عليهم السلام، وأنها بعيدة عن الالتزام بمبادئ الإسلام.

ب. حركة ابن الصوفي العلوي: وقد ظهر في صعيد مصر إبراهيم بن محمد من ولد عم ابن علي بن أبي طالب^٣.

ويعرف بابن الصوفي وملك مدينة أسنا^٤. وكانت معارك بينه وبين جيش الدولة بقيادة ابن طولون اقتتلوا فيها قتالاً شديداً فقتل من رجال ابن الصوفي الكثير وانهزم، ثمّ كانت وقعة أخرى مع جنده عام (٢٥٩ هـ) وانهزم ابن الصوفي أيضاً إلى المدينة وألقي القبض عليه وأُرسِل إلى ابن طولون في مصر^٥.

ج. ثورة علي بن زيد في الكوفة: كانت حركته في الكوفة سنة (٢٥٦ هـ) واستولى عليها، وأزال عنها نائب الخليفة، واستقرّها، وسير إليه المعتمد الشاه بن مكيال في جيش كثيف فالتقوا واقتتلوا وانهزم الشاه وقتل جماعة كثيرة من أصحابه، ثمّ وجّه المعتمد كيجور التركي لمحاربته، وقد أرسل كيجور إلى علي بن زيد يدعوه إلى الطاعة وبذل له الأمان، وطلب علي بن زيد أموراً لم يجبه كيجور إليها، فخرج علي بن زيد

١. راجع الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٣٠ - ٤٤٥.

٢. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٤٢٤.

٣. تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٥٠٦.

٤. الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٣٢.

٥. الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

من الكوفة وعسكر في القادسيّة فبلغ خبره كيجور فاشتبكوا وانهزم علي بن زيد وقُتل جماعة من أصحابه^١.

وحصلت حوادث أخرى في عهد المعتمد فقد استولى الحسن بن زيد العلوي على جرجان وقتل كثيراً من العساكر وغنم هو وأصحابه ما عندهم وخرج مساور الخارجي وطوق من بني زهير وهو من الخوارج أيضاً وقاتلهم الحسن بن أيوب بن أحمد العدوي وهزمهم وقطع رأس مساور وأنفذه إلى سامراء^٢.

وقد استمرت هذه الحركات التي كانت ضدّ الدولة العباسيّة الجائرة حتّى سقوط بغداد على يد التتار عام (٦٥٦ هـ).

د. المعتمد والإمام العسكري عليه السلام: سعى المعتمد جاهداً في التخلص من الإمام العسكري عليه السلام أي أنه سار على ذات المنهج الذي اتبعه أسلافه من الخلفاء الأمويين والعباسيين مع الأئمة المعصومين عليهم السلام غير أن موقفه هذا سرعان ما تغير ظاهراً، وقدّم الاعتذار للإمام عليه السلام بعد محاولة قام بها لتصفيته وذلك برميّه مع السباع حين سلّم أمر الإمام عليه السلام إلى يحيى بن قتيبة الذي كان يضيق على الإمام عليه السلام ورمى به إلى مجموعة من السباع ظناً منه أنها سوف تقتل الإمام عليه السلام مع العلم بأن امرأة يحيى قد حذّرت من أن يمسّ الإمام بسوء فقالت له: إتق الله فإنّي أخاف عليك منه، وروي أن يحيى بن قتيبة قد أتاه بعد ثلاث مع الأستاذ فوجده يصلي، والأسود حوله، فدخل الأستاذ الغيل - أي موضع الأسد - فمزقته الأسود وأكلته، وانصرف يحيى في قومه إلى المعتمد وأخبره، فدخل المعتمد على العسكري عليه السلام وتضرّع إليه، وسأله أن يدعو له بالبقاء عشرين سنة في الخلافة فقال الإمام عليه السلام: «مدّ الله في عمرك»، فأجيب وتوفي المعتمد بعد عشرين سنة^٣.

١. الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٤٧.

٢. الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٣٩.

٣. المناقب، ج ٤، ص ٤٣٠.

واستمر المعتمد في التضييق على الإمام الحسن العسكري عليه السلام فيما بعد حتّى ألقاه في سجن علي بن جرير وكان يسأله عن أخباره فيجيبه: إنه يصوم النهار ويقوم الليل^١.

هـ. المعتمد وموقفه من الشيعة: لم تتغير الإجراءات القمعية التي كانت تمارسها السلطة العباسية تجاه الشيعة في عصر المعتمد بل كانت امتداداً للسياسة المعهودة والتي أصبحت تقليداً يتوارثه الخلفاء العباسيون إزاء الأئمة الأطهار عليهم السلام وشيعتهم وذلك لما كان يخشاه الخلفاء من تطور الوضع لصالحهم واتّساع نشاطهم السياسي ممّا قد ينجم عنه تغيّر الوضع ضدّ السلطة القائمة، والتفاف الناس بشكل أكبر حول الإمام عليه السلام، وبالتالي قد يتخذ الإمام موقفاً جهادياً تجاه الخليفة وسلطته.

وكانت أساليب السلطة تجاه الحركة الشيعية نفس ماعهدها في عصور سابقة وهي:

١. المراقبة ضدّ تحرّكات أصحاب الإمام وشيعته.
٢. السجن، وكانت تعتمد إليه السلطة من أجل الحدّ من نشاط أصحاب الإمام عليه السلام.
٣. القتل حين لا ترى السلطة جدوى في أساليبها الأخرى تجاه الشيعة، وتشعر بتنامي نشاطهم فتلجأ إلى قتل الشخصيات البارزة والمقرّبين من الإمام عليه السلام.

الناص

□ كان الوضع العام في عهد المعتمد العباسي مضطرباً، وقد عاصر الإمام عليه السلام من حكمه خمس سنوات، حتى استشهد الإمام عليه السلام وكانت السلطة تطارد الشيعة وتضطهدهم وتضيّق على الإمام عليه السلام فكانت هناك صعوبات واجهها الإمام عليه السلام والجماعة الصالحة. كما أنه قد حدثت عدّة وقائع وثورات خلال هذا العهد، كثورة الزنج وحركة ابن الصوفي العلوي وثورة علي بن زيد في الكوفة.

□ ولم يختلف المعتمد عن سابقه في التضييق على الإمام عليه السلام والسعي للتخلّص منه ومتابعة الشيعة واضطهادهم ومحاولة التأثير فيهم لعزلهم عن الإمام العسكري عليه السلام.

□ فكانت وسائل السلطة اتّجاههم تتدرج من المراقبة والتضييق ثمّ السجن أو القتل.

الأسئلة

١. ما هي خصائص المعتمد وعصره؟
٢. ما هي أهمّ الحركات الثورات التي عاصرها الإمام العسكري عليه السلام؟
٣. ما هو موقف المعتمد من الشيعة؟
٤. كيف واجه المعتمد الإمام عليه السلام من أجل أن يحدّ من دوره؟
٥. كيف واجه الإمام عليه السلام المصاعب والمحن التي مرت بالجماعة الصالحة؟

ملاحع عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام (٣)

و. المعتمد والاستسقاء بالرهبان

وفي عهد المعتمد أصاب أهل سامراء الجذب والمجاعة لشحة المياه وقلة الأمطار فدعا المعتمد الرهبان وغيرهم وخرج هو ورجالات بلاطه للاستسقاء وكان هناك راهب ينفرد عن باقي الرهبان ويرفع يديه فتنهمر الأمطار وقد تكرّر ذلك ليومين متواليين فاضطرب الناس وارتدّ بعضهم ممّا اضطرّ المعتمد إلى الالتجاء للإمام العسكري عليه السلام ليفرج عن أمة جدّه رسول الله ﷺ ممّا فيه من ارتداد وشكّ، فأمر الإمام العسكري أن يخرجوا في اليوم الثالث، ولما رفع الراهب يديه تجمّعت الغيوم والسحب في السماء، فقال الإمام عليه السلام لهم إنّ هذا الراهب في يده عظم من عظام الأنبياء وأنها إذا ما أظهرت تحت السماء تغيم وتمطر فأخذوا منه العظم فانكشفت الغيوم وعمّ الصخو السماء، ولما رفع الراهب يديه لم يحدث شيء فلم يتجمّع السحاب ولم تمطر السماء^١.

وفي هذه القصة دلالات كثيرة منها:

١. أنّ المعتمد كان على يقين من أنّ للإمام عليه السلام شأنًا كبيراً عند الله سبحانه وأنّه

أولاً بأمر هذه الأمة، غير أن المعتمد في عدم دعوته الإمام عليه السلام للاستسقاء كان يهدف إلى إبعاد الإمام عن التأثير في الناس فيما إذا ظهرت تلك الكرامة على يديه حين يدعو الله ليبذل جديهم ريعاً مقدماً.

٢. تظهر لنا هذه القصة مدى نفوذ أهل الكتاب ومدى تأثيرهم في مجرى الأحداث وما كانوا يتمتعون به من حرية في هذا العصر وغيره، في حين أن الإمام عليه السلام وشيعته يعانون من المطاردة والاضطهاد والإبعاد عن التدخل في كثير من الأمور التي لا تصلح ولا يمكن معالجتها إلا عن طريق الإمام عليه السلام؛ لصلته القوية بالله سبحانه وهو القيم على الرسالة والأمة والدولة جميعاً.

ز. الحركة الشيعية في عصر الإمام العسكري عليه السلام

لقد تزامن التشيع مع ظهور الإسلام وصاحبه في طريقه، شأنه شأن العقائد والمبادئ التي تحمل رسالة لتغيير الواقع والنهوض به وفقاً لمبادئها ومفاهيمها عن الإنسان والحياة والكون.

وكانت تلك المزامنة والمصاحبة يوم أنذر الرسول ﷺ عشيرته امتثالاً لقوله تعالى: «وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» وقد جمع النبي ﷺ عشيرته الأقربين فأنذرهم وجعل ﷺ السمع والطاعة لمن يؤازره على أمره على أن يكون السابق منهم في الاستجابة أخاه ووزيره، فلم يجبه غير ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام^١.

وكما تتعرض الحركات والمذاهب والأحزاب الهادفة للتغيير إلى المعارضة من قبل السلطات الجائرة وتحتل التنكيل والاضطهاد بمختلف أشكاله فقد تعرض حملة التشيع وهم أهل البيت وأتباعهم لما لم يتعرض له أي مذاهب من المذاهب الإسلامية على امتداد التاريخ الإسلامي ولم ينل أصحاب سائر المذاهب من العذاب والمطاردة

١. تراجع تاريخ الطبري، ج ٢، تاريخ ما قبل الهجرة وسيرة ابن هشام و تفسير الفخر الرازي (و تفسير هذه الآية وغيرها).

ومصادرة الأموال والأموال مالم يه جملة التشيع على طول الخط، ماعدا فترات قصيرة كان الحكم فيها لأتباع مذهب أهل البيت والمتعاطفين معهم.

علماً بأن الفترة التي انتعش فيها التشيع هي مدة خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وستة أشهر من خلافة الإمام الحسن بن علي عليه السلام حيث اضطر بعدها - لظروف قاهرة - لعقد الصلح مع أول ملوك بني أمية (معاوية بن أبي سفيان) ^١ مؤسس الدولة الأموية في الشام والذي أجمع المؤرخون على أنه امتلك زمام الأمر بالقهر والغلبة دون رضئ المسلمين ومشورتهم، وهو مؤسس نظام الوراثة بتوليته لابنه يزيد من بعده.

وكانت الأمصار التي يقطنها الشيعة تحت إمرة ولاية عتاء أشداء عرفوا بالنصب والعداء لآل الرسول صلَّى الله عليه وآله مثل زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد والحجاج وغيرهم، حتَّى كان عهد الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام هو عصر تحوّل وانتقال، حيث ضعفت الدولة الأموية وبدأت حركة العباسيين ثم قامت دولتهم، فكان لنشاط هذين الإمامين المعصومين وجهودهما العلمية والفقهية أثر بارز في تاريخ الحضارة الإسلامية بشكل خاصّ لما امتاز به عهدهما من عطاء ثرّ في العقيدة والفكر بل وفي مختلف العلوم الإسلامية فكان ذلك أفضل ما قدّمه أصحاب الفكر الإسلامي وأحسن ما جاءوا به من عطاء.

وأخذ التشيع ينتشر ويتسع بشرياً وجغرافياً خلال القرنين الثاني والثالث برعاية الأئمة الأطهار وبفضل تعاليمهم وجهادهم المتواصل بالرغم من ضيق الحصار المفروض عليهم من قبل السلطات الحاكمة وأجهزتها التي كانت تلاحقهم في كلّ مكان ^٢.

١. يراجع تاريخ يعقوبي، ج ٢، خلافة معاوية والطبري، ج ٣، أحداث سنة ٤٠ - ٤١ هـ.

٢. سيرة الأئمة الإثني عشر، هاشم معروف الحسيني، ج ٢، ص ٥١٤.

وكان لانتشار الفكر الشيعي وكثرة معتنقيه أكبر الأثر في دفع المأمون العباسي لإكراه الإمام الرضا عليه السلام على قبول ولاية العهد محاولة منه لوضع الإمام عليه السلام تحت المراقبة الشديدة وعزله عن شيعته ومواليه وبالتالي تحجيم دوره، وأخيراً دس له السم وقتله عسى أن يتخلص من شخصه الذي كان يعتبره محور الحركة الشيعية بشكل خاص.

وفي عهد الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام وبعد استشهاد الإمامين الرضا والجواد عليه السلام لم تتوقف الحركة الشيعية عن التوسع والانتشار بل قد اتسع وانتشر التشيع في أمصار العالم الإسلامي كقم والري، والكوفة، وبغداد، والمدائن، ومصر، والحجاز وحتى في عاصمة العباسيين سامراء^١.

ومن هنا كان من الضروري أن نتعرف على المنهج والأسلوب والوسائل التي اتبعتها الإمام العسكري عليه السلام في مواجهة الظروف الصعبة التي واجهته وواجهت شيعته من قبل السلطة في نشر وتربية ورعاية شيعته ومواليه متجاوزاً بذلك أساليب السلطة ضده وضد شيعته.

لقد اتبع الإمام الحسن العسكري عليه السلام تخطيطاً خاصاً في مجال تربية وإعداد الشيعة، ويتضمن هذا التخطيط جوانب متعددة: منها ما يختص بعهد عليه السلام وما يكتنفه من أحداث مختلفة، ومنها ما يختص بالتمهيد لغيبة الإمام المنتظر (عج) ومنها ما يختص بالوضع الامتدادي للمذهب بعد عصره عليه السلام وإلى حين ظهور الإمام (عج) وإقامة دولة الحق والعدل والتي لا تكون إلا في ظل حكومته الكريمة، إذ لا تقام بغير المعصوم عليه السلام ونلاحظ هذه الجوانب على الترتيب التالي:

١. منهجه ومواقفه تجاه حوادث عصره.

٢. نهجه وأسلوبه التي مهد بها لإمامة ولده محمد ولغيبته عليه السلام.

٣. منهجه وأساليبه التي ترتبط بالإعداد للظروف المستقبلية بعد عصره أي في عصر الغيبة الكبرى للإمام الحجة بن الحسن عليه السلام وحتى ظهوره عجل الله فرجه الشريف.

منهج الإمام العسكري عليه السلام في مواجهة أحداث عصره

اتبع خلفاء بني العباس سياسة خاصة تجاه الأئمة الأربعة: الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام، وقد تعزى هذه السياسة بالتبعية التاريخي إلى إتساع القاعدة الموالية لهؤلاء الأئمة القادة وإلى مالهم من تأثير في الأمة وانشداد الواعين من أبنائها بهم ولذا انتهج العباسيون اتجاه الإمامين الهادي والعسكري عليهم السلام بالخصوص سبلاً خاصة لتحجيم دورهما ومحاولة منهم لوضع حاجز بين الإمام ومواليه.

ويمكن إجمال هذه السبل التي اتبعها الخلفاء تجاه الإمام العسكري عليه السلام ومن قبله الإمام الهادي عليه السلام في مايلي:

١. تقريب الإمام عليه السلام من البلاط.
٢. المراقبة الشديدة والفحص عن أمور الإمام صغيرها وكبيرها.
٣. إكرامه واحترامه ظاهراً لأجل ذر الرماد في العيون وإسكات من يحاول الاحتجاج على المراقبه والمضايقة^١.
٤. اتخاذ إجراءات صارمة تجاه الإمام عليه السلام من سجن أو مداومة في بيته أو غيرهما إذا اقتضت الضرورة بحسب ماتراه السلطة تجاهه.

إجراءات الإمام عليه السلام إزاء رقابة السلطة

وقد اتخذ الإمام الحسن العسكري عليه السلام أساليب مضادة إزاء أساليب السلطة

وحسب ماتفرضه الظروف الخاصة به وبشيعة الذين كانوا ينتشرون ويتركزون في الكوفة، وبغداد، وقم، ونيسابور والبصرة وسامراء، وغيرها من أمصار الدولة الإسلامية. لقد كان اتصال الإمام الحسن العسكري عليه السلام بشيعة وخاصة في هذه الأمصار، يتم عن طريقين:

أحدهما عن طريق الوفود التي تتقدم إلى حاضرة الدولة - سامراء - وبذلك كانت تصل الأموال إلى الإمام عليه السلام مع الحقوق والضرائب الإسلامية مع إيصال ما يحتاجه الشيعة من استفتاءات وعرض لأموالهم الشخصية والاجتماعية عليه.

ثانيهما: كان الإمام عليه السلام قد جعل له وكلاء في الأقاليم التي يسكنها الشيعة وكان يتم عن طريقهم إيصال المعلومات الخاصة من الإمام عليه السلام إلى أتباعه ومن أتباعه إلى الإمام كما كان يصل إلى الإمام عليه السلام ما يعاينه شيعة وما يحتاجون إليه فيتم إرسال الجواب عن طريق هؤلاء الوكلاء.

الإمام العسكري و الجماعة الصالحة

تضمن منهج الإمام عليه السلام في تربية ورعاية شيعة وأنصاره منحيين ويتضح ذلك من خلال ما بينه الإمام عليه السلام في رسائله ووصاياه وأحاديثه التي تناقلها الشيعة جيلاً بعد جيل.

المنحى الأول: وهو ما يختص بالأمور العامة والأحداث التي كان يزر بها الواقع من متغيرات ثقافية وفكرية وعقائدية ولا سيما ما يتعلق بالآراء والأفكار التي تصدر عن مخالفين الإمام ووعاظ السلاطين وسواهم، والمنحى الثاني وهو، ما يختص بالشيعة من حيث الاهتمام بهم وحفظهم كمجموعة صالحة وقاعدة شعبية أمينة في داخل المجتمع الإسلامي.

وتوعدت اهتمامات الإمام الحسن العسكري بشيعة كما يلاحظ ذلك من خلال النصوص التي بأيدينا وهي:

أ . قضاء حوائجهم.

ب . الإجابة على الاستفتاءات المتعلقة بالمستجد من الأمور غير الحركية ومنها ما يتعلق برّد الشبهات أو ما يدخل في إطارهما كما في ردّه على تناقضات القرآن التي كتبها الكندي عن طريق أحد تلامذته.

ج . تحذيرهم من الفتن الناتجة عن اضطراب الوضع السياسي للدولة.

د . إصلاح ذات البين فيما كان يشجر بينهم.

هـ . وصاياه بالابتعاد عن الجدل والخوض في أمور لا تنفي.

و . الاهتمام بهذيب نفوسهم بشكل خاص كي يجعلهم في قمة المجتمع الإسلامي، ونشير إلى بعض النقاط التي كان يركّز عليها الإمام عليه السلام في تربيته لشييعته فيما يلي:
نصوص تربوية للإمام عليه السلام: لقد رسم الإمام العسكري عليه السلام خطأً تكاملياً لأتباعه كي ينتهجوه في تربية نفوسهم وتنمية الملكات النفسية العالية لفهمهم باتجاه الحق سبحانه وتعالى وإبعاداً لهم عن دائرة الانحرافات السائدة في المجتمع آنذاك، فكرياً وسلوكياً.

ف نجد الإمام عليه السلام يُحذّر أصحابه من الغضب ونتائجه السيئة التي تنجم عنه، فقد ورد عنه عليه السلام أنّه قال: «الغضب مفتاح كلّ شر»^١.

كما ورد عنه عليه السلام أيضاً التحذير من مخالطة الجاهل ومداومة مصاحبته فقد قال: «صديق الجاهل تعبان»^٢.

كما أكدّ عليه السلام صعوبة تغيير وضع وحالة الجاهل، وإذن فلا جدوى من استمرار مصاحبته بغية إصلاحه، فترك مخالطته تكون آخر أسلوب لردعه، من هنا يقول الإمام عليه السلام: «رياضة الجاهل وردّ المعتاد عن عادته كالمعجز»^٣.

١ . تحف العقول، ص ٣٦٢.

٢ . تحف العقول، ص ٣٦٣.

٣ . تحف العقول، ص ٣٦٣.

ويوضح الإمام عليه السلام آثار خصلة ذميمة أخرى تفقد الإنسان المؤمن شخصيته ومهابته، وهذا الخصلة هي المراء، فقد قال الإمام عليه السلام ناصحاً أصحابه: «لاتمار فيذهب بهاؤك»^١، وقال أيضاً: «لاتمازح فيجتراً عليك»^٢.

ثم يرسم عليه السلام في نص آخر صورة أوضح لمعالم الشخصية الإسلامية وهي: أنَّ المؤمن لاتقوده رغباته ولايخضع لسلطان الشهوات، فقد ورد عنه عليه السلام أَنه قال: «ماأقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تُذله»^٣.

ويحدّد عليه السلام لأصحابه معايير سلوكيه ليألفهم الناس ويتألفوهم، ومما ورد عنه عليه السلام في هذا المجال:

١ . قوله عليه السلام: «أقلّ الناس راحةً الحقوق»^٤.

٢ . «وليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون»^٥.

٣ . «من التواضع السلام على كلّ من تمرّ به والجلوس دون شرف المجلس»^٦، و«التواضع نعمة لايحسد عليها»^٧.

٤ . «المؤمن بركة على المؤمن وحجّة على الكافر»^٨.

كما نهى عليه السلام أصحابه من التلون ومخالطة الناس بوجوه متعدّدة حيث يؤثر ذلك في العلاقات التي تربطهم بالآخرين، قال عليه السلام: «بئس العبد عبدٌ يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطي حسده، وإن أبغى خانه»^٩.

ورسم لهم طريقاً سليماً في إصلاح ما يظهر من بعضهم من معائب، ومما قاله عليه السلام «من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه»^{١٠}.

١ . تحف العقول، ص ٣٦٣.

٢ . تحف العقول، ص ٣٦٣.

٣ . تحف العقول، ص ٣٦٤.

٤ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ . تحف العقول، ص ٣٦٢ - ٣٦٤.

١٠ . تحف العقول، ص ٣٦٤.

٥. وأوضح الإمام عليه السلام لأصحابه مفهوم العبادة الإسلامية، فهي ليست بكثرة القيام والسجود بل هي كما يحددها حديث الإمام عليه السلام بقوله: «ليست العبادة كثرة القيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله»^١.

ونرجح أن يكون هذا النص رداً على بعض الفرق التي عاصرت الإمام عليه السلام والتي تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعزفت عن مشاغل الحياة والتجأت إلى العبادة الصورية التي أشار إليها الإمام عليه السلام موضحاً مسلك هؤلاء وطريقتهم، لأن الإسلام رسالة وعقيدة تشتمل مفاهيمها ومبادئها على حلول وصيغ عملية لجميع جوانب حياة الإنسان، ومشاكله المتعددة.

إن هذه الجولة القصيرة في بعض نصوص الإمام عليه السلام تكشف لنا أسساً لبناء الشخصية الإسلامية إذ ترسم له منهجاً ذا طرائق متعددة للتعامل مع الآخرين مقياسه في جميعها رضا الله سبحانه المتجلي في هدي الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام. وهناك جانب مهم في علاقة الإمام عليه السلام بشيعته من حيث إعدادهم وتربيتهم ألا وهو الإحاطة التامة بشؤونهم العامة مالية كانت أو اجتماعية أو أسرية إذ كان عليه السلام يبادرهم إلى قضائها فيوصل لهم ما يحتاجونه من مالٍ أو غيره أو دعاءٍ يتضمن طلباً خاصاً كالشفاء من مرض أو طلب الولد أو الحصول على غير هذه الأشياء التي يعسر نيلها والحصول عليها بغير دعائه عليه السلام.

ومن هذه الأمور التي تعكس اهتمام الإمام عليه السلام بالبلغ بأحوال شيعته ومواليه ما قدمه من نصح لأحدهم: أن لا يدخل في صفقة تجارية محذراً أياً من إصابة الجراد لما أراد الشركة فيه مع أحد الأشخاص، وكان الأمر كما قال الإمام عليه السلام^٢.

وعن جعفر بن محمد بن موسى قال: «كنت قاعداً بالعشي فمر بي وهو راكب

١. تحف العقول، ص ٣٦٣.

٢. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٤٢٣.

وكنْتُ أَشْتَهِي الولد شهوة شديدة فقلت في نفسي: تُرى أرزق ولداً؟ فقال برأسه: أي نعم: فقلت: ذكراً؟ فقال برأسه: لا، فولدت لي بنت.

وفي نفس هذا المجال نلاحظ مانقله جعفر بن محمد القلانسي قال: كتب محمد أخي إلى أبي محمد عليه السلام - وامراته حامل مقرب - أن يدعو الله أن يخلصها ويرزقها ذكراً، ويسميه، فكتب - الإمام عليه السلام - يدعو الله بالصالح وقال: رزقك الله ذكراً سوياً، ونعم الاسم محمد وعبدالرحمن، فولدت اثنين في بطن، فسَمَّيَ واحداً محمداً والآخر عبدالرحمن^١ إلى كثير من هذه القضايا^٢.

الناص

□ كان لإحادته الاستسقاء التي قام بها راهب مسيحي دور في اختلال اعتقاد الناس وخشي المعتمد من أن ترتد الأمة فأخرج الإمام العسكري عليه السلام من السجن ليحل هذا الأمر الجليل وفعل ما أن خرج الإمام عليه السلام حتى دحض حجة، الراهب وأعاد الأمة إلى صوابها وارتباطها بعقيدتها، وكان للإمام عليه السلام منهج خاص للتعامل مع الأحداث والوقائع وتربية الجماعة الصالحة وإبعادها عن مواطن الخطر.

□ ووجد المتتبع للأحداث التاريخية منذ عصر المأمون وحتى خلافة المعتمد العباسي أنها تتسم بمواصفات وخصائص متقاربة تطبع المنهج الذي اتبعه العباسيون تجاه الأئمة الأربعة الرضا عليه السلام والجواد والهادي ومن ثم العسكري عليه السلام ويعود ذلك إلى اتساع القاعدة الموالية للأئمة عليهم السلام وانتشار أمرهم لتأثر الأمة وتعلقها بهم مما يزيد في حنق السلاطين

١. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

٢. راجع مسند الإمام الحسن العسكري عليه السلام وبحث دلالة عليه السلام.

فيذهبون إلى المراقبة والتشدد تجاه الأئمة والشيعة. ومن هنا نجد أن أحد أساليب السلطة هو تقريب الإمام العسكري عليه السلام من البلاط ومراقبته ووضع العيون عليه لئلا يمنع من ممارسة دوره في بناء الأمة والمجتمع الإسلامي، وقد جعل الإمام عليه السلام وكلاء له يتصل بهم أهل الأمصار كما يلتقون به عن طريق الوفود القادمة إلى العاصمة سامراء.

□ وكان لمنهجه التربوي أثر بالغ في تنمية الجوانب الفكرية والروحية للقواعد الموالية، فقد صدرت عنه عليه السلام وصايا ورسائل تخص رفع الجانب الأخلاقي وتنمية القابلية في التعامل مع الواقع بمتناقضاته.

الأسئلة

١. بماذا امتاز منهج المأمون حتى عصر المعتمد مع الأئمة عليهم السلام؟
٢. ما هي أساليب الإمام العسكري عليه السلام في مواجهة أساليب السلطة العباسية؟
٣. ما هي ملامح المنهج التربوي للإمام عليه السلام؟
٤. كيف كانت تتصل الجماعة الصالحة بالإمام عليه السلام؟
٥. ما هي المعايير السلوكية التي وضعها الإمام عليه السلام لأصحابه؟

متطلبات عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام (١)

موقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام من الفرق والمذاهب

لقد اختلف المسلمون بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وافترقوا إلى فرقتين، فرقة اجتهدت مقابل النصوص الواردة عنه صلى الله عليه وآله، وأخرى التزمت النص ومنهجه في حياتها ومواقفها وسارت وفقاً له.

ومع امتداد تأريخ الدولة الإسلامية تفرعت كل فرقة إلى فروع فظهرت فرق متعدّدة، كالمرجئة، والمعتزلة، والخوارج التي نشأت بعد قضية التحكيم في وقعة صفين في عهد الحكم العلوي والتي حدثت بعد وقعة الجمل عام ٣٦ هـ.

وقد تصدّى الأئمة الأطهار عليهم السلام باعتبارهم حماة الرسالة والعقيدة الإسلامية للفرق الضالّة في عصورهم فكان لكلّ إمام مواقف خاصّة مع كلّ فرقة من هذه الفرق التي كان يخشى من تأثير انحرافاتهما على الأمة المسلمة وبمقدار ابتعاد كلّ فرقة عن مبادئ الإسلام الحنيف والسنة المحمّديّة الشريفة كان التصدي من الإمام يأخذ حجمه المطلوب كمّاً وكيفاً، موضعاً في مواقفه انحرافاتهم ومبيّناً لشيعته ما يجب أن يتخذوه من مواقف إزاء كلّ فرقة من هذه الفرق.

١. الإمام عليّ عليه السلام والصوفيّة

لقد أوضح الإمام عليّ عليه السلام لأصحابه فساد معتقدات الصوفيّة من خلال بيانه لآرائهم وأساليبهم في التعامل وعلاقاتهم مع الناس ومن ثمّ ما يتحلون به من صفات وخصائص، ونلاحظ ذلك في حديث الإمام العسكري عليه السلام مع أبي هاشم الجعفري - وهو أحد أصحابه - قال له الإمام عليّ عليه السلام: يا أبا هاشم: سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة، مستبشرة، وقلوبهم مظلمة منكدرّة، السّنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سُنّة، المؤمن بينهم محقّر والفاسق بينهم موقّر، أمراؤهم جاهلون، جائرون، وأصاغرهم يتقدّمون على الكبراء، وكلّ جاهل عندهم خبير وكلّ محيل عندهم فقير، لا يتميّزون بين المخلص والمرتاب، ولا يعرفون، الضّئان من الذّئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنّهم يميلون إلى الفلسفة والتصوّف، وأيم الله إنّهم من أهل العدول والتحرّف، يبالغون في حبّ مخالفتنا ويضلّون شيعتنا ومواليّنا، فإن نالوا منصّباً لم يشبعوا من الرّثاء، وإن خذّلوا عبدوا الله على الرّياء، إلّا إنّهم قطع طريق المؤمنين والدعاة إلى نحلة الملحدّين، فمن أدركهم فليخذّهم وليصن دينه وإيمانه. ثمّ قال: يا أبا هاشم: هذا ما حدّثني به أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد عليه السلام وهو من أسرارنا فاكتمه إلّا عن أهله^١.

والإمام عليّ عليه السلام يحدّد آراء وأفكار فرقة سيكون لها شأن فيما بعد زمانه ولما لها من أثر على عوام الناس وسواهم، نجد الإمام عليّ عليه السلام يحذّر شيعته منهم حفاظاً على عقيدتهم من الانحراف على يدي هؤلاء الذين يصعب على الإنسان أن يميّز بين المخلص والمرتاب منهم والإمام عليّ عليه السلام ينبّه أبا هاشم إلى أنّ ما حدّثه به هو حديث عن آبائه عليه السلام أي أنّ الأئمّة قد حدّروا الشيعة جيلاً بعد جيل.

١ . ذرائع البيان في عوارض اللسان، ص ٣٨؛ حديقّة الشيعة، ص ٥٩٢؛ الأنوار

٢. الإمام الرضا عليه السلام والواقفة

والواقفة جماعة، وقفت على إمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ولم تقل بإمامة الإمام الرضا عليه السلام، وكان المؤسس لمذهب هذه الجماعة زياد بن مهران وعلي بن أبي حمزة، وعثمان بن عيسى، وكان سبب توقّفهم هو أنّ زياد بن مهران كانت عنده سبعون ألف دينار من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فأظهر هو وصاحبه القول بالوقف طمعاً بالمال الذي كان عندهم^١.

روى شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي عليه السلام عن ابن يزيد عن بعض أصحابه قال: مضى أبو إبراهيم - الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - وعند زياد القندي سبعون ألف دينار وعند عثمان بن عيسى الرواسي ثلاثون ألف دينار، وخمس جوارى ومسكنه بمصر، فبعث إليهم أبو الحسن الرضا عليه السلام أن أحملوا ما قبلكم من المال، وما كان اجتمع لأبي عندكم، فإني وارثه وقائم مقامه، وقد اقتسمنا ميراثه - وبهذا أشار الرضا عليه السلام إلى موت الإمام الكاظم عليه السلام - ولا عذر لكم في حبس ما قد اجتمع لي ولورثته قبلكم.

فأما أبو حمزة فإنه أنكره ولم يعترف بما عنده، وكذلك زياد القندي، وأما عثمان ابن عيسى فإنه كتب إليه - أي إلى الإمام الرضا عليه السلام -: إنّ أباك صلوات الله عليه لم يمت وهو حيّ قائم، ومن ذكر أنّه مات فهو مبطل، واعمل على أنّه مضى كما تقول، فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وأما الجوارى، فقد أعتقتهن وتزوجت بهن^٢.

وقد ذمّهم الأئمة: الرضا، والجواد، والهادي والعسكري عليهم السلام وتبرّأ منهم، وقد سأل أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام عمن وقف على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قائلاً: أتولّاهم أم أتبرّأ منهم؟ فكتب عليه السلام: «أترحم على عمك لا رحم الله عمك وتبرّأ منه، أنا إلى الله منه بريء فلا تتولّهم، ولا تعد مرضاهم، ولا تشهد جنازتهم،

١. يراجع رجال الكشي، ص ٣٩٦؛ سفينة البحار، ج ١، ص ٥٨١.

٢. الغيبة، ص ٤٣.

ولاتصل على أحد منهم مات أبداً سواء أ من جحد إماماً من الله أو زاد إماماً ليست إمامته من الله... إن الجاحد أمر آخرنا جاحد أمر أولنا، والزائد فينا كالتاقص الجاحد أمرنا^١. وكان هذا السائل لا يعلم أن عمه كان منهم، فأعلمه الإمام عليه السلام بذلك.

٣. الإمام عليه السلام والثنوية

والثنوية من الفرق التي ظهرت في عصر الإمام العسكري عليه السلام، وهم القائلون بأزلية النور والظلمة^٢. أو من أثبت مع القديم قديماً غيره^٣.

وروى الشيخ الكليني رحمه الله عن إسحاق قال: أخبرني محمد بن الربيع الشالي؟ قال ناظرت رجلاً من الثنوية بالأهواز، ثم قدمت سر من رأى وقد علق بقلبي شيء مما قاله، فأتني لجالس على باب أحمد بن الخضيب، إذ أقبل أبو محمد عليه السلام من دار العامة يوم المركب، فنظر إلي وأشار بسبابته أحد أحد، فرد فسقطت مغشياً علي^٤. وكتب إليه أحد أصحابه يسأله الدعاء لوالديه، وكان الأب ثنويّاً والام مؤمنة فكتب عليه السلام، رحم الله والدتك، والتاء منقوطة^٥.

٤. الإمام العسكري عليه السلام والمفوضة

المفوضة: جماعة قالت إن الله خلق محمداً وفوض إليه خلق الدنيا، فهو الخلاق لما فيها، وقيل: فوض ذلك إلى الإمام علي عليه السلام^٦ والأئمة عليهم السلام من بعده. وعن إدريس بن

١. كشف الغمّة، ج ٣، ص ٣١٩ و بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٧٤.

٢. الملل والنحل الشهرستاني، ج ١، ص ٢٤٤.

٣. مجمع البحرين الطريحي، ص ١٦.

٤. كافي الشيعة، ج ١، ص ٥١١.

٥. إثبات الهداة، ج ٣، ص ٤٢٧.

٦. تراجع معجم الفرق الإسلامية، ص ٢٣٥.

زياد الكفرتوثائي قال: كنت أقول فيهم: قولاً عظيماً فخرجتُ إلى العسكر للقاء أبي محمد عليه السلام، فقدمت وعليّ أثر السفر وعناؤه، فألقيتُ نفسي على دكان حمام، فذهب بي النوم، فما انتبهتُ إلا بمقربة أبي محمد عليه السلام، قد قرعني بها حتّى استيقظت، فعرفته صلّى الله عليه فقمتُ قائماً أقبل قدمه وفخذه، وهو راكب، والفلمان من حوله فكان أول ما تلقّاني به أن قال: يا إدريس، «بل عبادة مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»^١.

فقلت: حسبي يا مولاي وإنما جئتُ أسألك عن هذا، قال: فتركني ومضى^٢. وإنّ قوماً من المفوضة قد وجّهوا كامل بن إبراهيم المدني إلى أبي محمد عليه السلام قال كامل: قلت في نفسي أسأله عن الحديث المرويّ عنه عليه السلام: لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتي، وكنت جلستُ إلى باب عليه ستر مرخى، فجاءت الريح فكشفت طرفه فإذا أنا بفتى كأنه فلقه قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم؛ فاقشعرت من ذلك وألهمت أن قلت: لبيك ياسيدي.

فقال: جئت إلى وليّ الله تسأله «لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتك وقال بمقالتك»؟

قلت: إي والله.

قال: إذن والله يقلّ داخلها والله إنّه ليدخلها قوم يقال لهم الحقيقة.

قلت ومن هم؟

قال: «قوم من حبّهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام يحلفون بحقه وما يدرون ماحقه وفضله». (أي قوم يعرفون ما يجب عليهم معرفته جملة لا تفصيلاً من معرفة الله ورسوله والأئمة عليهم السلام).

ثم قال: جئت تسأل عن مقالة المفوضة؟ كذبوا، بل إن قلوبنا أوعية لمشئة الله عز وجل، فإذا شاء الله تعالى شئنا، والله يقول: «وما تشاءون إلا أن يشاء الله»^١. فقال لي أبو محمد عليه السلام: ما جلوسك وقد أنباك بحاجتك؟ قم. فقم^٢.

٥. الإمام والكندي

كان الكندي من كبار فلاسفة المسلمين وقد عاصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقد أخذ في تأليف كتاب يجمع الآيات التي تحتوي على شيء من التناقض فيما بينها بحسب رأيه وشغل نفسه بذلك، ودخل أحد تلامذته على الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، فقال له الإمام عليه السلام: أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟

فقال التلميذ: نحن تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟ فقال أبو محمد عليه السلام: أتؤذي إليه ما ألقىه إليك؟ قال: نعم.

قال الإمام عليه السلام: فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل: قد حضرني مسألة أسألك عنها، فإنه يسترعي ذلك منك، فقل له: إن أذاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟

فإنه سيقول لك: إنه من الجائز، لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فيكون واضعاً لغير معانيه.

ثم إن الرجل صار إلى الكندي، ولما جعلت الأنسة ألقى عليه تلك المسألة فقال

١. الإنسان / ٣٠.

٢. الغيبة، ص ١٤٨.

الكندي: أعد عليّ، فتفكّر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر.
 فقال - الكندي -: أقسمت عليك إلّا أخبرتني من أين لك؟
 فقال: تلميذه: إنّه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال: كلّاً مامثلك من اهتدي
 إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟
 فقال: أمّرتني به أبو محمد العسكري عليه السلام.
 فقال: الآن جئت به، ما كان ليخرج مثل هذا إلّا من ذلك البيت.
 ثم إنّ الكندي دعا بالنار وأحرق ما كان ألفه^١.
 وهذا الموقف من الإمام عليه السلام له دلالة كبيرة على رصد الإمام عليه السلام لكلّ النشاطات
 العلميّة والفكريّة التي من شأنها أن تمس الرسالة الإسلاميّة من قريب أو بعيد بالإضافة
 إلى دورها الكبير في تنمية الحس الاعتقادي الصحيح وإبعاد الشيعة عن مواطن الشكّ
 والشبهة، وذلك أسلوب اتّبعه الإمام عليه السلام تجاه الفرق والمذاهب، والانحرافات الفكريّة
 بشكل عام ليكون درساً لأصحابه وشيعته على مرّ الأجيال.

الإمام العسكري عليه السلام والعمل النظم

يؤرّخ لحركة الأئمّة بعيد التحاق الرسول الأعظم ﷺ بالرفيق الأعلى، وبعد بيعة
 السقيفة عام (١١ هـ) وإبعاد الإمام علي عليه السلام من ممارسة دوره في قيادة التجربة
 الإسلاميّة بعد الرسول ﷺ، فكان للإمام علي عليه السلام دور بارز في تصحيح المسار
 باتّجاهين: الأوّل ما يختص بالدولة الإسلاميّة، والآخر: ما يختص بالأئمّة وإعداد قاعدة
 شيعيّة تحمل هموم الرسالة وقضاياها، ويظهر أوج المسار التصحيحي للإمام عليه السلام إبّان
 ثورة الأمصار والتي كان من نتائجها مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان والتجاء الثوار
 إلى الإمام علي عليه السلام والإلحاح عليه من أجل قبول البيعة وتولّي أمر الدولة والأئمّة،

فكانت خلافته عام ٣٥ هـ بعد مقتل عثمان^١. ثم يتمثل دور الإمامة في عهد الإمام الحسن عليه السلام الذي تولّى الخلافة عام ٤٠ هـ ولمدة ستّة أشهر، وأُغتيل بالسم من قبل معاوية الذي التزم بأن يكون الأمر من بعده للحسن عليه السلام، فما كان من معاوية إلا الغدر بالإمام الحسن عليه السلام ليتسنى له تحويل الخلافة إلى ملك كسروي وقيصري بعد أن كان قد خطّط لاضطراب الإمام الحسن عليه السلام لعقد صلح معه بشروط مهمّة لكنّه لم يفِ بشرط واحد منها^٢.

وقد أسّس معاوية نظاماً استبدادياً وراثياً امتدّ تسعة عقود أو ما يقرب من قرن واحد حتّى سقطت الدولة الأمويّة نتيجة للثورات الكثيرة الّتي قام ببعضها أتباع أهل البيت وغيرهم ممّن تأثّر بنهبهم ومدرستهم في مقارعة الظلم ممّن لا يرى شرعيّة للحكم الأموي الفاسد.

وقد سار بنو العبّاس على النهج الأموي في هذا الجانب فجعلوا الخلافة وراثيّة كسرويّة قيصريّة وتعدّوا في الاضطهاد وفاقوا الأمويّين في ذلك ونتيجة لظروف القهر والاضطهاد التجأ الأئمّة عليهم السلام وأصحابهم إلى العمل السري المنظم تحت شعار التقيّة ابتعاداً عن متابعة السلطة لهم وتخلّصاً من الاجراءات التعسفيّة للحاكمين، وقد كانت هناك فترات انفراج نسبيّة قلّت فيها الضغوط على الأئمّة وأصحابهم وربّما تحصر هذه الفترة في جزء من عصر الإمام محمّد الباقر عليه السلام وأوائل عصر الإمام الصادق عليه السلام وتقع هذه الفترة بين أواسط خلافة عبد الملك بن مروان إلى بداية نشوء الدولة العبّاسيّة.

لقد ازداد التضيق على الأئمّة الأطهار عليهم السلام وشيعتهم مع ازدياد قوّة الدولة العبّاسيّة حتّى حلّت الظروف القاسية الّتي عاصرها الأئمّة أبناء الرضا وهم محمّد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري عليهم السلام وانتهج الإمام الحسن العسكري نهج آبائه للمحافظة

١. يُراجع تاريخ يعقوبي، ج ٢ والطبري، ج ٣، أحداث السنوات ٣٤ - ٣٥ هـ.

٢. يُراجع يعقوبي، ج ٢ والفتوح ابن أعثم، ج ٣.

على شيعته وأتباعه الذين يمثلون الجماعة الصالحة في المجتمع الإسلامي، وقد شدّد الإمام العسكري دعوته إلى الكتمان وعدم الإذاعة والحذر في التعامل مع الآخرين، والتشدد في نقل الأخبار والوصايا عنه ونقل أوامره إلى أصحابه ونقل أخبارهم إليه فإنّ أتباعه قد انتشروا في أقطار الدولة الإسلاميّة في عصره عليه السلام بعد أن أخذ التشييع طابع المعارضة واتسعت دائرتها تحت راية أهل البيت عليه السلام وكثيراً ما كانت تصدر عنه عليه السلام التحذيرات المهمّة لهم تجاه الفتن والابتلاءات المستقبلية تجنباً لهم من الوقوع في شرك السلطة وحفظاً لهم من مكائدها.

فعن محمد بن عبد العزيز البخلي قال: أصبحت يوماً فجلست في شارع الغنم فإذا بأبي محمد أقبل من منزله يريد دار العامة، فقلت في نفسي ترى إن صحت أيها الناس هذا حجة الله عليكم فاعرفوه، يقتلونني؟ فلما دنا مني أوماً بإصبعه السبابة علىّ فيه أن اسكت، ورأيتك تلك الليلة يقول: «إنما هو الكتمان أو القتل، فاتق الله على نفسك»^١.

دلالات النص الشريف

١. كشف الإمام عليه السلام عن نية أحد أصحابه لمعرفته بما في دخيلة نفسه، ومنعه من التحدّث بما عزم عليه من إظهار أمر الإمام عليه السلام.
٢. كما كشف عن حرجة الظروف التي تحيط بالإمام عليه السلام وأصحابه ومحاولة السلطة للتعرف عليهم ولتطويق عملهم.
٣. إنّ النصّ يظهر لنا استغلال الإمام عليه السلام للمناسبات المختلفة لتحذير أصحابه من الإفصاح عن أنفسهم وإظهار علاقتهم بالإمام كما سيّضح لنا ذلك من النصوص الآتية. ونلاحظ أنّ أحد أساليب الإمام عليه السلام في عمله المنظم والمحاط بالسريّة التامة هو منعه أصحابه من أن يسلموا عليه أو يشيروا له بيد.

روى علي بن جعفر عن أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال: اجتمعنا بالعسكر - أي سامراء - وقد صرنا لأبي محمد عليه السلام يوم ركوبه فخرج توقيعه: «لا يسلمن علي أحد، ولا يشير إلي بيده، ولا يوميء، فإنكم لا تأمنون علي أنفسكم»^١. ونجد الإمام عليه السلام يستغل هذا الظرف ويلقي الحجة على شاب قد أتى من المدينة لاختلاف وقع بين أصحابه في إمامة الحسن العسكري عليه السلام، فيبادره الإمام عليه السلام بالسؤال: أغفاري أنت؟ فقال الشاب: نعم، ثم يسأله الإمام عليه السلام عن والدته ويسمّيها له قائلاً: «ما فعلت أمك حمدوية؟» فقال - الشاب - صالحة، وكان الشاب من ولد الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، ويعود إلى أصحابه وهو مطمئن القلب بإمامة الحسن العسكري عليه السلام.

تنوع أساليب الإمام عليه السلام

وكان للظروف الاجتماعية والسياسية في عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام أثر بالغ في تنوع أساليب الإمام عليه السلام في إيصال الوصايا والتعليمات إلى شيعته وأصحابه، فتارة كانت تنقل بطريق مأمون وهو الرسائل، ولكن مع اشتداد الظرف نجد الإمام عليه السلام يلجأ إلى استعمال أسلوب آخر غير مألوف وهو الكتابة على خشبة وإرسالها إلى أحد وكلائه المشهورين وهو العمري.

روى أبو هاشم الجعفري عن داود بن الأسود قال: دعاني سيدي أبو محمد - الحسن العسكري عليه السلام - فدفع لي خشبة، كأنها رجل باب مدوّرة طويلة ملء الكف فقال عليه السلام: «صر بهذه الخشبة إلى العمري» فمضيت إلى بعض الطريق فعرض لي سقاء معه بغل، فزاحمني البغل على الطريق... فضربت البغل فانشقت - الخشبة - فنظرت إلى كسرهما فإذا فيها كُتب، فبادرت سريعاً فرددت الخشبة إلى كمي فجعل السقاء يناديني

ويشتمني، ويشتم صاحبي، فقال: يقول لك مولاي: «لَمْ ضَرَبْتُ الْبَغْلَ وَكَسَرْتُ رَجُلَ الْبَابِ؟» فقلت: ياسيدي لم أعلم ما في رجل الباب، فقال عليه السلام: (ولم احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه. إنّك بعدها أن تعود إلى مثلها، وإذا سمعت لنا شيئاً فامضِ لسبيلك التي أمرت بها، وإيّاك أن تجاوب من يشتمنا، أو تعرّفه من أنت، فإننا في بلد سوء، ومصر سوء وامضِ في طريقك فإنّ أخبارك وأحوالك ترد إلينا فاعلم ذلك).^١

وفي هذا النصّ دلالات كثيرة ومهمّة في مجال العمل المنظّم، وكما أنّه يعكس السريّة التامة في العمل من جهة الإمام وأصحابه المقرّبين من أجل تجاوز ما يثيره الظرف من إشكالات تجاه العاملين، لذا نجد أنّ الإمام عليه السلام يمنع رسوله من التعرّض لأيّ أمر يمكن من خلاله أن تكشف هويّته وشخصيّته وصلته بالإمام عليه السلام حتّى لو شتمه أحد أو ربما يُسبّ الإمام عليه السلام أمامه، فعليه أن يغضّ الطرف وكأنّه ليس هو المقصود ويذهب في مهمّته، حتّى لا يُكشف هو أو يتعرّف أحد جلاوزة السلطان على ما يخرج من الإمام عليه السلام لوكلائه وثقاته.

وتفيد هذه النصوص وغيرها أنّ الظروف الصعبة والقاهرة التي عاشها الإمام عليه السلام وأصحابه هي التي ألجأتهم إلى اتّخاذ السريّة والكتمان الشديد في تعامله مع قواعده الشعبية، وبالتالي فهي الطريق الأصوب إلى تربية وتهيئة قواعده لعصر الغيبة الصغرى والتي كان يتم اتصال الشيعة بالإمام الحجة عليه السلام عن طريق وكيل له، حيث لم يكن الاتّصال به أمراً ميسوراً والالتقاء معه ممكناً ومباشراً لما فرضته السلطة العبّاسيّة من رقابة شديدة على الشيعة لمعرفة مكان الإمام الحجة عليه السلام.

الخاص

□ كان لرحيل الرسول الأعظم ﷺ أثر بارز في اختلاف الأمة بعده وانقسامها وتعدّد فرقها ومذاهبها وقد فرضت بعض الفرق في زمنه ﷺ أصل الإجتهد مقابل النصّ، لما كان هناك من تعبد بالنصّ الذي سمعه أو وصله عن الثقات موصولاً بالرسول الأعظم ﷺ.

□ وهكذا مع امتداد تأريخ الدولة الإسلامية تكاثرت الفرق، وكلّما حدثت واقعة نجد أن الانشقاق كان يسري في جسم المجتمع فظهرت، المرجئة، والخوارج والمعتزلة وسواهن كثيرة حيث أن كلّ واحدة من هذه الفرق انشطرت على نفسها عدّة مرّات.

□ وكان للإمام العسكري عليه السلام مواقف تجاه هذه الفرق كالصوفيّة والمفوضة والواقفة سواء كانت هذه الفرق ظهرت قبل عصره أو أثنائه، وكانت التعليمات والوصايا تصدر منه لمواليه لاتخاذ المواقف الخاصّة تجاه هذه الفرق والمذاهب.

الأسئلة

١. هل يعتبر عصر الإمام العسكري بداية لنشأة وظهور الفرق الإسلامية؟
٢. ما هو موقف الإمام عليه السلام من الواقفة؟
٣. ما هو موقف الإمام عليه السلام من الصوفيّة؟
٤. ما هو موقف الإمام عليه السلام من الكندي حول مسألة تناقضات القرآن؟
٥. لماذا تنوعت أساليب الإمام عليه السلام في مواجهة الأحداث والظواهر؟
٦. ما هو موقف الإمام عليه السلام من العمل المنظم؟

متطلبات عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام (٢)

١. النص على الإمام المهدي عليه السلام

كان دور الإمام العسكري عليه السلام في الإعداد والتمهيد لغيبة الإمام المهدي عليه السلام دوراً متميزاً ومختصاً به عليه السلام، وإن كانت فكرة الغيبة وظهور إمام يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن تملأ ظلماً وجوراً قد مهد لها صاحب الرسالة نفسه ﷺ ومن بعده الأئمة من أهل بيته عليهم السلام فكل إمام منهم كان يقوم بدوره في التبليغ والإرشاد إلى هذه الفكرة الكبرى وذات الأهمية الخاصة في الجانب الاعتقادي حسب الرؤية الإسلامية للحياة. غير أن دور الإمام العسكري عليه السلام كانت أهميته وخصوصيته تتضح من خلال الجانب الإعدادي المباشر لمرحلة الغيبة والتي أوشكت أن تقع عند استشهاد الإمام العسكري عليه السلام، مضافاً إلى ذلك أن الإمام المهدي عليه السلام هو ابن الإمام العسكري فبسبب هاتين النقطتين تتجلى لنا أهمية مرحلة الإعداد العملي على أيدي الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

إن الإرهاسات الأولى حول موضوع الغيبة كانت قد تواترت عن الرسول ﷺ، ومن بعده عن الأئمة عليهم السلام وكان يتناقلها عنهم شيعتهم وسواهم جيلاً بعد جيل، وربما

لم تنل قضية من القضايا الإسلامية الاهتمام من قبل جميع الفرق الإسلامية مثل ما نالت قضية الإمام المهدي عليه السلام من الاهتمام وتواتر النصوص عليها. ووفقاً لذلك، لم يكن الإمام العسكري يواجه أمراً لم تنهياً له الذهنية الإسلامية، بل إنّ التهيئة كانت سابقة على عصره إذ كانت ترجع إلى عصر صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله نفسه، بيد أنّ الصعوبة كانت تتمثل في الجانب الأهم من الفكرة وهو الجانب العملي، فعلى المستوى النظري كان الجو مهياً لهذه الفكرة، فما هي الخطوات التي اتخذها الإمام العسكري بهذا الصدد؟

مما تجدر الإشارة إليه أنّ الخطوات التي اتبعتها الإمام العسكري كانت تنسجم والظروف العامة المحيطة به عليه السلام والتي سبقت الإشارة إليها، والظروف الخاصة بالقواعد الشعبية التي ترى في الإمام العسكري عليه السلام مرجعها الروحي والفكري الذي يتحمل فيما بعد مسؤولية تربية الأجيال على هذه الفكرة، ومن هنا نلمس دقّة مهمة الإمام عليه السلام وصعوبة موقفه في التوفيق بين هذه المهمة وبين سلبه تجاه الدولة التي كانت ترصد كلّ حركة في مراقبتها الدقيقة لبית الإمام حذراً من الوالد وخوفاً من الوليد - الذي سيدمر عروش الظالمين والمتجبرين في الأرض وقيم العدل والقسط، ولذا فقد أخفى الإمام العسكري عليه السلام ولادة الإمام المهدي عليه السلام، والجانب الآخر لموقف الإمام العسكري هو ما يتصل بـ «إيضاح فكرة المهدي للأجيال»^١.

ومن هنا كان على الإمام أن يتخذ مجموعة من الإجراءات لتحقيق كلّ أهدافه في هذا الجانب وهي: كتمان الولادة، ثمّ عرض الإمام على الشيعة بشكل سرّي ثمّ الإشهاد على النصّ على إمامته مع مراعاة كلّ الجوانب الأمنية التي تحيط بهذا الموضوع.

١. تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٢١٣.

٢. تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٢١٣ و يراجع حياة الإمام العسكري، محمّد رضا

الطبيسي، ص ٣١٣.

٢. التمهيد لإمامة محمد المهدي عليه السلام

أ. كتمان ولادة الإمام المهدي عليه السلام

لقد كتم الإمام العسكري ولادة الإمام المهدي عليه السلام خوفاً عليه من السلطة التي كانت تنتظر ولادته وهي تعلم أنّ المهدي المنتظر هو ابن الحسن العسكري عليه السلام وأنّه المدّخر للقضاء على الظلم وإنهاء دور الاستبداد في الحياة وإقامة العدل والانتصار للمستضعفين.

والإمام العسكري عليه السلام قد أمر خاصّة شيعته كأحمد بن إسحاق وغيره، حينما يبشّرون بولادته عليه السلام: أن يكتُموا أمره ويستروا ولادته عن الآخرين، فقال عليه السلام: «ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً»^١.

كما أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام قبيل ولادته قد بعث إلى «حكيمة» عمّته بنت الإمام الجواد عليه السلام - ليلة النصف من شعبان وقال لها - يا عمّة إجملي إفطارك عندي، فإنّ الله عزّ وجلّ سيبرّك بولّيه وحجّته على خلقه، خليفتي من بعدي.

قالت حكيمة: فتداخلني لذلك سرور شديد، وأخذتُ ثيابي عليّ، وخرجت من ساعتني حتّى انتهيتُ إلى أبي محمد عليه السلام وهو جالس في صحن الدار وجواريه حوله فقلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ ياسيّدي، الخَلْفُ ممّن هو؟

قال: من موسى.

فأدرت طرفي فيهنّ فلم أرَ جارية عليها أثر، غير سوسن^٢.

فترى الإمام العسكري عليه السلام - مع ما اتخذّه من إجراءات احتياطية حول ولادة الإمام وأمره لمن اطّلع على ولادته المباركة أن يكتُم ما شاهد - أنّه عليه السلام كان يبشّر شيعته بولده المبارك وخليفته، ولكن كان ذلك في دائرة الجماعة الصالحة خاصّة والذين

١. كمال الدين، ج ٢، ص ٤٣٤.

٢. غيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٤١.

يؤمنون على مثل هذا الأمر.

فقد روى الشيخ الصدوق عليه السلام - بسنده عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخلقاً، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته، ثم يظهره فيملا الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً»^١.

ب. إخبار الشيعة بولادة الإمام المهدي عليه السلام وعرضه عليهم

وَمَنْ رَأَى الْإِمَامَ الْحَجَّةَ الْمُنْتَظَرَ عليه السلام بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ وَلَادَتِهِ مِنْ خَوَاصِّ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام، عَلِي بْنِ بِلَالٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَعَايَةَ بْنِ حَكِيمٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ نُوحٍ وَغَيْرِهِمْ، فَقَدْ قَالَ لَهُمُ الْإِمَامُ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام - بَعْدَ أَنْ عَرَضَهُ عَلَيْهِمْ -

«هَذَا صَاحِبُكُمْ مِنْ بَعْدِي وَخَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ، وَهُوَ الْقَائِمُ الَّذِي تَمْتَدُّ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ بِالْإِنْتِظَارِ، فَإِذَا امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا خَرَجَ فَمَلَأَهَا قِسْطًا وَعَدْلًا»^٢.

وقد سأل أحمد بن إسحاق الإمام العسكري عليه السلام قائلاً: يامولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟

فنطق الغلام بلسان عربي فصيح فقال: أنا بقيّة الله في أرضه والمنتقم من أعدائه فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق، فقال أحمد: فخرجت مسروراً فرحاً، فلما كان من الغد عدت إليه فقلت له: يا بن رسول الله لقد عظم سروري بما مننت به عليّ، فما السّنة الجارية فيه من الخضر وذو القرنين؟ فقال: طول الغيبة يا أحمد.

١. كمال الدين، ج ٢، ص ٣٠٨.

٢. كمال الدين، ج ٢، ص ٤٣١.

قلت: يا بن رسول الله! وإن غيبته لتطول؟
قال: إي ورّبي حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ولا يبقى إلّا من أخذ الله عزّ وجلّ عهده لولايتنا وكتب في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه، يا أحمد بن إسحاق، هذا أمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله وغَيْبٌ مِنْ غَيْبِ اللَّهِ فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين فكن معنا غداً في عليين^١.

ج. النضّ على إمامة المهدي وغيبته والإشهاد على ذلك
إنّ وفداً من أربعين شخصاً من الموالين لآل البيت عليهم السلام قدموا إلى سامراء وحضروا في بيت الإمام العسكري عليه السلام ليسألوه عن الحجّة من بعده وفي مجلسه أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا بن رسول الله! أريد أن أسالك عن أمر أنت أعلم به منّي.

فقال له عليه السلام: اجلس يا عثمان.

فقام مغضباً ليخرج.

فقال: لا يخرجنّ أحد - فلم يخرج أحد إلى أن كان بعد ساعة، فصاح عليه السلام بعثمان فقام على قدميه.

فقال عليه السلام: أخبركم بما جئتم؟

قالوا: نعم يا بن رسول الله.

قال: جئتم تسألونني عن الحجّة من بعدي.

قالوا: نعم.

فإذا بالإمام المهدي كأنه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمّد عليه السلام.

فقال - العسكري -: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرّقوا من

بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لاترونه من بعد يومكم هذا حتّى يتمّ له عمر، فاقبلوا من عثمان مايقوله، وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمرُ إليه^١.

وقد اشتمل هذا النصّ - بعد التعريف بالإمام المهدي عليه السلام - على الإشارة إلى وكالة عثمان بن سعيد العمري لأنهم لا يرون الإمام المنتظر عليه السلام بعد رؤيتهم هذه له، كما تضمّن النصّ على إمامته وأنه الخلف والحجّة بعد الإمام العسكري عليه السلام.

وكان الإمام العسكري عليه السلام يستغلّ الفرص المناسبة للنصّ على إمامة ولده والتعريف بأمره وبغيبته، فعن موسى بن جعفر بن وهب البغدادي قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام يقول: كأنّي بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف منّي، أما إنّ المقرّ بالأنّمة من بعد رسول الله ﷺ المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورسله ثمّ أنكر نبوة رسول الله ﷺ، والمنكر لرسول الله ﷺ كمن أنكر جميع أنبياء الله، لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخرنا كما المنكر لأولنا، أما إنّ لولدي غيبةً يرتاب فيها الناس إلّا من عصمه الله عزّ وجلّ^٢.

ثم يضيف الإمام العسكري عليه السلام بياناً آخر إثباتاً لإمامة ولده المهدي عليه السلام بما ينقله عن آبائه عليهم السلام: «إنّ الأرض لاتخلو من حجّة لله على خلقه إلى يوم القيامة، وإنّ من مات، ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»، ثمّ يشير الإمام العسكري عليه السلام إلى ظهور الإمام المهدي عليه السلام بعد غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقّاتون^٣.

١. الغيبة، ص ٢١٧.

٢. كمال الدين، ج ٢، ص ٤٠٩.

٣. كمال الدين، ص ٤٠٩.

من وصايا الإمام العسكري عليه السلام لشييعته

وتضمنت وصايا الإمام ورسائله، بيان الأحكام الشرعية ومسائل الحلال والحرام، يضاف إلى ما اشتملت عليه من رسم خط عام للتعامل مع الآخرين وكان ذلك بمثابة منهج سلوكي ليسير عليه شييعته وقيموا علائقهم وفقاً له فيما بينهم وبين أبناء المجتمع الذي يعيشون فيه وإن اختلفوا معهم في المذهب والمعتقد، ومن هذه الوصايا: - قوله عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من أئتمنكم من برٍّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد ﷺ، صلوا في عشائركم، واشهدوا جنازتهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيوعي فيسرني ذلك، اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح فإنه ما قيل فينا من حُسن فنحن أهله وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب، أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ، فإن الصلاة على رسول الله عشر حسنات، احفظوا ما أوصيكم به وأستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام»^١.

وقال عليه السلام: أمرناكم بالتختم في اليمين ونحن بين ظهرائكم والآن نأمركم بالتختم في الشمال لغيبتنا عنكم إلى أن يظهر الله أمرنا وأمركم فإنه أول دليل عليكم في ولايتنا أهل البيت، وقال عليه السلام لهم: «حدثوا بهذا شيعتنا»^٢.

وكتب الإمام الحسن العسكري عليه السلام يوصي أحد أصحابه، - وهو علي بن الحسين ابن بابويه القمي -

١ . تحف العقول، ص ٤٨٧ - ٤٨٨.

٢ . تحف العقول، ص ٤٨٧ - ٤٨٨.

«أوصيك...بتقوى الله وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة فإنه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة، وأصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ، وصلّة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: «لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس» واجتناب الفواحش كلّها، عليك بصلاة الليل فإنّ النبي ﷺ أوصى علياً عليه السلام فقال: يا علي عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، ومن استخفّ بصلاة الليل فليس منّا، فاعمل بوصيتي وامر جميع شيعتي بما أمرتك به حتّى يعملوا به، وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإنّ النبي ﷺ قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج...^١.

وبذلك رسم الإمام الحسن العسكري عليه السلام منهجاً واضحاً لشيعته للسير عليه وهو يتضمن مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية وماتدعو إليه من خلق رفيع وحسن تعامل مع الناس سواء كانوا موافقين لشيعته في المبدأ أو مخالفين لهم وتلك هي أخلاق الإسلام التي دعا إليها رسول الإنسانية محمد بن عبد الله ﷺ.

الناص

□ لقد أجمع المسلمون بشكل عام على ظهور مهدي آل محمد ﷺ في آخر الزمان لتواتر الروايات على هذا، بيد أن مسألة الغيبة والتأكيد عليها والتمهيد لها اختص بأئمة أهل البيت عليهم السلام، وللإمام العسكري عليه السلام دور خاص في هذا الاتجاه لتقارب عهده بعهدا، وكون الإمام المهدي عليه السلام ابنه عليه السلام. فكان لابد من أن يهتئ ذهنية الجماعة الصالحة لوقوعها القريب منها فنجد أن ممارساته وتعامله كان يضي عليه طابع السرية والخفاء كي يمهد إلى دور السفراء في عصر الغيبة الصغرى، فمن هنا نجد أن الإمام العسكري عليه السلام يكتف ولادته إلا على الخواص دون سواهم، والدولة العباسية التي كانت ترتقب ولادة الإمام عليه السلام لم تتمكن من العثور على أثر له ولم تعلم ولادته، والإمام العسكري تمكن من إيضاح كل الأمور المتعلقة بالإمام المهدي عليه السلام وما يتصل بغيبته وإرجاع الناس إلى رواة الأحاديث ليأخذوا معالم دينهم وأحكامهم منهم، وعليه فكانت وصاياه عليه السلام تتضمن بيان الأحكام الشرعية، من حلال وحرام فضلاً عن أمور أخرى تتعلق بمسائل مختلفة حتى تكون الجماعة الصالحة على وعي تام بدورها بعده وبالمهام الموكلة إليهم.

الأسئلة

- ١ . ما هي خصوصية دور الإمام العسكري عليه السلام في التمهيد لإمامة المهدي عليه السلام ؟
- ٢ . لماذا اهتمت فرق المسلمين كافة بمسألة ظهور الإمام المهدي عليه السلام واختصت قضيته باهتمام أكبر من غيرها من القضايا؟
- ٣ . ما هي الخطوات التي اتبعها الإمام العسكري في التمهيد لإمامة المهدي عليه السلام وغيبته؟
- ٤ . لماذا كانت الدولة العباسية تراقب ولادة الإمام المهدي عليه السلام ؟
- ٥ . ما هي أهم وصايا الإمام العسكري عليه السلام .

متطلبات عصر

الإمام الحسن العسكري عليه السلام (٣)

مدرسة الفقهاء والتمهيد لعصر الغيبة الصغرى

لقد اتسم عهد الأئمة من أبناء الرضا عليه السلام (وهم الجواد والهادي والعسكري) باتساع رقعة انتشار التشيع، وكثرة العلماء والدعاة إلى مذهب أهل البيت، واكتمال معالم وأبعاد مدرستهم الفقهية في المنهج والمادة معاً.

ويتلخص المنهج الذي سارت عليه مدرسة الفقهاء الرواة عن أهل البيت عليه السلام في نقاط جوهرية وأساسية تميزها عما سواها من المدارس الفقهية حينذاك وهي:

١. اعتماد الكتاب والسنة فقط مصدراً للتشريع الإسلامي.
٢. الرجوع في تعلم العلوم الشرعية وأخذ الفتوى إلى الإمام المعصوم إن أمكن.
٣. الرجوع إلى الفقهاء الثقات حيث لا يمكن أو يتعسر الرجوع إلى الإمام المعصوم.
٤. الإفتاء بنص الرواية أو بتطبيق القاعدة المستخلصة من الرواية^١.

وبهذا وفرت مدرسة أهل البيت عليه السلام ومن قبل الأئمة أنفسهم - خلال قرنين ونصف قرن من الزمن، هذه النخبة الصالحة لتكون حلقة وصل فكرية وفقهية بين أئمة

١. تاريخ التشريع الاسلامي، عبدالهادي الفضلي، ص ٢٠٢ - ٢١١.

الهدى ﷺ وبين قواعدهم الواعية لتظلّ منطلقاً إلى آفات الإسلام لرحبة على الرغم من قساوة الظروف انفتاح عدّة جبهات للمعارضة مع الحكم القائم وبهذا قد ضمنت كلّ متطلبات إحياء الشريعة الإسلامية واستمرار دعوتها وحركتها حتّى بعد غياب الأئمة المعصومين من الساحة، وهيأت للمسلمين عامّة ولشيعة أهل البيت خاصّة كلّ مقدمات الاستقلال الفكري والسياسي والاقتصادي والثقافي وأعطتهم الزخم اللازم لاستمرار المواجهة مع الباطل الذي يترصد الحقّ في كلّ زمان ومكان.

وقد أكمل الإمام العسكري ﷺ الخط الذي أسّسه آباؤه الطاهرون وهو تكوين وإعداد جماعة صالحة تمثل خط أهل البيت الفكري والعقائدي والأخلاقي والسلوكي. وبذلك يكون قد أعطى للمدرسة الفقهية تركيزاً واهتماماً يشير إلى أنّ الخط الفقهايي هو الخط المستقبلي الذي يجب على القاعدة الشيعية أن تسير عليه^١.

وقد أيّد الإمام العسكري جملة من الكتب الفقهية والأصول الروائية التي جمعت في عصره أو قبل عصره وأيّد أصحابها وشكر لهم مساعيهم.

وقد أحصيت أسماء أصحاب الإمام الحسن العسكري ﷺ ورواة حديثه فبلغوا ٢١٣ شخصاً^٢، ومع ملاحظة حراجه الظروف المحيطة بالإمام العسكري ﷺ وقصر الفترة التي عاشها إماماً ومرجعاً للأمة والشيعة فإنّ هذه النسبة من الرواة تشكّل رقماً قياسياً مهماً طبعاً.

وكان لمحمّد بن الحسن بن فروخ الصفار المتوفّي سنة ٢٩٠ هـ مجموعة من المؤلفات تقارب الأربعين مؤلفاً^٣.

وقد تضمنت كتبه مختلف أبواب الأحكام كالصلاة والوضوء والعق والدعاء والزهد والخمس والزكاة والشهادات، والتجارات، والجهاد وكتاب فضل القرآن الكريم.

١. راجع حياة الإمام العسكري، الشيخ محمّد جواد الطيبي، ص ٣٢٥.

٢. راجع حياة الإمام العسكري للشيخ محمّد جواد الطيبي، الفصل العاشر.

٣. الفهرست، الشيخ الطوسي، ص ١٧٤.

ومن ثقات الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

- ١ . علي بن جعفر الهمداني .
 - ٢ . أبوهاشم داود بن القاسم الجعفري .
 - ٣ . داود بن أبي يزيد النيسابوري .
 - ٤ . محمّد بن علي بن بلال .
 - ٥ . عبد بن جعفر الحميري القمي .
 - ٦ . أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الزيّان والسّمّان .
 - ٧ . إسحاق بن الربيع الكوفي .
 - ٨ . أبو القاسم جابر بن يزيد الفارسي .
 - ٩ . إبراهيم بن عبيد الله بن إبراهيم النيسابوري .
- ومن أصحابه عليه السلام محمّد بن الحسن الصّفّار - عبدوس الطّار - عمري بن سلامة النيسابوري - أبوطالب الحسن بن جعفر - أبوالبختري - الحسين بن روح النوبختي .

الغيبة وقيادة العلماء

إن مرجعية العلماء وقيادتهم للشيعة بعد الغيبة الكبرى التي ابتدأت سنة ٣٢٩هـ عند وفاة الوكيل الرابع^١ للإمام المهدي عليه السلام كانت تأسيساً حيويّاً من قبل الأئمة المعصومين عليهم السلام وبأمر من الله ورسوله، فهم الذين أمروا الشيعة بالرجوع إلى العلماء والفقهاء الذين تربّوا في مدرستهم الرساليّة لأخذ معالم دينهم عنهم، وهذا المفهوم قد أعطاه الإمام الصادق عليه السلام صيغته التشريعيّة بقوله عليه السلام: ينظر من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنّما استخفّ بحكم الله وعلينا

ردّ، والرادّ علينا رادّ على الله وهو على حدّ الشرك بالله^١.

ثمّ كان للخطوات التي اتخذها الإمام الهادي عليه السلام الدور البارز في إعطاء الصيغة الاجتماعية الكاملة لمرجعية العلماء - فقد قال عليه السلام: لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه والدالّين عليه، والذاتين عن دينه بحجج الله، والمتقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلّا ارتدّ عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمنة قلوب ضعفاء شيعتنا كما يمسك صاحب السفينة سكّانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل^٢.

إنّ الأساس والمركز الذي تقوم عليه فكرة إرجاع الشيعة إلى الفقهاء العدول هو: أن الأجيال المسلمة تحتاج باستمرار إلى المرشد والموجه والمفكر المديّر كي يعطيهم تعاليم دينهم ويرتفع بهم إلى المستوى المطلوب في إيمانهم وعقيدتهم وينسرح لهم إسلامهم ويوجههم في سلوكهم إلى العدل والصلاح ورضا الله عز وجل^٣. ووفقاً لذلك كان ما اتخذته الإمام العسكري عليه السلام تمهيداً للغيبة، وتأسيساً لفكرة المرجعية ونظام الوكلاء وتعيين الثقات المأمونين من شيعته لإرجاع عامة الطائفة إلى العلماء منهم إن هذا الأساس، كان خطوة أوليّة في هذه الاتجاه.

وكان احتجابه عن الشيعة واتخاذ المراسلات والتواقيع الخارجة عنه سبيلاً آخر للتمهيد أيضاً، فقد جاء عنه عليه السلام التوثيق الصريح في العمري وابنه محمّد: بأن العمري وابنه ثقتان فما أديا إليك فعني يؤديان وماقالا فعني يقولان فاسع لهما وأطعهما؛ فإنهما الثقتان المأمونان^٤.

ثمّ نجد أنّ الإمام العسكري عليه السلام كان يوجّه القواعد الشعبية للرجوع إلى الفقهاء وتقليدهم وأخذ معالم دينهم عنهم بعد أن يذكر الصفات التي يجب أن يكونوا عليها بقوله عليه السلام: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر

١. وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، كتاب القضاء، ج ٣، ص ٤٢٤.

٢. الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٦٠.

٣ و ١١. الغيبة الصغرى، ص ٢١٩.

مولاه فللعوام أن يقلّدوه»^١.

وبهذه الخطوات أكمل الإمام العسكري عليه السلام الدور الموكّل إليه في هذه المرحلة المهمة من تاريخ الرسالة الإسلامية، فقد أنشأ مدرسة علميّة لها الدور الأكبر في حفظ تراث أهل البيت عليهم السلام ومبادئ الإسلام أولاً، ومن ثمّ كان لها الأثر الكبير في نشر فكرة الغيبة وتهيئة الذهنيّة العامّة لتقبّلها ثانياً، كما كان لها مساهمة فعّالة في توجيه شيعة الإمام عليه السلام بالرجوع إلى الفقهاء الذين هم حصن الإسلام الواقعي للمسلمين من الأعداء ثالثاً.

وبعد الغيبة الكبرى ظهرت الآثار الايجابية لمدرسة الإمام العسكري عليه السلام وتعاليمه ووصاياه في التزام الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام بخط المرجعيّة الرشيدة. ويعدّ مبدأ الاجتهاد والتقليد عند الإماميّة مظهراً لواقعيّة هذا المذهب في قدرته على الحفاظ على روح التشريع والرسالة الإسلاميّة بعد غيبة الإمام المعصوم عليه السلام وإلى اليوم الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت جوراً وظلماً.

استشهاد الإمام العسكري عليه السلام

وبعد أن أدّى الإمام العسكري عليه السلام مسؤوليّته بشكل كامل تجاه دينه وأمة جده عليه السلام، وولده عليه السلام نعى نفسه قبل سنة ستين ومثنتين، وأخذ يهذيء روع والدته قائلاً لها: لا بد من وقوع أمر الله لا تجزعي... ونزلت الحادثة كما قال، والتحق بالرفيق الأعلى بعد أن اعتلّ عليه السلام في أوّل يوم من شهر ربيع الأوّل من ذلك العام^٢. ولم تزل العلة تأخذ منه والمرض يثقل عليه حتّى توفي في الثامن من ذلك الشهر، وروي أيضاً أنّه قد اغتيل بالسمّ من قبل السلطة إذ دسّ السمّ له المعتمد العبّاسي الذي كان قد أزعجه

١ . تفسير الإمام العسكري، ص ١٤١.

٢ . الارشاد، ص ٣٣٥ ومهج الدعوات، ص ٢٧٤.

تعظيم الأمة للإمام العسكري وتقديهم له على جميع الهاشميين من علويين وعباسيين فجمع رأيه على القتل، ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد (الحجة) وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين حيث آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب^١.

ودفن الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى جانب أبيه الإمام الهادي عليه السلام^٢. في سامراء، وقد ذكر أغلب المؤرخين أنَّ سنة وفاته كانت (٢٦٠ هـ) وأشاروا إلى مكان دفنه، دون إشارة لسبب وفاته^٣، بالرغم من أنه كان صحيحاً سالماً وفي عمر الشباب حيث ام يتعد عمره الثامنة والعشرين.

وروى ابن الصباغ عن أحمد بن عبيد بن خاقان أنه قال: لما اعتلَّ (ابن الرضا) عليه السلام، بعث (جعفر بن علي) إلى أبي: إنَّ ابن الرضا عليه السلام قد أعتلَّ فركب أبي من ساعته مبادراً إلى دار الخلافة: ثمَّ رجع مستعجلاً ومعه خمسة نفر من خدام الخليفة كلَّهم من ثقاته ورجال دولته وفيهم نحرير، وأمرهم بلزوم دار الحسن بن علي وتعرّف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطبيين وأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده في الصباح والمساء، فلما كان بعدها بيومين جاءه من أخبره أنه قد ضعف فركب حتّى بكرَّ إليه، ثمَّ أمر المتطبيين بلزومه وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممّن يوثق بهم في دينهم وأمانتهم وورعهم فأحضرهم وبعث بهم إلى دار الحسن عليه السلام وأمرهم بلزوم داره ليلاً ونهاراً، فلم يزلوا هناك حتّى توفيَّ لأيّام مضت من شهر ربيع الأوّل من سنة ستين ومائتين^٤.

ويتضح لنا من خلال متابعة تاريخ الإمام العسكري عليه السلام وموقف السلطة العباسية منه أنَّ هناك محاولة للتخلّص من الإمام كانت قد دبرّت من قبل الخليفة المعتمد

١. الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، ص ٣١٤ عن وفياة الأعيان لابن خلكان.

٢. المنتظم، عبدالرحمن بن علي الجوزي، ج ٧، ص ١٢٦.

٣. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج ٤، ص ٤٥٤ والطبري، ج ٧، حوادث سنة ٢٦٠ هـ.

٤. الفصول المهمة، ص ٢٧١ وكمال الدين، ج ١، ص ٤٢.

خصوصاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار سلسلة الإجراءات التي اتخذتها السلطة إزاء الإمام علي الهادي عليه السلام أولاً، ومن ثمّ ما اتخذته من إجراءات ضدّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ثانياً فقد قامت بسجنه عدّة مرّات فضلاً عن المراقبة المشدّدة على بيته، كما حاولت نفيه إلى الكوفة، وغيرها من الإجراءات التعسّفيّة التي مارستها السلطة العبّاسيّة ضدّه وضدّ شيعته وضدّ العلويّين، ووفقاً لذلك وبضمّ رواية أحمد بن عبيد بن خاقان والذي كان أبوه أحمد أبرز رجالات الدولة، يتأكّد لنا أنّ استشهاد الإمام العسكري عليه السلام كان وراءه يد السلطة الغاصبة دون أدنى شكّ.

الصلاة على الإمام العسكري عليه السلام

وكان لاستشهاد الإمام العسكري عليه السلام صدئ كبير في سامراء حيث عطّلت الأسواق وسارع العامّة والخاصّة مهرعين إلى بيت الإمام عليه السلام، ويروي أحمد بن عبيد واصفاً ذلك اليوم العظيم قائلاً: ولما رُفِع خبر وفاته، ارتجّت سرّ من رأى، وقامت ضجّة واحدة: «مات ابن الرضا^١، وعطّلت الأسواق، وغلّقت أبواب الدكاكين وركب بنو هاشم والكتّاب والقوّاد والقضاة والمعدّلون وسائر الناس إلى أن حضروا جنازته فكانت سرّ من رأى شبيهة بالقيامة»^٢.

وبعدما جُهِز الإمام العسكري عليه السلام خرج عقيد خادمه، فنادى جعفر بن علي فقال: ياسيّدي قد كُفّن أخوك، فقم وصلّ عليه، فدخل جعفر بن علي والشيعّة من حوله: يتقدّمهم عثمان بن سعيد العمري وهو أحد وكلائه عليه السلام ولما دخلوا الدار فإذا بالحسن بن علي صلوات الله عليه على نعشه مكفّناً، فتقدّم جعفر بن علي ليصلّي عليه، فلما همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سمرة بشعره ققط، وبأسنانه تغليج - فجذب رداء جعفر

١ . كمال الدين، ج ١، ص ٤٣.

٢ . الفصول المهمّة، ص ٢٧١.

وقال: ياعم! أنا أحقّ بالصلاة على أبي فتأخّر جعفر وقد أريد وجهه واصفرّ، فتقدّم الصبيّ فصلّى على أبيه عليه السلام^١.

ولما أخرج نعش الإمام العسكري عليه السلام صلّى عليه أبو عيسى بن المتوكل^٢، بأمر الخليفة المعتمد العباسي، تمويهاً على الرأي العامّ وتغطية على استشهاد الإمام عليه السلام، وكأنّ السلطة ليس لها في ذلك يد، بل على العكس فقد أظهرت اهتماماً كبيراً أيام مرض الإمام عليه السلام حتّى خرج كبار رجال البلاط العباسي مشيعين ولكن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تنطلي على شيعة الإمام ومواليه، وهكذا غالبية المسلمين الذين عاصروا الأحداث المؤلمة التي واجهها الإمام عليه السلام من قبل السلطة من سجن وتضييق.

أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام

إنّ المشهور بين الشيعة الإماميّة، أنّ الإمام العسكري عليه السلام لم يكن له من الولد سوى الإمام محمّد المهدي المنتظر عليه السلام، ويدلّ عليه ما أشار إليه الشيخ المفيد^٣ عليه السلام حيث قال: أمّا الحسن بن علي العسكري عليه السلام فلم يكن له ولد سوى صاحب الزمان عليه الصلاة والسلام ولم يخلف ولداً غيره ظاهراً أو باطناً^٤، كما ذهب إلى ذلك ابن شهر آشوب حيث قال: وولده القائم لا غيره^٥، وأصحاب المصادر التاريخية، كالطبري^٦ والمسعودي^٧ وغيرهما لم يشير إلى غير الإمام المنتظر عليه السلام.

١. كمال الدين. ج ٢، ص ٤٧٥.

٢. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٢٨.

٣. الإرشاد، ص ٣٤٦.

٤. تاج المواليد، ص ١٣٥.

٥. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٤٢١.

٦. تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٥١٩.

٧. تاريخ المسعودي، ج ٤، ص ١١٠.

على أن بعض الروايات تشير إلى وجود أولاد غير القائم عليه السلام وتذهب إلى أن له أربعة أولاد: هم موسى وفاطمة وعائشة سوى القائم عليه السلام، وليس هناك ما يدعم هذا القول، والقرائن التاريخية تعضد القول الأول أي أنه لم يكن له ولد عدا المهدي المنتظر عليه السلام وهو الذي ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ.

الخاص

□ إن أحد الأهداف الأساسية في منهج أهل البيت عليهم السلام هو إنشاء جماعة صالحة تمثل خطّهم الفكري والعقائدي والأخلاقي، فكان الإمام العسكري عليه السلام امتداداً لآبائه وأجداده عليهم السلام في هذا النشاط والتحرك، فقد أعدّ جماعة من الثقات رواة وفقهاء، تمثلت فيهم مدرسة علميّة واصلت مسيرة الإمام عليه السلام بعد رحيله عليه السلام، ممهدة وعاملة لآباءه مدرسة ومذهب أهل البيت، وقد تبلور هذا التحرك الشريف في قيادة الفقهاء للأمة في عصر الغيبة الكبرى حيث أرجع الإمام المهدي عليه السلام في أحد التواقيع المباركة له الجماعة الصالحة إلى الفقهاء الذين يمثلون خطه وخط آبائه عليهم السلام. فمن هنا نجد التحام الجماعة الصالحة بالعلماء وفقهاء أهل البيت على امتداد التاريخ، وإن الاضطراب الذي حصل عند استشهاد الإمام عليه السلام في سامراء يعكس لنا المنزلة الاجتماعية الكبيرة التي كان يتمتع بها الإمام عليه السلام في وقته عند أهالي سامراء وغيرهم لما عرف عنه من التقوى والورع والزهد والتحامه بالناس وتفاعله معهم في حل قضاياهم وما كانوا يعانونه من الظروف القاسية التي كانت تكتنف المجتمع الإسلامي آنذاك.

الفصل

- ١ . ما هو دور الإمام علي عليه السلام في إكمال دور آبائه عليهما السلام في إنشاء مدرسة تحمل مفاهيم أهل البيت عليهما السلام ومبادئهم؟
- ٢ . كيف تم إرجاع الجماعة الصالحة في عصر الغيبة الكبرى إلى الفقهاء؟
- ٣ . ما هو الأساس في إرجاع الشيعة إلى العلماء؟
- ٤ . متى استشهد الإمام العسكري عليه السلام وكيف؟
- ٥ . لماذا ظهر الإمام المهدي عليه السلام للصلاة على والده علي عليه السلام؟